

# الخط الحجازي

لولى النعم كحاج عبا من حليم باشا الثباني خديو مصر

نقلم  
محمد البينوني

وردت اظاره المعارف هذا الكتاب للطلعه بمدارسها

الطبعه الاولى

(تمت طباعتها وبيعها في اورادمان في سنة ١٣٢٩ هـ عتبا)

(سنة ١٣٢٩ هجرية)

حقوق الطبع والرحمة محتوطة للمؤلف

طبع بمطبعة اجمالية - بمصر

(الكاتبة نخارة الروم اعطقة التري)

(لاستادها محمد أمين الاحي و... وأهدت حرف)



## ( فهرست )

### — المقدمة والتمهيد —

صفحة	
	تقديم الكتاب الى الجناب العالى الخديوى .
	كتاب عطوفة رئيس النظر الى المؤلف .
٥	مقدمة الكتاب .
٨	تمهيد — الامة العربية . العماليق . عرب الرعاة . الخط المسامرى . دولة عاد الاولى المعينيون . طسم وجديس . تمود .
١٣	القحطانية — دولة سبأ الاولى . سد مأرب . ملوك حمير والتبابعة . أصحاب الاخدود . استيلاء الحبشة على اليمن . دخول اليمن فى حكم المسلمين . دولة كنده . دولة تنوخ بالعراق . دولة اللخمين بالعراق . جدول بملوك اللخمين بالحيرة . الفسانية
٢٥	العدنانية — ملوك العدنانية قبل الاسلام . دول العرب بالاندلس . دولة العرب بدمشق . الدول الاسلامية التى قامت بمصر . دولة الديلم . دولة بنى حمدان . الدولة السامانية . القرامطة . دولة الغزنويه . الدولة الغورية . الغز . التتار . دولة فارس . قيام دولة بنى عثمان وانتقال الخلافة العربية اليهم . طرابلس . بلاد الجزائر . تونس . مراکش . شجرة القبائل القحطانية والعدنانية .
٣٧	صفة جزيرة العرب — أقسام الجزيرة . بلاد الحجاز . نظام الحكومة بها . اليمن . طبيعة أرضها . محاصيلها . الدول التى قامت باليمن بعد الاسلام . استيلاء الدولة العلية على اليمن . حرب الامام يحيى مع الدولة . فتنة عسير والادريسى . مدينة عدن . السلطنات التى فى جنوب اليمن . عمان . استيلاء البرتغاليون على عمان . استيلاء السلطان أحمد بن سعيد عليها . تقسيم بلاد عمان بين بنى سعيد . جزائر البحرين . نجد . شمر . العارض . الحسا . أخلاق العرب . جدول بالقبائل العربية الموجودة بجزيرة العرب . خريطة بلاد العرب .

## ﴿ فهرست كتاب الرحلة ﴾

	صفحة
سفر الجناب العالى من مصر الى جدة - مدينة جدة . علة تسمية البحر الاحمر . قبر أمناحواء . الرهان على أن طول الموميات ليس بدليل على وحدة طول الاسان فى جميع أدوار حياته .	١
وصول الحناب العالى الى جدة وقيامه معها الى محرة - وصف الطريق من جده الى مكة	١٦
دخول الحناب العالى مكة وإيامه بها قبل عرفة - صلاة الجمعة بالحرم . زياره البيت العتيق وشعور الاسان وهو فى داخله .	٢١
الطريق القديم والحديث من مصر الى الحرمين - فبا تل الباجه وعدم تهريف الاسلام فى المعامله بين المسلمين وأهل الدمة . الطريق من فنا الى القصير فى عاره وحاصره . الكلام على العمبه (أيله) .	٢٧
مكة المكرمة - أهل مكة وأجناسهم . لغتهم . عدم دخول الاحاب الى مكة . عوايد أهل مكة . مولد النى . دار خديجة المشهورة بمولد فاطمة . دار الارهم الحزومى . عارحراء . مزارات مكة . مدارسها . المطوفون وخرافاتهم - م ونحريهم ألفاظ القرآن الشريف . النمودى مكة . أسواقها . جوها . آثار مكة . عين ز بيده . بصيحة للعبايه أمر ماء الشرب . التكايا والاديره والدارس ناله دس الشرف .	٣٧
تاريخ مكة - وصول اراهيم واسماعيل عليهما السلام اليها . قر يش وتقسيم الامتيازات الدينية والاجتماعية بينها قبيل الاسلام .	٦٩
حكم الاشراف بمكة . جدول نأمرء مكة .	٧٣
الوهابيه ومحمد على بالحجاز . آل سعود . آل الرشيد .	٨٧
الحرم المكى والزيادة التى حصلت فيه . حر نفه . عماراته . الا نار التى فى داخله . مستخدميه .	٩٤
الكعبة المعظمة و بناء اراهيم لها - بناء الكعبة قبل الاسلام . عمل قر يش برأى الرسول عليه السلام قبل البعثة فى وضع الحجر الاسود . هدم الحجاج للكعبة و بناءه لها . شكل الكعبة . الكعبة من الداخل . أصل كلمة شادر وان . الايام التى نفتح فيها الكعبة . الاحتفال بغسيل الكعبة .	١٠١



- ١٠٩ الكعبة قبل الاسلام وبعده - الصائنة وهيا كلها . فكرة في أصل الطواف واستمداد الشرائع من الشرائع التي قبلها . علم النجوم عند العرب . أسواق العرب وسوق عكاظ .
- أندية العرب في الاسلام . السمعات واحترامها . احترام اليهود والنصارى وغيرهم للكعبة قبل الاسلام . الحرم ومسافته من الكعبة . أشهر الحج والاشهر الحُرْم .
- سبب الشهور . علّة تحريم شهر رجب . الطواف . المطوّفون . أثر قدم ابراهيم . آثار الاقدام المحترمة . مقام ابراهيم . نثر زمزم . فشل الامراء والملوك في تحويل الناس عن الكعبة . أرهة والكعبة . مرض الحدرى والزمن الذى وجد فيه .
- ١٣٣ هدايا البيت الحرام . كسوة الكعبة واصليها ومصاريفها . الكسوة القديمة . الحمل وأصله ومرتماته وخدمته .
- ١٤٦ حمام الحمى - احترام الحمام من زمن بعيد حمام الرسائل . الحج عند الامم المختلفة .
- ١٥٠ الحج عند العرب جاهلية واسلاما . احترام الاحجار من فديم الزمان . علّة احترام الحجر الاسود عند المسلمين . نديس اليهود اذ يطعمه من حائط سور المسجد الاقصى . لاميه أنى طالب في مناسك الحج في الجاهلية تأثر الحج على الاخلاق .
- ١٦٢ المسجد الاقصى - الصحرة الشريفة . الآثار التي حولها . اصطبلات سليمان . مدينة الهندس وتاريخها . المرات التي فيها . مدينة الخلدل . مات لحم .
- ١٧٢ كيف تحج أيها المسلم - الادعية المأثورة من الابتداء في الحج الى النهاية منه .
- ١٧٦ محرمات الاحرام . جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة .
- ١٧٩ الاحرام . لباس الاحرام واسمعه من قدم الزمان .
- ١٨٦ الوفوف بعرفة - وكرة في تسميم بحراء عرفة بين أصناف الحجيج وقت الوفوف . شعور الاسان وقت الخطبة على جبل الرحمة .
- ١٩٠ الرجم وأصله عند اليهود والنصارى - المبور المرجوم .
- ١٩٣ القرمان . تاريخه عند جميع الامم .
- ١٩٦ الآثار في منى - أيام الجناب العالى في منى . الرهان على أن عائدا لاشراف أقدم أسرة في العالم . الاحتمال تلاوة فرمان الشرف نفي . مواكب الشرف .
- ٢٠٦ سفر الحجيج من مكة - الجمل وفسلوجيته . الشمذف والسحلية . الحمير الحساوى .
- ٢٠٩ الطريق الى المدينة - الطريق المرعى . طريق الغاير . الطريق الشرقى
- ٢١٣ نظام المواهل - أخلاق الجماله . أعنية الحججاج . الحداء وأصله . الخطر في ابتعاد الحاج عن العاقلة . ما يجب أن تكون عليه القافلة وقت سيرها .

- حقیقة .
- ٢٢١ سفر الجناب العالی من مكة الى الوجه - الوجه والطريق منه الى البدایع . ركوب السكة الحديد الى المدينة . قطع السيول لسكة الحديد الحجازيه . مكتوب للجناب الخديوي يوم عيد الجلوس غرابة الانسان وهو في صحراء بلاد العرب من انها مصدر مدينة الاسلام . شعور الانسان عندما يرى اعلام المدينة .
- ٢٣٦ الجناب الخديوي بالمدينة المنورة - الخدمة بالحجرة الشريفة . شعور الانسان وهو في داخلها .
- ٢٣٩ الحرم المدني - أصل الحرم المدني والزيادة فيه . الروضة الشريفة . المقصورة الشريفة . الذخائر التي بها . بحث في بيته صلى الله عليه وسلم بالمدينة .
- ٢٥٢ المدينة المنورة - حارات المدينة . كتب خاناتها . مزاراتها . مسجد حمزة . البقيع . مسجد قباء . آبار المدينة . العين الزرقاء . وديان المدينة . أهل المدينة وعاداتهم . المدينة في صدر الاسلام .
- ٢٦٥ النبي عليه الصلاة والسلام - صفته . حكم من أقواله . هجرته . سيرته . غزواته .
- ٢٧٠ أبو بكر - صفته . تغلبه على أهل الردة . بعوثه الى فارس والشام . أولاده
- ٢٧٤ عمر - صفته . اتساع الاسلام في مدته . فتح فارس والعراق والشام والقدس ومصر . بعض مكاتيب عمر لعماله . حياته في شخصه . أولاده وعماله .
- ٢٨٣ عثمان - صفته . فتح أفريقيا . اتساع ملك الاسلام في أيامه . كتابته للمصاحف وتوزيعها على الامصار تغير الناس عليه . قتله . أولاده وعماله .
- ٢٨٩ علي - صفته . واقعة الجمل . واقعة صفين . الحكيم . حربه للخوارج . قتله . تنازل الحسن عن الامارة الى معاوية .
- ٢٩٦ الا بصار . جدول أمراء المدينة .
- ٣١٢ سفر الحجيج من المدينة الى مصر - جدول أسماء محطات السكة الحديد الحجازيه
- ٣٠٥ الحاجر والكورتينات .
- ٣٠٩ الطريق الى الحرمين في عاره وحاضره . عوائد المصريين عند نزولهم من الحج .
- ٣١١ سفر الجناب العالی من المدينة الى مصر - مدائن صالح . الكلام على عمود مدينة بطره (الرقم) الآثار التي بالشام . السراب . وصول الجناب العالی الى حيفاء . وصول الجناب العالی الى الاسكندرية ومنها الى مصر . تقاريف .





## الى سمو ولي النعم الافخم

اقد شرفنى مولاي حفظه الله بخدمة ركابه العالى فى حجه المبرور .  
لذلك رأيت قياما بواجب شكر آلائه ، وحمد نعمائه، أن أمثل صورة هذه  
الرحلة الميمونة فى هذا السفر، وأن أكتب معها كلمة عمافى هاتيك الارحاء  
الشريفة من المواقع المقدسة، يرى المطلع عليها كل ماتهمه معرفته منها .  
وقد رأيت ان أضيف اليها فى هذه الطبعة من تاريخ الدول العربية  
وجغرافية جزيرة العرب ماتكون به الفائدة أعم . والمنفعة أعظم .  
وها أنا يامولاي أرفعها لاعتنا بكم السنية بيدالاجلال والاعظام، هدينة  
للاسلام والمسلمين، وخدمة للعلم والتاريخ .

العبد المخلص

وغاية المأمول اسعادها بالقبول مـ

محمد لتيت اليتيتونى



BOEHME & ANDERER, CAIRO

## الحاج عباس حلمي الثاني خديو مصر

ولد بمطه الله في عمرة جمادى الثانية سنة ١٢٥١ (١١ يوليو ١٨٦٦) وجلس على عرش الخديوتة في جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ (يناير ١٨٩٤)

## ﴿ كتاب صاحب العطوفة رئيس مجلس النظار الى المؤلف ﴾

تفضل صاحب العطوفة رئيس مجلس النظار فأرسل الى صاحب كتاب الرحلة الحجازية نكتات ثناء على مؤلفه ، يرى المطلع من خلال كلماته ذلك النور الذي يضيء للناس لمحجة التي تسلكها هذه الحكومة السعيدة لترقية الامة ، بتنشيط المعارف ، وتربية المدارك ، والنهوض بالهمم الى الدرجة التي تناسب مع الحياة الصحيحة . فهو اذا شكر الكاتين ، وحمد المحمدين ، فاعما يشكر نفسه ويحمد اهتمامه بمصلحة البلاد ، من طريق الافع والسبيل الاصلح . جزاه الله عن الامة خيرا جزاء .

وانا نتشرف بان يدكر هنا هذا الكتاب الكريم بكل اجلال وتعظيم ، ووجود ما كله شكري لعطوفته على هذه العناية الكريمة والرعاية العظيمة :

القاهرة في ٢٦ دى الحجة سنة ١٣٢٨ — ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٠

عز زى لبيب بك

أمعت النظر في كتابكم الجديد الموسوم بالرحلة الحجازية ، ورأيت فيه آيات البراعة في التحرير والتجوير ، وأعجبت منكم التعويل على التحديق والتدقيق ، وأملى وطيدى أن ينسج الكاتون على منوالكم المفيد ، حتى يكون العارى مشاركا لكاتب في عواطفه ، مرافقا في حله ورحاله ، وتلك عمدى أفضل وسيلة لترقية الملكات وترقية المدارك . أما ما ينتم به صحائف الكتاب من الرسوم فقد زادت في قيمته الثمينة ، وقد تحلت بها تلك المعاهد المقدمة للنظار ، وتمثلت تلك المشاهد المباركة للعيان . هذا فضلا عن المباحث العمرانية في فلسفة الحج ، فقد أفصحت فيها بكم السبيل ، وجردت هذا الموضوع الخليل مما اعتورد من الشوائب على طول الزمان ، وأرزمتوه في حلته الاولى وبهجته الصحيحة ، وفقكم الله للقيام بأعمال هذه

رئيس مجلس النظار

الخدمة للامة والسلام .

محمد سعيد .

## ﴿مقدمة الكتاب﴾

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين . أما بعد فقد شرفني مولاي الحديو الاعظم بتعييني مندو بأخصوصياً في خدمة ركابه العالى مدة سفره الى الافطار المحازيه . و بعد عودة سموه بسلامة الله أسعدني بصدور أمره الكريم إلى هذا العاجر بوضع شئ عن هذه الرحلة المباركة .

ولما كانت هذه البلاد غبر معروفة للآن كما يحلدوى المصيرة والعرفان ، مع أنه يقصدها سنوياً أكثر من مائتي ألف نفس من المسلمين ، وكل ما كتب عن رحله الحاج الهالايخرج عن بعض المناسك التي يصل المطلع في كثرة شعاعها ووعوره طرقها ومحاهلها ، مما يزيد ارتباكا وجهاله ، رأيت أن أضيف الى الرحلة الحديو به كلمة عن المشاعر الدينية المقدسة ، مبتعداً عن الترهات التي ألحها مبالغة الوهم أو مغالبة الغرض ، مما اتخذه أعداء المسلمين وسبيلة إلى الطعن عليهم في دينهم الذي جل ما تعرفوا به منه إنما أخذوه عن أولئك الجهلاء الذين رزى بهم الإسلام ، فيكيلون لهم الكلام جزافاً من غير ما يشعرون بأنهم به ينتحرون !! لذلك سالت في هذا الطريق مسالك التحميق والتدقيق ، حتى جاءت كلمتي فيه والحمد لله مسفرة عن حميفة الحج ، صبيحة الغرض منه ، شارحة مناسكه بعبارة هيينة آيئة سهلة على كل مسترشد وصروره لكل من قصد سهرأ اليه أو معرفة به .

وإني قياماً بهذا الواجب الاقدس لم أقتصر على الكلام في النقط الدينية ، بل تناولت بحث ما يهيم القارىء من المسائل العمرانية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، والتاريخية ، مما لم يسبقني إليه أحد من الذين كتبوا عن هذه الديار ، راجياً بذلك الخدمة العامة للعلم والاسلام .  
وتمياً للفائدة قد وضعت في هذا السفر المبارك كثيراً من الخرط الجغرافية ، والرسوم النظرية التي وضعتها بنفسى ، والصور الفوتوغرافية التي أخذت بمعرفة بعض من كان في معية الجناب العالي الخديوى وسواهم من أفاضل المصوّرين الذين سبق لهم السفر الى تلك الارحاء من مصرين وغيرهم ، ووضعت للحرمين الشريفين رسماً نظرياً معتقداً على الابعاد التي وضعها لهما المرحوم محمد صادق باشا المصرى وغيره من مهندسى الاتراك .  
ورسعت كروكى مكة ، ومنى ، وعرفة ، والمدينة ، مستمداً من بعض الرسوم القديمة المأخوذة عن الكروكيات التي وضعها بوركارث في أوائل القرن الماضى لهذه الجهات التي لم تختلف كثيراً في هيئتها ونظام أبنيتها وعمارتها عما كانت عليه من قرون مضت .

هذا وإني أشرف بتكرار عبارات الشكران إلى صاحب العطفوة رئيس مجلس النظار على تنشيطه للعاملين بأعلان رضاه عن هذا العمل وثنائه عليه ، رافعاً واجب الامتنان الى نظارة معارفنا الجليلة وخصوصاً الى ناظرها صاحب السعادة حشمت باشا على تقرير هذا الكتاب للمطالعة بمدارس الحكومة ، مسدياً آيات الحمد الى من اسعدونى بتقريره من أهل الفضل والعرفان : أخص بالذكر مهم صاحبى الدولة والفقامة الرس حسين كامل باشا ، والبرس فؤاد باشا رئيس الجامعة المصرية ، ومولانا الاستاد الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر ، والاستاد الشيخ عبد الكريم سلمان ، وجناب المستشرق الكبير والعالم الجليل الالماني المسيوشو ينفورت ، والعلامة الفرساوى المسيودفيلير ، وجناب المسيوما سبيرو مدير الانتكخانه المصرية ، وغيرهم من أكابر العلماء والكتاب لاسيما حضرات أصحاب الجرائد المصرية عربية وأفريقية ، سواء الذين استقبلوه بالمنة أو انتقدوه باختلاص .



وهنا أقدم عاطر ثماني إلى السادة الأفاضل الذين بهوتني إلى ماجرتني إليه السهو أو السرعة في العمل، مما أصابحت في هذه الطبعة التي عنيت بها وأكملت فيها الكلام على ما أهملته في بعض مواضيع الكتاب في الطبعة الأولى، وأخص بشكراني حضرة صديقي الفاضل محمد كمال الذي ساعدني بشيء كثير من معلوماته الثابتة عن جزيرة العرب التي أقام فيها زمناً .

ولقد أضفت إلى الكتاب في هذه المرة بعض الصور العوطوغرافية التي تزيد في فائدته، كما أضفت إليه أبو انامهمة جداً مثل: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبار يخ الخلفاء الراشدين، وعمدت به بابا لبيت المقدس . وآخر للتقرايين وأصولها في جميع الديانات، و بعد كمال طبع الكتاب وجدت أن أضيف إليه تمهيداً عن وصف جزيرة العرب الحالية وتاريخ جميع الدول العربية التي قامت قبل وبعد الإسلام، استرسل القلم فيه بما لم يمكنني إيقافه إلى الحد الذي يناسب مع كتاب الرحلة . وقد أضفت إلى ذلك جداً أولاً مهمة جداً بملوك بعض هذه الدول، وبإشراف مكة والمدينة، وقبائل العرب الموجودة الآن، وعملت شجرة لامهات القبائل العربية من قحطانية وعدنانية وفرشية، مما لم يسبقني لملها أحد من المؤرخين، والله المسؤول أن يرفع به عنه وكرمه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تعهد

لما كانت بلاد العرب يقصدها سنويا نحو ربع مليون من المسلمين لتأدية فريضة الحج ، رأيت أن أكتب عنها كلمة تحضهم مما ألصقته بها الاوهام ، وشوّهته الرواة على مدى الايام . وقد رأيت أن أقسم الكلام فيها إلى قسمين : قسم نتكلم فيه عن أمة العرب وأصلها وقبائلها و بطونها وودولها قبل الاسلام و بعده ، باختصار جمع اليه ما تشنت من الخفائق في كتب التاريخ ، وقسم نتكلم فيه عن صفة جريزة العرب الحاضرة وعشائرها وحكوماتها مما نغرض معرفته على كثير من الناس ، فنقول و بالله التوفيق .

## الامة العربية

الامة العربية من أعدل الأمم وجوداً ، وأطولها عمراً ، وأوسعها سلطاناً ، بل من أقدم الأمم مدنية وعمرا . ولقد كان لها قبل الاسلام من الدول ما ينحلي جيد التاريخ بدكره ، كما كان لها بعده ذلك الملك الشاسع الاطراف ، البعيد الاكناف ، الذي كان له الشأن الاول في سياسة العالم بأسره مدته من الزمن طويله .  
وقد رأيت أن أقسم الامة العربية بالنسبة لاصولها الى ثلاثة أقسام : القسم الاول العماليق أو العرب البائدة ، الثاني العرب القحطانية ، الثالث العرب العدنانية :

## العماليق

العماليق هم أولاد عمليق بن لاو ذبن سام وأول ما وصلنا من أمرهم أنهم كانوا يسكنون على حاله بداهة في الصحراء التي بين العراق والعممة . وكانوا يسمون الى فصائل صغيرة تنفل من جهة الى أخرى وراء الكلا ، وكانت لهذه الفصائل مشيخات منها تقوم بطبيعة الحال بتدبير أمورهم ، وكان ذوو العصبية منهم يشتغلون بنفل العجارة بين نابل ومصر . وما زالوا على هذه

البداءة حتى كبرت عصبيتهم، وتغلبوا على بابل، وقامت بهامتهم في القرن الخامس والعشرين قبل المسيح دولة يسمونها دولة السامو آيين من (بنى سام بن نوح). وما زالوا بها حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح ملك اسمه حمورابي، فتغلب على مملكة آشور وما حولها، وأصبحت له مملكة واسعة، بلغت في زمنها أسمى ما وصلت إليه أيه دولة لذلك العهد في الرقي الادبي والمادي، وسميت بمملكة حمورابي. واستمرت هذه الدولة حاكمة الى أواخر القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد: يعني مددأر بعة فرون تهربا. وقد عثر النقبون الذين يعملون في آشور وبابل لهذه الدولة على كثير من الآثار التي تدل على رفيتهم في مدنيتهم، مكتوبه بالخط المسماري<sup>(١)</sup>، مما حكوا معه أنهم أبعدا لام رقياً في حضارتهم.

ولما وصلت هذه الدولة الى سن الشيخوخة بطبيعة الحال، ضعف أمرها وانفصلت عنها أطرافها، واستقلت آشور. ولم تقف هذه المملكة الاخيرة عندهذا الاستملال، بل نهضت بحكومتها حتى استولت على بابل في سنة ١٢٨٠ ق م مدة الملك تغلاب بلسر. وأخذ الآشوريون يعاملون العرب معاملة قاسية، فلم يقبلوا النماء على الضيم، كما هي سميتهم في كل زمان، وهاجر قسم كبير منهم الى جنوب جزيرة العرب والى غربها.

### — الشاسو (الهكسوس) وهم عرب الشرق أو عرب الرعاة —

بينما كانت الدولة الحمورابية قائمة في بابل، دخلت الهكسوس الى مصر من برزح السويس في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح، واستولوا على الوجه البحري وكونوا لهم به دولة كان مركزها في مدينة صان. وأول ملوكهم يسمى سسلاطيس وهو رأس العائلة السابعة عشرة المصرية. ومكث عرب الرعاة بمصر الى أن أجلاهم عنها الملك تحتمس ملك طيبة في (الوجه القبلي)، حوالي سنة ١٧٠٠ ق م. وليست لهم بها آثار تذكر، اللهم الا بعض

(١) الخط المسماري أخذه الممايق عن السومريين الذين كان لهم الملك فلمهم عن بابل. واما اسمي بذلك لانهم كانوا يكتبونه أولاً برؤوس المسامير فتشأ على الطين. وكثيراً ما كانوا يحرفونه بمدد لحفظه على كرور العصور. ولقد أدخل العرب على هذا الخط تحسبات كثيرة. هبت باشكاه وكتبه فئدته، وكان لا يزال يقرأ قبل الاسلام في اليمن ولكنه الاثنى أمره بانشار الخط السطحي الذي كان يكتب به الحجاريون.

تمائيل لمعبوداتهم وخصوصاً لمعبودهم سوبويخ . و يقال ان منهم فرعون ابراهيم ، والعرب  
يسمونه سنان بن الاشمل ، وفرعون يوسف و سمونه الريان بن الوليد ، وفرعون موسى  
و سمونه الوليد بن مصعب . و يؤكدهم ان هذا الاخير مصرى الخنس و دليلهم على  
ذلك ان الاولان كانا يعطمان على الاحاب ، أما الثالث فكان يعمم عليهم .

### — دولة عاد الأولى —

لما نزع عرب الشمال بعد سقوط الدولة الحمورية الى جنوب جريده العرب ، في القرن  
العشرين قبل المسيح كما قلنا ، كوتوا دولة عاد الأولى . وكانت مواطنهم أحفاف الرمال بين  
اليمن وعمان . ومؤرخو العرب يعمون أن عاداً أقدم الأمم . ولذلك فاهم بطلعون وصف  
« عادى » على كل شئ قديم لا يعلم لهم تاريخه . ويدكرون لهم أموراً من الغرابه بمكان : كفولهم  
ان عاداً عاش ١٢٠٠ سنة وولده . . . . وولد كركلصله ، وغير ذلك مما يمكن مراجعته  
في توارخهم . وذكروا أن عاداً لما مات ملك بعده سوده : شديد ، ثم شداد ، ثم ارم . وقالوا ان  
شداد أهو الذي بنى مدينته إرم داب العماد ، وقالوا في وصفها ما نفى الغرابه نفسها باهتة  
أمامه ' ' على أن بعض المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك عاد إرم  
دات العماد » إهدات الرفعة ، وان إرم اسم جسددهم : وبتكون دات العماد وصفاً لعاد .  
و يؤيد ذلك نسبتهم الى إرم : فيقولون عاد إرم وعمود إرم . ولا يعد أن كان لعاد من  
شامخ الميادين في ملكهم هده ، كان لعبرهم في ذلك الوقت في ممالك الشام ومصر والهند  
وسواها ، يدل على ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء خطابهم : « أنبنون نكل ريع (مرقع) أنه  
(فسروها بالساء الفحيم) نعمتون وسجدون مصابح اعلمكم بخدون » ؛

و في مدد شداد نزع عادوا أكثر وامن الظلم وانفساد ، فأرسل الله تعالى اليهم هوداً .  
فدعاهم الى ترك الاوثان وعبادة الرحمن ، فكذبوه وعادوا في ضلالهم . فانقطع عنهم المطر مدة ،  
فأرسلوا وفد منهم الى مكة يستسمون ، ولكنهم استقروا في طغيانهم . ولما رأى هود أن  
سخط الله نازل بهم لا محالة ، اعزهم وابتعد عنهم مع من آمن به . وسحر الله عليهم رحامه وسبع  
ليال وثمابه أيام حسوما (متاعات) وأهلكهم .

وفد ذهب بعض المؤرخين الى أن عاداً الاولى اعماهم من قبل عرب الرعاه بعد طردهم من مصر: وعليه يكون ابتداء حكمهم بالاحقاف في العصر السابع أو السادس عشر قبل الميلاد. ولما هلكت عاد بقي هود ومن آمن معه. وانضم اليهم ليمان بن عاد الذي كان ذهب بوفدهم الى مكة<sup>(١)</sup>، ولحق بهم خلق كثير قاموا بدوله جديدة يسمونها عاد الثانية، دام ملكها ألف سنة، ثم تغلب عليهم الفتحطانيون فأنهت دولتهم وانقطع ذكرهم. وعلى كل حال فان المقامين لم يكشفوا لنا إلا شيئاً من أخبارهم، وعايه ما ذكره أنهم اعثروا في تلك الاحقاف على مغائر محفورة في الصخر التي تراكت عليها طينه كثيفة من الرمال. ولعلمهم يبدون لنا فرساً هذه المحب التي اختفت من ورائها أخبار دوله كبيره لا يسعداها خدمت الاساسية خدمة نذكرها لها مع الشكر.

### — المعبيون —

المعييون أو نومعين قوم كانوا يسكنون شرق بلاد اليمن فوق حضرموت، وكانت لهم بها دوله كبيرة. ومؤرخو العرب لم يحدثوا بكلمة عن هذه الامة. والذي أحبرنا بأمرهم اعماهم أولئك المستشرقون، وعلى الخصوص هاليو الفرساوى، الذي أوفدته بلاده الى اليمن سنة ١٨٦٩م، واكتشف كثيراً من آثارها أهمها مدينة معين. وسار على أثره علاذر الالماني وعسره، وحدثوا بشئ من أخبار هذه الدوله. وقالوا ان بنى معين كانوا دوى مدينة وكان اشتغالهم بالزراعة في سهوح جمال اليمن وسهول حضرموت. واهم أقاموا هناك السدود وفتحوا الخللجان وسيروا الماء الى مزارعهم. وقد اختلفوا في تقدير عمر هذه الآثار: فبعضهم ذهب الى أنها من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وذهب آخرون الى أنها من القرن

(١) اذا اعتبرنا ان عاداً لم ترح الى بلاد اليمن الا في القرن العشرين على أمد ما ذكره المؤرخون العربون، كان وفددهم الى مكة للاستسقاء إنما كان بعد الاسعانه بالكعبه بعد بناء ابراهيم لها، لا كما قال بعض مؤرخي العرب من ان وفددهم كان قبل ذلك.

الثامن أو السابع . وقد كتب الاستاذ هومل بالالمالية كتابا في لغتهم ولغة سبأ .  
ولما كانت الخطوط التي على تلك الاثار مسمارية ولغتها بابلية ، كان المعينيون من غير شك  
من عمالة الشمال . ولا يبعد أنهم هم عاد الثانية ، ان لم يكونوا نزحوا الى هذه الملاذ في تيار قدوم  
عاد الاولي اليها ، و ربما كانت لهذه الغلبة عليهم ، ولهذا لم يذكر اسمهم معها . وعلى كل حال  
فما دام المسميون لا يفترقون عن البحث عن آثارهم ، فلا يبعد أن ينكشف لنا أمرهم في الفريب  
العاجل ان شاء الله .

### - طسم وجدبس -

هما أمتان يذكرهما مؤرخو العرب بانهما من العرب البائدة . وقد كانتا تسكنان في اليمامة  
شرق بلاد العرب . وكانت لطمس الكلمة السائدة لكثرة عصبتها . وكان سر كرمكها في  
مدينة تسمى النريه وهي مدينة الحجر ، ولا تزال بها آثارهم الى الآن . ويوجد في مدينة جمعه  
قصر يعبرون عنه بالعمادي (و يعنون أنه قديم جداً) . وربما كانت لهذه العصبة نسبة صحبيحة ،  
وان هاتين الامتين اعمادتا الى هذه الملاذ مع عاد أو بعدها بزمن قليل . وربما كان لعاد  
الحكم عليهم ، فلهما هلكت هيتا في عرلة حتى دخلتا في حكم التبابعة . ومازالتا حتى تملك من طسم  
رجل ظالم فاجره . فغضى أن لا يرف فتاد من جدبس الى علمها قبل دخولها عليه . فانفت لذلك  
جدبس وتحالوا على قتله : ودموا سلاحهم في الرمل ودعوه الى ولية عندهم ، فحضر في حاصة  
فومه . فهجموا عليهم وقتلوه عن آخرهم . وذهب نهر من طسم واستنصرخوا تتبع حسان أبي  
سعد . فساق جنده على جدبس . وقالت لطمس ان بالنمامه امرأه تسمى الرقاء تنظر من  
بعد ثلاث ليال ، فخشى ان هي أبصر ما أخبرت فومها فيستعدون لها . فأمر كل واحد من  
رجالها أن يأخذ فرعاً من شجره ويحمله أمامه . فلما فعلوا وأبصرتهم الرقاء قالت لفومها :

انى أرى شجراً من حلقه اشرف \* فكيف تجتمع الاشجار والبشر

نوروا بأجمعكم في وجه أولهم \* فان ذلك منكم فاعلموا ظفر

فاستخفوا عملها ولم يصدقوا قولها ، فدمتهم خيل سبع فأفنوهم عن آخرهم . ثم أصاب

ما بقي من طسم ما تشتت به شملهم ، ونفروا الى جرائر المحرين وغيرها ، وبه قضى على ذكرهم . وكان ذلك في أوائل القرن الخامس للمسيح .

### — تمود —

ومن أمم العمالة تمود . نزحت من اليمن الى الشمال ونزلوا مدائن صالح ، ثم كانت لهم بها دولة كبيرة ، وآثارهم فيها الى الآن ، وأهمها ما يسمونه قصر البت ، الذي لا تزال توجد عليه نقوش يصعد تاريخها الى قبيل ميلاد المسيح . ولقد اختلف المؤرخون في اهمهم كانوا أو أصحاب السلطان على النبطيين الذين كانوا يسكنون في بطرد ، وأهمهم كانوا تابعين لحكم عرب الاساط ، مما هو مشروح في آخر باب من هذا الكتاب عند الكلام على مدائن صالح .

### — القحطانية —

القحطانيون هم سوفحطان بن سبأ الاكبر بن سام بن نوح . وكانوا يسكنون في شمال جزيرة العرب ، ونزحوا الى بلاد اليمن في القرن الثامن قبل المسيح في من نزع اليها بعد تحكّم الآشوريين بهم . وربما كانوا معاصرين للمعيديين ، وانتهى أمرهم بالتغلب عليهم ، وقاموا في اليمن بدولة جديدة يسميها مؤرخو العرب سبأ الاولى . ولقد ذكرها أعلمهم عرضاً عند الكلام على سد مأرب . والحمداني أول من شرحه لنا شرحاً وافياً . وأتى من بعده أرنؤ ، وهاليقي ، وغلادري ، في القرن الماضي فأيدوا قوله وراوا عليه مما أخذوه من الآثار التي نقلوا شيئاً كثيراً منها الى مناخف أور ونا بعضهم مقوش على أحجار وبعضها على ريز .

ويفهم من مجموع ما قالوه ان مياه الامطار كانت تكون في بلاد اليمن مجبالها المرتفعة ، ثم تنزل على هيئة سيول كبيرة في وديان الى الشرق والغرب . والوديان التي كانت تنزل الى شرق مدينة مأرب كانت تجتمع في واد يسمونه الميزاب ، يرتفع عن سطح البحر بالف ومائة متر ، ويحيط به جبال من كل جهاته . وهذا الوادي يصيق من جهته الشرقية الشمالية وينحصر بين

جبلين يسمونهما تلق الايمن و تلق الايسر في مسافة ذكر الهمدانى انها . ٦٠ خطوة، أى ٤٠٠ مترتفر يبا ، وهالك يسمى وادى أدينة، و بعده ينفرج الوادى انفر اجاعظيا وتضييع فيه هذه السيول بلا فائدة . فاقام السبثيون على مسافة قليلة من مضيق هذا الوادى سدامن الحجر، طوله ٨٠٠ دراع وعرضه ١٥٠ ذراعا كوّن مع جانبي البلسمين الخارجين مجرى عموديا على مضيق أدينة بحوال الماء عن محراه الاصلى الى دات اليمين وذات اليسار . وجعلوا الفتحتيه من جهتيه سدوداً ، فيما وراءها محار يسبر فيها الماء الى الجهة التى يراد سوقه اليها على حسب ارتفاعها أو انخفاضها . وهذا السد هو ما يسمونه سد العرم . وأول من بناه يثعمر ملك سبأ فى القرن السادس قبل المسيح . ووجدوا اسمه أخيراً منقوشاً على جبل بلق فيما يقابل السد المذكور . وزاد فيه خلفاؤه بما كان يزيد فى فائدته . ولقد حصل من وراء هذا السد وترتيب المياه بواسطة، تنظم الزراعة فى تلك الصحراء بما أنى بالخير الحسيم لبلاد اليمن الشرقية : لانه حولها من فخر نلمع الى رياض وجبان ، حتى كانوا يعبرون عن الارض التى كانت فى يمانا بالحمة اليمنى ، والتى فى يسراد بالحمة اليسرى .

وما زال هذا السد<sup>(١)</sup> حتى انكسر فحصل منه خراب جسيم قضى على دولة سبأ، واتشمت أهلها فى جزيرة العرب : فزات خزاعة مكة ، وزات الاوس والحزرج يثرب (المدينة)، وزلت الازد عمان واليمامة، وسار مز يميالى الشام فكان منهم العسايون ، ونزحت نخم الى العراق وكان منهم المنادرة . و بذلك انتهى أمر سبأ الاولى وفى المثل : تفرقوا أيدي سبأ . وقد ورد تاريخ سبأ بالتفصيل فى القرآن الكريم قال تعالى « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل حط<sup>(٢)</sup> » وأثل وشئ من سدر

(١) بعد كسر هذا السد ماء ملوك حير وكانوا يسمونه بالعمارة ويقيمون ما عمل . ٥٠٠ و آخر ما وصلنا من أمره أثر لارهة الاشرف محفور على بعض جهانه نقوش ورأها علادر : وفيها كنيه دخول اليمن فى ملك الاحاش ، وقد ذكر فيها ان سد مأرب كسر ففناه ابرهة ( انظر كتاب العرب قبل الاسلام لجورجى ريدان ) ثم كسر قبل الاسلام فنهمل ، ولا تزال آثاره موجودة وخصوصاً العربية منها . (٢) حملا حامض وقيل هو الاراك أو العصا .



فليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سير وافيهاليالى وأياما آمنين . وما لوار بنا اعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » .

### - دولة سبأ الثانية أو حمير -

لما تهدم بيان دولة سبأ الاولى ، وتلاشت مديسة مأرب عاصمة ملكهم ، صارت السلطة ببلاد اليمن متفرقة في أيدي من تقي فيها . وكان لكل كفر أوفرية أو مديسة أو قصر رئيس مها . وهؤلاء الرؤساء كانوا يسمونهم الأ دواء : وكانوا يعرفون في الغالب باضافة اسم بلدهم اليهم ( تلفظ دو ) فيقال ذونا عيط ، ودور يدا ، ودوظفار مثلاً يعنى صاحب ناعط وصاحب ظفار الح . وأشهر ما وصلنا من أسماء هذه العصور و نال شعراء العرب ومؤرخوهم في وصفها وخصوصاً الهمداني : قصر ناعط ، وقصر سلحين ، وقصر كوكبان ، وقصر غمدان ، وقصر بينون الح .

وكان الموى من هؤلاء الا دواء يتغلب بطبيعة الحال على بعض البلاد التي في جواره ويكون له الحكم فيها ، وهالك يسمى مجموع مملكته محمدا ، وصاحبه يسمى فيلا . وربما اجتمعت جملة محافد في حكم شخص واحد فيسمونها محلافا وحا كما يسمى ملكا : وعلى هذا كان شأن الدولة في حمير في صغرها وضحامتها .

وما زالت الحال في هذه البلاد على هذا النظام حتى قام صاحب ريدان (ظفار) واسمه علمان ، في نهاية القرن الاول قبل المسيح ، وتغلب على جملة محاليف ومحافد تكونت منها مملكة حمير الثانية (١) . وما زالت هذه المملكة تكرر في زمن خلفائه حتى دخل في دائرتها

(١) ذكر حمير الاصفهاني ان ملوك حمير ستة وعشرون ملكا ، مدة حكمهم ١٧٠٠ سنة . وهم : الحارث الرايش ومدة حكمه ١٢٥ سنة . أورهه دالدار وحكمه ١٨٣ سنة . افريقش بن ابرهه وحكمه ١٦٤ سنة . الممدو الادغار وحكمه ٢٥ سنة . هيدهاد بن شرحبيل وحكمه ٧٥ سنة . بلقش بنت هدهاد وحكمها ٢٠ سنة . اشريعم وحكمه ٨٥ سنة . شمير يرعش وحكمه ٣٧ سنة . أبو مالك وحكمه ٥٥ سنة .

حضر موت وما والاها من البلاد شرقاً قادمة حكم شمر برعش، في نهاية القرن الثالث للميلاد، وبها قامت دوله التبابعة (واحدتها تُنْع) ومعناه ملك الملوك، وهو في قوة لفظ امراطور عند الرومان. واستقر الحكم فيها الخلفاء الى سنة ٥٢٥ بعد الميلاد، أي مدة ٦٣٠ سنة، تولى الحكم فيها جملة ملوك منهم (١).

وأشهر ملوك التبابعة الهدداد، وكان يحكم من سنة ٣٤٥ الى سنة ٣٧٢ بعد الميلاد. ثم أبو كرب أسعد وكان يحكم من سنة ٣٨٥ الى سنة ٤٢٠ بعد الميلاد. وحسان بن أسعد وحكمه من سنة ٤٢٠ الى سنة ٤٥٥. وذونواس وحكمه من سنة ٥١٥ الى سنة ٥٢٥.

وامد كانت حكومة التبابعة في غاية الرقي، وكانت بلادهم تسمى عد الرومان ببلاد العرب السعيدة، والعرب يسمونها اليمن الخضراء وكانت حضارتهم لا تقل عن حضارة الآشوريين وغربهم من الممالك التي كانت في شمال جزيرة العرب ان لم تزد عنها: وذلك لاحكامهم بتجار

تبع من الاقرن وحكمه ٥٣ سنة. دوحيشان وحكمه ٧٠ سنة. الاقرن من أنى ملك وحكمه ١٦٣ سنة. كايكرب وحكمه ٣٥ سنة. أسعد أبو كرب وحكمه ١٢٠ سنة. حسان بن تبع وحكمه ٧٠ سنة. عمرو بن تبع وحكمه ٦٣ سنة. عبيد كلال وحكمه ٧٤ سنة. تبع بن حسان وحكمه ٧٨ سنة. مرثد بن عبيد وحكمه ٤١ سنة. وايمه بن مرثد وحكمه ٧٣ سنة. ابرهه بن الصياح وحكمه ٠٠٠. صهان بن بحرث وحكمه ١٥ سنة. حسان بن عمرو بن تبع وحكمه ٥٧ سنة. دوشاتر وحكمه ٢٧ سنة. دونواس وحكمه ٢٠ سنة. دوحدن وحكمه ٨٤ سنة. سيب وعليه يكون أولهم وهو الخارث الرأش كان يحكم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وقد سار المؤرخ نوبل دي فرحيه على نحو في كتابه تاريخ العرب، وبخالها في ذلك أنوال البدء وغيره من مؤرخي العرب.

(١) في عدد ملوك التمامة وأسمائهم ومدة حكمهم خلاف بني مؤرخي العرب والمؤرخين العصريين الذين سوا حكمهم على ما عثر وعليه من آثارهم. وملوك السامية على ما جاء في كتاب العرب قبل الاسلام هم: شمر برعش وحكمه من سنة ٢٧٥ ميلاديه الى سنة ٣٠٠. ثم دوالقرن الصعب (افريقش) وحكمه من سنة ٣٠٠ الى ٣٢٠. وعمرو روح بلبقيس وحكمه من ٣٢٠ الى ٣٣٠. بلبقيس وحكمها من ٣٣٠ الى ٣٤٥ (وهي غير بلبقيس سليمان لان هسده كاتب في العصر العاشر في م). الهدداد أخو بلبقيس وحكمه من ٣٤٥ الى سنة ٣٧٤. كايكرب يعم وحكمه من ٣٧٤ الى ٣٨٥. أبو كرب أسعد وحكمه من ٣٨٥ الى ٤٢٠. حسان بن أسعد وحكمه من ٤٢٠ الى سنة ٤٢٥. شرحبيل يعمر بن أسعد وحكمه من سنة ٤٢٥ الى سنة ٤٥٥. شرحبيل يوف وحكمه من سنة ٤٢٥ الى سنة ٤٧٠. معد يكرت يعم وابيه لحيه (لله ابيعه) وحكمها من سنة ٤٧٠ الى سنة ٤٩٥. مرثد اللات يوف وحكمه من سنة ٤٩٥ الى سنة ٥١٥. دونواس (دميانوس) وحكمه من سنة ٥١٥ الى سنة ٥٢٥. دوحدن وحكمه من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٣٣.

الهنود والفرس والاحباش والمصريين والسوريين . وكانت الزراعة متمددة في بلادهم التي كانت لذلك العصر كلها مزارع وساتين ورياضا وغياضاً . وكانوا يستخرجون من جبالهم المعادن المختلفة كالذهب والفضة والاحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والعقيق . و ذلك كان السبثيون والحيميريون من أغنى أهل الارض وأكثرهم حضارة وورفاهية : فكانت لهم القصور الفاخرة ، والرياض الزاهرة ، والرياش الباهرة ، وحسبك ما قاله الشعراء ودكره المؤرخون في وصف قصورهم ، نذكر لك بعض ما قاله الهمداني في وصف قصر كوكبان :

« كان مؤزر الحارح بالفضة ، وما فوقها حجاره بيض ، وداخله ممرّ بالعرب والفسيفساء والجرع<sup>(١)</sup> وصنوف الجوهر » . وقيل في وصف قصر بينون :

واسأل بينون وحيطانها \* قد نظمت بالدر والجوهر

ولم يقنصر حكم التبابعة على اليمن بل امتد الى بلاد الحجاز واليمامة وما بينهما من قبائل العرب العدنانية وغيرها ، بل تعدت فوحاتهم في زمن أسعد أبوكرب وولده حسان الى الشام و بلاد الفرس والهند . وكانوا يفيمون على العرب حكاماً منهم يسمونهم ملوكاً : كزهير بن حباب الكلبي وغيره . وكانت وفود العرب تقدم عليهم من جميع أطراف الجزيرة ، يثنون اليهم شكواهم ، أو يستمطرون من جدواهم . وما زال حكم التبابعة قائماً في اليمن حتى نفم دونواس على بصارى نجران ، فأساء معاملتهم ، وأحدقتل فيهم ظلماً لانهم على غير ملته ، وكان هوديا . ثم بالغ في نعمته عليهم فحدث (حقر) لهم أخذودا (حمره) وأصرم فيه النار ، وكان يرمى فيه كل من لم يرجع عن الصراية . وقد وردت قصة أصحاب الاخدود اشمزارة مما أصابهم من الاعتساف في سورة البروج : قال تعالى « فل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الخ » . واستجد أهل نجران ببجاشي الحبشة وكان بصراياً فأرسل الى اليمن جيشاً عليه أرياط ، وكان من ضباطه رجل يقال له أبرهة الاشرم . فلما علم دونواس بهم قائلهم وقائلهم فتالا شديداً ، ولكنه انهزم وحاف من سقوطه في يد عدوه فأغرق نفسه . و ذلك تم للاحباش الاستيلاء على أغلب بلاد اليمن . ومعت أرياط بعد أن حكم البلاد عشرين سنة ، فتولى

(١) حجر يمانى يشبه العقيق وهو ما يسمونه عين الهر .

عليها أربة ، وجعل عاصمته صنعاء . وكان منه ما كان في حملته على مكة ورجوعه الى اليمن مقهوراً ، فرض ومات بعد أن حكم ٤٣ سنة . وتولى الملك بعده ابنه يكسوم وكان حكمه عشرين سنة كلها ظلم وجور . ثم ملك بعده أخوه مسروق بن أربة وكان أكثر ظلماً من أخيه . ولما هلك ذونواس قام أمير من قرابته اسمه ذوزن (جدن) واستولى على بعض البلاد واستمر ملكه فيها نحو ثمان سنين . ثم تغلب عليه الحبشة فقتل نفسه ، وفر ابنه سيف الى قيصر الروم يستنجده ، وأقام مائة سبع سنين ، فأبى أن ينجده . فسار الى كسرى أنوشروان فوعده بمساعدته ، ووجه معه رجال اسمه وهرز في جيش من المسجونين وقال « انهم فتحووا كان لنا وانهم هلكوا كان لنا » . وركب وهرز ومن معه البحر فلما وصلوا الى اليمن العموا يكسوم ورحاله ، فكادت الدائرة على الاحباش : وقتل يكسوم في الواقعة واهزم جيشه . وتبعهم الفرس فأنحوا فيهم وقتلوا منهم خلفاً كثيراً . و بذلك دانت لهم البلاد ، وجلس سيف بن ذي يزن على كرسيها . وأنته ووفود العرب تهته بالملك ، وأتاه عبد المطلب سيد قريش في نفر من قومه فأكرم وفادتهم . و بعد مدة من حكمه قتله حجاجه وكانوا من الحبشة . وبه كان آخر حكم التبابعة في اليمن التي صارت بعد ذلك تابعة لمملكة الفرس . حتى اذا كانت السنة التاسعة للهجرة أسلم أهل اليمن ، وأرسلوا وفد أمهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فأرسل اليهم معادين جبل وجعل له الامارة عليهم ، وأوصاهم خيراً . وكان عامل كسرى عليهم اسمه نازان فأسلم وبه صار حكم اليمن الى المسلمين .

### -- دوله كندة --

كندة بطن من كهلان ، كانت نزحت من النجاة في أوائل القرن الخامس من الميلاد وسكنت في شمال حضرموت في بلاد ميث باسمهم . وكان سيدهم حجر بن عمرو المشهور بأكل المرار ، له علاقة بحسان بن تمع ملك حمير ، لانه كان من أعوانه في فتوحاته بشمال جزيرة العرب ، فولاه ملكاً على قومه . وكان حجر ذا همة وشجاعة ودراية . فاستنجدت به بكر بن وائل على اللحميين ملوك العراق ، وكانوا أغلبوهم على بلادهم وأجلوهم عنها . فسار مع بكر اليهم وحاربهم واستفد منهم أرض بكر . فولاه حسان ملكاً على العرب . فسار الى نجد وجعل مقامه

بها في بطن عاقل، وما زال به حتى مات . وتولى بعده ابنه عمرو، ويسمونه المقصور لاقتصاره على ملك أبيه . ثم خلفه ابنه الحارث . واتفق ان قبادة ملك الفرس تقم على المنذر بن ماء السماء فطرده عن الحيرة، وأقام الحارث مكانه على ملكها . فلما ملك أنوشروان، أعاد المنذر وطرده الحارث فهرب الى ديار كلب ومات بها . وكان للحارث ولد اسمه نُجْر كان ولاءه على أسد، فتنكروا له وقتلوه في ديمون باليمن فاستنجد عليهم ابنه امرؤ القيس الشاعر المشهور بيكر وتغلب، فساروا لنجدته وهربت أسد من وجهه . ولما علم به المنذر بن ماء السماء سار في طلبه فتفرقت جموعه . فاستنجد امرؤ القيس بابن ذى جدن ملك حمير وسار الى المنذر في جمع من العرب . وكانت الدائرة على ابن حجر، فاهزم وسار يتنقل من قبيلة الى أخرى حتى قصدا المموأل بن عادياء، وترك عدده قوسه ودرعه، ثم سار الى فيصر الروم يستنجد به فلم يستجده . فرجع من عنده خائباً ومات من الحزن في سنة ٥٦٠ للميلاد، وهو آخر ملوك كندة .

### — دولة تنوخ بالعراق —

اختلف السابون في أصل تنوخ: فهم من بجعلهم قحطانيين ومنهم من يجعلهم عدنانيين . ومع أننا أخذنا بالفول الثاني في شجرة القبائل العربية، فإنا إذا كروهم هنا لانهم هم الذين شادوا الدولة العربية في العراق، وخلفهم عليها اللخميون إلا فاصل بين الدولتين: وذلك ان تنوخ (١) لما نزلت بالعراق كونوا فيها لهم دولة عظيمة في أوائل القرن الثالث للمسيح . وأول من قام بها مالك بن فهم أول ملوكهم . ثم خلفه عليها ابنه جذيمة الابرش، المشهور بدهائه وقوته وشجاعته وحسن رأيه . وكانت له حروب مع ملك من العمالة اسمه عمرو بن الظرب، كان ملكه في مشارف الشام، وبعضهم ذهب الى أن عاصمة ملكه كانت مدينة تدمر، فقتله جذيمة . وكانت لعمر و بنت اسمها الزباء (واليونان يسمونها رينوبى ولعله محرف عن زنوبه) فاحتالت على جذيمة فقتلته في ثار أبيها . وكان جذيمة لم يعقب نسلاً . وكان زوج أخته رقاش

(١) كان لتنوخ فرع تولى الحكم في مشارف الشام للرومانيين ولم تطل مدتهم حتى تملك عليها بوسليح وهم بطن أخرى من قصاعه . وما زال هؤلاء حتى عليهم عليها العمالية .

برجل من لحم اسمه عدى وكان من ندمانه، فولدت له ولداً حياً اسمه عمرو، وكفله خاله وورثه  
أحسن تربية. فلما قتل جذيمة تولى عمرو بن عدى الحكم بعده على الحيرة. وبه انتقل  
الملك من تنوخ إلى لحم.

وأراد عمرو أن يأخذ شارحاله فاحتال هو أيضاً على الزباء بواسطة عبد له اسمه قصير:  
فجدع قصيراً نفسه، وسار إلى الزباء يشكو إليها ابن عدى. وأرسل عمرو بالرجال إليه في  
صناديق، وقصير يوم أمه أمواله. فلما كان الليل خرجت الرجال ووضعوا السيف في قوم  
الزباء فهربت ولحق بها ابن عدى. فلما تحققت فتكها بها، كان بيدها سم فتناولته قائلة  
«بيدي لا بيد عمرو».

### — دولة اللخمين بالعراق —

كانت ملوك الحيرة تابعة لدولة الفرس. وكانوا يستعملونهم في الوقوف في وجه من يقصدهم  
من الرومان من جهة الغرب، كما كان الرومان يستعملون الغسانية لصدهجمات من يقصدهم  
من جهة الشرق؛ وكان للخمين (ويسمونهم بني نصر) دالة كبيرة على الملوك الساسانيين،  
ولهم عندهم مكانة اجلال واحترام، وكانوا يلقبونهم بملوك العرب؛ فعظم جاههم واشتهر  
أمرهم بين قبائل العرب، وقدمت عليهم وفودها، وقصدتهم شعراؤها وانقطع لمدحهم  
جملة منهم النابغة الذبياني، وطرفة، والمتلمس، وحسان وغيرهم.

وأغلب ملوك اللخمين من دوى الهمة والعزة والسلطان. وأشهرهم ذكرا عند العرب  
النعمان بن المنذر لقرب عهده بالعصر الاسلامي. وحكمت هذه الدولة العربية الزاهرة من  
سنة ٢٦٨ الى سنة ٦٢٨ ميلادية.

وهالك جدولا بملوكهم وتواريخ حكمهم مع ما اشتهر وابه من الاعمال:

## ﴿ جدول ملوك اللخمين بالحيرة ﴾

﴿ أعماله ومناقبه ﴾	مدة الحكم	﴿ إسم الملك ﴾
	من سنة م. الي سنة م.	
هو الذي كون دولة اللخمين في العراق . اتسع سلطانه وامتد على قبائل العرب	٢٦٨ ٢٨٨	عمرو بن عدى بن نصر
غربا وجنوبا، ودخل في حكمه قبائل مذحج وربيعة ومضر، وحارب شمر ملك حمير . وقد وجدوا اسمه مكتوبا بالعربية على قبر في حوران ولعله كان ذهب اليها في غزوة فأتى ودفن بها .	٢٨٨ ٣٢٨	امرؤ القيس بن عمرو
ملك نحو نصف قرن وكان معاصراً لسابور دي الاكتاف، وكانت مدته كلها خيراً ورخاء .	٣٢٨ ٣٧٧	عمرو بن امرئ القيس
ليس من اللخمين ولكنه تغلب عليهم واستقر على ملك الحيرة حتى قتله رجل من بنى نصر فرجعت الدولة اليهم . ليس له عمل يذكر .	٣٧٧ ٣٨٢	أوس بن قلام
كان مهيباً حازماً كثيراً الحروب، غزا الشام مراراً . وكان يغزو كل قبيلة من العرب لا تدين له . واجتمع له من الاموال ما لم يجتمع لاحد من سلفه . وهو صاحب قصر الخوراق، بناه له سنمار، فلما أعجبه قطع يده حتى لا يبني لغيره مثله وكان بينه وبين زهير بن قيس العبسي صلة نسب . وفي آخر أيامه زهد الملك وهام على وجهه في الففار ولم يعلم من أمره شي بعد ذلك .	٣٨٢ ٤٠٣	امرؤ القيس بن عمرو الثاني
كان من أعوان ملوك الفرس . وكان معاصراً لزدرجرد (يزدگرد) وبهرام، وحارب جيوش الروم الذين كانوا يقصدون فارس وانتصر عليهم انتصاراً باهراً .	٤٠٣ ٤٣١	النعمان الاعور بن امرئ القيس
استصرخ به عمرو بن أذينة في أخذ ثار خال له قتله الغسانيون فسار اليهم وحاربهم .	٤٣١ ٤٧٣	المنذر بن النعمان بن امرئ القيس
	٤٧٣ ٤٩٣	الاسود بن المنذر بن النعمان

## جدول ملوك اللخمين بالحيرة

﴿ أعماله ومناقبه ﴾	مدة الحكم	﴿ إسم الملك ﴾
	من سنة إلى سنة	
• وأسر كثيرا من وجوههم وقتلهم فيه . ليس له ما يستحق الذكر .	٤٩٣ ٥٠٠	المنذر بن المنذر بن النعمان
• أمضى مدة حكمه في حرب الروم بالشام وغيرها من غير آل بصر وليس له ما يذكر .	٥٠٠ ٥٠٤	النعمان بن الأسود
• ليس له ما يذكر .	٥٠٤ ٥٠٧	علقمة أبو يعفر
• هو أشهر ملوك اللخمين . وقد حصل بينه وبين قباد ملك الفرس خلاف أفضى إلى تولية قباد للحارث الكندي على الحيرة . فهرب المنذر وما زال محتفيا حتى مات قباد وتملك ولده أبوشروان . فقدم عليه المنذر فرحب به وولاه الحيرة ثانيا . وكان له يومان (١) يوم بؤس ويوم نعيم : فمن وفد عليه في بؤسه قتله ، ومن وفد في يوم نعيمه أهال عليه عطايه . وحارب المنذر بكر بن وائل في يوم أواره ثم قتل في حرب بينه وبين الحارث بن جبلة الغساني في واقعة يسمونها ذات الحيار أو يوم اباغ . كان ذا همة علياء وشيعة شماء ، وكان صاحب خيلاء وكبرياء . دعا كراء العرب يوما فوفدوا عليه ، ووفد عليه عمرو بن كلثوم التغلبى مع أمه بدعوة منه . فلما دخلت أم كلثوم على هند ، أرادت هند أن تستخدمها فقالت واذلاه !! فسمعها ابنها فاستل سيف بن هند وهو معلق في السرادق وقتله به ، ثم خرج مع من كان معه من تغلب .	٥٠٧ ٥١٤	امرؤ القيس بن النعمان المنذر بن امرؤ القيس بن ماء السماء .
• كان ضعيفا وله يوم طخفة مع بني يربوع . قتل يوم حلجة في حرب بينه وبين الغسانية .	٥٦٣ ٥٧٨	عمرو بن هند مضط الحجارة ابن المنذر بن ماء السماء
• كان ضعيفا وله يوم طخفة مع بني يربوع . قتل يوم حلجة في حرب بينه وبين الغسانية .	٥٧٨ ٥٨١	قابوس بن المنذر
	٥٨١ ٥٨٢	المنذر بن المنذر بن ماء السماء

(١) ذكر بعض المؤرخين ان الذي كان له هذان اليومان هو النعمان بن المنذر أبو قابوس .



## جدول بملوك الاخميين بالحيرة

﴿ أعماله ومناقبه ﴾	مدة الحكم		﴿ إسم الملك ﴾
	من سنة	الى سنة	
بلغت الدولة في أيامه منتهى الشرف . ونعم عليه كسرى وطلبه فهرب الى طى وطلب منها أن تمنعه فانت . فنزل على هاني بن مسعود سيد نبي شيبان . وكان هاني عزيزاً ، فأودعه أهله وسار الى كسرى فأمر به فسيجن حتى مات في طاعون سنة ٦١٣ م . وهو صاحب يوم السلان بينه وبين نبي عامر بن صعصعة .	٥٨٥	٦١٣	النعمان بن المنذر أبو قابوس
لما سيجن أبو قابوس استعمل كسرى اياسا سيد طى على العراق . فأرسل الى هاني بن مسعود وطلب منه ما استودعه النعمان فاني . فاخر كسرى وسار اليه بجمع كبير . فثبت لهم بنو شيبان وانتصروا على الفرس انتصارا بينا بدي قار . وكان ذلك سنة ٧ قبل الهجرة . ليس له ما يدكر .	٦١٣	٦١٨	إياس بن قبيصة الطائي
وهو آخر ملوك الحيرة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ٦ للهجرة ، أرسل العلاء الحضرمي الى البحرين ليدعو أهلها الى الاسلام أو الى الحرب . وأرسل معه كتابا الى المنذر يدعوهم الى الاسلام فاسلم ، وأسلم معه جميع من هناك من العرب . وولى رسول الله العلاء على البحرين ومكث بها حتى كانت خلافة أبي بكر فارتدت العرب . فاستنجد أهل البحرين بالمنذر فحضر اليهم وحاصروا العلاء في حصن الجوئاء ، وما زال محصوراً حتى غافلهم وخرج عليهم ليلاً وأوقع بهم وقتل المنذر في هذه الواقعة وكان ذلك سنة ١٢ للهجرة وفيها انتهى حكم المناذرة باستيلاء المسلمين على العراق .	٦٢٨	٦٣٢	زاديه ( زادويه ) المنذر بن النعمان المغرور

## الغسانية

كانت الروم تستعمل العرب الدين كانوا يسكنون بادية الشام للاستعانة بهم على عرب العراق الذين كانوا يستعملهم ملوك الفرس في مناوأة الرومان . فاستعملوا أولاً بطناً من تنوخ، ثم استعملوا سليحاً، ثم الضجاعة، وكلهم من قضاة . حتى اذا نزع الغسانيون الى بلاد الشام تغلبوا على بني ضجعم وأقاموا في البلقاء، وصارت لهم الكلمة في تلك البادية بحكم العصبية، فأقامهم الرومانيون على المحافظة على حدودهم وعلى حروبهم مع الفرس وغيرهم . وقد اختلف مؤرخو العرب في عدد ملوك الغسانية : فقال حمزة الاصفهاني انهم ٣٢ ملكاً حكموا من سنة ٢٢٠ للميلاد، وقال آخرون غير ذلك . وذهب المؤرخ نولدكي الى أنهم عشرة فقط، وأن ملكهم يبتدىء من أواخر القرن الخامس للمسيح كما هو مبين في الجدول الآتي :

سنة الوفاة	﴿ إسم الملك ﴾	سنة الوفاة	﴿ إسم الملك ﴾
٥٠٠	جبله أبوشمر .	٦٣٦	الحارث الاصمراش الحارث الاكبر .
٥٦٩	الحارث بن جبله .	٦٤٤	« الاعرج ابن الحارث الاصمراش »
٥٨٢	المنذر أبو كرب بن الحارث .	٦٤٤	النعمان بن الحارث الاصمراش .
٥٨٣	النعمان بن المنذر الغساني .	٦٤٤	عمرو بن الحارث الاصمراش .
		٦٤٤	حجر بن عمرو .
		٦٤٤	حلة بن الايهم .

ولما كان التاريخ الذي حكم فيه جبله أبوشمر يقرب من الزمن الذي وضعه له حمزة وغيره من مؤرخي اليونان ، كان اختلافاً في تاريخ مبدأ هذه الدولة مبنياً على الوقت الذي ابتدأت فيه ضخامتها في عهد جبله المذكور . وأشهر هؤلاء الملوك هو الحارث بن جبله ، وكانت له منزلة كبيرة عند الروم لشجاعته وشدة بأسه وعظيم سلطانه على العرب . ولما مات تولى ابنه المنذر مكانه فخارب قابوس

ملك الحيرة وانتصر عليه . وذهب المنذر الى القسطنطينية فألبسه الامبراطور طيار يوس التاج ولم يلبسه أحد قبله من الغسانيين . واستمرت سوريافي يد الغسانيين حتى حمل الفرس عليها وافتتحوها سنة ٦١٣ م ، فذهبت دولة العرب منها ، وكان عليها حجر بن عمرو . فلما نهض هيرقل لاسترجاع سوريامن الفرس ظهر من الغسانية جيلة بن الايهم . وهو الذي وفد على عمر بن الخطاب في أشراف قومه وأسلم معهم ، وبنما هو يطوف حول الكعبة وطى إزاره أعرابي فلطمه جيلة . فاشتكى الاعرابي الى عمر . فاستدعاه وخيره بين القصاص أو استرضاء الاعرابي حتى ينزل عن حقه . فاستمهل جيلة حتى يرى رأيه وفر ليلا الى فلسطين وركب البحر الى القسطنطينية وأقام بها حتى مات .

وللغسانية كثير من آثار العمارة في بلاد الشام : خصوصاً في أذرح ، ونجران ، ومعان . ومن أسماء قصورهم : صرح الغدير ، والقصر الابيض ، وقصر المشتى ، والقلعة الزرقاء ، وقصر منار . وقد عثروا أخيراً على بعض آثار هذه القصور في حوران .

## العدنانية

لما أتى اسماعيل عليه السلام الى مكة تزوج بها وولد له اثنا عشر ولدا ، وما زال نسله يتكاثر ، وكانوا يسمونهم بالاسماعيلية ، حتى أتت بعد نحو عشرين بطناً حفيداً عدنان . فولد له معد . وولد لمعد نزار فاجب أعماراً ، ومضر ، وقضاة ، وربيعة ، وأيادا . وبارك الله تعالى في نسله فكان منهم العرب العدنانية . وكانت منازل هذه البطون الخمسة حول مكة في مبدأ أمرها . ثم اضطرتهم الحاله المعاشية الى طلب الرزق في جهات جزيرة العرب فنزحت قضاة الى نجد ، وتفرعت الى بطون كثيرة منها : تيم اللات وقد نزحت الى البحرين ، وتزيد نزلت عبرت بأرض الجزيرة ، وسليم نزلت مسارح الشام وفلسطين ، وأسلم نزلت الحنجر شمال المدينة ، وتفرغت في جهاته أنفاذاها الاربعة : عذرة ، ونهد ، والحواتكة ، وجهينة . ثم تنوخ وقد نزلت الى أرض الحيرة . وربان بن حلوان نزحوا الى بادية الشام . و بلى أقامت جنوب العقبة . وبهر او قد لحقت باليمن . واقد تفرعت من هذه البطون أنفاذ كثيرة كانت أمهات لقبائل كبيرة مشهورة .

وأما انمار فاهما نزحت الى جبال السروات فملكوها وكان منها بطنان : بجيلة وخثعم .  
 وقد تفرقت أفرادهما في جهات الجزيرة . ورات اباد العراق ، وكانوا يغيرون على بلاد  
 الفرس فأجلاهم أبو شروان عنها ، ففرقوا في أرض الروم وبلاد الشام .

ولم يعم من العدنانية قبل الاسلام دول تستحق الذكر ، ولكن كانت ملوك اليمن  
 تعطى لقب ملك لبعض سادات العرب وتوليهم الرعامة على القبائل : ومن هؤلاء الملوك زهير  
 ابن جناب السكبي ، ولده أرهة الاشرم على قبائل العرب ، فخرجت عليه بكر وتعلب ، فسار  
 اليهم وغرهم وأسروهم وجوهمهم ومهمهم وائل بن ربيعة المشهور بكليب وأخوه مهليل ، وعاد بهم  
 الى بلاده . ومكث كليب وأخوه عند مدة حتى هب قومهما وأخذوهما من الاسر . وكان  
 زهير فدأسن وعمر وتولى بعده عبد الله بن أخيه حكيم . ولما رجع كليب الى قومه أخذ يستميل  
 اليه العرب و يعمل فيهم بكمال درايته وحسن ادارته وكثير كرمه وجوده ، وجمع اليه معدا  
 وأفهمهم مقدار ما يصيبهم من تبعيتهم للملوك اليمن . وسارهم وحارب ابن حكيم ، فانتصر عليه في  
 واقعة عظيمة يسميها العرب يوم خزاز ، وكان ذلك في أواخر القرن الخامس للميلاد : وبذلك  
 خرج العدنانية من تبعيتهم للملوك اليمن ، ونادوا بكليب ملكا على العرب . وما زال أمر  
 كليب يكثر حتى قتل باقة لامرأه اسمها البسوس ، كانت تزيله على ابن عمه جساس ، فقتله بها  
 غيرة على جواره ، وقامت لذلك حروب هائلة بين بكر وتعلب مكثت أربعين سنة ويسمونها  
 حرب البسوس .

ومن ملوك العرب أيضاً قيس بن زهير العبسي وله حروب مشهورة . وفي آخر أيامه  
 اعتزل الملك وذهب الى عمان ، وترهب فيها ومات بها . وكان له ولد اسمه فضاله وفد على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه .

وأما قر يش فقد كانت لهم في جزيرة العرب الزعامة الدينية العامة لاستيلائهم على الكعبة  
 وكان لهم بذلك في العرب كلهم منزلة اجلال واعظام لا تقل عن منازل الملوك ان لم تزد عنها .  
 وما زالت القبائل العدنانية على بداوتها حتى ظهر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 قر يش ، ونشر دين الاسلام في قومه ، ثم هاجر الى المدينة ، ومن ثم أخذ الاسلام ينتشر في

قبائل بلاد العرب كلها، وماليت أن تحاو زهاشرقا وشمالا وغربا، واستولى العرب في حكم الراشدين الذين كان مركزهم المدينة، على بلاد فارس والشام وأرمينيا والقوقاز ومصر وبلاد المغرب . وفي مدة الامويين انتقل مركز الخلافة الى دمشق . ووصلت فتوحاتهم الى المحيط الاطلسي، ودخلت جنودهم الى أوروبا من بوغاز جبل طارق، وما زالت تفتح في بلادها حتى وصلت الى قلب فرنسا . بل نهدت سراياهم الى قلب أوروبا لتوطيد عرش من كان يطلب حمايتهم من ملوكها . وفي ذلك العهد كنت ترى تجار المسلمين يسرون بتجارهم من بغداد الى القسطنطينية ، ومنها الى شمال أوروبا . وهناك كانوا يتقابلون مع اخوانهم من التجار الاندلسيين ، فيتبادلون تجارة بعضهم البعض ثم يعودون في أمان الله وحماية حكوماتهم الى بلادهم . وبقيت العرب في الاندلس أربعة قرون، وكانت لهم بها دولة راقية جدا ، كانت سببا في رقي المدنية الأوروبية ورياسة الخالية في أخلاقها وعلومها وصناعاتها .

وحكم العرب في الاندلس يتبدى من سنة ٩٢٢ بعد الهجرة وهي التي دخل فيها طارق الى بلادها من مضيق الزقاق (بوغاز جبل طارق) ، ثم تبعه سيده موسى بن نصير . وما زال يفتحان في البلاد حتى خافهما الوليد بن عبد الملك فاستدعاهما ونكبهما . وما زالت الاندلس تابعة للدولة الاموية ، وكانوا يولون عليها ولاية بلقب أمير الى سنة ١٣٨ هـ . وفيها استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية الاموي واستقل بها . والسبب في ذلك أنه لما سقطت دولة الامويين بدمشق . وقامت دولة العباسيين على يد السفاح أخذوا يتعقبون الامويين بالقتل ولم يفلت منهم الا القليل ومنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . فدخل الى الاندلس ولذلك يسمونه بالداخل ، فاجتمع عليه الناس وبايعه أهل أشبيلية وقرطبة وغيرهما . وتم استيلائه على الاندلس في سنة ١٤١ ، فجعل عاصمته قرطبة، وقطع الخطبة عن العباسيين، ونهى بها القصر والمسجد الجامع . وما زال بنوه عليها حتى اذا ربح ثامنهم عبد الرحمن الناصر في دست الامارة سنة ٣٠٠ هـ ، لقبوه بأمر المؤمنين، وبه ابتدأت الخلافة العربية بالاندلس . وحكم الناصر خمسين سنة استفحل فيها ملك نبي أمية بهذه البلاد، وارتقت فيها العلوم والاداب والصناعات وخصوصا قرطبة التي صارت تناظر بغداد في

نخامتها وضخامتها . و بنى عبد الرحمن مدينة الزهراء ، وأنشأ بهما من القصور ما لا يصل إليه الوصف . وبالجملة فقد كانت مدته كلها نوراً وعرفاً ووعزة وسعادة . وتولى بعده ابنه الحكيم سنة ٣٥٠ ، وكان محباً للعلوم : ولقد شيد داراً للكتب لم يشيد مثلها أحد من الملوك ، وقالوا إن عدد كتبها نيف وأربعمائة ألف مجلد ، وكان لها أربعون فهدى وأربعمائة فهرست . وخلفه ابنه هشام سنة ٣٦٦ ، وما زالت الخلافة تنتقل في بيته حتى تولاها أمية بن عبد الرحمن في سنة ٤٢٢ . وكانت الفتنة قد كثرت في البلاد واشتدت في مدته ، فهرب ومات في هربه ، وهو آخر خلفاء بني أمية في الأندلس وعدد هم ١٦ خليفة : كانت دولتهم من أحسن الدول شأنًا ، وأضخمها سلطانًا ، وأعلاها ذكرًا ، وأكثرها ثروة . ولا يزال من آثارهم قصر الحمراء في غرناطة ، والقصر المشهور بالكازار ومجايبه المارة التي كانوا يرصدون عليها الكواكب في أشبيلية ، والمسجد الجامع في قرطبة : وكلها آثار حية تفوق حد الاتقان في صناعتها وزخرفها وفخامتها مما لا تصل إلى تصويره مقدرة الواصفين ، ويقف أمامه الحاضر باهتا لقدرة الإنسان الغابر في ذلك الزمن الزاهر ! وسيجان من بيده الملك .

وقامت بعدها بالأندلس دولة العلويين في سنة ٤٠٧ ، واستمرت إلى سنة ٤٦٠ . وأول ملوكها علي بن حمود الأدرسي . ولما نابعوه تطلب بالناصر لدين الله . وضعفت الخلافة في مدتهم حتى صارت لا هيبة لها . وكان ذلك سببًا لانهزام ملك الأندلس بين ملوك الطوائف : فقام أشبيلية محمد بن عباد وبنوه من بعده . وقام بطليوس محمد بن عبد الله المعروف بالافطس وأولاده من بعده . وقام بطليطلة ابن يعيش ، ثم اسماعيل بن دى النون . وقام بسرقسطة سليمان بن هود الجذامي . وقام بطرطوشة أيب العامري . وقام في بلدسية المنصور المغامري . وقام بسهارة عبود بن زير بن البربري . وقام بدانية الموفق العامري . وقام بمرسية بنوطاهر ، ثم استولى عليها ابن عباد . وقام بالمرية خيران العامري . وقام بمالقة نوح محمد . وقام بقرطبة حبوس الصنهاجي . إلا أن الأفرنج ابتدأوا يستعملون هؤلاء الرؤساء أسلحة بعضهم في محو البعض الآخر . ثم أخذوا بعد هذا الاتفاق يستولون على الأندلس بلدًا بلدًا ، حتى استولوا على أشبيلية في سنة ٦٤٥ . فأنحازت العرب إلى غرناطة

والمرّية ومالفة وضاق الملك بهم بعد اتساعه .

وكانت هذه البقية الباقية يدافع عليها ابن هود مع محمد بن الاحمر، وفي أثناء ذلك كان عدوهم ينمض على أطرافها شيئاً فشيئاً، حتى أخرجهم الى سيف البحر . وهناك اجتمع عليهم جموع من المسلمين، وزحف اليهم رجال من الربر، فاستولوا على بعض النواحي . ولكنهم ما لبثوا أن استولى الاسبايون على غرناطة عاصمة ملكهم صلحاً في سنة ٨٩٧، بعد أن أمنوا المسلمين على أنفسهم وأموالهم واعراضهم . ولكنهم أخفروا وعهدهم وأذاقوهم صنوف العذاب ، خصوصاً بعد أن تشككت محكمة المسوس المسماة بحكمة التفتيش (الابكر سيون) ، فقتلوا النفوس، وسلبوا الاموال، وهدموا الاثار، وأحرقوا القصور والمساجد ، التي لم يبق منها الا ما وارته عن أعينهم بد الزمن !!! وتشنت المسلمون الى بلاد المغرب ، ولم يبق في الاندلس منهم الا المستضعفون الذين وعدت بهم حالهم عن الهجرة، وما زالوا يسامون سوء العذاب حتى داوا بدين البلاد . والآن ترى بعض الاسماء بأسبابها العربية محصية مثل : الفارس، والفائذ، ورمانه، ووريدان، وفران، ورتضان، وبصار، وميمون الخ .

هداما كان من أمر الدولة العربية الغربية . أما دولتهم الشرفية، فقد كانت في صدر الخلافة العباسية في أعراياها ، وأرفع أعلامها، وخصوصاً في مدة الرشيد وولده المأمون، اللذين قاما بكل ما فيه رقي الافكار، وشر العرفان ، وتنشيط الصناعات : حتى صارت الدولة الاسلامية في مدتهم مشكاه يستنير بها العالم الشرقي ، في حين ما كانت الدولة الغربية الاسلامية بالاندلس تراسا يضيء ما حوله من الكائنات .

فلما كانت خلافة المعتصم العباسي في سنة ٢١٨ جمع كثيراً من المماليك الى خدمته : حتى ابح عدده من التركمان والجر كس ما يزيد عن خمسين ألفاً واتخذ منهم حراساً لنفسه، وولاهم محافظة الثغور . فاخذت شوكتهم تزداد يوماً فوما حتى تعلموا على الدولة، وصارت الخلفاء ألعوبة في أيديهم، يولون من يشاءون، ويعزلون من يريدون، حتى اذا كانت خلافة المعز بالله استولى أحمد بن طولون<sup>(١)</sup> على مصر سنة ٢٥٤ م ثم أخذت عمال الواحي تتغلب على أطراف الدولة

(١) هو الذي كون الدولة الطولوية بمصر ومكثت قائمة بها من سنة (٥٢٥٤) الى سنة (٥٢٩٢) وفيها

شيئا فشيئا حتى اذا كانت سنة ٣٢٢ ضعف أمر الخلافة العباسية بالمرّة: فكانت فارس في يد بني نويه<sup>(١)</sup>، والموصل وديار بكر في يد بني حمدان<sup>(٢)</sup>، ومصر والشام في يد الاخشيديين، والاندلس في يد بني أمية، والمغرب وافريقية في يد الفاطميين، والبصرة في يد ابن رائق، وما وراء النهر في يد بني سامان<sup>(٣)</sup>، وطرسستان وجرجان في يد الديلم<sup>(٤)</sup>، وجهة البحرين واليمامة في يد القرامطة<sup>(٥)</sup>، ولم يبق في يد الخليفة الا بغداد وضواحيها. وبذلك أصبحت الخلافة كأن لا وجود لها بالمرّة.

قامت الدولة الاحشيدية الى سنة ٥٣٥٨ هـ وفيها تملك عليها الدولة الفاطمية الى سنة ٥٦٧ هـ. وفيها اسوان عليها الدولة الايوبية الى سنة ٦٤٨ هـ. ثم قامت بها دولة المماليك البحرية الى سنة ٧٨٤ هـ ثم دولة المماليك البحرية (دولة الجراكسة) الى سنة ٩٢٢ هـ. وفيها اسوان عليها الدولة العلية العثمانية. وفي سنة ١٢٢٠ تولاها محمد علي باشا حدة العائلة الخديوية وصارت ارضا تاما ليدنه من بعده.

(١) هم من الديلم قاموا بدولة ملك العراقيين ودرس والاهوار على يد عماد الدولة بن نويه سنة ٥٣٢٢ هـ فسانها أحسن سياسة وأدارها بعقل وحكمة حتى عظم شأنه واسولى على بغداد سنة ٦٣٤ هـ ثم اسولى على كثير من الجهات ومنها حران واصهان وخورسان، وحظ له على المار في بغداد وغيرها، وكان وزيره الصاحب بن عباد، وما زال الملك في يديه الى سنة ٤٤٧ هـ حيث برعه مهم طمرل السلجومي. واستمرت الدولة السلجوقية الى سنة ٥٩٠ هـ. وفيها ظهرت الدولة الخوارزمية، وأول من قام بها محمد خوارزم شاه الذي تملك على سلاحة ايران اسولى على بغداد وما زال خلفاؤه بها حتى تملك عليها السار.

(٢) ظهرت دولة بني حمدان في الموصل سنة ٢٩٣ هـ، ولقد عظم شأن هذه الدولة حتى امتد سلطانها على الحريرة والشام، وبلغ من أمر ملوكها انهم استبدوا بالدولة العباسية وصارت لهم فيها الكرامة المأداة. وأشهر ملوكها سيف الدولة الذي كان حكمه من سنة ٣٣٠ الى سنة ٣٥٦ هـ. وفيها مات. ولكن مقامه بقيت منشورة على صفحات شعر المنى الذي قصر حياته على مدائحه. ومن اشهر من بني حمدان أبو فراس الشاعر المشهور.

(٣) بنو سامان كانوا ولادة من العجم على ما وراء النهر للعنانيين، فلما ضعف الخلافة العباسية استقلوا بها حتى علمهم عليها الدولة العنوية في سنة ٩٩٩ هـ.

(٤) بعد تملك الديلم على حران وطرسستان اسولوا على بغداد حتى علمهم عليها العنوية.

(٥) القرامطة نسبة الى رجل يقال له قرمط قام بالبحرين ودعا فوما من أهل البادية الى دين جديد ذهب فيه الى ان عيسى المسيح انما هو أحمد بن محمد بن الحنفية، وكان الصلاة عندهم أربع ركعات: ركعت قبل طلوع الشمس، وركعت قبل غروبها، وكان كلمة توحيدهم أشهد أن لا اله الا الله وأن ابراهيم رسول الله، وأن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله، وأن الصلاة الى بيت المقدس، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء، وأن يصام يومان في السنة يوم المرحان



وفي خلافة الطائع لله ظهرت الدولة الغزنوية<sup>(١)</sup> سنة ٣٦٦ هـ. وفي خلافة المقتدى لامر الله قامت الدولة الغورية<sup>(٢)</sup> سنة ٥٤٣ هـ، ثم ظهر أمر الغز<sup>(٣)</sup> سنة ٥٤٨ هـ.

وفي سنة ٦٥٦ استولى التتار<sup>(٤)</sup> على بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي، ومن ثم انقطعت الخلافة العباسية ثلاث سنوات، وفي سنة ٦٤٦ وصل من فر من العباسيين الى مصر فاستقبلهم الملك الظاهر بيبرس أحسن استقبال وأقام بها الخلافة باسمهم. ومات هولاء كوسنة ٦٦٢ بعد أن ملك الشام والعراق وفارس وماوراءالنهر. وانقسمت مملكته بين بنيه وبين اخوته ومازلوا حتى افرض حكم ملكهم تغلب تيمورلك التتري على بغداد في سنة

ويوم الدورور، وان البيد حرام والجر حلال، ولا غسل من حنائة، وان الوصوء كوصوء الصلاة وان يؤكل كل ديات ودي حليب. وظهر أمر القرامطة سنة ٢٧٨ هـ ثم اسمعجل ملكهم يحيى اسولوا على مكة والنجدة والكوفة وما حوا الخليج في بغداد. وفي سنة ٣٢٩ ضعف شوكتهم وانحصرت سلطتهم في بلاد هجر يحيى تلاشى أمرهم.

(١) الروبية أسسوا دولة في شرق بلاد العجم سنة ١٦٦ هـ على يد محمود بن سنكسكن علام اسحاق صاحب جيش عرنة لاسامانية، واتخذ عرنة عاصمته، وفتح بلاداً كثيرة في الهند واسمر الملك في بيه الى سنة ٥٧٨ هـ. ودمت بالملك بعدها الدولة الغورية.

(٢) الدولة الغورية قامت بالملك بعد الدولة الغورية وامد ملكهم الى الهند والسند واسمر حكمهم الى سنة ٦٠٤ هـ. ومن أحسن ملوكها عماد الدين الغوري الذي كان يلقب بقسيم أمير المؤمنين. (٣) الغز طائفة من الترك كانوا فيما وراء النهر ثم رحلوا الى خراسان وكانوا كثيرًا ومن أسلم منهم كان ترجمانًا بينهم ومن المسلمين. فمالأسلموا اسموا بالتركان، وحاربهم السلطان سحر السلجوقي فكسروه وهرموه شر هزيمة واسولوا على خراسان سنة ٥٥١ هـ.

(٤) السار لبط يطلق على مجموع قبائل كثيرة في أواسط آسيا واشهر أمرهم في القرن السابع والثامن والناسع للهجرة. وأول من اشهر من ملوكهم حكيم بن محمد في أول القرن الحادي عشر للهجرة. وكان يدخل في ملكه حوارزم وخراسان وكرمان وفارس وأذربيجان والعراقين العربي والمعجمي والخريرة. وبعد وفاته انقسمت مملكته بين بيه، وفي مدة ملكهم سار هولاء كو أحدهم الي بغداد بواطني مع مؤيد الدين التقي وزير المستنصر بالله العباسي، وحصل بينه وبين حوود المستنصر واقعة انتهت بانهزام حوود الخليفة سنة ٦٥٦ هـ ودخل السار بغداد وهبوا وقتلوا الخليفة المستنصر العباسي مع من فيها من الاشراف، وسوا ساءها وفكوا بأهلها، وكان حرائر بغداد عامرة بالكب الفيسة فأحدها هولاء كو وعمل بها حرائر الدحلة مرت عليه حووده! واسمرت دولة السار قائمة الى سنة ٧٩٧ هـ وفيها اسولى تيمورلك (تيمور الاعرج) المغولي عليها. ودخل بغداد وفك بأهلها فسكا دريماً.

٧٩٨ . ولمامات سنة ٨٠٨ اقتسم بنوه مملكته : فاستقلت بلاد فارس (١) والتركستان (٢) ، وأخذ ملوك بني عثمان (٣) الذين كان لهم الحكم في آسيا الصغرى كلها في التغلب على مادونها شيئاً فشيئاً ، حتى اذا دخلت الشام في حكم السلطان سليم سنة ٩٢٢ هـ ، سار الى مصر من سنته ودخلها فاتحاً ، ومكث بها حتى رتب أمورها ونظم حكومتها ثم سافر الى بلاده ، وأخذ معه محمد المتوكل على الله الخليفة الثامن عشر العباسي . ثم تنازل له المتوكل عن الخلافة الاسلامية . ومن هذا الوقت وهي في أيدي ملوك بني عثمان . ومن ثم انحصر ملك العرب في بلاد المغرب . ولهذا رأينا أن نقول كلمة صغيرة عن كل قسم من أقسامها لتكمل به الفائدة .

(١) فارس كانت في يد الخدباء الى أن قامت بها الدولة العروبية من سنة ٣٨٧ هـ الى سنة ٥٤٥ هـ . ثم وقعت في يد السلجوقيين الى سنة ٥٧٤٥ هـ . ومن ثم تجرأ حكمها الى حملة حانات ثم اسولي عليها التركان في سنة ٨١٠ هـ الى سنة ٩٠٧ هـ ثم طهرت بها الدولة الصوية الى سنة ١١٣٥ هـ ثم تداولها حملة أمراء . وفي سنة ١١١٢ هـ اسول عليها عائلة فأحار الحالية ، وانصلت عنها في مدتهم بلاد الافغانستان سنة ١١٦٠ هـ . (٢) بلاد تركستان التي من أهم مدنها بخارى لم يتم فتحها الا لعبيدة بن مسلم الخراساني في سنة ٨٧ هـ ثم دخلت في ولاية بني سامان حكم خراسان من سنة ٢٠٤ الى سنة ٤٣٨٩ هـ ثم تولى عليها ايلك التركي . ثم دخلت في حكم السلجوقية . ثم اسولي عليها حاكم بخارى . ثم تملك عليها حكومة اربك التركية مدة قرن ونصف . ثم انقسمت الى حايات مستقلة بها حايات بخارى ، وحايات سمرقند ، وناشقند ، وخبوة . ودخلت هذه الحايات في حكومة روسيا واحدة واحدة في نحو نصف القرن التاسع عشر من الميلاد . (٣) أول ظهور هذه الدولة انه لما اصمحت دولة السلجوقيين في سنة ٦٩٩ هـ تملك على ملكها دول كثيرة صغيرة . وكان من ضمنها دولة الترك ، وفي سنة ٦٩٩ هـ ظهر أمر السلطان عثمان التركي في الاناضول واشهر بصله وعدله وبلغت فوجاهته الى بحر الروم غربا والدردايل واليوسفور شمالاً ثم فتح بورصة سنة ٧٢٦ هـ . ولما مات استولى على ملكه ابنه أورخان فقطع البحر الى أورنا واسولى على مدينة عاليولى وتولى بعده ولده مراد الاول فسار الى أورنا وأوعل في بلاد الصرب والبلغار والبايا . وخلفه ابنه بايزيد وكسر ملوك فرنسا والمجر وألمانيا الذين تحالفوا عليه ، ثم صدق القسطنطينية فبلغه ان تيمور لك . تلك الممول تصد بلاده فسار اليه وحاربه فوقع في أسره ومارال به حتى مات . وقام بالملك بعده ولده السلطان محمد بن بايزيد . استرد ملك أبيه ومات سنة ٨٢٣ هـ وتولى بعده أحفاده وما زال ملكهم حتى افسح السلطان محمد القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ثم افسح اليوسه والمهرسك وطررون واستولى على كثير من حريرا لارخيل . وما زال ملك بني عثمان حتى تملك السلطان سليم الاول فاستولى على ديار بكر وكرديستان وحارب البرس واتصر عليهم ثم تركها الى حرب مصر فاستولى عليها سنة ٩٢٢ هـ . وما زال خلفاؤه يتوارثون عرش الدولة العلية حتى آل أمرها الى سلطانها الدستوري (محمد الخامس) في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ هـ حفظه الله وحمل أيامه كلها خيرا وبركة .

## — طرابلس —

كانت طرابلس أولاً في يد البربر، ثم دخلت تحت الحكم الروماني حتى افتتحها العرب سنة ٥٢٢ هـ : وتولاها الاغالبه ثم العبيديون ثم الصنهاجيون، ثم استولى عليها صاحب صقلية واستردها منه الموحدون . ثم استولى عليها الاسبانيون ، وفي سنة ٩٥٠ حضرت الاساطيل العثمانية وطردهم منها واستولوا على البلاد وهي في قبضتهم الى الآن .

ومما نذكره مع الاسف الشديد أن دولة ايطاليا التي تمنى نفسها من زمن بعيد باحتلال هذه البلاد ، قد اعتدت بلاسبب على الدولة العلية، وأشهرت عليها الحرب على غرة منها وسيرت أساطيلها الى طرابلس، وكانت الدولة في شاغل بحروبها الداخلية عن تقوية ثغورها .

وطلب الطليان من حاكم طرابلس أن يسلمهم المدينة فلم يقبل . فأطاعوا يرائهم على قلاعها في يومى ٨ و ٩ شوال سنة ١٣٢٩ ، فاستحيت الحامية الى داخلية البلاد استعداداً للحرب ونزل الطليان الى البرواحتلو المدينة في يوم ١٥ منه الذى يكتب فيه كتمتنا هذه . ولا يعلم الا الله مصير هذه البلاد من بعد ذلك ، ولعل الدائرة تدور على الباغي . ولا حول ولا قوة الا بالله .

## — بلاد الجزائر —

أصل هذه البلاد من قبائل زناته وصنهاجه من البربر . وفتحها الرومان في سنة ٥٣٤ م، ثم فتحها المسلمون في خلافة سيدنا عثمان بن عفان . وفي مدة العباسيين قامت بها الدولة الزيرية من سنة ٣٦١ الى سنة ٥٤٣ هـ ، ثم استظهر عليها صاحب صقلية روجير الثانى النورماندى .

وفي سنة ٥٥٤ استولت عليها دولة الموحدين المرراكشية الى سنة ٦٦٩ ، حيث تغلب عليها بنو زيان من الصنهاجيين ، وجمعوا تلمسان عاصمة للمكهم . ثم استولى عليها الاسبانيون سنة ٩١٥ هـ ، وطردهم منها أهل البلاد سنة ٩٢٢ هـ بمساعدة القرصان الذين كانت مراكبهم تغدو وتروح فى البحر الابيض المتوسط متعقبه مراكب الاسبانيين ، موقعة بهم كلما عثرت على شىء منهم . وكان رئيس القرصان يسمى بارباروس وكان على جانب عظيم

من الشجاعة ، فظهر أمره وهابته دول الفرنجة ، وما زال حتى مات سنة ٩١٩ وتولى عمله أخوه خير الدين بارباروس . وكانت مدينة الجزائر في يدا الفرنج مع بعض السواحل الغربية ، فخار بهم خير الدين وأجلاهم عنها ، وصارت له الكلمة في كل بلاد الجزائر . وكثرت فتوحاته واتسع ملكه الى داخل افريقية .

وفي هـ هذا الوقت كانت الدولة العثمانية قد استولت على الشام ومصر و بلاد الحرمين . فبادر خير الدين وأرسل بالهدايا الفاخرة مع مفاتيح البلاد الى السلطان سليم ، فأقره عليها . ومن ذلك العهد أخذت تزداد مكانته ويعظم سلطانه . وسافر خير الدين الى الاستانة في مدة السلطان سليمان ، فأكرمه كل الاكرام وأعم عليه بلقب باشا . وفي مدة اقامته بها قام شاركان ملك فرنسا بجيش عظيم ومعه كثير من أهل أسبانيا وهم على بلاد الجزائر . فقاتلهم حسن أعان نائب خير الدين على الملاد بجاش راط ، وحر بهم وهزمهم شر هزيمة . ونزلوا الى المحرمهم زمين الى بلادهم بعد أن غرق أغلب سفنهم . وفي تلك الاثناء صدرت الارادة السنية بتعيين خير الدين باشا رئيسا للبحرية العثمانية . ومن ثم أخذت الدولة العلية تعين ولائها على الجزائر . وما زالت في يدها حتى استولى عليها الفرنسيون سنة ١٢٤٧ هـ (سنة ١٨٣١م) وهي في أيديهم الى الآن .

### — تونس —

هذه الولاية كانت قديما في يدا البربر واستولى عليها الفينيقيون وأسسوا فيها مدينة قرطاجية في القرن التاسع ق م ، ولا تزال تشهد آثارها قرب مدينة تونس . وكانت لهم بهاد وله رافية استقرت الى منتصف القرن الثامن ق م . ثم استولى عليها الرومانيون الى أن فتحها العرب سنة ٢٧ هـ . وكانت هذه البلاد أولا في ادارتها تابعة لولاية مصر ، حتى قامت بهادوله بنى الاعلب في سنة ١٨٤ هـ ، فاستقلوا بها واستقرت في يدهم الى سنة ٢٩٦ هـ . وفيها قامت دولة العبيدين (العلويين) ، ومارالوا بها حتى استولوا على مصر سنة ٣٥٥ في مدة المعز لدين الله . وسار المعز اليها سنة ٣٦١ وجعلها ممره ، ونزل بالفاخرة التي اختطها جوهر سنة

٣٥٨ ، وجعل على افر يقية يوسف بلكين بن زيرى الصنهاجى . واستمرت فى يد الصنهاجين الى سنة ٥٤٢ . وفيها استولى ملك صفلية على أغلب ثغور تونس . فسار اليها الامير يوسف ابن عبد المؤمن صاحب مرّاكش بجيوش الموحدين ، فطردهم منها واستولى على تونس فى سنة ٥٥٥ . ومازالت فى يد خلفائه الى سنة ٦٠٣ . وفيها قامت بهادولة الحفصيين ومازالوا عليها الى سنة ٥٩٨٢ . وفيها استولت عليها أساطيل الدولة العلية ومازالت تولى عليها ولايتها باسم دايات (مفرده داى ) حتى صارت الولاية لمولاي حسن ابن على باشا رأس الدولة الحسينية الحالية سنة ١١١٧ . ومازالت فى بنيه حتى تولى عليها منهم الباي محمد الصادق باشا سنة ١٢٧٦ . وفى مدته أخذت فرنسا تعمل لضم بلاده الى حكومة الجزائر واستعملت لهذا الغرض وزيره مصطفى بن اسماعيل ، وكانت أمّته ان هوسعى جهده فى وضع تونس تحت الحماية الفرنسية و به اقامته بايا عليها . فاخذ هذا الدينى فى خلق الملاهل وبذربذور الفتى فى البلاد . ومازال يحيف الصادق من الدولة العلية من جهة ، ومن أهل البلاد من اخرى ، حتى طلب حمايه فرنسا وعملت بينه وبينها معاهدة برود وأمضاها فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ . وفى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٢ مات محمد الصادق وتعين مكانه ولى عهد مولانا على باى الموجود الآن على منصبها ، ساعده الله على ما فيه خير بلاده وصلاحتها .

### — مرّاكش —

مرّاكش يسمونها بالمغرب الاقصى ، وأهلها من قبائل صنهاجة والبربر . استولى عليها الروم ايون سنة ٥٣٤ م ، وكل فتحها للمسلمين سنة ٥٨٨ هـ ، وتم اسلام البربر سنة ١٠٠ هـ وفى سنة ١٧٢ وصل الى هذه البلاد ادريس بن الحسن الثالث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على كرم الله وجهه فارأمن وجه العباسيين . فالتف عليه أهل المغرب من البربر وقاموا بالدعوة له وجعل مقره مدينة ويلي . ولما تمكن بها قدمه كوّن فيها دولة الادارسة ، وما زال الملك فى نيه الى سنة ٣٧٥ . وبمدها دخل المغرب الاقصى فى حكم العبيديين الى ان

قامت به دولة الممكثمين أو المرابطين من صنهاجة سنة ٤٦٢ على يد يوسف بن تاشفين . ولما اتسع ملكه وعظمت شوكته اشترى مكان مدينة مرا كش و بناها قاعداً له . وبنى فيها القصور الرفيعة والدور الواسعة وجعلها مقر سلطانة . و بعد أن مكن دعاهم سلطنته في المغرب ، زحف الى الاندلس بدعوة من أهلها . و وقعت بينه و بين الفونس السادس (الاذ فونش) ملك فشتاله حرب نصر الله فيها ابن تاشفين في واقعة الزلاقة ، وهي أكبر واقعة حصلت في الاندلس ، واستولى بعدها على غرناطة ، ثم تغلب على ملوك الطوائف ، وصار له ملك الاندلس والمغرب جميعا الى أن توفي سنة ٥٠٠ ، وتولى بعده بنوه بالاندلس الى سنة ٥٤٢ . وكانت قامت بالمغرب الاقصى في سنة ٥١٤ دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت الملقب بالمهدي . و بعد موته في سنة ٥٢٤ ، خلفه بعهد منه وزيره عبد المؤمن بن علي . ولما ظهر أمره وتمكن سلطانه سبر جنوده الى الاندلس ، فاستولى عليها تماما في سنة ٥٤٥ . وهو الذي بنى مدينة جبل طارق سنة ٥٥٥ ، ثم تقدم بجيوشه فافتتح الجزائر وتونس والمهدية ، وما زال يتسع سلطانه حتى مات سنة ٥٥٨ ، واستقر خلفاؤه الى سنة ٦٧٤ . ثم تولى المغرب الاقصى دولة نبي مُرِين الى سنة ٠٨٩٠ . ثم دولة نبي طاوس الى سنة ٠٩٦١ . ثم دولة الاشراف السعديين الى سنة ١٠٦٩ . ثم دولة الاشراف السجلماسيين وهم الحا كيون الى الآن .

وقد كانت البلاد على تمام الاستقلال في مدتهم حتى كان ما كان من تداخل الاجاب في بلادهم ، وكثرة الثورات الاهلية بها ، ثم عقد مؤتمر الجزيرة ، وعزل السلطان مولاي عبد العزيز ، وتعيين مولاي السلطان عبد الحفيظ ، ثم ظهور فرسا بالكمة في بلاده بمظاهرة الا بكيزها ، ووقوف ألمانيا في طريقها للحصول على اصيبيها هي الاخرى من هذه الغنيمة التي لم يذق حرارتها غير العرساوين . والدولتان لا تزالان الى يوم كتابتنا هذه الكلمات بين وعد ووعيد وصلاح وتهديد وتراخ وتشديد وتقريب وتبعيد . وعلى كل حال فقد قضى على استقلال هذه البلاد الاسلامية التي بقيت حافظة له مدة ثلاثة عشر قرنا ، وهي آخر الدول العربية والله يرث الارض ومن عليها ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

## صفة جزيرة العرب

بلاد العرب يحدها شمالا بادية الشام الكبرى، وشرقا البحر الاحمر، وغربا بادية العراق وخليج فارس وبحر عمان، وجنوبا المحيط الهندي .

وأرض هذه البلاد في الغالب رمليسة وخصوصا في وسطها فيما بين نجد وحضرموت والحجاز وعسير و بلاد عمان، حيث توجد الصحراء الكبرى التي يسمونها بالدهناء . وطولها اكثر من درجتين جغرافيتين وعرضها نحو درجة ونصف، وهي ما يسمونه بالربع الخالي : وهي قفر بلقع لا نبات فيها ولا ماء، اللهم الا بحار من تلك الرمال الناعمة التي تنقلها الرياح على الدوام من جهة الى أخرى، واد اصادت حركتها مرور بعض القوافل التي تخاطر نفسها في السير على حافاتها التهمتهم وأغرقتهم في جوفها وقبرتهم فيه كأنهم ما كانوا . ويمتد من شمال هذه الصحراء لسان يسيرين بلاد الحسا والقصيم ، ثم يميل نحو الغرب حتى يمر ببلاد الجوف ويتصل ببادية الشام التي يسمونها بالنفود الصغرى .

أما سواحل البلاد فهي عامرة بالسكان وفيها كثير من المزارع . ويقطع بلاد العرب من الشمال الى الجنوب جبال السروات، وفيها العيون والانهار والبساتين النضرة والمزارع الكثيرة . وفي سفوح جبال اليمن يزرع ابن الذي هو أحسن أنواعه في جميع العالم . وأشهر جبال الحجاز جبل الهدى وكرا بالطائف، وأشهر جبال معان الجبل الاخضر، وفي نجد جبل العارض وجبل طويق، وفي شمّر جبل سامي : وكل هذه الجبال عامرة بالسكان كثيرة الخير والبركة .

وتنقسم بلاد العرب الى ستة أقسام : الحجاز . اليمن و يتبعها عسير . حضرموت . عمان . البحرين . نجد و يتبعها الحسا .

أما الحجاز فهو اقليم مستطيل يحده غربا بالبحر الاحمر ، وشرقا بالبادية الكبرى، وجنوبا ببلاد عسير . وشمالا بادية الشام، وطوله من الشمال الى الجنوب يبلغ ١٥٠ كيلومتر، وعرضه من الغرب الى الشرق يبلغ ثلثائة كيلومتر . ويقطعه من الشمال الى الجنوب جبال السراة و يبلغ

ارتفاع بعضها ٨٠٠٠ قدما . وفيها مياه كثيرة وغابات و بساتين وقرى أهلة بالسكان من الاعراب . ومنحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل الى البحر سموه تهامة ، وأرضه رملية وبعضها صالح للزراعة ، ويزرع فيها الحبوب وغيرها من الخضر .

و بلاد الحجاز ولاية عثمانية منذ سنة ١٢٢٢ هجرية . وكانت قبل الاسلام تتبع في الغالب لحكومة مكة لاسيا بعد ظهور قرقر يش ، وكانت تتداولها بعده ولاية مكة والمدينة الى أن دخلت البلاد في يد الدولة العلية : فصارت تعين الولاة من قبلها ، وتكون أمور البلاد المالية والادراية في أيديهم ، وتعين على أمارة مكة اميراً من الاشراف لينظر في أمور العرب . وكان مركز الولاة أولاً جدة فانتقل الى مكة سنة ١٢٨٧ . وللولاية مجلس ينظر في أمورها الهامة : يتركب من قاضي مكة ، والدفتر دار ، ومدير الحرم ، والمكتوب بجى ( كاتب أسرار الولاية ) ، ومن نقيب الاشراف ، ونائب الحرم ، وصاحب سدان البيت المعظم ، ومفتى الحنفية ، وقائم مقام الشريف في مكة ، ومدير الصحة ، ونقيب السادة الحسينية . ويوجد بمكة ديوان تميز أى محكمة نظامية تنظر في الدعاوى المدنية والجنائية في الدرجة الابتدائية ، وأحكامها تستأنف في محاكم الاستتانة . وتركب هذه المحكمة من نائب الشرع الشريف ، وثلاثة أعضاء منتخبين من أهالى مكة ، وقائم مقام الشريف . وقاضي مكة يعين من قبل الدولة لسنة واحدة قمرية ، أما نائب الشرع فيعين لسنتين . ولهذه الولاية نواح وأخطاط يسمى متوليها مدير ناحية ، وحاكمها يلقب بقائم مقام : ومنها الطائف ، ورابع . ولكل قائم مقامية مجلس يتركب من القائم مقام ومن نائب الشرع الشريف ومأمور المالية ( ويسمونه مال مديرى ) ومن بعض الاهالى الذين ينتخبهم شريف مكة . وايرادات الولاية تنحصر في رسوم المحاكم النظامية وبيع ورق البول ( وهى أوراق مثل طوابع البريد تلصق على الاوراق الرسمية بدل التمتع في مصر ) .

أما القبائل فلم يحالس عُرْفية تنظر في أمورهم ابتدائية واستئنافية ، وتتألف من القاضى وبعض الشيوخ ورؤساء القبائل مع من يختاره الطرفان للاشتراك معهم فى الحكم .



ولاصحاب القضايا حق رفض أحكام هذه المجالس واستئنافها عند الشريف ، وهو ما يؤيد أحكامها أو يُعَدِّلها ويكون حكمه نافذاً المفعول ، ولهم الحق أيضاً في انابة من يدافع عنهم امام هذه المحاكم .

وأهل الحجاز يقدرون باثنين مليون ونصف من النفوس ، وكلهم الا أهل مكة وجدة ودموع يعيشون من ماشيتهم في الجبال ، اما أهل السواحل فهم يعيشون من صيدهم وزوارفهم . وهم في الغالب شوافع المذهب .

### — اليمن —

اليمن ولاية عثمانية واقعة في الجنوب الغربي من جزيرة العرب ، وطوله من الشمال الى الجنوب نحو ٧٥٥ كيلومتراً ، ومن الغرب الى الشرق نحو ٤٠٠ كيلومتراً . ويقدرون أهله بأربعة مليون من النفوس ، كلهم مسلمون على مذهب الزيدية الا القليل منهم من اليهود ، أما أهل عسير وهم وهابيون . وأرض اليمن تنقسم الى قسمين قسم السهول وتسمى تهامة وهي الى البحر ، وقسم الجبال وهي سلسلة من جبال السروات متصلة ببعضها من الشمال الى الجنوب ، وأعلىها جبل كوكبان ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٣٠٠٠ متراً ، وجميع هذه الجبال عامرة بالسكان وفيها عيون كثيرة تتكون منها أنهار تسير في وديان خصبة : منها ما يسير الى الغرب وتصب في البحر الاحمر وأكبرها وادي مشرف ، ووادي كانون جنوب العنفة ، ووادي عاشور عند ثغر حلي ، ووادي السهام قرب الحديدة ، ووادي هندان الذي يمر بمدينة تعز ، والوادي الكبير قرب مُحَا أما الانهار التي تصب في المحيط الهندي فهي وادي الميدان ويصب قرب ميناء عدن ، ووادي داماء ، ووادي الشارد اللذان يجران قرب صنعاء وينحدرا الى الصحراء أحدهما ماراً بخرائب مأرب والثاني بخرائب معين ، ثم وادي نجران ، ووادي بيشة وغيرها . وبعض هذه الانهار تنعدم مياهه في الصحراء ولا تصل الى البحر الا في زمن شدة الامطار التي تكاد لا تنقطع في هذه البلاد مدة الشتاء والربيعين ، وبعضها يسير الى جهة الشمال والشرق ولا تلبث ان تتلاشى في جوف الرمال .

وقد عمل اليمنيون في جميع الازمان لهذه الانهار وفروعها سدوداً كثيرة على حسب ما تسمح به نظاماتهم الزراعية، وكان أكبرها في الزمن السابق سد مأرب الذي تقدم الكلام عليه: لهذا ترى ان هذا الاقليم زراعي، وكما صعدت فيه الى أعلى الجبال وجدت ما مكسوة بساط أخضر مما يوجد عليها من المزروعات المختلفة، التي ترى الى جوارها عاباب من الاشجار المثمرة أو غير المثمرة كالساج والعرعر وغيرهما.

وحاصلات اليمن الزراعية هي الدخن، ويزرعونه في الجهات العالية وعليه مدار حياة الالهالي، والقمح، والشعير، والعدس، والسهمس، والدرّة، والقول، والقطن، والنيلة، والتبغ، والخضر بجميع أنواعها، والفاكهة الكثيره: ومنها الامبا (المانجو) واللوز والرفوق وسمونه نخاري والتين الشوكي وسمونه الرشومي أو الصابور، وأهم حاصلات اليمن البن. وتنقسم اليمن في ادارتها الى أربع لواءات: لواء صنعاء، ولواء تعز، ولواء الحدّ يدة، ولواء عسير. وفيها نحو ١٩٠٠ قرية.

وحيث اننا تكلمنا على تاريخ الدول التي قامت في هذه البلاد قبل الاسلام، فيجدر بنا ان نقول كلمة على الدول التي قامت بها بعده فنقول:

لما أسلمت اليمن في السنة العاشرة من الهجرة وسار بذلك وفد هم الى المدينة: ولى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم صارت اليمن تابعة للخلافة الاسلامية الى سنة ٢٠٤. وفيها أعلن محمد بن زياد عامل العباسيين عليها استهلاله، وسميت دولته بالدولة الزيدية وكان مركزها زبيد. واستقر حكم بنيه عليها الى سنة ٥٤٠هـ. وفي أثناء ذلك قامت دولة اليعافرة في صنعاء من سنة ٢٤٧ الى سنة ٣٨٧. ثم قامت الدولة النجاشية في زبيد من سنة ٤١٢ الى سنة ٥٥٣. ثم الدولة الصليبية في صنعاء من سنة ٤٢٩ الى سنة ٤٩٢. وكانت قامت في صعدة الدولة الرسية في سنة ٢٤٦، واستمرت الى سنة ٦٨٠ وكان أمراءها من الزيدية، وينسبون الى الهادي يحيى حفيد قاسم الرسيّ أحد غلاة الشيعة في زمن المأمون. ثم قامت في عدن الدولة الزيدية من سنة ٤٧٦ الى سنة ٥٦٩. وفي هذه السنة دخلت اليمن برمتها في حكم الايوبيين الى سنة ٦٢٥، وفيها

قامت الدولة الرسولية الى سنة ٨٥٠ . وفيها قامت الدولة الطاهرية الى سنة ٩٠٦ ،  
 وفيها استولى عليها قانصوه الغورى . وما زالت تابعة لحكم المماليك حتى دخلت في حكم  
 العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانونى حوالى سنة ٩٥٠ . ولكنها اسحبت  
 منها سنة ١٠٤٣ لكثرة الثورات الداخلية التى كانت تقوم بها . فعادت حكومتها الى  
 الأئمة ، وكانوا نقلوا مركزهم الى صنعاء . وحوالى سنة ١٢٦٠ هـ زحف الامام محمد  
 ابن يحيى على تهامة ( اليمن ) وكانت في سلطنة شريف مكة واستولى عليها ، ودخلت زبيد  
 والحديدة في سلطته . فانهز الباب العالى هذه الفرصة وبعث حملة تحت قيادة  
 توفيق باشا الى اليمن ، فتخلى الشريف له عنها ، وتجا بر توفيق باشا مع الامام وانفعا على صلح  
 فحواه : اعتراف الامام بسيادة الدولة ، وأن يرتب له ٣٧ ألف ريال شهر يايأخذها من  
 ايرادات اليمن والباقي يقسم مناصفة بينه وبين الدولة ، وأن تقام في صنعاء قوة عثمانية مركبة  
 من ألف جندي . فلما علم اليمنيون بذلك ثاروا وقتلوا الحامية العثمانية ، وانسحب توفيق باشا  
 مجروح الى الحديدة ومات فيها من جراحه . و بقيت سلطنة العثمانيين في هذه البلاد على  
 الساحل الغربى لليمن أكثر من عشرين سنة . وبعدها جردت الدولة حملة على صنعاء  
 مدة السلطان عبد الحميد الخلع فاحتلتها ، وحجزت الامام في صنعاء وربت له مرتبات شهرية  
 وما زال بها حتى مات ، وتولى بعده رجل من أقاربه اسمه السيد حميد الدين ثم تولى بعده ولده  
 الامام يحيى الحالى ، وفي مدته كثرت المحاصمات بينه وبين الدولة وقامت من أجلها حروب  
 كثيرة بين اليمنيين والجنود العثمانيين كانت صنعاء تقع أثناءها في يدهؤلاء تارة ، وفي يد أولئك  
 أخرى .

وبعد الدستور العثمانى قامت فتنتان باليمن : واحدة بزعامة الامام يحيى ، وأخرى بعسير  
 بزعامة الادريسى . فأرسلت الجنود العثمانية تلوا الجنود الى اليمن لمحاربة الامام ، والى العسير  
 لمحاربة الادريسى . فسارت فرقة اليمن من الحديدة الى صنعاء التى استولت عليها بعد وقائع  
 شديدة . واستعصم الامام برجاله فى الجبال وأقام فى مدينة شهار ، ومن ثم لم يصل اليها شئ من  
 اخبار اليمن يعول عليه ، اللهم الا ما ورد فى التلغرافات العمومية من أن الدولة فوضت لقائد الحملة

اليمينية المخابرة مع الامام في الصلح ولم يعلم شئ مما آل اليه أمر ذلك الى الان . اللهم الا ما ورد في تلغرافات روتر بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٣٢٩ من ان الامام عرض على الدولة العلية بمناسبة حربها مع الطليان لاعتدائهم على طرابلس ، مساعدته لها بمائة ألف معادل من اليمن : وهو أكبر دليل على انضمام أطراف الدولة الى جسامها في الشدائد التي يجب ان تُنسى معها الاختلافات التي أوجدتها بعض الظروف بحق أو بغير حق ، ويد الله مع الجماعة .

• أما فتنة عسيرة فقد سار اليها الشريف حسين باشا من مكة في أوائل ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ ، بعد أن استنفر معه قبائل عرب الحجاز . ولما وصل الى قنفذه أتهرؤ وس قبائل عسيرة وقدمت له الطاعة فأمهم ، الا قبيلة خرشان فانها أتت ان تدعن لامره . فأرسل الامير اليهم ينذرهم سوء العاقبة ان هم أصروا على عنادهم وعصيانهم ، فلم يسمعوا له . فجهز عليهم جيشاً بقيادة ولده الشريف عبد الله بك ، فمهمهم بعد قتال شديد وأسر كثير من وجوههم ، وكان ذلك في ١٩ جمادى الاولى من السنة المذكورة . ثم سار الشريف مع عسكر الدولة فدخل مدينة أبها عاصمة عسيرة يوم ١٩ رجب ، ومعه شأت ناشا قائد الجنود العثمانية بعسيرة ، وبعد أن أقام بها خمسة عشر يوماً ركب فيها أمورها ووكدها نظاماتها ، نارحها عائدا الى مصيعة بالطائف على طريق عامد . ولكن بعد سفره وردت أخبار بمحاصرة العرب لها من جديد . ثم أعادتها أخبار عرض الادريسي للدولة مساعدته في حربها مع الطليان ، والله يلمهم ولا تآمور المسلمين ما فيه مصابحتهم وبه تكون حياتهم .

وأكثر شعور الدولة باليمن الحديده وسكانها . ٢ ألفا من أجاس مختلفة منهم الحبشي والسومالي والهندي والجاوي والعربي والسوداني . وهو أوها ردي لكثرة رطوبتها وحياتها . والطريق منها الى صنعاء بين جبال عالية يصعب السير فيها جدا ، وأشهر البلاد التي في هذا الطريق مناخه وتبعد بمسافة ١٥٠ كيلومترا عن الحديده ، وبمسافة ١٠٠ كيلومتر عن صنعاء التي بها مركز الولايد والتي ترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٥٠٠ متر . وعدد أهالي صنعاء ٢٥ ألفا منهم ٢٠ من العرب و٣ من الاتراك وألفان من الهنود ، وجوه هذه المدينة حار ومطرها كثير .

وأهم موانئ بلاد اليمن عدن وهي في يد الالانكيز من سنة ١٨٣٩ م. وهي الآن مركز تجارى مهم جداً بين الشرق والغرب. وموقعها الطبيعي من أمنع بلاد الدنيا: لانها في وسط جزيرة صخرية تتصل بالقارة بلسان من الرمل. وقد حصنها الالانكيز بما لا يقل عن تحصين جبل طارق، وبذلك كانت لهم الكلمة النافذة في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر. ومينا عدن تبعد عن مدية اقليلاً، وهي من الاهمية بحيث تراها على الدوام عاصبة باساطيل الالانكيز وكثير من المراكب التجارية وخصوصاً التي تسير بينها وبين البصرة أو بينها وبين بومباي ويقدر عدد السفن التي رست بميناها في سنة ١٩٠٨ م بنحو ١٨٠٠ سفينة، وبلغت وارداتها في السنة المذكورة سبعة ملايين وسبع مائة ألف ليرة. ومدينة عدن مشهورة بصهاريحها القديمة المنحوتة في الصخور والتي تملؤها مياه الامطار. ويبلغ عدد سكانها الآن ٥٠ ألف نفس، وكانوا عند استيلاء الالانكيز عليها لا يزيدون عن عشر هذا العدد. وأغلب سكانها من الهنود والسوماليين والاحباش واليهود وقليل من العرب. وعلى مقتضى المعاهدة التي عملت بين الباب العالي وحكومة الالانكيز سنة ١٩٠٤، جعلت أملاك الالانكيز في جنوب بلاد العرب ممتدة من بوغاز باب المندب الى نهر بانا شرقاً: وهو ما لا يقل عن مائتين وعشرين كيلومتراً طولاً على ساحل المحيط الهندي، وخمسين كيلومتراً في داخل البلاد. ومما يدخل في سلطة الالانكيز في جنوب بلاد العرب واحدة الشيخ عثمان المشهورة بسلطنة لحج (ومركز سلطانها الحوطه)، ثم جزيرة بريم الواقعة في مدخل بوغاز باب المندب ومساحتها ٨٠ ميلاً مربعاً وهي مركز تجارى مهم، ثم جزائر كور يامور يا على ساحل حضرموت.

وكل هذه الجهات تابعة ادارتها لحكومة عدن التي هي تابعة لامرأطورية الهند. وللانكيز عد ذلك شبه سيادة على الحكومات الصغيرة التي في سواحل حضرموت، لانها تعطى ملوكهم مرتبات بدعوى عدم تنازلهم للمالك الاخرى عن شئ من أملاكهم: وأهمها سلطنة المسكلة، وسلطنة متهره، والشحر، وتريم.

وهذه البلاد على الساحل الجنوبي لحضرموت الا تريم فانها تبعد عنه بنحو ٢٠ كيلومتراً

واهلها يتكلمون بلغة يسمونها بالعميلية ، وهي غير العربية واعلمها مستمدة من لغة البلاد الاصلية التي يسمونها بالمسند وهي لغة حمير .

### — عمان —

حكومة عمان وتسمى امامة مسقط واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب . وكل ساحل عمان عامر بالبلاد والسكان ، وطوله من نجرم يبط الى بحيش جزيرة القطر نحو ٢٢٠٠ كيلومتر . وعرضه في داخل البلاد الى الغرب نحو ٣٠٠ كيلومتر ، وعاصمتها مسقط . وتنقسم البلاد الى البطنة ( تهامة ) ولا تمتد اكثر من ٤٠ كيلومترا اغلبها مغطى بالنخيل المشهور بجودة ثمره ، ثم الى قسم الجبال وأكبرها الجبل الاخضر وارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر ، وفيه كثير من الغابات والاحراش . ويوجد بين هذه الجبال وديان كثيرة خصبة تسقى بواسطة مجارى ماء لها خزانات وسدود ، كما كان شأنها في هذه البلاد من قديم الزمان . وأهم حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والرسم والنيسلة والخضر وكثير من انواع الفاكهة لاسيما الجوز الهندي والمانجو ، ومن محاصلها خشب الند والصندل والصمغ العربي والصبر والتبناك . وفي جبال هذا الاقليم كثير من المعادن وبالاخص الحديد والرصاص والنحاس والسكريت والملح الجبلى . وعلى سواحلها مغاصات كثيرة للؤلؤ وأشهرها في مسندن سحار ، ودمار ، ومسقط . وأهل السواحل يشتغلون بصيد السمك و يصدرون منه كميات كبيرة الى بلاد العمجم وغيرها ، ويحفظون منه كميات كثيرة ، وما يبقى من التصدير يغذون منه البقر ويسمدون به الارض . وهذه البلاد مشهورة بنخيلها وبقرها وغنمها ، وجوها حار كثير الجفاف .

وعدد أهالى حكومة عمان يبلغ مليوناً وستمائة ألف شخص . ومساحتها لا تقل عن ثمانين ألف ميل مربع ، وعاصمتها مسقط أو مسكت وسكانها ٢٥ ألف نفس ، وبينها وبين مكة أكثر من ألفين كيلومترا . ولها ميناء صغيرة ترسو السفن فيها . وتنقسم سكانها الى قسمين : البدو أو سكان الخيام وهم قوم رُحّل وراء المرعى وفي الغالب من العرب العدنانية ، ثم المتحضرون ويقال لهم العمانيون وهم خليط من الهندود والعمجم والبلوچستان والعرب والزنج .

وأهل عمان على مذهب الاباضية المنسوب الى عبد الله بن أباض المرسي ( من المريّة من أعمال طرابلس الغرب ) الذي استولى على افريقية الشمالية سنة ١٥٢ هـ وادعى فيها الخلافة . وكانت عمان تابعة لحكم التبابعة ، وأسلمت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت الخوارج تلجأ اليها هرباً من خلفاء نبي أمية والعباسيين ، لبعدها عن العمران الاسلامي . وكان تجارها ينتقلون في جزر المحيط الهندي مثل جاوة وسومطرة وغيرها من سواحل أفريقيا الشرقية . ومن كثرة احتكاكهم بأهل تلك البلاد اذا عاوا فيهم دين المسلمين وقبحوا لهم الوثنية ففسحوا فيهم الاسلام . وكثر تواردهم الى تلك الجهات وتقرّبوا من أهلها بالمصاهرة وما زالوا حتى أصبحت لهم الكلمة فيهم والسيادة عليهم .

وفي سنة ١٥٠٨ م استولى البورتغاليون على سواحل عمان واتخذوا مسقط قاعدة لغاراتهم البحرية ، ووجهوا عناية بهم لتحسينها . ولما استولى الشاه عباس على جزيرة هرمز سنة ١٦٢٢ ، لحأ أهلها الى مسقط فزادتهم أهميتها . وفي سنة ١٦٥٨ ثار أهلها الى مسقط على البورتغاليين وطردهم من أرضهم . و بعد مدة استولى الهولنديون على مسقط فطردهم أهلها . ثم أتى الإيرانيون بقصد فتح بلادهم فاستصرخ العمانيون بأحمد بن سعيد حاكم الشحر ، فحضر وساعدهم على طردهم ، فبايعوه ونادوا به سلطاناً عليهم في سنة ١١٦٧ هـ . وامتد حكم ابن سعيد شمالاً الى جزيرة القطر وجزائر البحرين ، وجنوباً الى حضرموت وظفار ، ثم توفي سنة ١١٨٨ هـ ، وتولى مكانه ابنه عبد الصمد . ولما مات تولى بعده ابنه سلطان بن عبد الصمد . ولما مات تولى عمه سعيد بن أحمد بن سعيد . فأدرك أهمية مركز بلاده الجغرافي وعرف أن مستقبلها مرتبط بالقوة البحرية . فاشأ أسطولاً من كبا من ثلاثين سفينة حربية ، وسلحها بالمدايع واستولى بقوته على جزيرة هرمز في الخليج العجمي ، ثم استولى على جزيرة سوقطرة وجزيرة زنجبار ، ثم وضع يده على سواحل زنجبار ورأس غاردافوي : و بذلك أصبح له السلطان المطلق في خليج العجم والبحر الهندي . وأنشأ طرقاً كثيرة في بلاده التي أصبحت محط الرحال للتجار من الهند وفارس وشرق أفريقيا ومصر . وكان الوهايون قبل هذا الزمن قد أغاروا على عمان ووضعوا خراجاً

سنو يا على صاحبها، ولكن السلطان سعيد امتنع من أدائه اليهم . فاعاروا عليه وأحرقوا كثيرا من بلاده ولم ينقذهم الا نحو لهم عنه الى حرب ابراهيم بن محمد على باشا الذي قضى عليهم القضاء المبرم . بعد ذلك مال سعيد الى الراحة، فباع اسطوله وقسم مملكته بين أولاده الثلاثة: فجعل زنجبار وما يليها من سواحل افر يقيا وجزيرة سوقطرة الى ولده ماجد، وجعل القسم الشمالى من مملكته وهو جزائر خليج البصرة وما يليه من الساحل الغربى لابنه الاكر التوينى ، وجعل القسم الجنوبى الى ابنه تركى .

ولما توفى سعيد طلب التوينى من أخيه ماجد أن يؤدى اليه خراجا سنويا فلم يقبل . وقامت بينهما الحرب مدة سنتين حتى تداخل الاككيز وأصلحوا بينهما على أن يستقل ماجد بزنجبار ، وأن يؤدى فى نظير ذلك الى أخيه التوينى كل سنة أربعين ألف ريال . ثم نار ع التوينى أحاه تركيا فى نصيبه فقم الناس عليه وانصوا من حوله وابعوا أحاه تركيا، وساعده الاككيز على دخوله مسقط . فهرب التوينى الى فيصل الوهانى ، فارسل معه جيشاً بقيادة ابنه عبد الله واستولى على بلاد عمان وسلمها الى التوينى ، واهرب بالحكم فيها حتى توفى سنة ١٢٨٥ هـ . وخلعه ابنه سالم فقبض على عمه تركى وسجنه ، ثم أخلى سبيله بـداخلة الاككيز فسافر الى بومباى . أما سالم فانه نار عليه فى السنة الثالثة من حكمه رجل من قرابته اسمه عزان، ونزع منته الملك . وبلغ ذلك تركيا وهو فى بومباى فاسرع الى بلاده وقتل عزان واستولى على عمان سنة ١٢٨٧ هـ . وكان أخوه ماجد قد مات فى زنجبار، فعين أحاه برغشا سلطانا عليها .

ومن ثم بقيت حكومة عمان على غاية الصفاء مع الاككيز . ومن سنة ١٧٩٨ م الى الآن عقدت بين الحكومتين جملة معاهدات تضمن بها للسلطان مرتباً شهريا من خزينة الهند وتكفل له استملاكه وحفظ الامن فى داخلة بلاده، وذلك كله فى نظير عدم تنازله عن شىء من بلاده الى حكومة أخرى .

ومن هذا الوقت أخذت يد الاككيز تمتد الى أطراف هذه المملكة واحدا بعد الآخر: فاستولت على جزائر كور يا مور يا سنة ١٨٥٤ م، وعلى جزائر خشم الواقعة فى مضيق هر من



سنة ١٨٧٦، وفي هذه السنة نفسها أعلنت حمايتها على جزيرة سوفطرة . وكان سلطان زنجبار تنازل سنة ١٨٩٠ للمانيا عن قسم من بلاده يبتدى من مصب نهر روفوما جنوبا وينتهي الى ونغاشمالا في ممال ٤ ملايين مارك . فبادرت انكلترا ووضعت يدها على ما تبقى لسلطنة زنجبار من السواحل ، ثم أعلنت حمايتها على جزيرة زنجبار نفسها ، وبعدها عقدت معاهدة مع ايطاليا استولت هذه بموجبها على قسم مما يلي بلاد الصومال .

### — جزائر البحرين —

أهم هذه الجزائر جزيرة عوال ، وفيها نحو ستين قرية صغيرة وعاصمتها مدينة منامه وسكانها نحو ٢٥ ألف نفس ، والى جوارها جزيرة اراد . وأصل سكان هذه الجزيرة من عمالقة طسم وجديس ، ثم استولى عليها الفرس ، وصارت تابعة لحكم المتأذرة ملوك الحيرة ، ثم دخلت في سلطنة المسلمين في السنة السادسة للهجرة مدة حكم العلاء الحضرمي على إقليم البحرين . ثم استولى عليها البورتغاليون ثم الايرانيون ثم امام مسقط ثم الدولة العثمانية ، وبنازعها فيها الان الدولة الانجليزية ويصورها كل منهما بلون بلاده على الخرائط الجغرافية . ويحكمها الان الشيخ عيسى بن علي تحت حمايه حكومة الهند . ومن أهم حاصلاتها اللؤلؤ ، وقد بلغت صادراتها سنة ١٩١٠ مليوناً ومائة وسبعين ألف ليرة انكليزية . ويقدر عدد سكان جزائر البحرين بمائة ألف نسمة .

### — نجد —

نجد هي القسم الواسع الواقع في وسط جزيرة العرب ، وفي منتصف المسافة بين المدينة و بغداد . ويقسمونه الى قسمين : الشمالي وهو الحائل وما والاها ويسمونه نجد الحجاز ، والثاني العارض وما يليه ويسمونه نجد اليمن . ومعنى نجد الشيء المرتفع ، فهو مرتفع عن تهامة وهي الارض التي تلي البحر . ويرتفع سهل نجد عن سطح البحر نحو ١٢٠٠ متراً . وفي هذين القسمين جبال مشهورة بكثرة خيراتها ، منها جبل سلمي ، وجبل طويق ، وجبل أجأ .

ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ، ومن الغرب صحراء الحجاز، ومن الجنوب البادية الكبرى، ومن الشرق اسان من الدهناء، ولذلك كان الوصول اليها لا يخلو من المشقة .

### — شمير —

شمير واقعة في منتصف المسافة بين مكة والبصرة وهي عبارة عن جبل شمير وجبل سلمى . والودية التي بينهما صالحة للزراعة، وفيها كثير من البساتين، ويقدرون مسطحها بأربعين كيلو متراً مربعاً . وهذه الجهة ادارتها في يد آل الرشيد ومركزهم مدينة الحائل، وسكانها نحو عشرين ألف نفس . وفي جنوبها قصبية تسمى كفار، ويقدرون سكانها بثمانية آلاف نفس . وفي شمير نحو أربعين قرية كبيرة تحيط بها غابات النخيل، وأغلب سكان شمير من ذوى الخيام ويقدرون بنحو أربعين ألف نفس، كلهم من أهل الساحة والنخوة . وأشهر حيوانات هذه الجهة الخيل ، وهي أجمل أنواعها في الدنيا بأسرها، ويوجد عندهم الحمير والابل والبقر، وتكثر عندهم الاغنام ، ويوجد في جبالهم النعام والبقرا الوحشى والفهد والثعلب والذئب والغزال والاربع وعيد ذلك . والى شرق شمير بميل الى الجنوب بلاد القصيم . وأغلب أرضه وديان خصبة تزرع فيها الحبوب على اختلاف أنواعها ، وكثير من أصناف العاكمة كالعنب والرمان والزيتون والمشمش والبطيخ والفاوون، وفيه كثير من النخيل . وفي وسط أرضه أكمات تكثر فيها الغابات . ويقدرون عدد أهلها بثلاثمائة ألف نفس ، كلهم يسكنون الخيام الا العليل منهم فانه يسكن القرى التي لا تزيد عن ثلاثين قرية، وأشهرها بريدة وعنيزة . و بلاد القصيم نصفها الشمالى تابع لامير شمير، والنصف الجنوبى تابع لامير الرياض .

### — العارض —

هي جبال نجد اليمن، وهي المشهورة بنجد الان، واذا أطلق هذا اللفظ فلا ينصرف الا عليها . وعيون هذا الجبل غزيرة وأوديته كثيرة وفي غاية الحصونة، وتكثر فيها المزارع والبساتين .

وهذه البلاد الان وما والاها من بلاد القصيم في حكم آل سعود، وعاصمتها الرياض، وهي من أهم مدن نجد. ويكثر في هذه البلاد النخيل والحيوانات الالهلية وأخصها الخيل والابل والنعيم. وأغلب أهلها أهل بادية، ويقدر عددهم بنصف مليون نفس، وكلهم وهابيون.

وأمارنا الرياض والحائل تابعتان لتصرفية نجد التي يدخل في دائرتها الحسا ومرزها مدينة الحسا. وكلها داخل في دائرة ولاية البصرة. ويشتغل أهل السواحل بالتجارة وصيد اللؤلؤ والاسماك ويحفظونها ويصدرون منها الى الخارج كميات وافرة. وأعمار بلاد الحسا قضاء القطيف، ثم البلاد التي جنوبها الى بحيمجزيرة المطر، وغالبها صحارى رملية وتكثر المزارع فيها الى جهة السواحل وفيها النخيل بكثرة. وبلاد الحسامشهوره بالأحمر الحساوية ويكثر في فيا فيها السباع والنعام وحمر الوحش. ومن صناعة هذه البلاد العبي المشهورة وغير ذلك من المسوجات وبعض الاعمال النحاسية. وهواء البلاد حار كثير الخفاف ونحى، الا في القطيف فاندرب لكثرة المستنقعات التي حولها. وتنقسم هذه البلاد الى أربعة أقضية قضاء الحسا، وقضاء القطيف، وقضاء القطر، وقضاء الحموف، وهو أكبرها وأوسعها. وعدد سكان الحسا يقدر بخمسة وثلاثين ألف نفس نصفهم أهل حضر والباقي بدو. ويوجد في الحسا مياه معدنية بكثرة، وأرض هذه البلاد تسقى من الاحساء (مفرده حسا) وهي الجداول الطبيعية. وقد تجتمع جملة جداول وتصب في بركة تكون خزانا مستديما لتي الاراضى.

## اخلاق العرب

العرب أخلاقهم في البادية واحدة في الغالب من قديم الزمان: فهم أهل صدق ووفاء وشهامة وشجاعة وكرم. شديدو الغيرة على سائهم ولا قيمة للحياة في نظرهم الامع العزة. يأنفون العار ويحفظون الجوار ويدافعون عن دخل في وجههم (حماتهم). وادابغي بعضهم على شخص فمال لهم أنافي وجه فلان يعنى رجلا من قبيلتهم ولوفى غيبته رجوعا عنه واحترموا حماية صاحبهم. يعرفون المعروف لصاحبه ولا تأخذهم في الحق لومة لائم. وهم أبعد الناس عن

الرباء والنفاق وكلامهم كله صراحة وليس فيه من الفاظ التعظيم وجمل النعظيم ما تضييع معه  
الخميمة : فهم يادون أمير مكة وهو في منزلة الملك منهم ، فلو لم يشارف كما كانوا ينادون  
الرسول ، فلو لم يشارفوا على السامهم وسلاحهم أقرب الاشياء الى يدهم .  
الربيع عندهم خبر الايام واللحم سبب الطعام وهم أعد الناس عن التأني في الأكل والملبس .  
يعبر قوتهم على صغيرتهم وكثرون من غرو وعصم المعص ولا يترك الرجل منهم تأردمها  
كان ضعيفا . وادامه سسرله أن يحصل على حنوفه من عريمه شخصيا كان له في عرفهم أن  
يعبر على حنوفه وهو أي شخص من قبيلة يحصل معه في اسمه الى الخد الخامس . وادامه  
شخص آخر ولم يمكن صاحب الدم أن ينجس من الغالب قبل تداؤه أو حاله أو عمه أو أحد  
منهم . وقد استنط الخصاص وعضهم رضى بالدين في قبيلة وهي عندهم بما تائة ريال في  
العمد والى في الخرد عميرد آلاف في الرجل السريف . وادامه قبل أحدهم أو ففوه في غيره حتى  
يأخذوا بتأرد وعمدها بمنحون حنوفه وبنموه في فراشه الا حرمم تا على زعمهم مما  
صنعوا . ومن عواندهم الماءة وهي أمداد قبل أحدهم يذهب أهل المال الى أهل المقتول ولا  
يشربون لهم فبونه ولا أكلون طعاما . فاداستلوا عن حاجتهم سألوهم الماءة وهي بأجيل  
المطالبة بالخصاص شهرا أو شهرين فيقبلون منهم أحلامهم في الغالب . وعليه يكون الغالب في أمن  
على نفسه طول هذه المدة الى تختهدون أسماءها في الاتفاق مع أهل المقتول على الصلح أو الولية .  
فادا انقضت دور ان سمنوا طالموهم بالخصاص والاباروا لا يسهم بأي طريقة .  
وإذا أتهم شخص منهم وأسكر أو انه الى الملتحس هو رجل مخصوص عندهم ويأتي  
تحديدته في النارو بالحسد اياها . وهم يرمون أنه اذا كان صادقا لا تضره والا فانها تحرق  
لسانه . وعضهم نخطد انرد في الارض يوقف فيها المنهم ويحملهه ويعتمدون أنه اذا كان كادنا  
لا يمكنه الخروج منها مطلقا . أما المحضرون من العرب أو الدين لهم صلته بأهل الحضرة كالجالة  
والمؤمنين مثلا فأخلافهم أقرب الى أخلاق الحضرة منها الى المداوذة ، والطمة السافلة منهم في  
الغالب من أمر ما يوجد من نوع الانسان على العرب . وربما كانت حاجتهم الى العيش هي  
التي ترمي بهم الى انثلاف العيوب وافتراء الذنوب . وليست أخلافهم مما يؤخذ على أخلاق  
العرب في جموعها : وأمثالهم في جميع الامم كثير .

## ﴿ جدول القبائل الموجودة ببلاد العرب ومساكنها وعدد نفوسها ﴾

اسم القبيلة	الطون المنقرعة منها	عدد	مساكنهم
عزده	«(مائل الحجار)» الحسنة . حلاس . (ومهم الزواله والمخالف) و بشير ( ومهم ماجد وسليتي ) وأولاد علي ( ومهم المشارفة . المشطا . الحة أمده . الجدامة وطلاح ) .	٣٥٠٠	شمال المداسة في شرف مدان صالح إلى خسر .
الحويطات	الحازمي . الرياضات . عمران . بنى عطية . دبور . بدول . السماحة . البرابين . والطححة	٧٠٠٠٠	من محطة العلاء إلى معان والعمدة وغرده .
بلى جهميه	بنى مالك ( و تنفرع منهم فمائل الصبيحة . العباشة . عروه . كومه . سديبات . الخصيبات . الاساوره . المسادي . الرفاعة . بنى كلب . الحمادله . الحمده . والموالند ) . ثم بنى موسى ( و تنفرع منهم البراهمه . الموالم . المراديين . العلاوس . ريمان . العوامره . بنوه . والسماحة ) .	٣٠٠٠٠ ٥٠٠٠٠	من العمدة إلى جنوب الوجه شرف وشمال المدينة إلى الوجه
{ عس (١) { هيم	مهميزان . دوى الرشيد . دوى رالك . النوامسة . التراراب . والهيمان .		وهي قبيلة صغيرة في شمال ناسع
حرب	بنى سالم ( ومنهم مهمون وسفرع إلى محامده . رلاو وعه . رحله . عمرو . حيدر . أحامده . صبيح ثم المراوحة وهي الحوارم وتنفرع إلى بوامسة . فراي . ظواهر . جنول . حنيطاب درعات . مجلده . مزينه . ردادده . حباينه ) ثم بنى مسروح ( وتنفرع منها عطور . مناشك لشر . معبد . التلا ديه . حمران . المدارس بنى جابر . عوف . زبند	٨٠٠٠٠	وهم يسكنون من الحمره شمالا وشرقا وغربا إلى عسفان

(١) عس هذه هي التي كان لها في الخاهلية ذلك الخاء المبيح . وكان إلى القرن الثامن الهجري  
بؤنة فاعتد على حراياهم فقمم العرب عليها وأوقعوا بها فتب شغلها إلى اليمن وغيره ومن ثم صعد أمرها .

إسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
الذخاولة <sup>(١)</sup>	* (قائل الحجار) * (١) قبيلة حقيرة في صواحي المدينة يسعملهم أهلها في خدمتهم وفي زراعة نباتينهم وحقولهم وهم رافضة ولا يسمون أباءهم بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة . ويسمون أولادهم المرون وهم يخلون بكاح المنة . وأهل المدينة لا يسمونهم دويش . معيون . نبي عبدالله	١٢٠٠٠	شرق المدينة شمالا الى نجد وجنوبا الى الصفيينة .
مطير	.	٤٠٠٠٠	شرق المدينة جنوب الى حاذه
بنى سليم عنيبة	رقاويريا ( ويتفرع عنهم ما قبائل روسان . الروقة . الشيبانين . الدجاجين . العصمه . جذعان . والحنا تيس ) .	٢٠٠٠٠	شرق المدينة جنوب الى حاذه طريق الشرق بين مكة والمدينة
قريش	.	٢٠٠٠٠	شمال عرفة والطائف .
هذيل	العلويين . التدويين . بنى خالد	١٠٠٠٠	الجبال التي بين مكة والطائف
ثقيف	نوسفنيان . نوسعد . باصره . ربيعة . عيلد .	٣٠٠٠٠	جنوب وشرق الطائف .
القوم الجوم	.	٢٠٠٠٠	شرق الطائف .
عدوان	.	٢٠٠٠٠	» »
بنى الحارث	.	٢٠٠٠٠	» »
بنى سعيد	.	٣٠٠٠٠	جنوب الطائف .
بنى لحيان	.	١٥٠٠٠	بين مكة وجدده .
الجحادله	.		وادي يللم الى البحر .
قبائل	بنى فهم . يزيد . بجاله . منعان . أشراف ذوى ريد . بنى هلال . بنى عفيف . أشراف ذوى حسن . بئلا سود . بئلا عور . بنى سليم بنى عمر . بنى على . بنى زيدان .	١٠٠٠٠	جنوب مكة وعلى طريقها الى الليث .
قبائل	رفاعة العبيدات . الهجالة . بنى كبير . أكلوب . العبادله . البيشة . بنى سعد . بنى ساعد . ميمون . بنى مالك . زهران . غامد . شهران . وبلقرن . بنى الاسمر . ناصر . بنى الاحمر . وشهران .	٦٠٠٠٠	شرق الطائف الى الجنوب . في جنوب الطائف الى عسير .

مساكنهم	عدد	البطون المتفرعة منها	إسم القبيلة
		<b>قبائل عسير</b>	
شمال وجنوب العسير	١٠٠٠٠	بنى علفم . رفيره . بنى ربيعة . المقيد .	قبائل
جنوب العسير شرق	١٠٠٠٠	رفيف . عبيدة . شريف . سحان . و راعه	قحطان
في وادي نجران	٣٠٠٠٠	ذوى محمد . وذوى حسين .	يام
		<b>قبائل اليمن</b>	
شمال القنفذه	٦٠٠٠	بنى زيد . بنى حرب . بنى عبس . و بنى سهم	بأبعر
في وادي وثبه قرب القنفذه	٥٠٠	بنى بحير . و بنى الروحه .	قبائل
وادي حلي قرب وادي وثبه	٤٠٠٠	آل منثشر . بأعريان . العوامر . بكيناى	»
قرب العرايش	٦٠٠	بنى سبيل . بنى شميل . وجيزان .	»
بين جيزان و الحية شمال الحديدية	١٥٠٠	بنى مروان . حرّض .	»
بجوار الحية	١٠٠٠	بنى قصير . بنى جامع . بنى شيبه . بنى شابع	»
وادي الواعظات شرق الحية	٧٠٠٠	بنى رين . بنى راجح . الفراته . بنى طاهر . و بنى هيجان .	»
قرب وادي الواعظات	٥٠٠	بنى حسن . بنى عبس . أسلم .	»
بين جبل برط والجوف	٣٠٠٠٠	آل مره . الكرب . الصميعر .	»
بلاد حاسد شمال صنعاء		نهم . أرحب .	»
شمال الحديدية	١٠٠٠	عمران .	»
شمال صنعاء	١٠٠٠	همدان .	»
قرب صنعاء	٣٠٠٠	بنى مطير .	»
قرب صنعاء غربا	١٠٠٠٠	البرويه .	»
جنوب صنعاء	٤٠٠٠	الخصور .	»
شرق صنعاء	٦٠٠٠	بنى شداد . خولان . بنى جبير . عبس . فلاح ضبيان . مجاهد . قيس الاعماس .	»
في وادي دُغن جنوب شبام	٢٥٠٠	آل عمورى . المراشده . القيشن . الخامعه . قبائل حزموت	قبائل
في وادي لسير أحد شعاب		و نوح . الحالكه . آل محفوظ . آل يزيد . آل بطاطي	»
وادي دُغن		و آل كثير .	»
في وادي العين	٥٠٠	آل العوابسه .	»

إسم القبيلة	البطون المتفرعة منها	عدد	مساكنهم
قبائل	باصليب . بايس . نبي ماضي . الجمدة . الصمّره . نهب . و نبي محاشن .	١٥٠٠	وادي عمد
»	نبي حيدره . نبي الليث . وشحا .	٥٠٠	وادي رفيه
»	آل بالعبيد . الصيغر . ونافع	٢٥٠٠	وادي دهر
»	آل كثير . العوامره . آل باجري . آل جابر	٦٠٠٠	وادي بن راشد
»	وآل تميم .	..	..
»	يافع .	٢٠٠٠٠	الحبال الواقعة شرق شمال عدن
»	العواليق . آل ديب . آل عبد الواحد . شيبان	٥٠٠٠	بين عدن والمكّه
»	العكابره . و نبي حسن	..	..
»	آل حموم .	١٠٠٠	حوار الشجر
»	نبي هود . مناهل . ومهره	٢٠٠٠	بين قريني هود وظهار
»	آل كثير .	٥٠٠	ظفار وماحولها
»	قرا . والشجره .	٣٠٠٠	الحبال المشرفة على ظفار
»	السادات العلويه .	٣٠٠	حضر موت
قبائل عمان	نوشعاب . الفاريون	..	..
قبائل الحسا	قبيلة الطرة .	٣٠٠٠	في أطراف القطيف
»	قبيلة نبي هاجر .	٤٥٠٠	غرب القطيف
»	بنو خالد ( بن الوليد )	١٠٠٠٠	غرب الحسا
قبائل نجد	بنو سبيع .	٦٠٠٠	بين الرياض والحسا
»	قبائل عنزة ( بطن من التي بالحجاز ) . الذي	١٤٠٠٠	بن المدينة المنورذوالقصيم
»	الفرم . نبي سالم و نبي يحيى .	..	..
»	العجمان وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية	٦٠٠٠	شمال الرياض
»	قبائل قحطان ( وهم غبر قحطان اليمن )	٣٠٠٠٠	بنه قسمون الى قسمين الاول بين الرياض وربنه والثاني بالحوطة
»	قبائل الضعيفات . الحماقره الرابعة . نبي	١٥٠٠٠	وادي الدواسر جنوب الرياض بمر
»	بنو ساجه . بنو لحم . بنو حيتم . عرب الاخايل	..	في القصيم
»	( ويقال انهم تقيّة من نبي هلال المشهورة )	..	..







# سفر الجناب العالى

## من مصر الى جدة

طالما كانت تتوق نفس مولانا الخديو ﴿عباس باشا حلمى الثانى﴾ الى حج بيت الله الحرام وزيارة بيته الكريم . وكانت هذه الفكرة المعدسة تتردد في خاطره من سنة الى اخرى ، حتى تأكدت عزيمته على أداء هذه القرية في شهر رمضان الماضى سنة ١٣٢٧ فأصدر أمره السامى بتجهيز ما يلزم لسفره الى الاقطار المجازية . وفي شهر رذى الفعدة أخذ حوطه الله في تعيين من يلزمه في هذا السفر الميمون من رجال معيته الفخام ومن غيرهم من العلماء الأعلام والذوات الكرام . وبالجملة فقد صدرت ارادته السنية تشريفى بالسفر فى خدمة ركابه العالى ، وصدر الأمر الى بعض الحاشية الخديوية من ملكيين وعسكريين بالسفر معهم الى جدة وبعضهم الى مكة لا تنتظار تشريف جنابه السامى بهما ، نخص بالذكر منهم أصحاب السعادة أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى العربى والافرىكى (مدير الأوقاف العمومية حالا) وحسين محرم باشا السرىاورا الخديوى ومهمندار جنابه العالى فى هذه الرحلة المباركة (وكيل الحرية حالا) ومحمد عزت باشا رئيس الديوان الخديوى التركى واحمد خيرى باشا ناظر الاوقاف الخصوصية وأحمد صادق بك وكيل الخاصة الخديوية ومحمود بك محمدرئيس قلم عنخالات المعية السنية وفضيلتلو الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الأزهر الشريف والسيد محمد البىلاوى من علماء الاره ووكيل الكتبخانة الخديوية المصرية والشيخ محمد عاشور مفتى الأوقاف الخصوصية وغيرهم من حضرات ضباط الحرس الخديوى .

وفي يوم السبت الموافق ٢٦ ذى القعدة ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩ كانت تشریفات الوداع ، فامتلات أرجاء سراى عابدين بصنوف المودعين ، وتواردت الوفود من جميع أنحاء القطر للنم هذه اليد المباركة بحال لم يسبق لها مثیل ، وفلو بهم تبتهل الى الله تعالى بأن يحفظ ملك البلاد المحبوب ، وأن يردده اليهم قريبا بكل ما يرجون له من كمال الصحة والعافية . ولم تقتصر هذه العاطفة على المسلمين ، بل كنت ترى المصریین على اختلاف أديانهم مشتركين في السرور بهذا الاحساس الشریف والشعور الخي الذي تحرك في فؤاد ملك من أكرم أمراء الاسلام للقيام باداء هذا الواجب الدينى الاجتماعى ، مؤملين من ورائه الخير والسعادة العظمى إن شاء الله الاسلام وأهليه عموماً ولمصر وبيها خصوصاً .

وفي ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٧ صدر الى عطوفه رئيس النظارة امر العالى الآتى . « قد شاءت الارادة الالهية بتحقيق رعبتما فى اداء فر بصة الحج وزيارة الروضة الطاهرة السوية على صاحبهما الصلاة والسلام ، فعزمنا على السفر لهذا النصد الخليل فى هذا العام . ولونوقما فى عطوفتكم رأياً أن تتموا منامنا مدد غياننا فى اداره شؤون حكومتنا بما عهدده فىكم من الخبرة والدراية ، وقد أصدرنا هذا اليكم ذلك راجين من الخى عرشاً دأن يوفىكم مع حصرات النظارة زملائكم لما فيه سعادة الامة وخير الملامد .

والمالرحوأن يكون توجهما الى تلك الأقطار المباركة ووقوفنا بالذات على أحوال الخجاج المصرين وحاجاتهم باعناً فى المستقبل لراحتهم واطمئنان بهم ، خصوصاً فى هذا العهد عهد مولانا خليفة المسلمين السلطان محمد الخامس ؑ أعزده الله وأيد ملكه بالعدل والتوفيق .

هذا وسرفع أكف الصراعة الى مقام العزة الالهية فى تلك الجماع الطاهرة بأن يوفىنا الى خدمة الامة العز يزده المصرين التى لا تقارفها إلا وفلسامعها وكرام مشغله ما يؤدى الى خبرها ومجدها فى الحال والاستعمال ، كما ساعلى يفتن من أن دعواتها الصالحة تكون ملازمة لنا فى الحل والترحال إن شاء الله » .

وفي الساعة السابعة والديفة الأربعين من صباح يوم ٢٩ ذى القعدة سنة ١٣٢٧ ، وهو اليوم الذى تمر فيه رسمياً سبدر الحباب السامى ، تحرك المطار الخصوصى من سراى

الغبة متقلا للحضرة الفخيمة الخديويه و بعض الحاشية الكريمة . فوصل الى محطة مصر حيث كان في انتظار جنابه العالى أصحاب السعادة النظار الكرام والعلماء الأعلام ووكلاء الدول وقاصليها وكل من في مصر من الدوات وأصحاب الحيات و بعد ان صاحبهم حفظه الله مودعا من الكل بالدعاء الصالح ، أشرف حضرات النظار بالركوب مع سموه ، وسافر القطار على بركة الله تعالى الى السويس . وكانت جميع محطات السكة الحديدية مزدانه بأجر الزينات الباهرة ، وفيها مالا يحصى من جموع المودعين ، لاسيما في محطتي نها والزقازيق اللتين احتشد فيهما خلق كثير يضرعون الى الله تعالى بأن يرد عليهم أميرهم محمود والعودة محروسا بالعباية الصمدانية . ومارال النظار سائرا تشيعه الملوب حتى وصل بسلامة الله الى السويس ثم الى محطة الحوض في الساعة الأولى بعد الظهر . وهناك كانت معالم الريات في أحمل مظاهرها، وكان المستمبلون من علية المصريين لا يحصون عدداً، حيث قامت الى السويس فطير مخصوصه من جميع جهات المطر تمل وفود المودعين من عواصم الثغور والمدريات، وفي مقدمة الجميع حضرات أعضاء الجمعية العمومية ومجلس شورى القوايين يتقدمهم صاحب الدوله والنجاهم الرس حسين كامل باشا ( وكان رئيساهما ) فلما وقف المطار رل الحناب العالى وصافح دولته وكل من كان حاصر رأس الامراء والعطاء شاكراً لهم تحملهم هذه المشقة ، وأبني عليهم بلسان كلد عطف وحنان ، ثم التقت الى دوله الرس قائلاً له : إني أشكرك من صميم فؤادى لا تصمتك رئيساً للشورى والجمعية العمومية فقط بل تصمتك كبرالبيت الخديوى — فلم يمالك دوله الأمير نفسه تلاءم هذه الكرامة الكرى والعاطفة الشريفة أن درفت عيناه بالدموع وقال محبياً عن هذه العبارة السامية الرحمة : لست يامولاى مهما نابغ من أمرى عبر عمد من عبيدكم الخاضعين المخلصين لعرشكم ، قد امتزت شرف المرينى من سموكم ، فحنى الحناب العالى رأسه لهذا الخواب الذى كان له لأجل وقع في نفوس الحاضرين ، لأنه جمع الى محض الاخلاص جليل المحبة والولاء .

وهناك صعد الحناب العالى الى واوور المحروسة ، و بعد أن استراح قليلا ابتدأت التشرهات بحال كنت تتخيل معها انك ترى عيانا عاطفة هذا الامير الخليل المحبوب تتعاقب

مع عواطف رعيته الصادقة المخلصة ، وكنت كأنتك تشاهد الدعاء الذي كان يخرج من أعماق القلوب صاعداً إلى السماء رجاءً إلى الله تعالى أن يحفظ هذه الذات السامية وأن يعيدها إلى ملكها بعد أداء هذه العريضة المقدسة في صحة تامة ومسرة عامة . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر تحرك اليخت قاصداً جدة ، وكان مقبلاً للجناب العالى وصاحبة النخامة والدوسموه الرفيع وصاحبات الدولة الأميرات السنيات عطية هانم أفندى وفتحية هانم أفندى كريمة الحضرة الحديوية العظيمة والربسيس فاطمة هانم أفندى عمه جنابه السامى ، وكن قد حضرن مع دولة الوالدة على قطار خاص وصل إلى السويس قبل تشریف الجناب العالى إليها .

وما زال اليخت سائراً حتى حادى ثغر رابع من الشاطئ الشرقى ، وهو على عرض ٢٢ درجة و ٢٨ دقيقة وطول ٢٨ درجة و ٥٨ دقيقة ، و بينه وبين جدة مائة ميل وتسعة ، فأحرم الحجاب العالى إحراماً كاملاً هو ومن كان في معيته من الحجاج ، واستقرت الباخرة في سيرها حتى اداصارت على بعد ساعتين من جدة ، أخذت مياها تظهر شيئاً فشيئاً حتى تجلت للعيان بيضاء ناصعة ، وظهرت في جنوبها ضيعة صغيرة يسمونها بالزله وكلها أكواح تسكنها الأعراب وبعض الأهلالي وغالبهم من صيادى الأسماك . وفي قبالة هذه الضيعة من جهة البحر جزيرتان صغيرتان إحداهما وهي الشمالية تسمى جزيرة سعدة والثانية تسمى جزيرة سعيد ، وفيهما الحجر الصخري لثغر الحجاز ، وفي الأولى محل للتبخير وآله لنكر بالمياه الملحة وبعض أحديه <sup>(١)</sup> مبنية لا قامه المحجور عليهم فيها . فاذا كانت جوازات المراكب القادمة إلى هذا الثغر غير نظيفة أخذ الحجاج إليها في سفن شرعية يسمونها سناك (مفردها سبوك) ومصل إلى الجزيرة الأولى في ثلاث ساعات أو أكثر ، وإلى الثانية في ضعف هذا الزمن ، فيتضون في هذه أو تلك مدة الحجر التي يقدرها حكيم المورثينات بحجة .

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم الثلاثاء غرذى الحجة ألفت المحروسة مراسيها على نحو ثلاثة أميال من الشاطئ ، لأن المراكب الكبيرة لا تستطيع الدخول إلى مينائها بسبب عمق

(١) مفردده حداء وهو قسم من أقسام القورينيه يوضع فيه أناس على حداثهم لبعضوا به أيام

الحجر المقررة عليهم ولا يمكن أحدا منهم أن يعادر حدود هذا القسم بأى حال قبل انتهاء المدة .

المياه فيها: وبقى بها الجناب العالى الى صباح اليوم التالى . وكان يوجد خارج الميناء كثير من المراكب التى أتت الى هذا النفر بالحجاج من الهند والروسيا وتركيا وبلاد المغرب ومصر وبورسودان وغيرها ، وكلها رافعة أعلامها ترحيبا بمقدم سموه ، كما كانت السنايك التى ظلت تعدو وتروح فى مياهها رافعة على سوارىها العلم العثمانى إكراما لتشريف جنابه العالى .

— \* —

## مدينة جدة

قال البكرى فى معجمه « جدة بضم أوله ساحل مكة سميت بذلك لانهما حاصرة البحر والحدوة من البحر والنهر ما يلى البر وأصل الجدة الطريق الممتد » وأهل البلاد يسمونها الآن جدة بكسر الجيم ، ويسمونها المصريون جدة ففتحها ، وكلها على ما أرى تسمية صحيحة : لأن الجدة بالكسر اليمن والسعادة ، وهذا النفر بلا شك منه المادة التى تقوم بحياة هذه البلاد كلها وأى شئ أسعد مما يقوم بحياة الانسان ووجوده . كما أن الحدوة بالفتح الطريق الواسعة ، وايس من طريق فى بلاد الحجر أوسع من هذه . وهى واقعة على الساحل الشرقى للبحر الاحمر على ٣٩ درجة وعشر دقائق من الطول الشرقى وعلى ٢١ درجة و ٢٨ دقيقة من العرض الشمالى . وقد كانت قرية صغيرة فى بادئ أمرها يسكنها وما حولها قضاة قبل الاسلام فلما كانت سنة ٢٦ للهجرة فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه اشتكى الناس له الشدة التى يعانونها فى ميناء الشعيبية لكثرة ما فيها من الشعاب التى كانت تعوق سير السفن بها . وقالوا له ان فى شمالها مكانا خيرا منها . فذهب عثمان اليه فى جمع من قومه ليعاينه بنفسه فوجده حقيقة أحسن من الاولى فأمر بجعله نغرا لمكة ، وسموه جدة . ومما يدكر عن عثمان رضى الله عنه عند قدومه الى هذا المكان ، أنه نزل الى البحر فاغتسل وأمر قومه بالاغتسال فيه كذلك وأن يتخذوا المنزلة عليهم : وهو ما يزعم الافرنج أنهم من مدينتهم . والشعيبية الآن قرية صغيرة على مسافة عشرين كيلومترا من جنوب جدة وبعضهم يدكرها بلفظ الشعيبية : قال كثير يصف إبلا تسير فى ملاتريم (مكان بحضرموت)

سألك<sup>(١)</sup> وقد أجد بها البكور \* غداة البين من أسماء غير  
 كان حولها بملا تريم \* سفين بالشعبية ماتسبر  
 ومن ثم أخذت جدة تزيد في عمرها وتعظم في أهميتها حتى أصبحت أكبر غربي بلاد  
 العرب .

وساحل جدة كله شعاب صخرية يخللها شعب مرجانية حمراء أو سوداء (اليسر) ،  
 وترى على سطح مياهها في كثير من جهاتها أوراق نبات مائي شبيهة بشيء بالبشبين في  
 بحيرات مصر، وهذا النبات لونه أحمر قاتم ويوجد بكثرة على شاطئ الخليج العربي . وربما  
 كان له تأثير على ما يعيش في جود من الاصداف الحمراء والاسماك المرجانية التي توجد فيه  
 بكثرة لتعديتها منه، وربما أتت من ذلك تسميته بالبحر الأحمر . ويساعد على هذه التسمية ذلك  
 اللون السجاني الذي يشاهد قبل شروق الشمس فيما يلي الشاطئ من مياه البحر عندما يحسار  
 كتله المياه عنه ووت الحزر الذي يحصل فيه يوماً : حيث يترأى لك الشعب على طول الشاطئ  
 ضاربا في البحر بلونه الأحمر الذي يتشرب بالزرقة شيئاً فشيئاً حتى يتصل كتله الماء الكبري .  
 ومما يذكر بهذه المناسبة ان أرباباً أهل جدة يميلون الى اللباس الأحمر لافرق في ذلك بين  
 كبيرهم وصغيرهم ، وربما كان ذلك من تأثير الوسط الذي يعيشون فيه : فنراه يمشون  
 على وسطهم حزاماً أحمر ويضعون على رأسهم شالاً من لونه ، وكثيراً ما ترى صبياهم يلبسون  
 جلابيب بيضاء وعليها صديرة حمراء : حتى الطبقة الغالبة منهم يكبر في لباسهم اللون  
 الوردى أو ما يهرب منه .

ويحيط بحده سور له خمسة أضلاع : فالغربي منها على البحر وطوله ٥٧٦ متر ، والبحري  
 ٦٧٥ متر ، والشرقي ٥٠٤ متر ، والشرقي الجنوبي ٣١٥ متر ، والجنوبي ٨١٠ متر .  
 وفي كل ضلع من أضلاع هذا السور باب ، والباب الشرقي يسمى باب مكة وعلى جداره  
 من الخارج ركن منقوش في الحجر والى جانبه اسم السلطان الغوري ملك مصر ، وهو الذي بنى  
 هذا السور سنة ٩١٥ لمنع الافرنج (الدين كانوا البدءوا في استعمار الشرق) من طلوعهم



الى جدة . وقد أفاد فائدة تد كرفي مع البرتغاليين من الدخول اليها سنة ١٤٨٩ وأصلتهم فلعنتها هذه الصغبره باراً حامية فر وامنّها الى مرا كبتهم تاركين ما كان معهم من الدخائر . كما نالت أيضاً من الوهايين حين حصارهم لجدة سنة ١٢١٨ ، إلا أنهم لم يكن تؤدي وظيفتها في ضرب المراكب الانجليزية لها سنة ١٢٧٤ : وسبب ذلك ان أحد الرعايا الانجليز كان يملك مركباً شراعياً مجده ، وكان يرفع عليها العلم الانجليزي فبدّله بالعلم العثماني ، فحقق لذلك فصل الانجليز وورل الى المركب وأنزل العلم العثماني بالموه وأهانته . فلما بلغ الناس هذا الأمر كبر عليهم وهاج له الرعاع فمصدوا منرله وقتلوه مع الفصل الفرنسي و بعض الافرنج و هوادورهم . فأنتت مراكب الانجليزية وضربت جدة . فحضر والى مكة وانفق مع الامبرال على عمل تحميقي كانت نتيجة شتى نحو ١٥ نفر آمن الاهاالى في سوق جدة ، وبقي كثيرين من كرائها ، وغرامة الدولة نظير الاموال التي ادعت رعايا الدول الاجنبية انها قدمت لها في هذه الفتنه . وفي سنة ١٣١١ ساق الانجليز مراكبهم مره أخرى الى مياه هذا الثغر عندما قتل الأعراب وكيل الفصل الانجليزي وجرحو اوكيلي الفصل الفرنسي والروسي ، وكانوا تجاوزوا الحد المضروب لهم خارج البلد ، وكلهم مسلمون من الاهاالى الذين لم يحسوا سيرتهم مع اخوانهم من مواطنيهم ارتكابا على الحماية الاجنبية . فحضر الشريف عون من مكة لهذا الأمر الذي انتهى بالصلح وسفر المراكب من غير صرب .

وشوارع جدة لا نظام فيها وهي تحتوي على نحو ٣٥٠٠ منزل مبنية بالحجر الحلي الذي يأتيون به من الجبال الفرنسية ، أو الحجر المائي الذي يقطعونه من شعاب البحر وهو خفيف جداً وفي عايه الممانه الا أن خطره جسم وصرره عظيم لأنه قابل للالتهاب بسرعة لما يحتويه من المادة الصفورية التي توجد فيه بكثرة . ومساكنها كما سنذكر من مدن الحجر (مكة والمدينة) وهي أشبه بمساكن مصر في عهد المماليك (وفي سوق السلاح كثير منها) ، أعني أن بها غرفاً كبيرة ولواوين واسعة ذات سفوف عالية ولها شبابيك طويلة عرضة على شكل المشربيات يسمونها الرواشن (مفرد هاروشن وهي كلمة فارسية معناها المور) ، وشغلها الخشبي يشبه ما يسمونه بالمنفور أو المنجور وأكثرها من النوع المسمى بالشيش . وقد رأيت

في بعض بيوت هذه المدينة منزلاً وجهته نحو ١٥ متراً وفيها تسعة رواشن كبيرة . ولا شك أن هذه المبادر الواسعة موافقة جداً للبلاد الحارة . ولذلك ترى النظام الجديد في العمارات المصرية يرجع الى هذا النمط كما تراه في أغلب المباني الحديثة لاسيما في الاحياء الافرنجية وعلى الاخص في مصر الجديدة التي هي شكل مجمل مكمل من الاشكال المصرية القديمة .

ولمحمد علي باشا في هذه المدينة مبان كثيرة : منها دار الولاية ، ودار البلدية ، وثكنات العساكر ، وغيرها .

وماء الشرب فيهما من الصهاريج المدينة التي تملأ من ماء المطر أو العيون الموجودة خارج المدينة ، وكما فرمت تلك العيون من البحر كانت مياهها بحاجة غير صالحة للشرب . وفيها مواسير كان وضعها عثمان باشا نوري سنة ١٣٠٢ وسير الماء فيها من عين الرعامة التي تبعد عن المدينة شرقاً بنحو عشرة كيلومترات . وهي الآن مهدامة . وقد اهتمت بلدية المدينة باصلاحها ولكن يظهر أن الحكومة لا يمكنها عمارتها الا بمعونه الأهالي وهم لا يساعدون على ذلك لان لهم مصلحة في بيع مياه صهاريجهم على الحجاج تأمناً باهظة . على أن سواد الحجاج لا يشرون أثناء وجودهم في هذه المدينة الا من المياه التي يأتيون بها اليهم من الحفر والآبار وفضلاً عن وساختها فان طعمها يميل دائماً الى الملوحة ولولا فضل الله عليهم لهلكوا جميعاً !!!

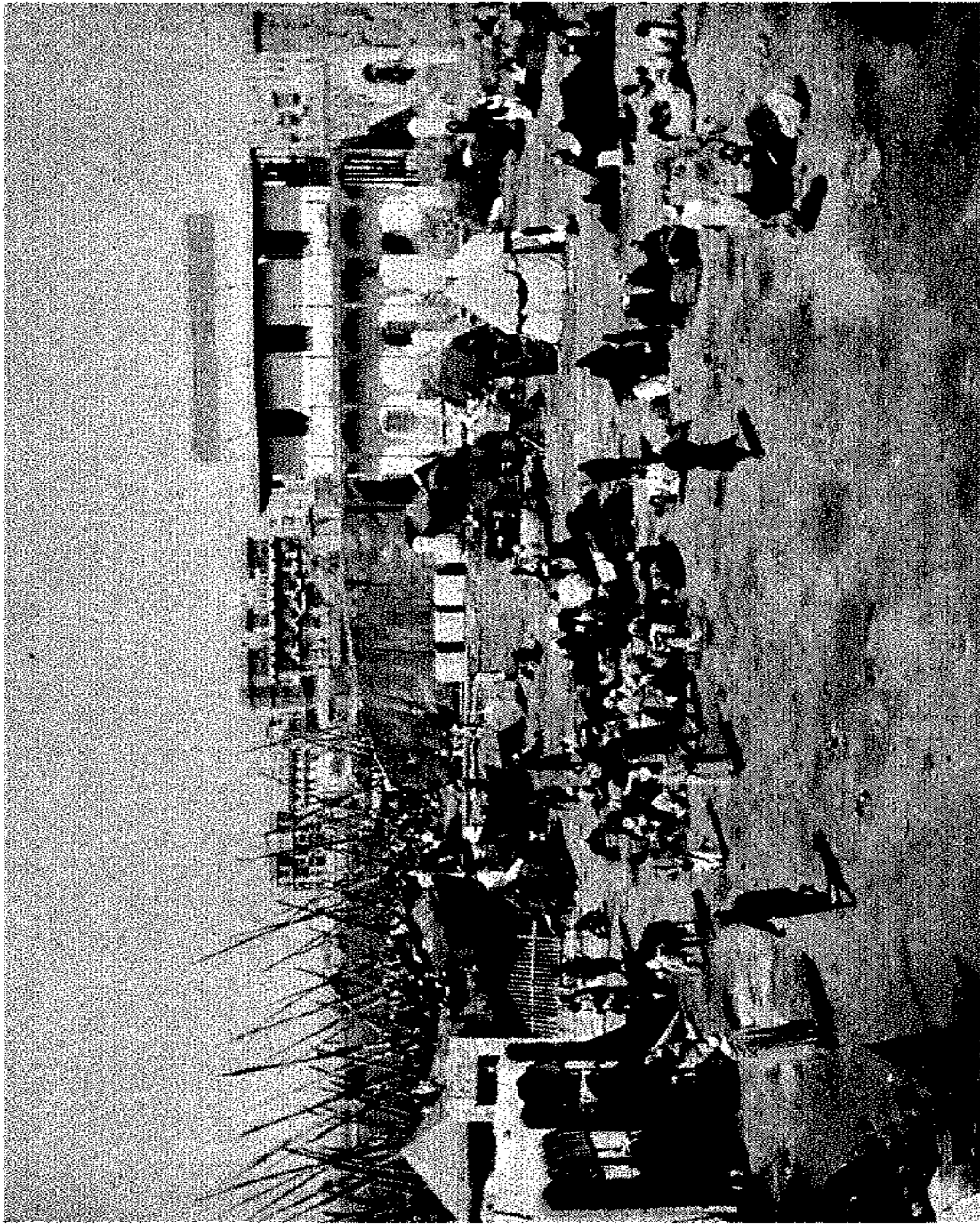
وفي هذه المدينة كندا سه لبعض الفرنجة لتكرير مياه البحر وبيعها للناس ولكنها تخرمت نهائياً وبلغنا ونحن بحدة أنهم أرسلوا بعض عددها الى السويس لاصلاحها فيها . وجدة مركز تجارى كبير ويمكنك أن تقول انها الثغر العمومي للحجاز فمنها صادراته واليه وارداته . وتجارته تكاد تنحصر في أصناف اللؤلؤ والمرجان واليسر والسبح والاقمشة الحريرية والعطر والعطارة والبقالة الجافة والقرب والجلود والسجاجيد وجميع ما يهيم الحاح . وتجارته الرئيسية في الحبوب خصوصاً القمح والدقيق اللذين عليهما مدار حياة أهل البلاد العربية من أدناها الى أقصاها ، وهي تأتي اليها من الهند ومصر والشام والعجم والجاود وغيرها . وسوق المدينة تمتد على طولها من الجهة الجنوبية الى الشمالية التي

تنتهي بما كن قنصل الدول، وهي أحسن ما في المدينة من الابنية، وأخص منها بالذ كرمزل  
الوكالة الروسية الذي هو على أطف مثال وأجل هندام لما فيه من المشرقيات والطشئف  
(البلكنات) التي تمثل أهة الشكل العربي المديم بما يحيل للرائى أنه أمام قصر الرصافة في  
بغداد. وجاه هذا المرل بقطة بوليس و حوارها مكان البوستة، وهو غرفة صغيرة يتطعها

حاجز خشبي بسيط يفصل بين العمال وأرباب الأعمال، والى حوارها مكان التلغراف .  
وتجار جدة من أهلين وحضارم وهنود وأعجام وبخارين وأروام تراهم يعملون في هذا  
الوسط ولا تروج تجارتهم الا في موسم الحج . ولا حد الاروام في جنوب المدينة وابور  
( ما كينه ) يدار بالترول لطحن الغلال وأجرة الكيلة الجداويه (ممدارها ثلاث أقات)  
ثلاثة قروش محيدبة ومع هذا فان صاحبه على الدوام تراها يصرح مستغنياً من قلة المكسب  
وكثرة ما يصرفه في سبيل ادارته .

وتعداد أهل هذه المدينة لم يحصل بصفة رسمية ، وهم يبلغون خمسين ألفاً على أضبظ  
تقدير : منهم عشرة آلاف من الاجاب المسلمين بين فرس وحضارم وهنود وبخارين ،  
أما الفرنجة فيبلغ عددهم مائة أو يزيدون قليلا وأغلبهم من الأروام . وثرودة البلاد تفرىياً  
في أيدي هؤلاء الاغراب وتقدر ثروة بعضهم بنحو مليون من الخنيهاات لا هم يجددون  
ويكدون ولهم نشاط غريب في بابيه ، حتى الشياطين والقلايكية في هذه المدينة تجدهم في  
الغالب من الحضارم أو العيد .

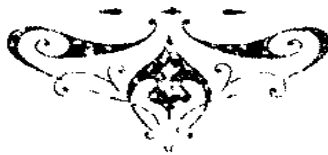
وفي جدة مدرستان مدرسة الاصلاح وفيها نحو ثمانين تلميذاً ويصرف عليهما من  
ترعات الاهالى ، والمدرسة الرشديه وهي للحكومة وفيها نحو مائة وعشرين تلميذاً ،  
ولا يدرس فيهما الا شئ بسيط من الحساب والكتابة والقراءة العربية والتركية ، وعلى كل  
حال فانهما أقل في التعليم من مكاتب الاوقاف بمصر . وقد رأيت في سوق المدينة لوحة  
مكتوباً عليها ( جريدة الاصلاح ومطعمتها ) فسألت عنها فعدلت أنها ابتدأت عملها بعد  
اعلان الدستور العثمانى ولكنهم لم تجددوا جافاضطر صاحبها الى اغلاقها، وقفل محررها  
( التركي ) راجعاً الى الاستانة ، أما المطبعة الآر فليس لها من عمل يذكر .



BOEHME & ANDERER, CAIRO

مرفأ جشده

وسكان جدة خليط كما أسلفنا، وقد أثرت فيهم طبيعة هذا الاقليم فغلبت عليهم حال  
 البداوة فيما يختص بالتعليم الذي ليس لهم فيه حظ يذكر اللهم الا ما كان يوصل الى كتابة  
 خطاب أو مزاوله قليل من الحساب . وفي المدينة أربعة مساجد - المسجد الحنفى  
 - والشافعى - والمالكي - ومسجد سيدى عكاشة وهو أكبرها، وفيها أجزاء صغيرة،  
 ويقال ان بها نزلا صغيرا (لو كادة) في ميدان الحرك ولكنى لم أراه .  
 وحكومة المدينة محصورة في القانم ووكيل الشريف وهو الآن حضره السرى الوجيه  
 السيد محمد نصيف : والاول مختص بأعمال الحكومة المالية المنحصرة في ايراد الجمارك  
 عالياً، وتقدر هذه الايرادات نحو خمسين ألف جنيه عثمانى في السنة على الاكثر، والثانى قائم  
 بجميع الاشغال المختصة بالعرب كما أن أمر القوه العسكرىه موكول الى قومداها : وقد كان  
 والى الحمار يسكن أولاً في جده ولسكن على مركزه في محوسنة ١٢٨٠ الى مكة لأهميتها .  
 وفي موسم الحج ترى في جدة حركة مستديمة لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً من الحجاج الذين ادا  
 وصلوا اليها وجدوا على أبواب حرمها مطوفيههم أو وكلاءهم في انتظارهم وهم ينادون يا حاج  
 فلان أو يا حجاج فلان (يعنون المطوف)، ويعرف الحاج اسم مطوفه فينادى عليه وهو في هذه  
 الشدة، فيبادر الى مساعدته و يأخدمه ورفقة جواره (ناسا بورب) ليعلم علمها من فلم الحواراب  
 ثم يسير معه الى مرل يعيم به يوماً أو يومين يصلح فيهما من شأنه في نظير أجر يدفعه لصاحبه ثم  
 يؤجر حميره أو حماله ويسافر الى مكة بعد أن يشتري شتاده ان كان له اصر ورده عنده  
 ومتوسط ثم الشندف جسيه المحلرى وأجره الهجين أو الحمار جنيه الى مكة وكذلك جعل  
 الحمل ، أما حمل الشندف فتعمل أجرته في الغالب الى ضعف ذلك .





## جبانة جدة وقبر أمنا حواء

و يوجد خارج هذه المدينة من جهة الجنوب مدفن للنصارى محاط بسور عال وعليه خفير من الأعراب لا يدع أحدا يدخل فيه من غير ذويه . أمامه من المسلمين فانها في جهتها الشرفية على مسافة نحو كيلومتر من بابها الشرقي الذي يسمونه باب مكة ، وعليها سور يفتح بابا للغرب ترى في مدخله زمن الحج كثير أمن الشهداء من صغاراً وكباراً من الأعراب والأغراب فإذ دخلت من هذا الباب وجدت أمامك رأس فرطويل ضارب الى الشمال مسافة مائة وخمسين متراً على ارتفاع من وى عرض نحو ثلاثة أمتار ، وهو ما يسمونه قبر أمنا حواء : وهو أشبه شئ بما سدوده من طرفها الجنوبى ثلاث حوائط من مربع بمصه الحائط الشمالى الذى هو من جهة الغرب ، وطول كل حائط أربعة أمتار فى ارتفاع مثلها ، وفى كل مهاشك تحرج منه فروع عوسجة كبيرة تكاد تسد فراع هذا المربع الذى هو مكان الرأس عدهم . وفى هاهنا هذا المسطيل من جهة الشمال حائط يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ، فى وسطه من أعلاه شرفة تحتمها شباك يطل على القبر من جهة المدمين ، وعند هاتى القبر ترى أناسا مطوعين لا يرشادك عن مكان الرأس أو القدم وأيديهم ممدودة للسؤال ، وفى نحو ثلثي طوله من جهة الرأس فيه يفتح بابها الى الغرب ، وفيها شباك يشرفان على جهتي القبر ، وفى وسطها معصورة من الخشب عليها ستر من الخوخ فها باب معادل لباب القبة فتحة لها حاد المقصورة قائلا « هذا مكان السرة الشريفة » . فنظرت فوجدت فيه حجرا من الصوان يبلغ طوله نحو متر ، محفورا من وسطه ، وهو أشبه شئ بما ووس صغبر ، ان لم نقل منج كان مسنملا فى قديم الزمان لتقديم القران . وهنالك مرة بحاطرى أن هذا المكان ربما كان لفضاعة فيه قبل الاسلام هيكل لحواء أم البشر يعبدونها فيه كما كانت هذيل تعبد سواع ابن شيث بن آدم : وهذيل كما لا يخفى فى جنوب وشمال مكة ، وهم الآن يقولون هذيل الشام وهذيل اليمن ، وكانت مساكن قضاة فيما بينهم : وكما كانت قبائل كلب ومراد وهمدان

الهائل: لانه لا يلزم من طول القصر طول الجثة بهذا المقدار، وليس ادعائهم بان هذا موضع الرأس وذاك موضع القدم برهانا على أن طرفي جسم حواء متساويان مع طرفي قبرها: إذ يصح أن يكون هذا المعين جهة الرأس وذاك لجهة القدمين من غير تحديد نقطة بداية أو نهايه . ولا عبرة بمولهم ان الفم على مكان السره ، لانه بمطع النظر عن أنه كان الأولى بها أن توضع على أشرف عصب في الجسم وهو الرأس ، فان المسافة بين الرأس والسره في طول الفم ضعف المسافة بين السره والقدمين ، وهذا مخالف لطبيعة الاسنان ،

أن المسافة الى بن آدم وبن الطوفان كانت أصعاف أصعاف المسافة الى بنسا وبن الرمن الذي وصلنا منه هذه المومياء ، تما تدرج معه جسم الانسان الى هذا الخد تحكم الماء وس الطسعي الذي يسير به الى الصنف والعماء . ولا أدري ادا كان اصح أن يعم على هذا برهانا محسوساً من تلك الهياكل الضخمة الى اكتشافها أجزاً بن طبقات الارض وثانياً الصخور ، ووجدوا انها أصعاف أصعاف هياكل الحيوانات الى من نوعها الآن : تذكر من ذلك الحيوان الهائل الذي سمونه ماستودونت (Mastodonte) وولوا انه هو القمل بنسا ومدكور في مادة فصل ( éléphant ) دائرة المعارف الكبرى المراسويه ، ثم ذلك الحيوان الذي يسمونه بربوسور (blestosaure) وولوا انه نوع من الورلة ( الورنه ) وولوه عيرة أعمار ، وهو مالا يكاد تربطه اسمه بطوك أي نوع من أنواعه الآن . ولا يردعنا أنهم وجدوا في الارض الثالثه جسم انسان لا يزيد كثيراً عن أطوال حنوره . وقد ذهب بعض الجولوجيين الى أن الصخور الباليورويه ( أي الى وجدوا فيها بعض حيوانات مما كانت تعيش في الارض الثالثه ) اما هي مكوته من روائس مائيه منها الطوفان . وعلى هذا فيكون هذا الانسان الذي عثروا عليه كان عائشاً في الجاهل الى انهم بها الارض الثالثه وانتدأت بها الارض الرابعه ، وهي الى بعد الطوفان والتي عاش فيها الآن . ولا مشاحة في أن الانسان الاول كان موجوداً قبله نصف مليون سنة عن الازل كما يؤخذ من مول فلاهاريون في كتابه ( as tronomie Populaire ) من أن عمر الارض الثالثة كان ثمانمائه ألف سنة ، وعمر الثانية مليون وهائما ألف سنة . والارض الثالثه هي التي تكوت فيها النباتات والحيوانات التي انتهت تكون الحيوانات الثدييه الى منها الانسان ، الذي مارال مدحاً في كتابها وتارة في مجموعها حتى ظهر استعداد واحد يعمل لما وجد من أحله ، وبعمله هذا ابدأ طور حديد هو طور الارض الثالثه . على أنه يجوز أن يكون عمر هذين الطورين اكثر مما مدره لهما فلاهاريون ، بدليل أنهم كانوا يمدرون عمر الارض في جميع أدوارها بمائة مليون سنة ، ولكمهم بعد اكتشاف الراد يوم مدرود رأب مليون من السنين ( انظر باب الاحمار العلمية في عدد ٦ من هلال مارت سنة ١٩١١ ) . ولا بعد أن يأتي رهن يرشدنا فيه العلم الى ان عمر



بالطبع هذا الهيكل ، تقي أتردي نفوس القوم برأبحق الأمومة ، وأقاموا له قببة ( لا ندري متى كان تشييدها ) لتكون مزارا للناس ، كما كانوا يقيمون المزارات لآل بيت النبوة عليهم وعلى جدتهم الصلاة والسلام .

ولقد ذكر هذه القبة ابن بطوطة في رحلته المشهورة في القرن السابع للهجرة ولم يذكر شيئاً عن القبر . ومن أكبر الأدلة على أن هذا القبر حادث لا محالة ما ذكره ابن جبير في رحلته التي عملها سنة ٥٨٧ للهجرة قال رحمه الله : « وبها ( بحدة ) موضع فيه قببة مشيدة عتيقة يذكرون أنه كان منزلاً لحواء أم البشر عند توجهها إلى مكة فبنى ذلك المبنى عليه تشهيراً ببركته وفضله والله أعلم »

وعلى كل حال فانا لو صرفنا النظر عما غيره الطوفان من معالم الارض وقلب أغلب معالمها بطناً لظهر خصوصاً في الجهات الركائنية التي منها هذه البلاد ودار يامؤر حى العرب في أن حواء هبطت مع آدم إلى جزيرة سرنديب ( سيلان ) ، وقطعتنا النظر عن الواسطة التي انفلا بها من الجزيرة إلى القارة ، وعن كيفية وصولهما إلى جده وموت حواء ودفنها بهذا المكان ، ثم موت آدم ودفنه بحبل أبي قيس أو بمسجد الحيف ، أو توجهه على ما يقول النصارى إلى بيت المقدس وموته به ودفنه تحت صخرة هالك في كنيسة القيامة يفسدسونها إلى الآن : فلا تهولنا دعوى القوم بأن هذا قبر حواء على ما هو عليه من الطول (١)

( ١ ) أرحو أن تسمح لي القاري بأن لا أترك هذا المقام دون أن أقول كلمة عما ولوه في طول آدم وحواء :

قال المسيوها ربون العصور في المجمع العلمي الفرنسي والعالم المستشرق « ان طول آدم كان ١٢٣ قدم وتسع بوصات ( ٣٧ متراً تقريباً ) وان طول حواء كان ١١٨ قدم وثلاثة أرباع البوصة » ( أنظر مادة آدم في معجم لاروس الكبير ) .

أما العرب فهم قالوا ان طول آدم كان سبع دراعا ( وكان طول حواء متناسلاً معه طعماً ) ونحن لا ندري ما كانوا يقصدونه من طول الدراع . ولو فرضنا انه دراع اليد الذي يبلغ متوسط طوله ٤٠ سمترا فان طوله يكون ٢٤٤ مرا وهو أقل مما قاله المسيوها ربون بكثير . ويقول بعضهم اننا اذا نظرنا إلى طول الموميات التي وصلت إلينا من حسين قرنا ورأينا أنها لا تختلف كثيراً عن طول حوسوما اليوم حكماً بأن ما قاله العرب في طول آدم مبالغ فيه . ولكن من لنا

الهائل: لانه لا يلزم من طول القصر طول الجثة بهذا المقدار، وليس ادعائهم بان هذا موضع الرأس وذاك موضع القدم برهانا على أن طرفي جسم حواء متساويان مع طرفي قبرها: إذ يصح أن يكون هذا المعين جهة الرأس وذاك لجهة القدمين من غير تحديد نقطة بداية أو نهايه . ولا عبرة بمولهم ان الفم على مكان السره ، لانه بمطع النظر عن أنه كان الأولى بها أن توضع على أشرف عصب في الجسم وهو الرأس ، فان المسافة بين الرأس والسره في طول الفم ضعف المسافة بين السره والقدمين ، وهذا مخالف لطبيعة الاسنان ،

أن المسافة الى بن آدم وبن الطوفان كانت أصعاف أصعاف المسافة الى بنسا وبن الرمن الذي وصلنا منه هذه المومياء ، تما تدرج معه جسم الانسان الى هذا الخد تحكم الماء وس الطسعي الذي يسير به الى الصنف والعماء . ولا أدري اذا كان اصح أن مهم على هذا برهانا محسوساً من تلك الهياكل الضخمة الى اكتشافها أجزاً بن طبقات الارض وثانياً الصخور ، ووجدوا انها أصعاف أصعاف هياكل الحيوانات الى من نوعها الآن: تذكر من ذلك الحيوان الهائل الذي سمونه ماستودونت (Mastodonte) وولوا انه هو القمل بنسا ومدكور في مادة فصل ( éléphant ) دائرة المعارف الكبرى المراسويه ، ثم ذلك الحيوان الذي سمونه بربوسور (blestosaure) وولوا انه نوع من الورلة ( الورنه ) واوله عيرة أعمار ، وهو مالا يكاد تربطه اسمه بطوك أي نوع من أنواعه الآن . ولا يردعنا أنهم وجدوا في الارض الثالثه جسم انسان لا يزيد كثيراً عن أطوال حنوره . وقد ذهب بعض الجولوجيين الى أن الصخور الباليورويه ( أي الى وجدوا فيها بعض حيوانات مما كانت تعيش في الارض الثالثه ) اما هي مكونه من روائب مائيه منها الطوفان . وعلى هذا فيكون هذا الانسان الذي عثروا عليه كان عائشاً في الجاهل الى انهم بها الارض الثالثه وانتدأت بها الارض الرابعه ، وهي الى بعد الطوفان والتي عاش فيها الآن . ولا مشاحة في أن الانسان الاول كان موجوداً قبله نصف مليون سنة عن الازل كما يؤخذ من مول فلاهاربون في كتابه ( as tronomie Populaire ) من أن عمر الارض الثالثه كان ثمانمائه ألب سنة ، وعمر الثانية مليون وهائما ألب سنة . والارض الثالثه هي التي تكوّن فيها النباتات والحيوانات التي انتهت بتكون الحيوانات الثدييه الى منها الانسان ، الذي مارال مدعماً في كتابها وتارة في مجموعها حتى ظهر استعداد واحد يعمل لما وجد من أحله ، وبعمله هذا ابدأ طور حديد هو طور الارض الثالثه . على أنه يجوز أن يكون عمر هذين الطورين أكثر مما مدره لهما فلاهاربون ، بدليل أنهم كانوا يمدرون عمر الارض في جميع أدوارها بمائة مليون سنة ، ولكنهم بعد اكتشاف الراد يوم مدرود رأب مليون من السنين ( انظر باب الاحمار العلمية في عدد ٦ من هلال مارت سنة ١٩١١ ) . ولا بعد أن يأتي رهن يرشدنا فيه العلم الى ان عمر

مخالف لشكل نبي آدم أو بعبارة أخرى لشكل نبي حواء في جميع أدوار حياتهم .  
 على اننا مع اسكارنا لطول هذا الفبرقانا محترم لحواء وجودها انى كانت وكيفما كانت  
 لانها أم الكل و مكافها من احترام الكل : لذلك لما قصه بالشر يف عون الرفيق هدم قبتها  
 فيما هدم من قباب الصالحين بمكة وعبرها قام في وجهه قاصل الدول وحاولوا اينه و بينها دعوى  
 انها ليست أم المسلمين وحدهم .

الارض أصعاف أصعاف ذلك ولا سك ان قدم الانسان فيها مناسبت مع قدمها بظلمته الوجود .  
 عنى أنهم يقولون ان السمات انى كانت تعمش في الارض الثالثه كانت اكتر بكثير من التى تعيش  
 الآن من نوعها : ومما جاء في دائرة المعارف العربيه من ذلك بمادة حيولوجيا ما نصه :  
 « ومما سمعت له في باب الارض المعجميا بمود المعجيب . من أنواع السرحس الى لا يتكون  
 منها في عصرنا هذا الا بالمان حشيشه ، حالدة في البلاد الباردة وكان يكون منها أشجار أعظم اربما  
 من أشجار السوب . وأنواع الليكوبوديون لا ترتفع في هذه الايام اكثر من متر ، مع انها  
 كانت في الزمن القديم ترتفع من ٢٥ الى ٣٠ مترا وكان بظرها مترا » .  
 وينسبون هذا الخلاف الى اختلاف درجة الحرارة الهوائية لانهم يقولون انها كانت ٢٠٠ درجة  
 سدرجات مدمما تكون مشرقة الارض ، وصارت نقل شتأ فشتأ برودة هذه الفترة حتى  
 وصلت الى هذه الدرجة الى هي عليها الآن . وانى لا أدري اذا كان هذا الميل صحيحاً لم لا يؤثر  
 على الانسان تأثره على الحيوان وعلى السمات والشكل كالا نحى من المملكة العنصويه .

على أنما لو فرصنا ان الانسان بعض من طوله في كل مائة سنة نصف سينمتر لكنا أطوال  
 هذه الموميات في حياتها أعى وهي في نصارتها لا يريد عن أطوال الانحو ٢٥ سينمتر فقط ، وهو  
 ليس بالفرد المحسوس من أطوال الحسوم والمدى الحاضرة والمارة ، خصوصاً اذا لاحظنا انكماش  
 حسوم الموميات بعد تحيظها وبداخل درابها في بعضها تا يقصر من أطوالها . وعلى هذه النسبة  
 تكون مقدار طول الانسان اذا اعمرنا بحدرو ولا ماربون لا يقص عن ٢٥ مترا .

وعلى كل حال فهذا مقام نصف أن يوصل البحث فيه الى حقيقة تابه ، لانه منى عنى فروص  
 يمر بها بعضهم من الخبطة وينمدها آخرون عنها عنى حسب الشكل الذى يقع من صورتها في مجيلاتهم  
 والله اعلم بما كان وما يكون .

# وصول الجناب العالى الى جدة

وسفره منها الى بحرة

ومما يذكري في تاريخ جدة تشريف الجناب العالى الحديو اليها يوم الثلاثاء غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٧ قاصداً تأديته ورخصة الحج الشريف . فمما أشرقت شمس هذا النهار حتى أخذ الناس يردون الى الميناء زمراً و في مقدمتهم عليه القوم وأعناقهم متطاوله الى عرض البحر لرؤية وابور المحروسه الممل لهذه الذات العباسية المحبوبة . وفي نحو الساعة الثالثة العربية نهاراً حضر أصحاب السيادة والسعادة على بك وفيصل بك والشريف زيد أبحال سيادة شريف مكة ومعهم حضرات القائمات وقومندان العوه العثمانية الموجودة بمحطة وسعادة مكتوب بحى الولاية الدي وودل السلام على الحصره الحديو به بالسيابه عن الدوله العلية والتشرف بمرافقة الحجاب السامى بصفته مهمندار آله مده وجوده حفظه الله في الأقطار الحجازية يتلوهم حضرات مدير البوستة والتلغرافات و وكيل شركة المواحر الحديو به وغيرهم من مستخدمى الحكومة العثمانية . وقبل أن تظهر أى اشارة تنبئ بمرب الركاب العالى ركبو احميما الزوارق ورنوا الى عرض البحر انتظاراً لمقدمه الشريف . وكانوا قبل شروق الشمس قد أرسلوا الوابور الحربي العثمانى المقيم في مياه جدة لاسمهال المركب الحديو به المحروسه على بعد سبع ساعات أو أكثر من مياهها .

وفي نحو الساعة السابعة العربية سهاراً طهر دحان المركب في الافق ، وما زالت اقرب شيئاً فشيئاً حتى ألتقت مراسيها في الساعة الثامنة . وهالك فرات منها الزوارق وصعد الاشراف ورجال الحكومة للسلام على مولانا الحديو وتلبيغه سلام مولانا أمير المؤمنين ونهاى الدوله العلية مع تحية سيادة الشريف ودولة الوالى . فمما نلهم حفظه الله بما جبل عليه من البشر والايناس والحفاوة والاكرام ، و بعد ساعة رجعوا والسنتهم كلها شكر وثناء على مكارم أخلاقه وكمال آدابه .

وما غربت شمس هذا اليوم حتى بدت دار البلدية تحتال في حلق زينتها من جهة البر، وتآقت أوار المراكب البخارية على اختلاف جنسياتها من جهة البحر، وذهبت ساريات لسنا بك في السماء بمصابيحها التي كانت كأنها النجوم الزواهر. وبالجملة فقد كان يوما مشهودا وليلة قدوة في بابها لم ير أهل جدة مثلها بالمره، كما أنهم لم يشاهدوا عناية الدولة العلية بمثل احتفائها بهذه الذات الكريمة واهتمام دولة الشريف بما فيه راحة جنابه الرفيع: وأي رجل اصطفاه مولاه الى حيج بيته الكريم كالعباس حفظه الله، دعا ربه ولباه، وقد كشف عن رأسه تاج ملكه ونزل الى صفوف تقيّة الخلق في تقشفهم في ملابسهم وغذائهم، نام على الغراء وابتحف السماء، ويركب الصعب، ويسير بين حراره الشمس و برودة الليل، في طريق تغزرو عثاؤه، وتكثر حصباؤه، ولا ينقطع اعصاره، كما لا تنهاى أخطاره. فلا غرابة اذا كانت عين الله تكلؤه وعنايته تحرسه وقلوب الخلق ترمته بكل تحلة واحترام.

وقبل فخر يوم الاربعاء ثانى ذى الحجة أخذت العسا كرتعدو وتروح في ميادين البلدية التي اكتظت بالجموع من عسا كرا الحرس الخديوى من جهة، وعسا كرا الدولة وجند البيشة<sup>(١)</sup> من جهة أخرى.

وفبل الشروق ظهر من اليم الزورق البخارى المقل لمولا نا الخديو حفظه الله ف ضرب الفير وأطلقت المدافع من طابية المدينة. وهنالك انتظمت العسا كرا على شبه دائر دمستطيلة نصفها الشرقى من رجال الحرس الخديوى، والنصف الثانى نصفه من عسا كرا الدولة العلية ونصفه الآخر من عسا كرا البيشة، وطرفا هذين الموسين من باب العور تينة الى باب البلدية. وبعد نصف ساعة شرف الركاب العالى على سلم القورنتينة، وكانت ساحتها مهروشة بالسجا جيد المعجمية وقد اصطف على جانبيها رجال الدولة العلية من جهة، ومن الأخرى أصحاب السعادة أنجال دولة الشريف ومن حضر معهم من الأشراف لأداء واجب التحية. فطلع حفظه الله على الاسكاة وهو فى لباس احرامه كالبدري تمامه، وسار وهو يحيى هذه

(١) بيته فيلة موحودة في شرق بلاد العرب وحنودها يركون المحن بلباسهم العربي وهم في نظامهم أشبه بالباشوزوى وكل عسا كرا الشريف منهم وهم مشهورون بالثجاعة والامانة.

المجوع عبيده الشريفة، يتلوه صاحب الدولة البرنس كمال الدين باشا، وفضيلة الشيخ بكرى الصديقي مفتي الديار المصرية، وحضرة عزتو على بك لبيب طبيب سموه في هذه الرحلة المباركة، وغيرهم من الياوران الكرام وبعض رجال حاشيته. وكان جواده على سلم الفورنتينة فركب حفظه الله بين عزف الموسيقىات المصرية والتركية ودعاء الجنود وهتاف الجمهور، وركب من خلفه دولة البرنس وسعادة حسين محرم باشا مهنداره الخصوصي، ثم الياوران تتقدمهم ثلثة من الحرس بهيئة ناشدار (حرس أممي)، يحيط بهم جميعاً فرقة من الخند. ثم ركب في أثرهم أنجال الشريف ومعهم مدوب حكومة الحجاز وجمعه يرمن الأشراف، تتلوهم جمود البيشة ثم قومندان مطه جدة ومعهم فرقة من عساكر الدولة. وسار حفظه الله هذا الموكب الحافل إلى باب المعار به ومنه إلى الباب الشامي وهالك كان في انتظاره مشايخ العربان من أشراف وغيرهم على هجنتهم وساروا جميعاً في ركابه العالی إلى بحرة.

والطريق من جدة إلى مكة يبلغ طولها نحو ثمانين كيلومتراً، وهي تدخل بعد ساحل جدة في واد بين جبلين أعلاهما يسمى القائم، ثم تمر في طريق على جبل الرعامة، ثم على جبل أم السلم وبه فهو العمد<sup>(١)</sup>، ثم يأخذ الوادي في الميل إلى الجنوب الشرقي فيمر بقرية جراده، ثم يصل إلى بحره، وهالك يسع الوادي ويقطعه واد آخر من الشمال الشرقي إلى الجنوب حتى يتصل بالبحر اسمه وادي مر (وادي فاطمة). وهو واد عظيم من أشهر أرض الحجاز خصوصاً ويسكنه كثير من قبائل أشراف دوى حسين وهم على كون أغلب أراضيه، وفيه عيون ماء كثيرة ولدا يزرع به جميع أنواع الحصرات التي تأتي إلى مكة، ويقطعه الطريق السلطاني بين مكة والمدينة في نقطة يوجد فيها بساتين من بحيل وأعماب يتخللها بحر ماء يأتي من جهة الشرق (يسمونه مـهـرا) وكتلة الماء فيه أقل من متر مكعب وأكثر فوا كدالك البساتين من الرمال والليمون: وأرى أنه لو عملت هذه الجهات آباراً لتوارى به لكات تأتي فوائدهم.

وبحره نزلها حملة أكواح يسكنها بعض الأعراب، وفيها عيش عمومية واسعة

(١) هو صايط سوداني عثماني كان مقبلاً بهذا المكان من طرف الدولة وأظهر شجاعه وحسن

تدبير في تأمين الطريق فبسبب إليه.

يسمونها قهاوى ، يسترىح فيها من أراد من الحجاج وخصوصاً ركبى الحمير والهجن لوجود ما يلزمهم بها من خبز وجبن وبلح وبعض الفاكهة والقهوة والتبناك ، وفي جوارها أفنية واسعة محاطة بأسوار من الحجر يتربط فيها جمال الحجاج ودوابهم ، وأغلب القوافل تبيت فيها . ويأخذ الطريق من بحرة نحو الشرق ويميل الى الشمال فيمر على حدّة ويبيت فيها بعض القوافل ، ثم على قهوة سالم ويقرب منها الى الشمال الغربى قرية الحديدية ، ثم يمر على جبل الشميسى ، ثم على المقتسلة ، ثم الهجالية ، ثم البستان ، ثم قهوة المعلم ، ثم الشيخ محمود وهو باب مكة وفيه قبر حار الله الزمخشري صاحب التفسير الشهير المسمى بالكشاف وكان قد أتى إليها حاج سنة ٥٣٨ هـ مات بها يوم التروية ودفن بهذا المكان . وكل هذه القهاوى شبيهة أكواخ يحد الحجاج فيها بعض الراحة . أما الجبال على طول الطريق فنراها حمراء أو مائلة الى الخضرة أو الصفرة ، وهذا مما يدل على أنها غنية بالمعادن المختلفة كالحديد والنحاس وغيرهما . وعلى طول الطريق بقى أربع عشرة قلعة يوجد فيها الجند العثماني على الدوام ، وبعضها قد تم من عمل الشريف غالب أو محمد على باشا والى مصر ، والبعض من بناء الدولة العلية من عهد ليس بعيد خصوصاً بعدما كثرت محبى الخاج محراً .

أما ما كان من أمر صاحبة الدولة والعصمة والدة الحجاب العالى فانه انزلت من المحروسة الى الرى في منتصف الساعة الثالثة العربية نهائياً ، وكان فى انتظار دولتها على الاسكلة بعض رجال الحاشية ، وكان بعض مأمورى الحكومة العثمانية على بُعد من الباب العمومى ، فركبت حمظها الله مع صاحبة الدولة الاميرتين كريمى الحضرة المعظمة الحديويه عمره من طرار ( لاندو ) بحرهار أربعة بغال ، وركبت دولة الاميرة فاطمة هانم أفندى مع بعض المملكات ( كبريات الحاشية ) عمره أخرى من عربات دولة الشريف ، وبقى التلعوات ركبن فى هوادح يتلوها هو دج سعادة الماس أغاباش أغاى السراى الحديويه ، وعنايتلو كاظم أعا باش أعاى دولة الوالدة ، ويتلودلك شقادف بعض رجال المعية السنية ثم حمال الحملة . وسارت عمره دولة الوالدة يحيط بها فوارس الحرس الحديوى وفي مقدمتهم عسكر الشريف ومن خلفها حرس الدولة ، والناس على جانبي الطريق بحال لم يسبق لها مثيل ، ولسان الجميع

يلهج بالثناء والدعاء . وما زال هد الموكب على نظامه الجميل حتى خرج من باب جدة الشرقى  
المسمى باب مكة ، و بعد ذلك سارت دولة الوالد مع رجال الحرس الى بحرة حيث استقبلت  
أحسن استقبال ، ونزلت في الدائرة المخصصة لاقامتها مع حاشيتها .

وهناك كنت ترى معسكر الجباب العالى فى نظام لم يسبق له نظير بالمره ، والى  
شرفيه سرادق حضرات أبحال الشريف التى مدت فيه ظهر ذلك اليوم مائده على النظام  
الأفرسكى تسع محو مائة مدعو لضيفه سمو الامبرومن فى معيته ، وعلى الخصوص  
فى العشاء الذى حضره مولانا الحديو ، وكان أناب عنه فى الغداء دولة البرس أحمد كمال  
الدين ناشا . أما النظام والزينة فى هذه المائدة فقد كان مدهشين جداً لعدم انطباقهما بالمره  
على حال هذه البداوه التى رأيناها فى ساعه ونحن بين ضيفها كأننا بن جدران البهو الكبير فى  
نزل الكوتيمانثال بالناهره أثناء مأدنة من المآدب الكرى : نعم كنت تجد الطعام على  
كثرة صنوفه جمع الى نظافته لده طعمه ، وكانت ثريات النور الأبيض تتلألأ منتشرة فى  
أرجاء الصيوان مما كان ينير جو بحره بأجمعه حتى لساى رابعة النهار . وكان يزيدى  
رواء هذه الحفلة تلك الآداب العالیه التى كست تراها فى أبحال سيادة الشريف . و بعد العشاء  
بارح الحجاب العالى صيوان الأشراف بين صنوف التبجيل والتكریم ، فاصطفت مشايخ  
المران من أشراف وغرهم فسلم حفله الله عليهم شاكر لهم ضيافتهم وهم له شاكررون  
تفضله تقولها .

صباح



## دخول الجناب العالى الى مكة

- وأيامه بها قبل عرفة -

بعد تناول العشاء فى صيوان أبحال الشريف فى محرة استراح الجناب العالى قليلا فى سرادقه، وفى نحو الساعة الحادية عشرة أفرسكى مساء، امتطى حفظه الله جواده كرىما قاصداً مكة، يتبعه دولة البرس كمال الدين باشا وحضرة السرياور وبعض الحاشية . وسار الكل فى ركابه حتى اداوا فى جبل الشميسى وجد فى اسطار سموه سعادة خيرى باشا مديراً الأوقاف الحصوصية، وقدم لحضرة العليسة عطوفة أمين بك القائم بأعمال ولاية الحجاز ثم سعادة فومندان الفوة الشاهانية بها . وبعد تبادل التحية ساروا مع سموه حتى وصلوا الى قهوة البستان وهى على بعد ثلاث ساعات من مكة . وهنالك كان دولة الشريف حسين باشا أمير مكة المكرمة فى جمع من علية يتسه وأكابرقومه استقبالا لجنابه الفخيم، وأراد الشريف أن يترجل عن جواده احتراماً لجنابه العالى، فاقسم عليه سموه بان لا يفعل، وبعد تبادل التحيات وعبارات التهنانى ساروا جميعاً حتى وصلوا الى الصواوين التى أعدها الحكومة خارج مكة احتمالاً بمقدمه الشريف، وكان العلماء والوجهاء والأعيان والتجار فى انتظار قدومه السعيد بها . ونزل حفظه الله فى سرادق مخصص لتسريفه، وبعد شرب القهوة قدم له دولة الشريف حضرات أعضاء بلدية البلد الحرام: وفى مقدمتهم الشيخ الشيبى، ثم حضرات قاضى مكة، ومفتها، ونائب الحرم، والسيد عبد الله الزواوى رئيس قومسيون عين زبيدة وقومسيون المعارف وغيرهم من العلماء والاشراف والأعيان، فابدى سموه لهم شكرانه وعظيم امتنانه، ثم امتطى جواده قاصداً مكة، وسار بمن كان معه من وسط جنود الفوة الشاهانية المقيمة بها، وكانت قد اصطفت على جابى الطريق الى ثكنة ( قشلاق ) الحميدية لأداء واجب التعظيم وأمامها حضرات فومندانها وضباطها بالتشريف الكرى، وفى هذه الفترة كانت الموسيقى تصدح بالسلام الخديوى .

ودخل مكة حفظه الله من باب جرول حيث كان حرس الحمل واقفا لاداء واجب السلام، وسار في طريق الشبيكة والناس على جانبيه كأنهم البنيان المرصوص والكل ينهل الى الله يحفظ هذه الذات السنية ، ثم مر امام التكية المصرية ودار الحكومة الحجازية ودار البديه وكانت كلها مزينة بأحسن زينة ، ووصل الى باب الحرم الشريف فجر يوم الخميس ثالث دى الحجّة وصلى الصبح مع الامام المالكي ، ثم طاف طواف القدوم ، وخرج الى السعي بين الصفا والمروة حيث اصطفيت الحجاج على اختلاف أجناسهم وفي مقدمتهم الحجاج المصريون على طول المسعى ، وكان كل امرئ عليهم ساعياً لله ارتفعت أصواتهم مكربين مبتهاين وأفتدتهم ترفع الدعاء الى رب الارض والسما بحفظ هذه الذات العباسية المحروسة ، وأعينهم تذرف دموع الفرح لمشاهده أنوار مليكهم المحبوب ، الذي استولى بعدله وفضله ورحمته وعمته على الملوك ، فيا لها من ساعة كمت ترى فيها هذا المليك الفخيم ولا عرش يقله ، ولا تاج يظله ، وقد تحرد عن حمامة الملك بل عن مظاهر الدنيا بأجمعها وسعى بين يدي الله سبعة أشواط كانت قلوب الناس في أنفاسها تسعى بين يديه الكريمةتين ياله من ساعة ما كنت تسمع فيها الا زغردة النساء وآى الدعاء ومظاهره الرعية الصادقة بالاخلاص والولاء ، حتى كأنما الكل أهل بيت واحد خرجوا لاستقبال والدم وسيدهم وعائلهم وولى نعمتهم بعد غياب طويل . وأحسن ما يدكر في هذا المقام أن سيادة الشريف أشار عليه بالسعى راكباً لعدم المحظور شرعا خصوصا ودوى تعدد الشديده بعد هذا السفر الطويل ، فامنع سموه قائلاً « ما على لو غرت قدمي ساعة في سبيل الله » .

و بعد السعى قصد حفظه الله دار الامارة في سوق الليل ، وكانت قد أعدت لاقامته مدة وجوده بمكة . وكان دولة الشريف قد استأذن جنابه العالى عند دخوله الحرم الشريف وسبق اليها استعداد المقدمه السعيد . ولما وصل الركاب العالى كان دولته في انتظاره على باب السراى العامرة ، فرحب به ترحيباً يليق بمقام الرائر وكرم المنزور ، وصعد مع سموه الى قاعة الاستقبال الكبرى و بعد تكرار آيات التهاني انصرف دولته مودعا بكل شكر واحترام .

وهذه السراى كان قد بناها الحاج محمد على باشا والى مصر سنة ١٢٢٨ لتكون داراً للحكومة الحجاز ، ولما ترك ولايتها جعلت مقر الأمانة مكة الى الآن لذلك لم يردوله الشريف أجمل مناسبة يحدد بها الذكرى الطيبة لجدته هذه العائلة الكريمة المعظمة الا تقديم أثر من آثارنا بغير القرن الثالث عشر الهجرى الى هذا الحفيد الحليل ، ليمرأى عظمة أروقتة بعض آيات آباءه الأكرمين : وفي هذا إشارة لطبيعة الى عدم سريان دولة الشريف ما كان لمحمد على باشا على عائلته الكريمة من اليد البيضاء ، لانه هو الذى عين فى امانة مكة جددهم محمد ابن عون سنة ١٢٢٩ ، ومن ثم وهى فى أيدي يديه الى اليوم .

وما طلعت شمس هذا النهار المبارك حتى اطلقت المدافع من قلاع مكة ترحيباً بمقدم الجناب الحدوي ، و بعد الظهر تبادل سموه الزيارة مع سيادة الشريف ، ثم تشرف عطوفة المأمم بأعمال الولاية بزيارته حيا به العالى ، وفى الساعة الرابعة بعد الغروب نزل حفظه الله للطواف ببيت الله المعظم .

أما دولة الوالده فاتها حفظها الله ركبت من بحيرة معيتها فى فجر اليوم المذكور و وصلت الى مكة قبيل الغروب ، ودخلتها فى موكب من أحرار أى الرأءون وسمع السامعون بين اطلاق المدافع وعزف الموسيقىات وهتاف الخوع المحتشدة على الطريق ، وما زال موكبها الحليل سائرأ حتى وقف أمام باب الصفا حيث نزلت دولتها الى دار باناجا (١) باشا التى كانت أعدت لاقامتها فيها مدة وجودها بهذا البلد الامين . و بعد هزيع من الليل طافت دولتها طواف القدوم ، ثم سمعت فى عرتها مع صاحبات الدولة والعصمة الاميرات العظيمات . وما زغت شمس يوم الجمعة رابع دى المحجة حتى أخذ الا لاف من الناس يهدون على باب الدار الحدوي : هذا رافع يده للدعاء ، وذلك باسط كفه للعطاء ، وتسابق كبار المصرين لكتابه أسمائهم فى سجل التشرهات قياما بواجب تحية القدوم . وفى صحوة النهار رككب سموه قاصداً دار الولاية لرد الزيارة الى عطوفة القائم بأعمالها ، فاستقبل سموه بكل ما يمكن من مظاهر الاجلال والاحترام . وكانت

(١) وهذه الدار أيضاً من آثار محمد على باشا كان قد بناها والده على الحجار المرحوم أحمد باشا يكن

فرقة من الجنود الشاهية مصطبة على جانبي الطريق الى بابها ، ولما وصل ركابه العالى عزفت الموسيقى بالسلام الخديوى ، فأسرع عطوفة القائمقام الذى كان ينتظر على بابها مرحباً بمقدم سموه ، ثم استصحب جنابه العالى الى قاعة الاستقبال شاكراً له تفضله بهذه الزيارة ، وبعد شرب القهوة قدم لسموه حضرات العلماء والمأمورين الملكيين والعسكريين وحضرات أعضاء المجلس البلدى والاعيان والتجار الذين حضروا استعداداً للتشرف باستقبال جنابه الفخيم ، وكانت الموسيقى الشاهية طول هذه المدة تطرب الحاضر بنغماتها الشجية . ثم انصرف برعاية الله مودعاً بكل حفاوة واعظام لزيارة التكية المصرية ، فاستقبل بما يليق بمقامه الرفيع ، وتفقد محالها ومخازنها ومطبخها وبنازل حفظه الله فأكل من خبزها ، وبعد أن أعطى التسيبات اللازمة زياده العناية بأمر الفقراء وشدة الاهتمام بهم ، رجع الى دار الامارة وزار دوله الشريف .

ولما قرب وقت الظهر قصد حفظه الله الحرم الشريف لصلاة الجمعة ، وكانت أعدب له النجبة التى فى أعلى بئر زمزم فمرشت بأصناف السجاج جيداً معجمية والبسط الفاخره . وكنت فبين سيق اليها الشرف الميام بخدمة استقبالها بها : فدخل سموه من باب الصفا يحف به عدد عظيم من الأشراف وبعض ضباط الحرس الخديوى ، فزغردت النساء اللاتى كن فى محلهن من المسجد على يمين الباب فرحاً بمقدمه السعيد ، وهالك علت الأصوات من ارجاء المسجد بالتكبير والتهليل مما لم يسبق له مثيل : نعم علت الاصوات الى رب السموات الذى عظم شأنه وتجللى سلطانه وظهرت ربوبيته هائلاً كمل مظاهرها . فاذا قلت ان العالم كله ملكه فلناولكن مكة عاصمته ومظهر سلطانه وجبروته ، والكعبة بيته ومكان عظموته ورحمته . وأى مكان فى أطراف المسكونه لا يبلغ مسطحه ثمانية عشر الف متر مربع مع أنه يحتشد اليه زمن الحج فى وقت واحد نحو نصف مليون من النفوس ، والكل يدعون الله قلب واحد ولسان واحد ، وهم وان اختلفت جسياتهم ونبأنت لغاتهم يتوجهون الى قبلة واحدة ، ويتحركون فى صلاتهم بحركة واحدة ، وهم لا يرجون غير رحمة الله الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

ولما صعد الخطيب المنبر صعد معه أحد الاغوات وجلس على الدرجة التي تلي قدميه :  
وهذا بلا شك عادة قديمة كانت للمحافظة على الخطيب أثناء اشتغاله بالفناء الخطبة حتى  
لا تتسرب اليه يد أئيمة ، وأظن أنهم استغنوا عن ذلك فيما بعد بعمل ابواب للمنابر خصوصاً  
وقد صارت الخطبة لغير الامراء والرؤساء . وعقب هذه الخطبة التي لم تخرج عن مثيلاتها  
في دواوين الخطب البسيطة ، أعم الجناب العالي على الخطيب بجملة سيدة ألبسه اياها  
سماعة حسين محرم ناشا ، ثم صلى الخطيب بالناس تحت جدار الكعبة المكرمة بين المعجن  
وبانها الشريف . وكانت السماء في أثناء الخطبة قد تلبدت بالغيوم ثم فاضت بغيثها المدرار  
أثناء الصلاة فلم يتحرك الناس عن مراكرم واستبشر جميع الخلق بهذه الرحمة التي  
كانت قد انقطعت عن بلاد الحجاز من ست سنوات ، وكان هذا أحسن فال لحج  
الجناب العالي الخديوي . وبعد الصلاة خرج حفظه الله من باب الصفا بين صفوف  
الحرس الخديوي الذي حال بين سموه وبين أولئك الألوف المتراخمة لمشاهدة حياه  
الشريف ، وأستهم تلهج بالدعاء له ، وخصوصاً أهل جزيرذ العرب الذين فرحوا بهذا  
الغيث الذي أكرم الله به وفادة ضيحه الكبير .

وفي صباح يوم السبت خامس دى الحجة قصد حفظه الله زيارة الاماكن  
المباركة في ركب من حاشيته ملاكين وعسكريين ، فذهب الى المعلاة ( المعلى ) ،  
وبعد زيارة ما فيها من الاماكن المباركة أمر فوزعت الصدقات على من كان هناك  
من جيوش الفقراء والمعوزين ، ثم امتطى جواده وصعد بحاشيته الى طريق الحجون فرعلى  
السلخانة وقصد جردول لزيارة الحمل المصري ، فاستقبل استقبالاً فخماً ، وقدم لسموه أمير  
الحاج جميع ضباط ومستخدمى الحمل فتشرفوا بلثم راحتهم الكريمة ، وبعد أن أوصاهم حفظه  
الله بزيادة العناية بواجباتهم في هذه البلاد المقدسة اعطى صهوة جواده وسار تحيطه المهابة  
وتلازمه الكرامة الى زيارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مولد سيدنا على كرم الله وجهه ،  
وبعد ذلك قصد حفظه الله دار الارقم المخزومي فزارها وعاد الى السراى العامرة .

وبعد ظهر هذا اليوم استقبل الحجاب العالي كثير من الزائر بن من علماء وأعيان مكة ومن بينهم أعضاء قومسيون عين زيدة وفي مقدمتهم حضرة رئيسه السيد عبد الله الزاوي .  
 وفي الساعة الخامسة العربية بعد غروب اليوم المذكور قصد ريادة بيت الله الحرام ،  
 ففتح بابه ووضع اليه المدرج المبري ، وأوفد ماويه من الشموع حتى صار كانه قطعة من نور على نور .  
 تصعد حفظه الله على المدرج ، يتبعه دوله الامير كمال الدين باشا ورجال حاشيته  
 عسكريين وملكيين ، وهناك صلى ركعتين لله تعالى في القبلة التي في مفاتحة الباب ( وكانت  
 مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ) ثم اتجه الى الجدار الشمالي فصلى ركعتين أيضاً ، ثم الى الجدار  
 الشرقي فصلى مثلها ، وكان الجميع يصلي كذلك ، والكل في غاية ما يمكن من الخشوع للهاء  
 هذا الملاكون الاعظم والرهبوت الأعمم اللذين تصفر أمامهما الهوس الكبيرة حتى يكاد  
 يتصل وجودها بالعدم : ولولا ما كنا شاهده من تحرك الحسوم في هيئة الصلاة ، ورفع  
 الايدي بالدعوات ، واضطراب الشفاه بالتضرعات ، وما كنا سمعنا من دقات القلوب  
 أمام هذه العظمة اللامتناهية ، لحسبنا أنفسنا في حياض غير هذا الحياه : وفي الحميمة فهدكنا  
 في هذه الساعة في عالم آخر . نعم كما في بيت الله ، وفي حضرة الله من غير ما واسطة ، وليس  
 في الارأس بمحصر ، ولسان بضرع ، ودعوات ترفع ، وعميون تدمع ، وقلب يلمع ،  
 واخلاص يشمع . واعد أن أسمع على هذه الحال ساعة خرجنا وقلوبنا تغمض أقدامنا عن  
 السعي لحفظات تزيد في تمتع النفس بهذه التحليات العظمى ، وعاطفة الادب تدفعها بموجبات  
 الاحترام والاحتشام . وبعد نزولنا من البيت المعظم طاف حفظه الله حول الكعبة ، ثم  
 زار مقام الخليل ابراهيم ، ثم عاد الى مقامه شاكر الله على توفيقه لزيارة بيته الكريم .

وفضى جنبه العالي يوم الأحد في استقبال كثير من الناس على اختلاف أجناسهم ، وفي  
 المساء أولم وليمة فاخرة لسيادة الشريف وأصحاب السعادة أمجاله الكرام ووكيل الولاية ونحو  
 عشرين من علية القوم والأشراف وكبار المأمورين وحضرات العاضى والمفتى وشيخ الحرم  
 ومديره وقومندان العساكر الشاهانية ورجال المعية السنية ، وبعد العشاء انتقلوا الى البهو الكبير  
 وكان حفظه الله يؤاسمهم بلطعه ومكارم أخلاقه . . . وبعد شرب القهوة قام عطوفة أمين بك

أفندي وكيل الولاية والقائم بأعمالها، وارتحل خطابه غاية في البلاغة جمعت الى جزالة اللفظ رفة المعنى . ومما جاء فيها بعد ترحيبه بمقدم الجباب العالي الى هذه الديار الممدسه : أنه منذ وجوده في مركز الولاية وهو يدرس بكل اعجاب وافتحار أعمال المرحوم محمد علي باشا في ولاية الحجارة ، وما عمله فيها من ترتيب ونظام ، وما حبس على أهلها من الأوقاف الواسعة ، وما ربط لهم من المرتبات الحسيمة التي لا تزال ترسل اليهم من حكومة مصر سنوياً فينال منها الكبير والصغير ، وتساعد على حياة كل بأس ومير . وبعدهما انتهى ذلك الخطيب من خطابه البليغ شكره الجباب العالي فصاحته ولطمه وأدبه . ثم أخذوا في السمر الى منتصف الليل ، وانقض عمد الجمع وكانهم السنة شكر للجباب العالي على عظيم كرمه ، وحسن لعائه ، وجميل ملاطفته ، وواسع معرفته ، وكبير آدابه . وقضى حفظه الله يوم الاثنين سابع ذى الحجة في استقبال كثير من الزائرين ، ثم تراور سموه مع دوله الشريف ، وفي المساء طاف بالكعبة المعظمة ، ثم رجع الى دار الامارة ، وأمر حفظه الله بالاستعداد الى الخروج لعرفة .

## الطريق القديم والحديث

### من مصر الى الحرمين

كانت مصر ولا تزال طريق المسلمين الى حج بيت الله الحرام ورياره بنيه عليه الصلاه والسلام ، في نصف الكرة الارضية الغربية باعتبار أن مكة المكرمة هي قلب العالم<sup>(١)</sup> ، والنتظة المركزية التي ينبعث منها أنصاف أقطار الى محيط جميع دائرته الآقطار : فالاندلس الذي كان يسكن في غرب أوروبا ، والمغرب الذي في غرب أفريقيا ، وما دونه من مسلمي البربر ، فالسغال ، وبلاد التكرور ، والسودان الغربي والشرقي كانوا اذا قصدوا الحج الى بيت الله الحرام

(١) واليهود يقولون ان قلب العالم في المكان الذي به أبواب العهد بالقدس ، والصارى يقولون انما هو في كسسه العميامه بيت المقدس وفيها كرمه من الرحام يلمع فطرها نحو ثلاثين أو أربعين سيمر صر فوعه على فعدة من الرحام أيضاً ، ويرعمون ان هذه الكرة موضوعة في المركز الخميني للكرة الارضية .

سافروا من بلادهم الى مصر بحرا أو برا، ولهذا الغاية كان يقصدها كذلك كثير من أهالي الشام والترك والقوقاز والفرج وبجاري وقازان وغيرهم من مسلمي شمال روسيا وسيبيريا وجزائر البحر الأبيض المتوسط . ويحتمع الكل بالماهرة قبل شهر رمضان، ثم يسرون منها الى قوص ومسافتها ٦٤٠ كيلو متر كانوا يقطعونها برا أو في النيل في نحو عشرين يوما، ثم تسافر فوافلهم منها في الصحراء الشرقية مدة ١٥ يوما يمطعون فيها نحو ١٦٠ كيلومتر الى عيذاب أو الى الفصير على البحر الأحمر . وكان كل من هاتين الفريتين ميناء لمصر الشرقية من قديم الزمان، أي أهمها كانتا من مصر بالأمس مكان ميناء السويس الآن . وكانت الأولى منهما أهم من الثانية، وكلتاها كانت في أيدي عرب البجاه<sup>(١)</sup> الذين كانوا يتولون نفل الحجاج

(١) قبائل البجاه أو البجة يقال لهم من البربر، وكانوا يسكنون في صحراء مصر الشرقية من سواكن الى قرية يقال لها الحريقة في صحراء قوص وهذه الصحراء عامرة بمعادن الرمد والذهب والفضة والحديد وفيها معابر وآبار تدعى لاسحراجها، وهي طعاماً من عهد قدماء المصريين وبعضها من عمل محمد علي باشا وإلى مصر وكاتب العرب تسخر منها المعادن (وخصوصاً النحاس) في القرن الأول والثاني للهجرة وذلك باتفاق مع ملك البجة الذي كان ممره اسوان . وكان سال المسلمين منه ومن قومه أدى كبير فأرسل المؤمنون اليه عند الله من الجهم فكان له منهم وفتح، ثم وادعهم وكنت بيدهم كيون رؤسهم كسانا تذكر لك طره منه لعرف مقدار السباح الاسلامي مع أهل الدمه وكيف أنه كان لا يعرف منهم وبين المسلمين في المعاملة :

هذا كتاب كرمه عند الله من الجهم . مولى أمير المؤمنين صاحب حشش المرأة عامل الامراء في اسحاق ابن أمير المؤمنين الرعيدي أعماه الله ، في شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرون مائتين ، اسكنون من عبد المرير عظيم البجة ناسوان ، انك سألني وطلب الي أن أؤمك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك الى أن عمدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استقم واستقاموا على ما أعطيتني وشروط لي في كتابي هذا ، وذلك أن يكون لك وحملها من منبهي حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وناصع ملكا للمؤمنين عند الله من هارون أمير المؤمنين أعمره الله تعالى ، وأنت وجميع أهل بلدك عميد للمؤمنين ، الا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة ، وعلى أن يؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة ، وذلك مائة من الامال أو ثلثمائة دينار واربعة داخله في باب المال ، والخيار في ذلك لامير المؤمنين ولولائه ، وليس لك أن تحرم شيئاً عليك من الخراج ، وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه مما لا ينبغي أن يذكره به أو يقل أحداً من المسلمين حراً أو عبداً فقد رثم منه الدمة دمه الله ودمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودمه أمير المؤمنين أعمره الله وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب ودراريهم ، وعلى أن أحداً منكم ان أعان الخمار بين على أهل الاسلام بما لا يدل على عورة



على انهم في هذا الصحراء، وكانت أخلاقهم على غاية من الفظاعة، لا شففة فيهم ولا رحمة، وربما بلغ بهم الأمر الى تغيير طريق الماء على النافلة لغرض شنيع وهو أن ركابها يموتون عطشاً فيستولون على متاعهم .

وفي هذه الصحراء قبر العارف بالله أنى الحسن الشاذلى قرب مكان يقال له (أمتان) توفي فيه سنة ٦٥٦ في طريقه من المغرب الأقصى الى الحجاز ودفن به . وأهل هذه الجهة يعملون له مولدات سنوية من أول ذى الحجة الى التاسع منه ويمصذ يارته في هذا المولد كثير من أهل الصعيد والعربان والمغاربة .

وكان الحجاج يقيمون في عيذاب أو الفصير نحو شهر من الزمان في انتظار العلايك التي تحملهم الى جدة ويسمون بها جلانا (واحدتها جلبة) ، وهي سفن صغيرة غير محكمة الصنع وشراؤها في الغالب من الحصير . وكان أصحابها يتعسفون بالحجاج فيشحنونها بأكثر من حمولتها : وكثيرا ما كانت تغرق في وسط البحر عن عليها من الحجيج الذين يذهبون بحية مطامع أولئك الاشرار ، ومن وصل به طول عمره الى جده وصلها في نحو أسبوعين يتفاب في أنسائها بين تحكم الملاح ، وتبرم الرياح ، وانزعاج الماء ، واضطراب الهواء .

ولمذحج من هذا الطريق ان جدير الأندلس سنة ٥٧٩ فقطع المسافة بين القاهرة وجدة في نحو شهرين ونصف ، قضاه في أسوأ حال ، بين مشعات وأهوال ، مما هو ميين في

من عورات المسلمين أو أثر لعنتهم فقد نفس دمة عهد وحل دمه ، وعلى أن أحداً منكم ان قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ حراً أو عبداً أو أحداً من أهل دمة المسلمين أو أصاب لاحد من المسلمين أو أهل دمتهم مالا بلاد الله أو بلاد الاسلام أو بلادا ونة أو في شيء من اللدان برأ أو محرراً ، فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشرون وفي قتل الدمى عشر ديات من ديارهم ، وفي كل مال أصد حو له للمسلمين وأهل الدم عشر فأصافه ، وان دخل أحد من المسلمين بلاد الله تاحراً أو ميباً أو محارراً أو حاحاً فهو آمن فيكم كاحدكم حتى يخرج من بلادكم ، ولا تؤووا أحداً من آبي المسلمين من أناكم آب فعليكم أن تردوه الى المسلمين ، وعلى أن تردوا أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلميم في ذلك ، وعلى أنكم ان رتم ريف صعد مصر الحارة أو محارين لا يطهروا سلاحاً ولا تدخلوا المدن والقرى بحال ولا تسمعوا أحداً من المسلمين الدحول في بلادكم والحجارة فيها برأ ولا محرراً ولا تحيوا والسبل ولا سطموا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الدمه ولا تسرقوا مسلم ولا دمي مالا ، وعلى ان لا تدموا شيئاً من المساحد التي ابناها المسلمون بصيحه وهجوسائر بلادكم طولاً وعرضاً فان فلتتم ذلك فلا عهد لكم ولا دمة الح وناقبي الكتاب لا يخرج عن هذا المعنى .

رحلته . وفي سنة ٧٢٥ سافر ابن بطوطة من مصر الى عيذاب ولكنه لم يجد فيها مركباً  
تحملة الى جدة مع من قصدها من الحجاج لان السفن التي كانت عيناها أحرقت في واقعه  
حصلت هناك بين الترك وعرب البجاة، فعاد منها الى مصر، ومنها الى بلاد الشام، ثم الى بغداد  
وسافر منها مع المحمل العراقي في السنة التالية .

وكان يسكن في هذه القرية (عيذاب) حاكمان : حاكم بدوى من طرف شيخ قبائل  
البجاة وآخر تابع لحاكم مصر، وكانا يأخذان عوائد مروور عشرة جنيهاً عن كل حاج مغربي  
وسبعة على الحجاج الآخرين، ويتمسان ما يتحصل بينهما وبين أمير مكة ! واستمرت هذه  
المكوس حتى أطلبها صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٩٠ زمن الشريف مكثربن عيسى  
ورب له شياً عوضاً عن اصابه، ثم أعادها الأشراف من بعده على الداخلين من الحجاج إلى  
مكة، حتى أزم الملك الناصر محمد بن قلاوون الشريف عطيفة بن أبي عمى سنة ٧٢١ ما طلبها في  
نظير ما ربه اليه من الفمخ الذي كان يحمل اليه في مكة كل سنة .

والطريق بين قفط والمصير قديم جداً ، فتحه رمسيس الثالث في القرن الثاني عشر قبل  
الميلاد لتداول التجارة بين مصر و بلاد اليمن والهند و بلاد العرب الذين كانوا كثيراً  
ما يهاجرون منها الى مصر طلباً للتجارة أو للعيش فيها . وفي سنة ٣٢٠ قبل المسيح أخذت هذه  
الطريق أهمية عظيمة زمن بطليموس في بلاد نفوس ، وصارت المصير هي الميناء الوحيدة التي  
تصل تجارة البحر الأبيض المتوسط بالحيط الهندى و بالعكس ، وهو الذي حفر أغلب  
الآبار التي في هذا الطريق و بنى على طولها محازن للتجاره وأقام محوارها قلاعاً و رب لها  
الحمر اللارم لحراستها ، وهو الذي بنى مدينة سرنيس وقامت على أنقاضها فيما بعد قرية  
عيذاب (أنظر عيذاب في الحطط التوفينة) . وفي هذه الجهة إلى الآن أطلال مدينة قديمة  
ذهب بعضهم إلى أنها أطلال مدينة أوفيرا التي كان سليمان بن داود يرسل بنى إسرائيل  
اليها في القرن العاشر قبل المسيح لاستخراج الذهب من ضواحيها و ورد ذكرها في التوراه  
في الإصحاح التاسع من أخبار الملوك الاول .

ومارال هذا الطريق هو الطريق الوحيد للحجاج المصري من القرن الاول الى سنة ١٤٥٠ التي سافرت فيها شجرة الدر مع قافلة الحاج الى مكة لأول مرة عن طريق البر على العقبة . وفي سنة ١٦٠٠ أخذ هذا الطريق الأخير أهميته حيث سير الظاهر بيبرس البندقداري قافلة الحاج منه وأرسل معها الكسوة التي عملها للكعبة، والمفتاح الذي أمر بصنعه لباها الشريف، ومن ثم أخذ يقل دهاب الحجاج عن طريق عيذاب، ولكنها استقرت ظريماً للتجارة بين الشرق والغرب .

ويظهر أن عيذاب ابتدأت تسقط أهميتها شيئاً فشيئاً بسبب زيادة أهمية الفصير، نظراً لأن لها حليجا طبيعيا يجعل مياهها على الدوام في أمن من التغيرات البحرية حتى تلاشى أمرها بالمره، ولا تزال أنماضها في جنوب الفصير بمسافة عشرة كيلومتر . ولما هتم العزيز محمد علي باشا بطريق المصير عند سوق العساكر المصرية الى بلاد المحازلر الوهابية، فهدس له وأصلح آباره، واستقرت عيابه به بعد ذلك لاشتغاله باستخراج ما فيه من معادن الذهب والنحاس .

وهذا الطريق مطروق الى الآن وندروب كثيرة تسمى مطارق : وأول محطة له بئر عنبر، ويسير اليها المسافر من نأومن وهبط : وهذه المراكب ساقية قديمة أصلحها المرحوم إبراهيم باشا محل محمد علي باشا، وبنى بجزارها سيلا لسقيا المواشي، والى جانبها مكانا له باب معنودة لاستراحة المسافرين، وقرر في الرزنامحة الى حادم هذه البئر ستة جنينات سدو يالآ تزال تصرفها المالىه الى من يوم نأمرها . ومن هناك يسير الطريق الى الشمال الشرقى في درب يسمى مطرق جيف الكلاب ( لأن هناك مغاير مصر يد قديمة كان بها جثث كلاب كثيرة محطة ) حتى يصل الى محطة اللفيطة، وقيمها أناس من قبيلة العشابات من عرب العبايدة وهم حذمن البجاة، وفي هذه المحطة نحيل وحملة آثار بعضهم عهد البطالسة . ولا يزال الطريق حتى يصل الى محطة الوكاه وها آثار قديمة . ومنها يسير في مطرق يسمى مطرق جيف العجول ( وهناك مغاير كانت بها عجول كثيرة محطة من التي كان يندسها قدماء المصريين )، ثم في مطرق الحمامات وفيه خزانات مياه طبيعية، ثم في

مطرق الكافر ( وفيه آثار فرعونية و أثر حلزونية من الرخام ينزل إليها بمائة وثلاثة وأربعين درجة) . ومن هناك يستمر الطريق الى بئر الاسكيز (التي حفرها عندما وصلت جنودهم بجرأ الى القصير ، ومنها ساروا الى تلك الجهة متعفين عساكر العرناوين وقت احتلالهم لمصر) ، وماء هذه البئر يبعد عن سطح الارض بنحو أربعة أمتار . ومنها يسير الطريق الى العنبيجة ، وبها ينبع معدني مياهه كبريتية ، ويقصده بعض الناس للاستشفاء به ، وهناك مستنقعات كثيرة ينبت فيها السمار ، والحكومة تبيعه سنوياً للمصريين . ومنها يستمر الطريق الى القصير . ولقد كانت هذه المدينة في القرن الماضي عامرة أهلة بالسكان الذين كانوا يزيدون عن عشرين ألف نفس ، وكانت من ضمن محافظات انظر المهمة .

وما زالت طريق القصير مستعملة للتجارة حتى عملت السكة الحديدية من القاهرة الى السويس في مدة سعيد باشا عوضاً عن العربات التي كان سيرها محمد علي باشا سنة ١٨٤٥ م بواسطة الخيل في طريق الصحراء لحمل السياح من القاهرة اليها ، وكان لها ديوان مخصوص يسمى ديوان المرور على يسار الداخل الى الموسكى ، وهو معروف الآن بسوق الخضار القديم . ومع كل هذا استمرت القصير ميناء مهمة بين مصر العليا والمخار تنقل منها الحبوب الى جدة ، وينقل من هذه اليها السجاد والفلل والبن والسنا المكي وخلاف ذلك من واردات الهند وغيرها . وكانت لها سوق كبيره في قنأ ، حتى إذا حفر قناة السويس وصارت ترسل كل هذه المحاصيل الى أوروبا وأسأ ، فلت أهميتها وأصبحت من نحو عشرين سنة مأمورية صغيرة تابعة لمديرية قنأ وإن كانت إدارتها في يد مصلحة خفر السواحل .

وكان بعض الحجاج يسافرون من السويس الى جدة بواسطة المراكب الشراعية ، وفيه طعون مسافتها في نحو عشرين يوماً . ولكن غالبهم كان يسير راعن طريق العنبة مع الحمل أو مع غيره من الفوافل التي كانت تقوم بها عربان مصر من أولاد علي وغيرهم ، فيصل الى مكة في نحو خمسين يوماً . وأول من رتب ركب الحجاج على هذا الطريق وعتبه عند رحيلهم من البركة الامير جمال الدين الاستادار عندما سافر ولده شهاب الدين أميراً للمحمل سنة ٨٠٩ فكان إذا وصل الركب الى عجرود (وهي محطة قبيل السويس) يأمر الامير بكتابة أكبر

الحاج ويرتب كلاً في مكان معين من القافلة بجماله وذو به وخدمه ، ثم يجمع الركب من الطليعة الى الساقية ، ويضبط أطرافه ونواحيه بجماعة من العسكر بعد أن يسير أصحاب الجمول والاموال في وسط الركب .

وطريق البر شاق جدا وخصوصاً في المنطقة التي بين السويس والعقبة ، وهي لا تهل عن ثمانمائة كيلومتر ، كلها أرض رملية ناعمة تسوح فيها اخفاف الجمال قبل اقدام الرجال ، ولا يهتدون فيها الى الطريق الا بواسطة نواطير أشبه شئ نواحين الهواء أقيمت لهذه الغاية . وماء هذا الطريق قليل وعناؤه كثير ، وقد كان في بعض القرى التي عليه محازن للميرة والذخيرة وموئن الجمال وامتعة الحجاج الذين كانوا يرسلونها اليها قبل سفرهم على سبيل الامانة في نظير اجرة مخصوصة تتوفرها عليهم مشمة حماها في الطريق ، وكان في هذه القرى فرق من الجنود لحراستها . ونالجد فانابورد لك اسماء المحطات التي كان يقطعها الحاج في طريق البر من القاهرة الى مكة ، ومسافة الركوب بين كل محطة والتي يليها بمسافة الحمل التي هي اسرع من المواقل الأخرى لا يتظام سيرها واحكام أمرها وجوده جماها : من القاهرة .

ساعة

- |   |    |
|---|----|
| الى بركة الحاج .  | ٠٦ |
| » الدار البيضاء ، وبها قصر عباس باشا الاول ويلها الدار الخضراء .  | ١٤ |
| » محرود ، وتوجد في الجنوب الغربي من السويس على مسافة عشرين كيلومتراً منها ، ومن هناك كان يرجع المرضى والمقطعون والمشيعون .    | ١٢ |
| » الباطور الاول ، والثاني ، والثالث ، والارض في هذه المسافة رملية ناعمة متنقلة من جهة الى أخرى عند هبوب الرياح بشدة .         | ٠٨ |
| » العلوه .  | ٠٦ |
| » جنادل حسن ، وأرضها رملية .  | ١١ |
| » قرية نجل ، وفيها نخل وشجر وقاعة وخان من عمل الغوري ، وساقية من عمل الملك الناصر حسن والى جانبها ثلاثة احواض تسع ٣٠٠٠٠٠ قرية | ١٢ |

ساعة الى  
تملاً في زمن الحج . وكان يرسل اليها أربعة من الثيران من طرف  
الحكومة فلا تزال تدور في الساقية لملء الحيضان حتى ترجع مع فواهل  
الحاج الى مصر .

١٢ » نثر فر يصب ، وسهيت أخيراً بئر أم عباس لان والدة عباس باشا الاول  
اصلحتها وماؤها عطن .

٠٧ » العقبية ، و يصعد اليها المسافر بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى  
يصل الى قمتها ، فاذا أراد أن ينزل الى الجهة الشرفية صار ياز لأصاعدا  
وصاعدا نازلا في أرض حجريته تارة ، وأخرى رملية ناعمة ، وأخرى  
خشنة أوزا طيبة ، الى أن يمر في مضيق لا يسع الا جملاً جملاً ويسمى قطع  
لاز . وطريق هذا القطع حلزوني تمر يرباً أصلحه ابن طولون في القرن  
الثالث الهجري ثم محمد بن قلاوون في القرن الثامن ثم عباس باشا الاول  
في القرن الثالث عشر ، ومع ذلك فان المسافر فيه لا بد أن ينزل عن دابته  
ويسير على قدمه حتى يقطع العقبة في ست ساعات نزولاً وضعفها  
صعوداً . ومن دون هذه العقبة قرية العقبة ويسمونها أيلة<sup>(١)</sup> وفيها

( ١ ) هي بلدة قديمة جداً وكاتب عامية من رومن مدين وكاتب في مدة سليمان بن داود عليهما  
الصلاة والسلام . مياء كثيرة للمراكب التي كاتب تعد الى الشام من اليمن والهند وفرنس واطمع  
بها طريق البر من اليمن الى بصره . ولما مات سليمان رحمت الطريق الاول الى ما كاتب عليه في  
نقل التجارة برأ ، وكان فيها أسواق كثيرة بل كاتب مكرراً للتجارة بين مصر وبلاد العرب وفرنس  
والعراق . ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم الى عروة تنوك في السنة التاسعة للهجرة أتاه من رؤوة  
صاحبها وصالحه وأعطاه الجزية فكسله عليه الصلاة والسلام عهداً هده صورته « بسم الله الرحمن  
الرحيم هدا أمة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحى من رؤوة وأهل أيلة سبهم وسيارتهم في البر والبحر  
لهم دمة الله ودمه النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر من أحدث منهم  
حدنا منه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيفة لمن أحده من الناس وانه لا يحل أن يجمعوا ماء يردونه  
ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر . هدا كاتب جهم من الصلح وشرحيل بن حسنة نادن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وفي سنة ٥٦٦ اسولى الافرنج عليها في الحروب الصليبية فسار اليها من مصر  
صلاح الدين الايوبي وأخذ معه مراكب مفصلة على الخمال حتى وافي مياها فأصلح مراكبه وأرلها في

- ..... ساعة الى
- يفصل أمير الحاج جميع المقطوعين الذين لا يمكنهم الاستمرار على السفر لمرضهم أو لفقرهم ، و يعطيهم المؤونة اللازمة من البقسماط ثم يستأجر لهم سنبوكا يسير بهم إما الى مصر أو إلى جدة ، وكثيراً ما كانوا يصلونها بعد زول الناس من عرفة . ومن العتبة يتجه الحاج الى جهة الجنوب .
- » ٠٩ ظهر حمار ، وفي طريقها مضيق بين جبلين على البحر لا يسع إلا جملاً جملاً .
- » ١٤ الشرفا ، و يسمونها أم العظام .
- » ١٢ مغاير شعيب ، و بها نخل و ساتين ومياه عذبة .
- » ١٤ عيون القصب ، و بهاماء ونخل وشجر سنط و عبل .
- » ١٢ المويلح ، وفيها قلعة أشأها السلطان سليم العثماني بها بعض الجند لحراستها ، ومناخها رطب غير جيد للصحة ، وسكانها يتجرون في الفحم الذي يصنعونه من شجر الطرفا الذي ينبت بكثرة في الوديان المحاورة لها . ومنها طريق الى تبوك مسافته مائة كيلو متر .
- » ١٢ سلمى ( كفافه ) ، وفي طريقها مضيق شق العجوز تسير فيه الجمال جملاً جملاً ، و بهذا الوادي شجر الدوم والسنط والطرفا .
- » ١٢ اصطبل عنتر ، وهو مكان متسع محاط بالجبال وفيه ثلاثة آبار .
- » ١٢ الوجه ، سيأتي الكلام عليه في طريق المدينة ، ومنه ينشعب الطريق الى العلا شرقاً ، والى ينبع جنوباً ، والى المدينة المنورة جنوباً بشرق .
- البحر وحاصر المدينة برأ وبحراً حتى أحدها عموة و طرد الافريح منها . وهي الآن قرية صغيرة في أيدي عرب الحويطات وفيها قلعة بناها السلطان مراد الرابع بها بعض الحود الحراس بها ، وعدد سكانها لا يزيد عن مائة نفس ، وفيها نخيل وأشجار وماؤها حار ويررع بها الخسروات . وبين العقبة ومعمان نحو مائتي كيلو متر شرقاً ، والطريق صيقة وتحترق حال السراة التي يكسوها الخليد طول الشتاء . ويدها وبين بيت المقدس شمالاً نحو ٣٠٠ كيلو متر في صحراء مليئة المياه وطريقها وعرة . وبينها وبين السويس نحو ٣٠٠ كيلو متر .

- ساعة الي
- ١٦ » عكرة ، ولاماء فيها .
- ١٢ » الحنك ، ولاماء فيها .
- ١٢ » الحوراء ، وفيها مضيق تسير فيه الجمال حملاً جملاً ، وأرضها ذات رمل ناعم .
- ١٥ » الخضيرة ، وفيها معادن نحاسية وأرضها صلبة .
- ١٠ » ينبع ، ويدخلها المحمل واكباً باحتفال عظيم ، وهي ثغر المدينة المنورة على البحر الأحمر ، وستكلم عليها في طريق المدينة .
- ١٨ » السهيفة ، وماؤها ملح .
- ١٠ » مستورة ، وماؤها حلو .
- ١٤ » رابع ، وهي قرية بينهما وبين البحر نصف ساعة ، وفيها قلعة بها بعض الحد الحراستها ، وفيها محازن تحفظها مؤن ركب المحمل ودخاثره وفيها صهاريج عذبه وهي المينات لمكة ، ومنها تفرع الطريق الى المدينة ثلاثة أفرع : الطريق السلطاني ، والطريق الفرعي ، وطريق العابر .
- ١٢ » نزالهندي أو العضية ( وبعضهم يكتبها القديمة ) ، وهي قرية على البحر ماؤها ملح ومنها يتجه الطريق الى الجنوب الشرقي .
- ٠٦ » خليص ، و بالقرب منها عيون ماء كثيرة يحيط بها مزارع وبساتين .
- ٨ » عسفان ، وهناك نزل ماؤها حلو يسمونها نزال التقلة ، ويقولون إن ماءها كان مرأفتل فيه النبي صلى الله عليه وسلم فصار عذبا ، وفي طريقها ممران على طول نحو كيلو متر لا يسمان الا جملاً جملاً .
- ١٥ » وادي فاطمة ( وادي مر ) أو مر الظهران ، ومنه الى قبر السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الى العمرة الجديدة ( التنعيم ) وهي حد الحرم من هذه الجهة وأقرب حدوده اليه ، ومنه الى الزاهر ثم الى



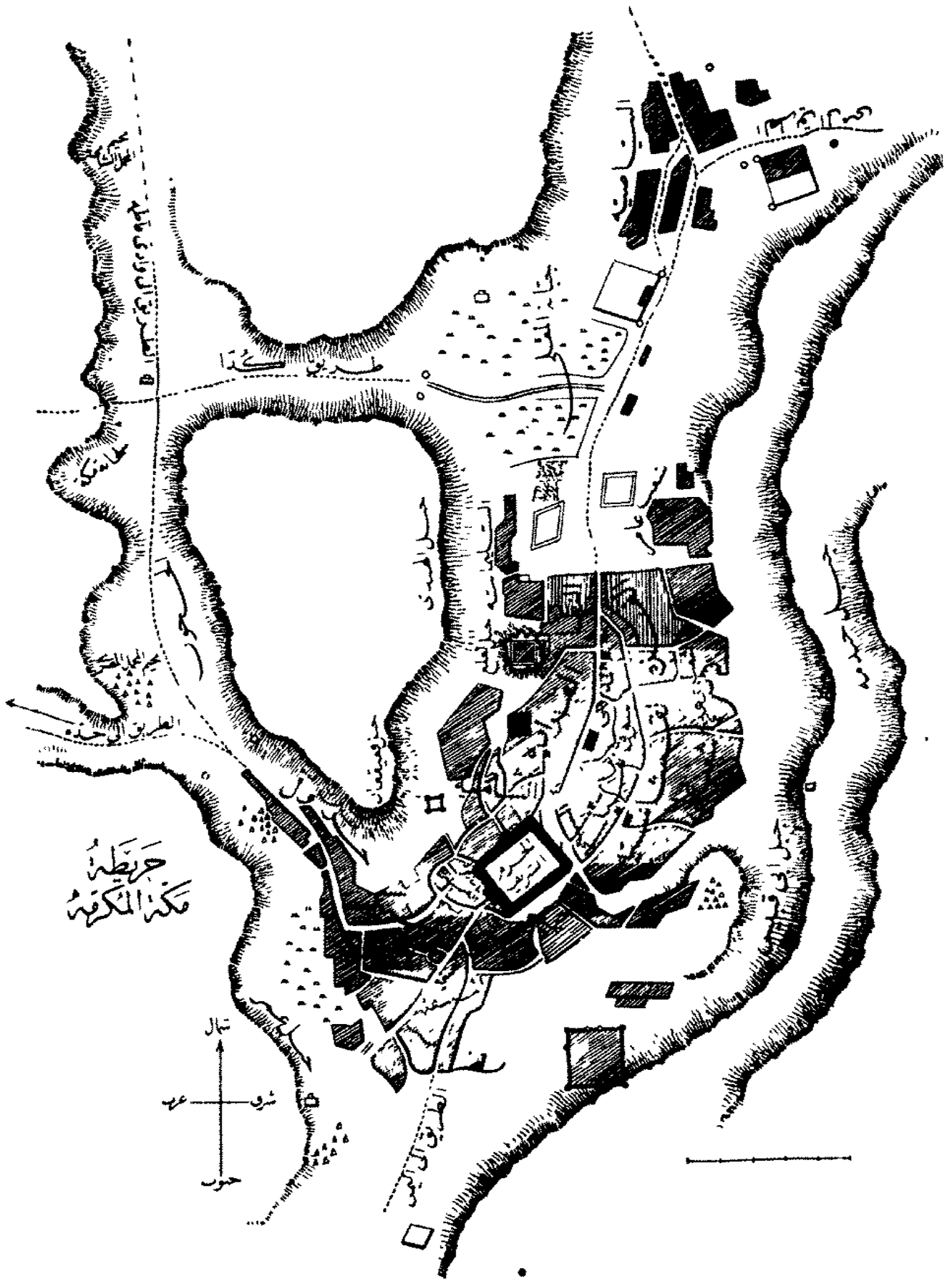
ساعة	٤
مكة المكرمة .	
المجموع	٣٣٧

وعلى حساب ان الحمل يتقطع في الساعة الواحدة أربعة كيلومترات ، تكون المسافة من مصر الى مكة من طريق البر ألفاً وأربعمائة كيلومتر تقريباً ، كانوا يقطعونها في نحو أربعين يوماً على الأقل .

أما الآن فالحاج المصري يركب السكة الحديدية الى السويس ويبحر منها الى جدة بغاية الراحة ومنها الى مكة فيصل اليها في أقل من أسبوع . ومن الناس من يسافر الى المدينة أو لا بطريق السكة الحديد الحجازية ، وبعد الزيارة يسافر مع القافلة الى مكة أو يرجع الى مصر ومنها الى جدة . ومنهم من يسافر بعد الحج الى المدينة بطريق البر ، ومنها يعود الى ينبع فالطور ، أو يركب السكة الحديد الحجازية الى الشام ولكنه في هذه الحالة يصادف كثيراً المشقة في ضرورة عودته الى الطور لمضاء الحجر الصحي هناك : لذلك يرى الكثيرون أن أحسن حل للصعوبة التي في طريق الزيارة أنهم يعودون بعد الحج الى مصر ، وبعد انقضاء مدة الحج التي يلزمها الحجر الصحي عادة يسافرون الى المدينة بالطريق الحديدي ويعودون منها الى مصر مباشرة .

## مكة المكرمة

مكة وتسمى بكة وأم القرى ، مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠ متر وهي على عرض ٢١ درجة و ٣٨ دقيقة وفي طول ٤٠ درجة و ٩ دقائق ، وتصعد عماريتها الى عهد ابراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . وكان يعيش بنوه في الخيام والمضارب حتى عاد قصي بن كلاب من الشام في القرن الثاني قبل الهجرة ، فبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ، ومن ثم أخذت تزيد في عمارتها الى الان . وهي عاصمة (قصبة) بلاد الحجاز وفيها محل حكومته التي تنقسم الى قسمين : الاداري وهو في يد الشريف أمير مكة ويسمونه سيد الجميع ، والمالي والعسكري وهو بيد الوالي الذي يكون تركيأى الغالب : وعليه فالشريف ينظر في الفضايا



الجسمية ويحكم فيها على حسب نظامات أربابها ان كانوا من الالهالى أو من الأعراب ، أما القضايا الصغيرة فيحكم فيها القاضى الذى يعين من قبل السلطان .

وهذه المدينة تمتد من الغرب الى الشرق على مسافة نحو ثلاثه كيلومترات طولاً ، وما يقرب من نصف ذلك عرضاً ، فى وادئ من الشمال الى الجنوب منحصر بين سلسلتى جبال تكاد ان تتصلان ببعضهما من جهة الشرق والغرب والجنوب ، أعنى على أبواب مكة الثلاث . ولذا لا تشاهد أبنيتها للقادم عليها الا وهو على أبوابها . والسلسلة الشمالية منها تتركب من جبل الفلج (اللقى) غرباً ، ثم جبل فيقمان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (فتح أوله ومد فى آخره) وهو فى أعلى مكة ، ومن جهته دخل رسول الله البلد حين الفتح . أما الجنوبية فانها تتركب من جبل أبى حديدة غرباً يتلوها جبلا كدى (بضم أوله وألف لينة فى آخره) وكدى (بالتصغير) بالحرف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرفيهما ثم جبل خندمة . وكل سفوح هذه الجبال من جهة الحرم تراها عامرة بالبيوت والمساكن التى تتدرج عليها الى قلب الوادى ، ويبلغ عددها نحو سبعة آلاف بيت منها الكبير والصغير يمتد فيم ازمن الحج ٢٠٠٠٠٠ ألف نفس على الاقل ، وادا كان الحج بالجمعة كان الناس أضعاف ذلك . ومساكنها على شبه مساكن جدة ، ويكثر فيها ما يسمونه بالادوار المسروقة ولا حوش لها فى الغالب الا ما كان لهظماً وكراثها ، وأعظم مساكنها بالفرارة . وأحسن موقع فى مكة شعب جيداً لارتفاعه وسعة طرفه ومساكنه وفيه بيوت كثيرة جميلة على الطراز التركى يسكنها موظفو الولاية من الأتراك وفيه دار عظيمة للشرىف عبدالمطلب وداران عظمتان للسيد محمد السعاف الذى له أملاك واسعة فى مكة والمدينة . ومع ذلك فليس بمكة على قدم عهدا بالحضارة وعظم مكاتها فى نفوس الناس من زمن بعيد جداً شىء لا يدكر من آثار العماره المديعة مما هو موجود بكثرة بمصر والشام اللهم إلا بيت الشرىف ناصر<sup>(١)</sup> باشا الذى هو فى خامسة المنظر وجمال الصناعات العربية بمكان عظيم ، ويصح أن يكون أحسن بيت فى مكة .

(١) الشرىف ناصر باشاولى عهد أمارة مكة وهو الآن بالاساسه وهذا البيت بناه الشرىف عبدالمطلب .



وضمن هذه المساكن بعض الدور القديمة، فترى دار ابن عباس في المسعى على يمين السالك الى المروة، وفي الشرق الشمالى للحرم آثار دار أبي سفيان المشهورة في الجاهلية والاسلام، وهي مهدمة لا عناية للفوم بها، ولو لاحظوا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لها يوم الفتح شأنًا كبيراً حيث جعلها حرماً محترماً كل من دخلها من المشركين كان آمناً لكان المجلس البلدى بمكة أعاها شيئاً من عنايته .

والحرم الشريف بين هذه البيوت مائلاً الى الجهة الجنوبية مما يلي جبل أبي قبيس . وفي هذه الجهة دار الخيزران، يتلوها شرقاً شعب بنى هاشم ويسمونه شعب على، ثم شعب المولد، ثم شعب بنى عامر، وفي هذه الجهة كانت مساكن بنى عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف. أما باقى قرى يش فكانوا في الجهة الاخرى من الحرم خصوصاً جهة الشمال، ومن دونهم باقى أهالى مكة .

ويتوسط مكة طريق يقطعها من الغرب الى الشرق وهو كرشوارعها، ويختلف اسمه باختلاف الجهات التي يمر عليها: فإدا ابتدأ من جرول يسمى حارة الباب، ثم الشبيكة، حتى إدا وصل الى الحرم من جهة الشمال سمي الشامية، فإدا انعطف الى الجنوب على يمين الحرم سمي السوق الصغير، ثم جيا دوفيه البوستة والتلغراف والتكية المصرية ودار الحكومة العثمانية ويسمونها بالحמידية، والى جوارها إدارة الصحة وقشلاق الطوبحية والمطبعة الاميرية . فإدا وصل الى الصفا سمي المسعى، ثم الفشيشية، ثم سوق الليل ثم الغزة ومنها الى باب مكة الشرقى أو باب المعلى . أما الشوارع التي في شمال الحرم فهي الشامية وفيها سوق المدينة، والفرارة، والنقا، والسليمانية، والجدرية، والبراضية . وليس بمكة على كرها ميادين عمومية، اللهم الا صحن المسجد الحرام الذي بسعته يؤدى وظيفة الميادين الكبرى . وهذه الطرق تختلف سعته من مترين الى خمسة عشر متراً وتراها في زمن الحج عاينة في الوساخة والمذارة مما يوجب على المجلس البلدى في مكة أن يعتنى بنظافتها خصوصاً في مدة الموسم، مع عدم إهماله أمر النور ليلاً خدمة للدين والاسامية . وفي مدة الموسم يرى أهل البلاد لاسيما الأعراب يضعون دائماً سدادتين من العطن في فتحتى مناخرهم بعد أن يغمر وهما بدهن المر ويسمونهما الصيام، ويربطونهما بخيط يعلفونه في رقبتهم، حتى إدا

آسواء عدم وجود فذارة رفعوها وأرسلوهما على صدرهم . وهم لوعلموا أن هذه السدادة صررها أكرس معها لا بطلوا استعمالها : لأن وظيفة الخياشيم إنما هي لتنقية الهواء من الأدران وتسوقه الى الرئتين تقياً . ولو دخل الهواء العاسد الى الرئتين من طريق الفم فإنه يدخل اليهما ما فيه من المادد الغريبة فيتصل معها بالدم وهما لك يكون تأثيره الضار والعياد بالله . أما الطبقة الرافية وخصوصاً من الأعراب فإنهم يضعون طرف صمادتهم (كوفيتهم) على فمهم وأنفهم ، ويثبتون في عماتهم أو عمالهم اتقاء الرداء والروائح الكريهة .

وينصد مكة زمن الحج أنواع العالم الاسلامي من جميع أطراف المسكونة : فترى بها الأزياء المتباينة وانسجن المختلفة ، حتى لبجدرها أن تسمى بالمعرض الاسلامي . ولقد رأيت فيها رجلا يابانياً من كبار فوآد اليابان<sup>(١)</sup> قد أسلم و قدم اليها التأدية ورخصة الحج . وقد اعتاد الشوام والمغاربه سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم ، والافغان والسليمانية<sup>(٢)</sup> (أهالى قندهار) في الجهة الشمالية الشرقية ، والهود والحاوة في الجهة الشمالية الغربية ، والبن وائر كستان والضاعستان في المسفلة ، والمعجم في شعب علي ، وماسوى ذلك في وسط المدينة . وأهالى مكة يبلغ عددهم<sup>(٣)</sup> نحو ١٥٠ ألف شخص منهن حرسون ألقامن الاهالى والباقون من الاعراب كما تراه في الجدول الآتى :

ألف	
٥٠	أهالى
٢٥	أعراب وعالهم بحاريون وعميون وحضارم (من سكان حضرموت)
٢٠	بحاريون
١٢	هنود
١٥	جاوه

- ( ١ ) وأهل مكة يسمونها العمان والنسبه اليها العمانى ومنها الشال العمانى المشهور .  
 ( ٢ ) نسبة الى رجل اسمه سليمان صاحب طريقة شائمة في بلادهم .  
 ( ٣ ) العدد في بلاد العرب لم يحصل لحد الآن رصفاً رسمية وكل ما يبلغه عنه إنما هو على وجه التقريب وما وسمناه هنا أخذناه من مأثورى الدولة وغيرهم ممن يوثق بأقوالهم .

١٠ سلباوية وأفغان

٥ شوام

٥ مغاربة

٨ أجناس مختلفة

١٥٠ المجموع

وأغلب هؤلاء الاغراب يشتغلون بالامور المالية وخصوصاً التجارة : لذلك تبّه أمرهم وأصبحت مالية البلاد في أيديهم . وإناذ كركك بعض البيوت القديمة التي توطنت منهم في مكة من زمن بعيد وفيها كثير ممن اشتهر بالوجاهة والثروة :

من الهنود — بيت خوقير . فتا . الدهلوى . الساب . حكيم . الرذة . الداقرو . ميره . المهقى . عبد الشكور . عبد الحق . بشاره . المرزا . أحمدود . كمال . جان . شلهوب . نور . الطيب . دستاويه . خوج . الوشكى . سنبل . خوجه بكر . المسكى . الياس . الزرعه . الفرع . الحجيمى . الخ .

ومن الحاوه — بيت البتاوى . المنكابو . الزينى . أرشد . العنتيانا . العلمباب . قدس . دوم . الخ .

ومن البخاريين — بيت كشن . الفاشقى . الايديجان . الخ .

ومن الحضارم — بيت باحارس . ناجنيد . باناجا . باحكيم . بادرعه . باعيسى . باعشن . الخ .

ومن الشوام — بيت هاشم . الحمرى . الخشيفانى . الخ .

ومن الترك — بيت الدرازلى . الفرملى . الخ .

ومن المصريين — بيت الفطان . الزقزوق . الرشيدى . الرواس . القزاز .

الاباصى . الخ .

وفداختلف بعضهم في أصل هذه البيوت ولكننا ذكرناها على ما هو مشهور من اسبتها ،

على أن الغرض من ذكرها هنا إنما هي لكونها غير عربية ليس الا .

ومن اختلاط هذا الاجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطاً في خاتمهم، خليطاً في خلفهم : فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الا ناضولي، وعظمة التركي، واستكابه الجاوي، وكرياء الفارسي، ولين المصري، وصلابه الشركسي، وسكون الصيني، وحدة المغربي، وبساطة الهندي، ومكر اليمنى، وحرارة السوري، وكسل الزنجي، ولون الحبشي . بل تراهم جمعوا بين رفة الحضارة وقشف البداوة : فيناترى الرجل منهم قد آسك برفة حديثه معك، ووضعتَه بين يديك، ادهوقداستوحش منك وأغلظ في كلامه، حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلمه في حضرتك .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التي تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية، وقمطان مصري، وجبة شامية، ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص في حزام الاشراف مفضصاً أو مذهباً بشكل جميل جداً وأكثر مما يكون مرصعاً بالاحجار الكريمة . ومع هذا، يدتري الرجل الصابع العمير يلبس القميص وعلى ياقته الظرافة المشغولة بالحريز، وعلى رجل سراويله شىء يشبه الركامه وهو حافي الرجل (مثلاً) . غير أنك لا تلاحظ ذلك في طبقة الأشراف التي ترفعت عن هذا الخليط، فلم يدخل في مادتهم غريب، ولم يتغلب عليهم خلق جديد، بل خلفهم هو هو بعينه العربي البحت الذي ورثوه عن أجدادهم وألوه بما وطروا عليه من كريم العنصرود كاء المحمد . وعلى العموم فأخلاق أهل مكة عاينه في الكمال وخصوصاً في الطبقة العالية منهم رضى الله عنهم ولا يؤخذ على مجموعهم خسة بعض السوقه فيهم .

والذى يؤسف له أن هذا الخلط وصل الى لغتهم : فتراهم يتكلمون في الغالب بلغة يكثر فيها الحشوم من كلمات عربية مشوهة، أو فارسية، أو تركية، أو غيرها . وهم ينوتون المضاف فيقولون في هذا حق فلان مثلاً « هذا حق فلان » مع إبدال الفاف جيامصريه، ومنهم من يمد الحرف المنوت فيقول « هذا حقون فلان »، أو يؤث لهظه فيقول « حفة فلان »، ولا يمدون النون من الفعل في صيغة الا مر للجمع فيقولون « هياصلون المغرب واركبون » بدل صلوا واركبوا . ويسنعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون « قم لعنا » أى قم لعنسدنا، ويقولون في الايبل بكسر الباء، وفي الحبل البلى تفتحها، ويقولون « كيمنا » أى كملنا



(خلصنا)، ويقولون «وصابتي» في وامصيبتي، «واللّمن» في اليمن . ومما يكثر سماعه منهم قولهم «دَحِين» في هذا الحين، و«ازهم فلان» في ادع فلانا. ويعبرون عن الرجل بلفظ (زامه) ويجمعون الرجل على أوادم<sup>(١)</sup> . ويقولون «زكّنه» أي اضربه . «وقل كذا» أي اعمل كذا. ويقولون «أبيض» للاستحسان . «وسنّع» في صنّع أو أفن . و«اتجمعص»<sup>(٢)</sup> يعني اجلس . و«فصخ»<sup>(٣)</sup> حداك» أي اخلع بعالك . ويقولون «مشلح» للعباءة . و«شايه» للنفطان . و«امرح» اجر . و«الودّان» للقدان من الارض . و«الثّماده» للكوفية و«زكّس عليه» أي أكد عليه . و«زِلْ» بمعنى مر، «واندر» بمعنى أخرج، «والا» بمعنى نعم ، و«اغد» في رح . ويستعملون قولهم «أشكل» لافعل التفضيل من الحسن فيقولون هذا الشيء أشكل من هذا، يعني أحسن منه ويستعملونها أحيانا بالكثرة فيقولون هذا أشكل من هذا يعني أكثر . ويسمون «الاولاد» بالزورده، ويقولون بزورده فلان أو بزران فلان أي أولاده . ويستعملون لفظ «هرّج» في معنى كلم فيقولون ماهرجته أي ما كلمته . ويستعملون لفظ «صاقن» التركيبة للاحتراس والنبيه، و«قربوز» للبطيخ . ويستعملون غير ذلك كثيرًا من الكلمات التركيبة والفارسية مثل «روشن» للشبّاك . ويقولون عن حياض مجرى عين زبيدة باران : وهو اسم لرجل أعجمي قام بعمارة هذه الحياض وان كان تبادلدهني لاول وهله أنه لنظر فرساوى (Bassin) ظننته أنه من وضع بعض المهندسين الاتراك الذين كانوا يعملون في اصلاح هذه العين ، كما استعملوا بعد ذلك من هذه اللغة ألفاظاً كثيرة في المدينة المنورة بعد وصول السكة الحديدية اليها : فيقولون «البيليت» لتذكرة السكة الحديد (Billet) و«استاسيون» للمحطة (station) و«شماندفير» للسكة الحديد (chemin de fer) و«العاجون» للعربة (Wagon) و«الرسويل» للمستخدمين (personnel) وهكذا من الالفاظ التي لم يسمح الوقت لاستقصائها

(١) مفردة آدم ومعناه بالعبرية اسان .

(٢) لعلها محرقة عن قمعز .

(٣) محرقة عن فسح .

وهذا كله مع كثرة أعلامهم النحوية وعدم مراعاة الفواعل الصريحة التي لا يهتمون بها في تقويم أسنتهم أو أقلامهم . واني بينما كنت محزوباً بالتأخر اللغة العربية في مشرق أنوارها ومظهر اعجازها إذ عثرت على ترجمة فرنساوية لكتاب (١) عمرو بن العاص الذي أرسله الى عمر بن الخطاب لما استولى على مصر يصفها له فيه ويشرح لها السياسة التي سبب اتخاذها فيها وقد شرهذه الترجمة الكاتب الفرنسي الشهير المسيو أوكتاف أوزان ( Octave Uzanne ) في جريدة الفيجار والفرنساوية الشهيرة ، وعلته عنها برمتة جريدة البروجر به الفرنسيه المصرية ، مع التعليقات التي علمها عليه المسيو أوران ، والتي وصف فيها هذا الكتاب بأنه من أكرآيات البلاغة في كل لغات العالم ، وقال عنه انه من الفرائد في ايجارده واعجازه ، واقترح وجوب تدريسه في جميع مدارس المسكونه ، حتى يتعلموا منه مع فود الوصف ومناة التعبير صحة الحكم على الاشياء ، وكيفية تنظيم الممالك وسياسة الاستعمار . وانا اذا سئنا شديد الاسف على ضياع هذه اللغة من الوسط الذي لا تزال فيه هذه العترة الشريفة الفرشية ، التي نزل بلغتها القرآن ، وصار معجزة الاسلام فصاحتسه و بلاغته ،

(١) وتسميا للفائدة تذكر لك هذا الكتاب الطبع وهو ( اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر ترنة عبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكسفها جبل أعبر ، ورمل أعمر . يحط وسطها البيل المارك المدوات ، ميمون الروحان ، يجري بالريادة والقصان كحري الشمس والقمع ، له أو ان تظهر به عيون الارض ويبايعها قدر حلان ، ويكثر محاحه ، وتعظم أمواجه . فقيص على الحاسين ، فلا يمكن التحلص من المرى بمصها الي بعض الا في صغار المراكب . وحفاف القوارب ، ورواري كاهن الحابل ، ( قطع السحاب ) وري الاصيل . ودا تكامل في ريادته تكس على عقبه ، كاول ما ندا في حربه وطى في درته . فمد ذلك تخرج مله محقورة . ودمة محقورة ، يحرتون بطون الارض ، ويسدرونها الحب ، ويرحون الماء من الرب ، ليقبهم ما سعوا من كدهم ، فباله منهم سيرجدهم ؟ ودا أحدى الررع وأشرق ، سقاء من فوق الندى وغدام من تحت الترى . فيما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، ادهي عبرة سوداء ، فاد هي زمردة حضراء ، فاد هي ديباحة زرقاء ، فسارك الله الخالق لما يشاء . والذي يصلح هدا البلاد ويبيرها ويقر فاطها فيها ، ألا يقل قول خسيسها في رئيسها : والا ستأدى خراج الثمر ، الا في أوامها ، وان اصرف ثلث ارتفاعها في عمل حسورها وترعها . فادا تقرر الحال مع العمال على هدا الاحوال ، تصاعف ارتفاع المال ، والله تعالى موفق الملك والمال .

وكتب بها ابن العاص هذا الكتاب وهو في بداوته ، وعلى نشأته الاولى ، هذا الكتاب الذي بعثته من ادراجه مدينة العصر العشرين ، من دفاتر الغابرين ، وأعطته ما يليق به من التجارة والاحترام ، فقد يجب علينا أن نفتخر بان كتاب ابن العاص بقي في مصر ملازماً لذلك الوصف الطبيعي الذي وصفها به عمرو من ثلاثة عشر قرناً ولا يزال قائماً بها الى الآن بل والى آخر الزمان ، وقد أثرت بلاغته في المصريين الذين هم والحمد لله الآن في مقدمة الناطقين بالضاد حتى لكانى بمصرهم في أيامنا هذه وقد اتملت اليها فصاحة الخطباء ومثانة الكتاب و بلاغة الشعراء في عصر الحضارة الاسلامية . وعسى أن يكون هذا خير دال أو دال خير لئنها يكون لهم من ورائه إن شاء الله شأن كبير ومقام خطير .

وغالب أهل مكة يتكلمون بالتركية ، ومن المطوفين من يتكلم بلغات مختلفة كالهندية والأوردية والحاوية والفارسية والصينية . أما أهل البادية فلغتهم عربية صرفة لا يكاد يفهمها اذا سمعها يتكلمون بها . ولكل قوم منهم لغة مخصوصة تختلف في لفظها باختلاف القبائل فمنهم من يقلب القاف زايًا فيقول ( زربة ) في قرية . وعتيبة تقلب الكاف سيناً فيقولون ( سواسب ) في كواكب و ( سلب ) في كليب و ( سبد ) في كبد . أما بنو شيبان فينظفون بالكاف جيما فارسية ( معطشة ) فيقولون ( چواچب وچليب ) وهم كذلك يملبون القاف جيما فارسية فيقولون في قرية ( چرنة ) وهكذا . والعرب لا ينظفون بالقاف بل يلفظونها جيما مصرية ومنهم من يقلب الميم باءً فيقولون بكاء في مكة ومنهم من يملب الثاء فاءً فيقولون فؤم في ثم ومنهم من يغير الحركات في الكلمة كقول الحجاز بين الحج وفول مجد الحج وهكذا .

وعلى كل حال فلا يزال في عرب اليوم أثر ما كان في لغاتهم المدعمة من الكشكشة (١)

والكسكسة (٢) . . .

( ١ ) الكشكشة هي اضافة شين على كاف المحاط فيقولون في عليك ( عليكش ) وفي بك ( بكش ) وكاب في قبائل ربيعة وحير . ومنهم من يقلب الكاف شناً فيقولون علىش في عليك و ( ليش اللهم ليش ) في ليشك اللهم ليشك .

( ٢ ) والكسكسة وهي قلب كاف المدكر سيناً فيقولون ( مس وعلس ) في مك و عليك .

والمنعنة (١) والمعجعة (٢) والجمجمة (٣) والاستنطاء (٤) والطمطمانية (٥) والوتم (٦)

نما هو مشروح نكتاب مميزات لغات العرب لحفنى بك ناصف المصرى .

وأهل مكة كلهم مسلمون ، ولا يدخلها غير مسلم من السنة التاسعة للهجرة التى نزلت فيها الآية الشريفة ( يا أيها الذين آمنوا إنا نعلم أنكم المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ) . وكان على تينادى فى الموسم الذى أعقب نزول هذه الآية الشريفة نقوله : ( ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ) . وكان المراد بذلك مع المشركين من الحج ، وعدم دخولهم البلد الحرام التى بها تم مناسكها ، لانهم مع ما كانوا عليه من سوء الضمير وخبث الطوية ، كانوا يلقون بذرا الشقاق والغل بين قبائل العرب المسلمين ، ويوغرون صدورهم ، بقصد التفرقة التى يكون من ورائها الضعف . فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فى أطراف الجزيرة بعد عشرة أيام من بيعة أذى بكر ، وذلك تتأثر المشركين منهم ، حتى بلغ من أمر هؤلاء أن ادعى البوثة منهم طليحة فى الشمال ، ولهيعة فى اليمن ، ومسيلمة الكذاب مع سجاح فى النمامة ( شرق بلاد العرب ) وقام غيرهم بالدعوة لنفسه فى وسط البلاد . هنالك استنفر أبو بكر المسلمين الى قتال أهل الردة ، وبعث اليهم بأحد عشر لواء ، وأمرهم

(١) المنعنة هى قلب الهمزة ادا وقعت فى أول الكلام عينا فكانوا يقولون ( عك ) فى الك ، ( وعك ) فى أس ، ( وعلم فى أسلم ) وكاتب فى قيس وتميم .

(٢) المعجعة أو ( المعجعة ) هى قلب الحاء عينا مثل دولهم ( عى حب ) فى حبى ( والامم الا عمر خير من الامم الابيض ) فى اللحم الاحمر خير من اللحم الابيض ، وكاتب فى هديل .

(٣) الجمجمة هى قلب الياء حيا وكاتب فى نضاعة ومهم المائل :

يارب ان كتب فمك حصح ( ححي ) \* فلا يزال سابق بأتيك صح ( ني )

(٤) الاستنطاء هو قلب العين نونا كقولهم أنطى فى أعطى وكاتب فى سعد .

(٥) الطمطمانية وكاتب فى حمير هى قلب لام العريف ميم كقولهم ( طاب امهواء ) فى طاب الهواء ( وايس من امبراه صيام فى امسفر ) فى لاس من البر الصيام فى السفر ، وهذا موجود فى فلاحى مصر فيقولون ( امبارح ) فى البارح .

(٦) الوتم هو قلب السين ناء نحو قولهم ( المات بالبات ) فى الناس بالناس . وما رن كاتب تغلب الميم

باء والباء ميم فيقولون ( مات المير ) فى مات المير .

أن يحاربوهم ولا يقبلوا منهم غير الاسلام . فساروا وألبوا في قتالهم بلاء حسناً ، وخصوصاً جيش خالد بن الوليد الذي كان له الفضل الاكبر في رجوع الناس الى الاسلام .

وبعد وفاة أبي بكر سار عمر على طريقه في تطهير بلاد العرب ممن كان على غير دين الاسلام ، لانهم أهل البلاد الذين هم عزها وبهم يكون خيرها وأشرها وبهم تكون سعادتها وأوشها وتها . وسار على سنده من أتى بعده من الخلفاء الى اليوم . لذلك ترى الآن أهل الحرمين أنفسهم يبالبغون في مراقبة الاجاب الذين يفدون الى بلادهم فلا يتعدى جدوة وينبع وصنعاء جنوباً ومحطة العلا شمالاً أحد من الاجاب بالمرء وان فعل ما هو الامورط بنفسه الى حتفه من أهل البلاد ، ولذلك فان الاجاب من عمال السكة الحديدية الحجازية ما كانوا يغادرون هذه المحطة ، لجهة الجنوب ولولضرورة .

أما أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة أو المدينة في أزمنة مختلفة ، وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية أو دنية أو عمرانية أو جغرافية ، انما كانوا يترجون بزى المسلمين بعد أن يعرفوا اللغة العربية ، ويدعون أنهم على الدين (١) الاسلامي ونحصر بالذكر منهم

(١) ولا أرى اثناً لهذا الامر غير أن أذكر لك صورة الاعلام الشرعي الذي استجرحه يرتامون لنفسه من مكة ( وكان سمي نفسه عند الله بن السمر ) أوهم فيه محرره أنه على دين الاسلام وقد أخذت صورة هذا الاعلام بالقطر وجرافيا ووصف في صفحة ١٥٢ من كتابه الذي عوانه ( سياحة الى مكة ) وهاك هي نصها .

— باسم الله الرحمن الرحيم —

والصلاة والسلام على النبي المبعوث . القائل علماء أمتي كانباء بني اسرائيل . عليه وعلى آله أجمعين .  
ندوة العلماء الاعلام . وعمده الصلاء الحجام . حلال المشكلات ومريل المعصلات سدنا  
وأحيانا في الله الشيخ ابن داكور حفظه الله آمين .

وبعد اهداء مرشد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد ورد اليها من أراد الله له بالسعادة الديوية والاحرورة عند الله بن السمر بدحو له في الاسلام فأمعنا النظر في حاله فوجدناه مؤمناً حفاً راعياً عاه الرعة في الاسلام . هذا ممن يلزمه الاعساء بشأنه من عرض أحكام الاسلام عليه وتعلمها له ولو كانت مدة حلوسه تسع ذلك لعملا معه ما يكون سداً لكل حير ولكنه أسرع بالمسير فلزم كل من له رعة في الاسلام ان يهوم بشأنه من تلمم ما يجتاح اليه وقد أشار لي بأن الرعة اليكم أكثر فأترجى على ساداتكم أن تقوموا بشأنه لاجر ما الله وانا كم من الاحر ودمتم في حير وسرور .

محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسن  
مهي المالكية

٧ ربيع الثاني  
سنة ١٣١٢

بوركارث السويسرى ، وورتون الانكليزى ، وهو رجب الهولاندى ، وكورتلمون الفرنساوى ، وأولهم هو أسبهم الى التورط بنفسه فى بلاد العرب . وبوركارث سويسرى الجنس لوزانى المولد (Lausanne) وقد الى مصر ودخل الأزهر بعد أن ادعى الاسلامية وسمى نفسه ابراهيم المهدي ، وتعلم فيه العربية ثم سافر الى بلاد العرب وأقام بها نحو سبع سنين ، وكتب عنها كتابه الذى هو أحسن ما كتبه الفرنجة فيها خصوصا فى صفة بلاد العرب وفبائلها ، ومات فى مصر على زبده الاسلامى ، ودفن فى قراقة باب الفتوح بجوار قبسة الشيخ بونس ، ولا يزال قبره موجوداً بها ومكتوب على شاهد ترسبه هذه العبارة :

هو الباقي

- « هذا قبر المرحوم الى رحمه الله تعالى الشيخ حاج »
- « ابراهيم المهدي بن عبد الله بوركارث اللوراني تاريخ »
- « ولادته ١٠ محرم سنة ١١٩٩ وتاريخ وفاته الى رحمة »
- « الله بمصر المحروسة فى ٢٦ دى الحجة سنة ١٢٣٢ هـ . »

ومن عوائد اشراف مكة ان كراءهم يرسلون أولادهم وهم فى نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدنان التى توجد فى شرق الطائف وهى قرية من سعد التى أرضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات البائل وحفظوا من اشعارهم وأخذوا من عوائدهم وطبائعهم ، وأحسن ما تراه فيهم الفروسية والحريه فى المول والعمل وهذه العادة قديمه جدا فى القوم ، ومما يدكر عن الرشيد انه رأى ولده المعتصم وهو صبى يتأفف من الذهاب الى الكتاب فمنعه منه وأرسل به الى البادية فما زال بها حتى عاد منها عارفا بلغتها عالما باخبارها حافظا لكثير من اشعارها وقدولى الخلافة وهو على أميته .

ومن عادة شريف مكة أن يجلس للحكم فى دار الاماره كل يوم من الساعة الخامسة تنهارا الى قبيل العصر ، فتعرض عليه المسائل الهامة وهناك يستعد الى التوجه الى الحرم فى ركبة

بسيطة فيصل على العصر، وكثيرا ما يجلس بالحرم حتى يصلى المغرب ثم يعود الى قصره فيتناول العشاء مع من يريد من نبيه وخاصته وضيوفه .

ومن عادته أنه يجلس صباح يوم الجمعة في دار الامارة للمقابلات، فيفد عليه الوالى وكبار الموظفين ثم أعيان مكة وجوهها، وبعد السلام عليه يذهبون الى السلام على الوالى .  
ومن عادته أن يصلى الجمعة في الحرم حتى اذا كان في الطائف ينزل منها في موكبه فيصل إليها فيه وبعد العصر يعود الى مصيفه .

ومن عادة أهل مكة التأق في المأكول والمشرب واللباس، وتكثر في لباسهم الالوان الزاهية الباهية وخصوصا الاحمر والأخضر والأزرق والوردى . وترى في مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة وخصوصا البسط العجمية النادرة المثال .  
ومن عادتهم تقديم الشاي في أى وقت تحية للقدام عليهم ، واقامة المآدب في حفلة يسمونها قِيالة (لعلها آتية من الميلولة) ويتناخرون بكثرة صنوف الطعام المتغايرة في شكلها وطعمها وليس لأطعمتهم نظام مخصوص فمنها الهندى والعربى والشامى والمصرى والتركى .  
ويفعد المدعوون في هذه الولائم على سباط يمد على الأرض وتخدم عليهم الالوان لوانا بعد آخر ، وبعد فراغهم من الطعام يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغانى وآلات الطرب كالعود أو القانون أو الرباب ثم يصرفون . وعالبا تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء وهنالك يكررون اليها ويقضون يومهم في سرور وحبور وألعاب رياضية كالمسابقة بالحرى أو ألعاب الكره أو النرد أو الشطرنج مثلا .

ولأهل كل حارة من حارات مكة عادة مع أمبرها: ذلك أن يجتمعوا ويدعوا الشريف الى وليمة يقيمونها له كل سنة في أحد منزهاتهم خارج مكة ، فادا قبل منهم ذلك عتبت يوم الوليمة وفيه يذهب مع خاصته الدين يدعوهم للتوجه معه في موكب نفيم تحرى أمامه خيالة الأعراب والبيشة ، والباس بهتفون له نفوهم دائما - (يعيش) حتى اذا وصل مكان الدعوة جلس مع من أراد . وفي وقت العشاء تمد الموائد على النظام الافرىكى والتركى والعربى ويجلس الشريف ويدعو خاصته للاكل معه ، وبعد الطعام تلعب الأعراب بألعاب الفر وسية : تارة

بالحناجر وأخرى بالسيوف إلى آخر النهار . وبعد فترة من الليل يعود الشريف في موكة إلى مكة .

ومن عوائد أهل مكة أنهم يأكلون مرتين في اليوم : واحدة في نحو الساعة التاسعة صباحاً ، والأخرى بعد صلاة العصر . وهم يميلون إلى الأبهة والنفخخة كثيراً ، ويميل صغارهم كبيرهم في التظاهر بالكرم والشجاعة ، خصوصاً في شهر رمضان . وقد كانوا يفترون في الحرم بعد صلاة المغرب ، فيمدون فيه الموائد هنا وهناك ، لاسمها في زمن الحر ، لكن الشريف عون الرفيق أبطل هذه العادة ( وحبراً فعل ) : لأن فضلات الأكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والمططوع غيرها . ومن عوائد كثير منهم أنهم بشرطون وجبات صبيهم ثلاث شرط في كل جهة . وسأؤهم يدحن بالترجيلة ، والزار يعشوقهم كثيراً ، وبعضهم يخرج إلى الأسواق عملاءه واسعة سوداء في الغالب ، وبرقع كثيف فيه فبان صغيراً فيما يما بل العينين ، وفي أرحلهم أحفاف ضخمة لونها أصفر عالماً .

وأفراحهم وما آتمهم غاية في البساطة : ومن عوائدهم في زواجهم أنهم يدعون الأهل والمخمين مساءً ورحالاً ، فأتى الرجال ويجلسون في الأماكن المعدة لهم خارج البيت ، ووقت العشاء يمد لهم سباط مسنطيل يجلسون عليه جميعاً مرة واحدة فيأكلون ثم ينصرفون . أما النساء فقد دخلن البيت فيجدن على باب قاعة الجلوس قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتحني المرأفة يداً من يديها ثم تدخل إلى المكان وبعد السلام تجلس على هذه الحال مع باقي النسوة ، ولا يزالن يجادن أطراف الحديث إلى منتصف الليل ، وهناك يزفن العروس إلى عملها ، ثم يعدن إلى بيوتهم بعد أن يضعن في عنقها عفوداً كثيرة من زهر الفل أو تمر التفاح وهو في قدر البندق .

أما ما آتمهم : فعند موت الميت تصرح امرأته من أقرب الناس إليه صرخة واحدة أو صرختين إعلاناً بالمصيبة فتتوافد عليها النساء ، فيجدن قصعة الحناء بجوار قاعة الجلوس فتحني كل واحدة منهن يداً من يديها ثم يدخلن القاعة ، وبعد أن يعزبن صاحبة الفقيد بكلمات قليلة يجلسن ويأخذن في الحديث في شؤون محتلمة ثم ينصرفن . أما الميت



فيأخذه بعض أقاربه ويدفونه بغير احتفال كبير ، وبعد دفنه يتوارد الرجال على أهله فيعزونهم وينصرفون لوقتهم . ومن عوائدهم انهم يحتفلون احتفالاً كبيراً بختم أولادهم للقرآن الكريم ويسيرون بهم بموكب عظيم في طرق مكة . ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بالزاهر على مسافة نحو سبعة كيلومتر من مكة على طريق المدينة ، فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفخرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول . ويعبرون عن المولد بالحوّل : فيقولون حول ميمونة ، وحول النبي . وفي شهر رجب يحتفلون بزيارتهم للمدينة المنورة .

ومن عاداتهم الاصطياف في الطائف ويرتفع عن سطح البحر بمسافة ١٥٥٠ متر ، والهدى فوق جبال كرا ويرفع عن سطح البحر بمسافة ١٧٦٠ متر وفيه جنان كثيرة تحرى من تحتها الانهار فيها ما يشتهون من اثمار وأزهار . وأشهر مصيف في الطائف يسمى شراوهولا شراف ذوى عون أنشأه الشريف عبدالله باشا وسماه باسم شهرامصر ، ثم حدائق المناه وهي لذوى غالب : وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بحوخها وعنبها ، وماؤها أعذب مياه تلك الجهة . وللطائف طريقان : طريق العاقلة (١) ويبعد عن مكة نحو ٣٦ ساعة ، وطريق (٢) المغال على جبل كرا وهو على نحو نصف هذه المسافة . ومدينة الطائف (٣) مشهورة بطيب هواؤها وليس أحسن منها الا جبل الهدى الذي يبعد

(١) مكة . بئر البارود (شمالى مي) . وادى اليمامة . السولة (وهي مبدأ سوق عكاظى الحاهلية) . البية دبر . أم حمس . الحيم (القيم) . الطائف .

(٢) مكة . حى . عرفه . وادى سمار . وادى العمان (ومع بئدى محرى عن ريدة) . قهوة شداد . وادى خريف الرأس . أبو حراجل . السكر . مجمع الدروب . عن العسل الهدى ( وفي جبل الهدى كثير من القردة الصغيرة والوحوش الصاربة من سباع وغيرها) . وادى محرم (وهو يقات احرام أهل الشرق واليمن وحصر موت وعمان) . بئر السكر . الطائف .

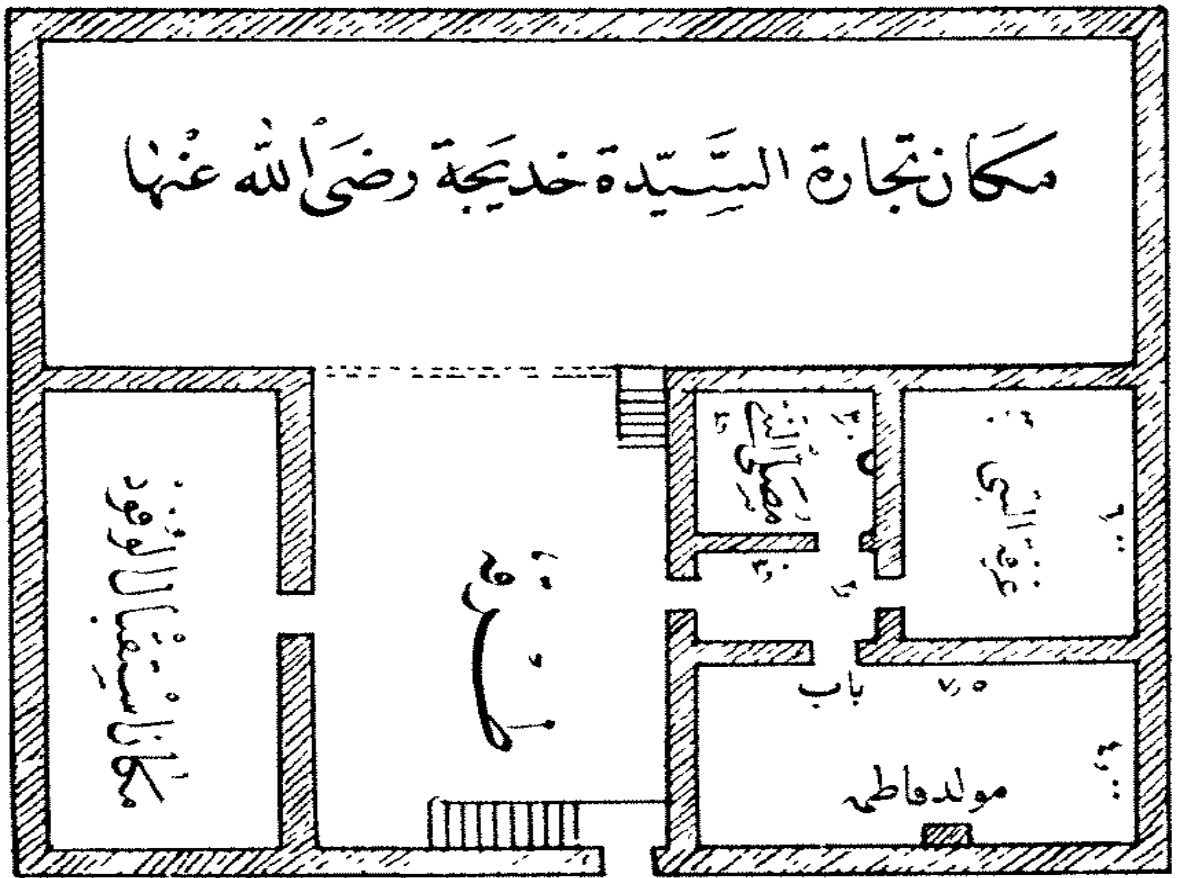
(٣) ويحيط بالطائف سور عليه عدة أبراج أشهرها القلعة الى باها عثمان المصايب عامل الوهايين على الطائف ، وفيها يسجن المفسون الى الطائف من رجال الدولة العلية : وأشهر من سجن فيها ومات بها زمن السلطان عبدالحميد شيخ الاسلام خير الله أفندي (الذي أفى تلخ السلطان عد العزيز) ، ومحمود باشا الداود (صهر السلطان عبد العزيز) ، وأحمد مدح باشا الشهير ناني الدستور .

عنها نحو ثلاث ساعات الى مكة، وأهلها مشهورون بجمال خلقهم وبعمومة بشرتهم وينسبون ذلك الى شربهم من نهر هناك يسمونه المعسل يبالغون في حلاوة طعمه . وفي الطائف قبر السيدين : الطاهر ، والطيب ، ولدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر سيدنا عبد الله بن العباس ، ويقصده اليمانيون لزيارته قبل الموسم وله على الخصوص عندهم احترام كبير . وكان بهازمن الجاهلية معبد اللات والعزى ، وكانت تدين مهمات قياف وغيرها من المبائل الحاوره للطائف . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم في أول نبوته وطلب منهم نصرته فأبوا عليه ذلك .

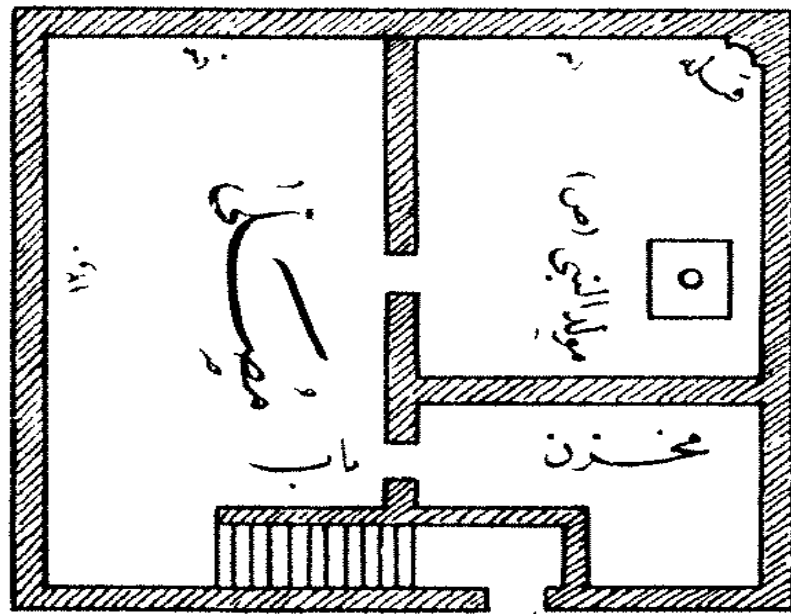
ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويفيمون فيها للمحافظة على دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهراً بين اطلاق سادقهم من كل الجهات اعلانا بأنهم يفظون لكل من قصدهم بسوء . ويوجد بمكة وخارجها منارات كثيرة منها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد علي ، ومولد فاطمة ، ودار الحيزران .

أما مولد النبي صلى الله عليه وسلم فهو في شعب بني عامر أو شعب المولد : وهو مكان فدار تقع الطريق عنه نحو متر ونصف ، ويزل اليه بواسطة درجات من الحجر توصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثني عشر متراً في عرض ستة أمتار ، وفي جداره الايمن (الغربي) باب يدخل منه الى فبنة في وسطها (يميل الى الحائط الغربي) مفصولة من الحشب ، داخلها رحامة وقد فخرجوها لتعيين مولد السيد الرسول عليه الصلاة والسلام . وهذه القبة والفناء الذي خارجها لا يزد مسطحهما عن ثمانين متراً مربعاً ، وهما يكوّنان الدار التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان السيد الرسول وهب هذه الدار لعفيل بن أبي طالب ، فباعها وولده لمحمد بن يوسف الثقفي (أخي الحجاج) ، فلما بنى داره

والداماد ومدح مدقوان حاب نصهما كان يقال له الجزيرة خارج السور على مسافة من باب سيدنا عبد الله بن العباس . وقد أقيم على قبرها أحياناً قبة فجيمة سنة ١٣٢٧ وقرشت بالرياش التيميه بمعرفة شعبة جمعية الاتحاد والترقي بمكة .



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بمكة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص) اودار عبد الله بن عبد المطلب (بمكة)



المشهوره بدار ابن يوسف وكانت بجوارها أدخلها فيها ، حتى اشترتها الحيزران أم الرشيد  
وفصلتها وبنتها على ما كانت عليه وجعلتها مسجداً ، وهي باقية كذلك الى يومنا هذا .  
و يقرب من مولد النبي صلى الله عليه وسلم مولد سيدنا على رضى الله عنه وهو على  
شكل سابقه الا أنه أصغر منه .

أمام ولد السيدة فاطمة في درب الحجر : وهو دار خديجة بنت خويلد زوج رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وفيها ولدت جميع أولادها منه . وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم كان  
يعمل في تجارتها الى الشام ثم اختارته لنفسها لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال الصفات  
وصفات الكمال ، فتزوجها في سنة ٢٨ قبل الهجرة أعني قبل بعثته بخمس عشرة سنة .  
وماتت خديجة بمكة رضى الله عنها قبل الهجرة أربع سنين وهي في الرابعة والستين من عمرها .  
وهذه الدار قدار تقع عنها الطريق أيضاً ، فيزل اليها بجملة درجات توصل الى طرقة ،  
على يسارها شبه مصطبة مرتفعة عن الارض نحو ثلاثين سنتيمتر ومسطحها نحو عشرة أمتار  
طولا في أربعة عرضا وفيها كتاب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف ، وعلى عينيها باب  
صغير يصعد اليه بدرجتين يدخل منه الى طرفه ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب :  
الدى على اليسار غرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولا في أقل منها عرضاً ، وهذا المكان  
كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحي عليه ، وعلى عين الداخل اليه  
مكان منخفض عن الأرض يقولون انه كان محل وضوءه عليه الصلاة والسلام . والباب  
الدى في قبالة الداخل الى الطرقة يفتح على مكان واسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض  
أربعة ، وهو المكان الذى كان يسكنه صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها .  
أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول نحو سبعة أمتار  
ونصف ، وفي وسطها منصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة  
رضي الله عنها ، وفي جدار هذا الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رحي قديمة يمولون  
انها من رحي السيدة فاطمة التي كانت تستعملها في حياتها . وعلى طول هذا المسكن والطرقة  
الخارجة والمصطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً  
وعرضه نحو سبعة أمتار ، وأظن أنه المكان الذى كانت السيدة خديجة تحزن فيه تجارتها .

وهذه الدار التي كانت مقر آلہ صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته في مكة ومبعثه الى الخلق كافة اذ اُنعمت بها نظر كرامت فيها وكرام لا يراها الا البساطة بنفسها : دار تحتوى على أربع غرف ، ثلاث داخلية : منها واحدة لبناته ، والثانية له ولزوجه ، والثالثة له ولربه ، والرابعة يعزل عنها له ولعموم الناس . يا لله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ؛ بل ما هذه الآداب الكريمة والسكالات الحيوية العظيمة التي صيغت في شكل هذه البساطة المتناهية ؛ تأمل قليلا تر أن هذا النظام هو بداته ما قضت به المدينة العصرية لولا أنه يعمل فيها بشكل تعددت صفاته وكثرت حاجباته ! هذه هي دار السيد الرسول الذي أرسل للناس كافة ! نعم هذا هو منزل هذا النبي الامي وذلك هو نظامه في بته : ذلك النظام الذي وان كان مجرداً عن مظاهر العظمة والفحامة فمدا كمنسى بحلى الحلال والحلال ! اللهم انى آمنت بك و برسولك هذا الذي لم يتخذ دينك وسيلة الى عيش الا غنياً و حياة العظماء ، بل كان حسبه من عيشه ما كان يقوم بحياته التي إما كانت كلها خيراً أو بركة و نعماً وسعادة للناس أجمعين .

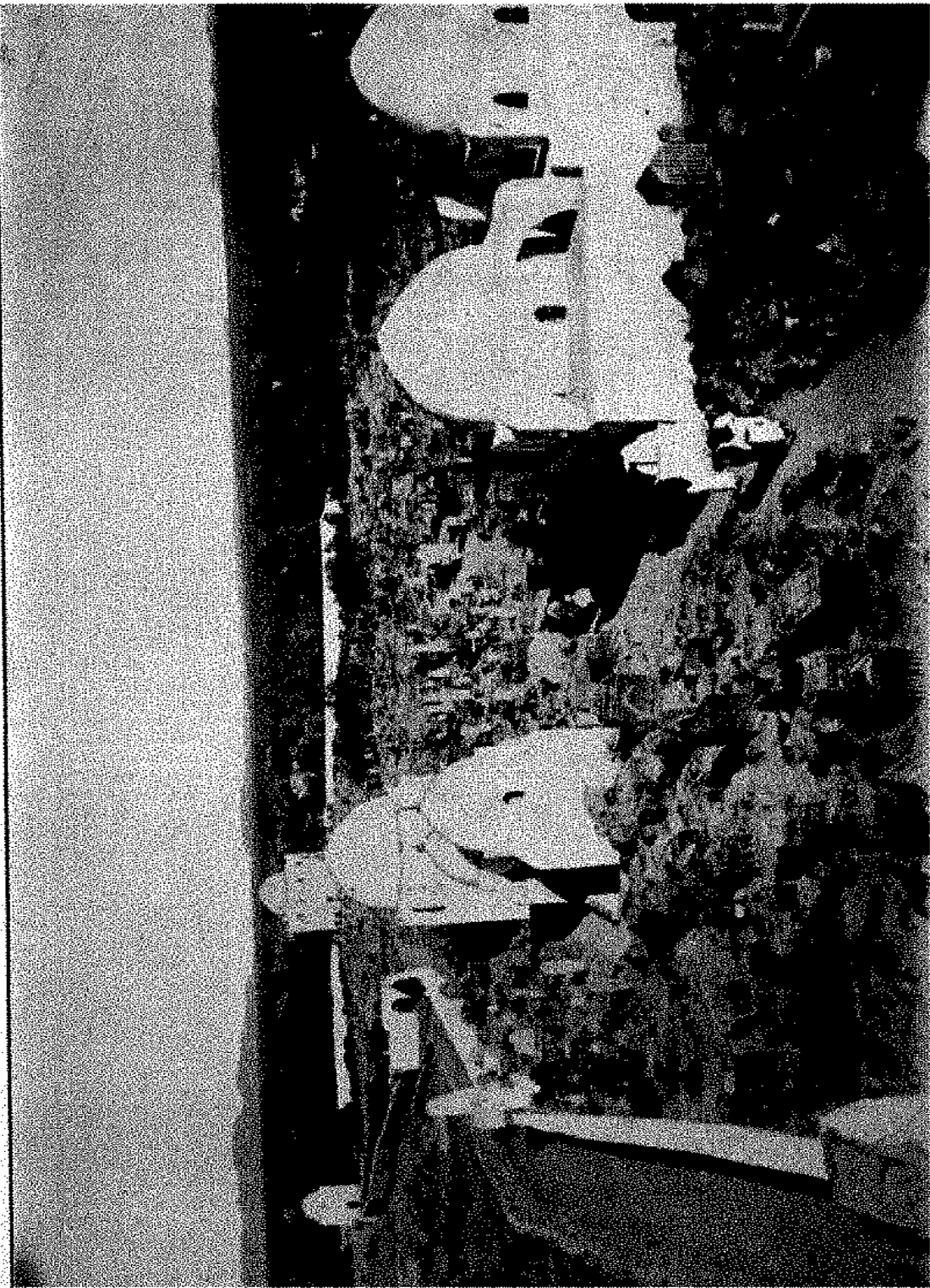
ولما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة استولى على هذه الدار عفيف بن أبي طالب ، ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجداً ، وعمرت في زمن الناصر العباسي . وقد وضع في حائط الطرقة الخارجية على يسار الداخل لوح من الرخام مكتوب عليه بالحروف البارزة : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمار مر بدم ولد الرهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الامام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين ، الناصر لدين الله أمير المؤمنين ، أعز الله أبصاره ، وضاغف اوتداره ، وجعل منافعه ومشغلاته وأجره عائد على مصالحه ثم على مصالح هذا الامام الشريف المقدس الطاهر النبوي ، على ما يرى الناظر المتولى له في ذلك من الحظ الوافر ، والمصلحة لهذا المار بد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى » طبيا الثواب الدار الآخرة . تفبيل الله ذلك منه وجزاه عليه أجر المحسنين . وذلك على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى علي بن أبي الركان الدوراني الأباري في سنة أربع وستائة ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله واعنة اللاعنسين الى يوم الدين آمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين » .

ثم عمرها بعد ذلك الأشرف شعبان ملك مصر ثم الملك المظفر صاحب اليمن ثم السلطان

سليمان في سنة ٩٣٥ .

أما دار الأرقم المخزومي المشهورة بدار الخيزران فهي في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا: وهي الدار التي كان يحتج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر بعثته هو ومن آمن معه ، وكانوا يصلون بها سراً حتى أسلم عمر رضي الله عنه فقويت به عصيتهم وجهروا بالاسلام والصلاة . وباب هذه الدار يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة أمتار ، وعلى يسارها إيوان مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار ، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مهر وشة بالحصير وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان موضوعان فوق بعضهما مكتوب في أعلاه ما بالحرف البارز « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أدن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال هذا محتجاً برسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الاسلام أمر بتجديده الفقير إلى مولاه أمين الملك مصالح انتفاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين » . ومكتوب في الثاني : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا محتجاً برسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وأشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الاصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول إلى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة هاه وأبالي في الدارين مناد في سنة خمس وخمسين وخمسة مائة » .

ومن الأماكن المقدسة عار حراء : وهو الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، ومساحته تعرب من ثلاثة أمتار في مترين ، ويوجد في قمة جبل النور الذي على يسار السالك إلى عرفة ، وفيه نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم لأول مرة . ثم جبل ثور وهو إلى الجنوب من جهة المسفلة وعلى ساعتين منها ، وفيه الغار الذي اختفى فيه رسول الله مع صاحبه أبي بكر حين قصد الهجرة إلى المدينة ، ومساحته نحو مترين مربعين . ثم المعلى . وهي مقبرة مكة وتوجد خارج بابها الشرقي ، وفيها ضريح السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو داخل قبة تجددت سنة ١٢٩٨ ، وفي القبة مقصورة من خشب الجوز



جباته المعلى بركة الكرمه فبها قوتنا القيد امنه والسقي يدبره  
وعلى اهما قبا عبد المطلب ولله طاب غيرهما من بني هاشمها



أقيمت على قبرها الشريف، وإلى جانبها مقصورة صغيرة مدفون فيها ستة عشر شخصاً من الأشراف . وحارج هذه القبعة إلى الغرب قبر السيدة الكبيرة حرم ساكن الجنان محمد علي باشا، وكانت قد أتت إلى الحج سنة ١٢٦٦ هـ ماتت ودفنت بهذا المكان . وقباله قبعة السيدة خديجة إلى الجنوب قبعة السيدة آمنة (١) بنت وهب والددة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبحوارها مقصورة دفن فيها الشريف محمد بن عون . وفي شمالها قبعة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وبحوارها قبعة جده عبد المطلب، وكلتاهما تحددتا في سنة ١٣٢٥ هـ . وفي هذه الفراصة قبر سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وكانت له قبعة هدمها الشريف عون الرفيق فيما هدم ولم تشيد بعد، وفيها قبر أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين وكان قد حضر إلى مكة حاجاً في سنة ١٥٨ هـ مات ودفن بالمعلى ولا يعرف مكانه . وفيها غير ذلك كثير من قبور الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم .

ومن المزارات بمكة أيضاً مسجد الحن، ومسجد الراية، ومسجد الاجابة، ومسجد البيعة، ومسجد أنى نكر، ومسجد عمر، ثم جبل أبي فليس وفيه مسجد بلال، ومسجد الشقاق النمر، وزاوية السنوسى (٢) الذي له في الحجاز شأن كبير ومقام خطير ومعظم الأعراب على شيعته .

(١) ذكر ياقوت في معجمه أن آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم دفنت بالانواء وهي قرية من أعمال النجر من المدينة، بينها وبين الحجة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً والسبب في دفنها هناك أن عمدة الله والد الرسول كان حرج إلى المدينة مات ودفن بها . وكانت في كل عام تخرج إلى المدينة لزيارة قبره، ولما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب سبب خرج رثرة له ومما عبد المطلب وأم أيمن حاصلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صارت بالانواء مصرفة إلى مكة ماتت ودفنت بها .

(٢) أهل مكة أغلبهم على طريفة السنوسية، وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشدية وهم أتباع الشيخ إبراهيم الرشدي، والادريسيه وهم أتباع الشيخ أحمد بن ادريس، والمرغية وهي شائعة في السودان ومصر .



وفي مكة مكان للتلغراف والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نوري عند بنائه لدار الحكومة (الحميدية) وغيرهما منذ كان واليا عليها الا ول مرة سنة ١٨٨٢ ميلادية . والتلغراف في هذه المدينة لا نظام فيه للمرة لعدم وصول غالب الاشارات التي ترسل من وإلى أربابها ! ولعل ذلك ناشئ من كثرة الاعمال في زمن الحج : أما البوستة فشي لا نظير له للمرة في بوسطات العالم : فان المكاتب تحضر في زمن الموسم من جدة الى مكة على الحال في عدة زكايب ، فتلقى في طريقة مكتب البوستة الضيعة ، ويأتي المطوفون أو صبيانهم أو الحجاج أنفسهم فيفررونها ويأخذ كل ما يعثر عليه صدفة باسمه أو باسم معارفه ، وعليه فغالبا الخطابان لا تصل الى أربابها . وأظن أن هذا النظام أو اللانظام لا يمرر له للمرة ، لأن الحكومة العثمانية في استطاعتها أن تكثّر من عمال البوستة في موسم الحج واذا فرضنا أنها عيبت بصفة ظهورات عشرين عاملا لهرز هذه المكاتب مدة الموسم وتوزعها على أربابها فلا يكلفها ذلك شيئا يذكر . ولو فلما ان الزمن الماضي كان زمن فوضى لا نظام له فاننا لا يمكننا أن نقول هذه الكلمة في الحكومة الحاضرة ، وان أمكننا فلا نحب أن نقولها . وليست هذه الحال خاصة مكة ، بل تراها بالمدينة وينبع وجدة ، وعليه فمرجو من حكومة الحجار العناية بتنظيم البوستة قياما بواجب رد الامانات الى أهلها حتى لا تضيع الفائدة المقصودة منها .

وفي شوارع مكة كثير من المهاوي البلدية التي ترى في دوائرها دكا وكراسي من الخشب مقاعدها مصنوعة من شبكة من الليف أو الخوص المجدول وأحسنها في جهة جياد ، فيجلس عليها المجاج وخصوصاً فيما كان منها خارج البلد مدده الصيف ، ويشربون منها الشاي (ويسمونه الشاهي) <sup>(١)</sup> والقهوة <sup>(٢)</sup> والرجيلة التي يجهزونها بالتبالك الحمي عادة لكثرة استعماله هناك . ولقد رأيت بعض الهنود يمر على هذه المهاوي وهو ينادي قائلاً «كابوس

(١) وأظن ان هذه الكلمة نسبة الى شاه الفرس لاسعماله هذا الشراب كقولهم شراب ملوكي مثلا وربما أتى من هذه النسبة اسم ذلك القماش الحريري المشهور «شاهي» .  
(٢) القهوة عندهم من السن اليمى ، وكبراً وهم يصيغون عنها كثيراً من المسهب مثل الخهان والقرنفل ونص المطريات مما يحمل لها تسمية لطيفة جداً ويسمونها دوش ومن أعاني البدو: يادوش ما اسمك دوش اسمك دواء لكل كد عليه .

كابوس» (مكبساتي) ، فاذا استدعاه أحد من فيها فرشه على دكة وأخذ يكسه بمهارة فائقة نحو نصف ساعة على الأقل في نظير قرش أو قرشين . و يقرب من هذه القهاوى عادة سوا مريوم فيها بعض أناس في الغالب من اليمانيين يتغنون بأغنية جميلة تطرب منها العفوس وكلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وفي بعض الأحيان ترى هؤلاء المغنين متنقلين في طرق مكة .

وفي مكة ثلاث تكايا أو كرها أو أفرها أو أنظمها أو أكثرها موداً التكية المصرية: وهي بناء فخيم شيده المرحوم محمد علي باشا جد العائلة الكريمة الخديوية في مكان دار السعادة التي كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، كما كانت دار الهناء محل حكومة بنى بركات وكانت توجد مكان دار الشريف أنى نجا باب الوداع . وفي هذه التكية محازن وطاحونة ومخبز ومطبخ ومكان نظيف منظم لحضرة مديرها أو مكنته لمستخدميها، ويطبخها يومياً للشوربه للعفراء والمورين الذين يهدون اليها صاحبها لآخذها مع ما هو مرب لهم من الخبز الذي تموم به حياتهم و يبلغ عددهم يومياً نحو خمسمائة شخص أو يزيدون (١) .

وفي مكة قلعة تسمى على المدينة ويسكنها عساكر الدولة ، وهما قلعة جياد التي بناها الشريف سرور سنة ١١٩٦ هجرية في الجهة الجنوبية، وقلعة الهندى التي بناها الشريف غالب سنة ١٢٢١ في الجهة الشمالية . وفيها حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر: واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ ، والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبي . وهما مطبعة للولاية وتسمى باسمها . ويصدر فيها جريدة بالتركية والعربية اسمها (حجاز) وهي شبيهة بالرسمية وكل ما فيها تمر بياً يتعلق باخبار الحكومة واعلامها .

وليس في مكة كتب حانات تذكر اللهم الا كتب حانه بسيطة في باب أم هانى تسمى كتب حانه شروانى زاده محمد رشدى باشا والى الحجاز سابقاً، وأخرى في باب الدرر تية قرب

(١) وهذا العدد يزداد حسب شرط الواجب وفيه الحج الى ثلاثه أصصافه، على انه ربما يقصد التكية من العفراء في الموسم ما يريد عن ذلك كثيراً لأنها أعظم ملجأ للناس في مكة ولو كانت ادارته أوف الخرمين تريد في مبراية هذه التكية ولو في مدة الحج كان ذلك من خبر أعمالها .

باب السلام تسمى بالكتبخانة السلمايية ، أسسها السلطان عبدالمجيد وكونتها من شتات كتب الحرم وغيرها مما أرسله اليها من الاستانه . واكل كتبخانة من هاتين فهرست بخط اليد ومفسر يهوم بشؤونها . والكتب التي بهما محوية وفهية وأدبية وتاريخية وعالمها باللغة العربية وفيها شئ بالفارسية والاوردية (الهنديه) والتركية والجاويه (لغة الملايو) . وقد كان بمكة كتب كثيرة مهمة وكانت موضوعة في دواليب في دائر حائط الحرم ، سرق بعضها والسيول التي أغرقت المسجد وخصوصاً في سنة ١٧٤٤ صعدت الى هذه الخزائن وأتلفت منها شيئاً كثيراً ، وكان في ذلك أكرم صيبة على العلم والعلماء لاهم ومدواهم اماً لا يصلحه الزمان ولا يعوضه الاسان .

وفيها مدرستان المدرسة الصولية ، بناها المرحوم الشيخ رحمة الله الهدي الشهير (صاحب كتاب اطهار الحق) ، ويدرس فيها القرآن الشريف وعلم التجويد وشئ من اللغة العربية والاعمال الحسابية والهندسية ، ويصرف عليها من تبرعات أهل الهند ، وهو أمر لا ثبات له ولا تدوم معه حياة مدرسة نافعة مثلها : لذلك أخذت في الانحطاط ، والامل في حكومة الحجار الهوض بها ونأملها . ثم المدرسة التي يهوم بها حضرة الاستاد الفاضل الشيخ يوسف محمد الحياط ، وهو من علماء مكة الامثال ، ويدرس فيها ما يدرس في الاولي بنوسعة ، وعنايه مولا بالامير بها كبيرة ولدك فالامل في نجاحها عظيم . واقدرأت بعدد ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ من جريدة المعيد الغراء بملا عن جريدة صباح أن الحكومة العمالية افتتحت مدرسة بمكة المكرمة محضو روالى والشريف وحمهور من الوجهاء والاعيان فعمى أن يكون فيها الخير المرجو لام القرى بل لأم العواصم الاسلامية .

ولو كان مولا بالامير يفضى بان يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون فيها ما هو خاص بوظيفتهم لكان في ذلك أكر خدمة دينية ، لان جل الموجود منهم الآن يجمل مأمورينه الكرى . وليت بعضهم يقف عنده هذا الحد بل يلتقى في دهن الحاح ما ليس من الدين في شئ كسأله الكنفاني والزلباني مثلاً : وهما حجران في طريق جدة الى بحرة يزعمون أن واحدا منهما كان كنفانيا والآخر كان زلبانيا وكانا يغشان الحجاج مسحهما الله حجريين !!

ومسأله الناقة والحجام والحجامة بجبل عمر : ذلك أن هناك صخرة تشبه ناقة باركة والى جوارها حجران زعمون أن النبي كان هذا المكان يناقته فأى رجل حجج مع امرأته وامسكا بالناقة التي لم تنهض برسول الله صلى الله عليه وسلم فمسخها الله معهما على هذه الصورة !!  
ومسأله سارق الصندوق وهو صخرة الى جهة جبل النور تنرب من صورة رجل يحمل صندوقاً يزعمون أنه كان سارقاً له فمسخه الله عليها !! وأمثال هذا كثير مما تحجب العناية بازالتة خدمة للدين المتين . والادهي من ذلك أنهم يحرفون الفاظ القرآن الكريم عمداً أثناء الطواف ، بتفخيمهم مالا يحوز تفخيمه أو ترقيمهم مالا يصح ترفيقه ، بل منهم من يقلب الحرف ما آخر لتفر يبه الى نطق السامع إن كان تركيا أو هندياً أو فارسياً ، فيقولون مثلاً « وكما عذاب النار » في قوله تعالى « وفاء عذاب النار » و « مه مد رسول الله » في محمد رسول الله و « يأرهم الراهمين » في يأرحم الراحمين و « اللوهم » في اللهم وبحودك ممالا يحوز شرعاً ولا اجتماعاً .

ويدرس في الحرم الشريف بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة المدعية العفوية ، ويقدر عدد الطلبة ببضع مئات جلهم من الجاوه الدين يفرون الى هذه البلاد من المظالم التي تتساقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم ، فتراهم يشغلون وقت الدرس في الدراسة ووقت القضاء منها يعملون فيه عملاً ينوم بحياتهم .

ويبلغ عدد المدرسين العاملين نحو الثلاثين ، وعنايتهم بالتعليم قليلة جداً ، وذلك امالة موارد الارزاق ولان مرتباتهم التي تصرف لهم من طرف الدولة لا نوم بأودهم ، لأنها تختلف من مائة الى خمسمائة قرش عنماى سمواً . ولما فى الحكومه الحديده ، حكومة الدستور ، حكومة العلم ، حكومة العمل ، وفى كبرهمة دولة السريف عظيم الامل فى اسمال حال العلم بهذه البلاد فى زمن قرب الى حال هيد القوم فى دينهم وديانهم .

وتجارة هذا البلد كلها أو جلها فى يد الاعراب خصوصاً الهنود ، وعالمها من صنف العطريات والسبح والسجاجيد والامشة الحريريه الهنديه والشامية . والصناعة فيها غير مهمة وهى لا تخرج عن صياغة بعض قطع ذهبية أو فضية وخصوصاً فى عمل الدبل التي يدعون

منفعها للبواسير شفاهاً الله ! والحدادة عندهم بسيطة جداً ولكنهم أدققة في عمل الأسلحة وفيها من المصانع فاخورة لعمل الدوارق والملل وكل ذلك في يد الأجايب أيضاً . أما الأهل فأغلبهم يعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الديني ، ولا تروج تجارتهم إلا زمن الحج ، وما يأتيتهم فيه من رزق يعيشون منه طول عامهم . غير أن كثيراً منهم يرحلون مكة بعد الموسم إلى الجهات التي بها أناس ممن سميت معرفتهم في الحج ، فيفدون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم .

والنقود التي تستعمل في مكة هي النفود التركية والمصرية فضية أو ذهبية ، والروبية والفروش الهندية والريال الشينكو وأبو طيره والريال الترم<sup>(١)</sup> (الحاوي) وهو على أشكال مختلفة ، والحنية الانجليزية والفرنساوية والروسية . وليس لهذه النفود قيمة ثابتة هناك ، بل راحم يستعملونها على الدوام في مصالحهم ، فيأخذونها منك بأقل من قيمتها ويعطونها لك بأكثر مما تساوي ، وهذا عيب كبير من عيوب المعاملات !! ولعل أرباب الأمر والنهي يجتهدون في إرالتهم فريباً . والريال أبو طيره هو أكثر النفود استعمالاً عند الأعراب وفيهمه عندهم كالريال الشينكو والمصري . ومما ياسب ذكره هنا أني أعطيت مره قطعة من النفود مسوحة قليلاً إلى طفل صغير أعراي فردها إلى قائلها هذه لطاء : وهي كلمة بدوية صرفة كان لها وقع عظيم على سمعي ' والأعراب لا يعرفون قيمة هذه النفود ، وإذا وجد معهم شيء منها يتوجهون به إلى التاجر ويقولون له « سوبهده من الصنف الفلاني على أمانتك » ، ولا تهتمهم جودة الصنف بل تهتمهم الكثرة منه .

وأسواق مكة كثيرة : منها سوق الشامية في شمال الحرم وهي أشبه شيء بالسواق التركية ولها سقف من الخشب على مثال الخان الخليلي بمصر لولا أن شوارعها أضيق ، وهذه السوق أضيق بالمارين خصوصاً عند مرور الجمال بها . وفيها يبيعون السبع والأقمشة الهندية والتركية وغيرها ، وفيها كثير من العصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذي يبيعه  
 (١) هذا الريال صرت ناسم شركة هولندية ومع عدم استعماله فلا يزال ذكره يرد في أموال بعض الذين يشهدون بشيدهم (أدبانية) « شرم برم حالي عدان » .

على الخصوص حجاج اليمن في شوارع المدينة بأثمان رخيصة جداً .  
ثم السوق الصغير وهو تجاه باب ابراهيم وأغلب ما فيه للغذاء، كالخبز واللحوم والبقول الجافة  
والخضر التي تؤتى بها من الودية المحيطة بمكة كوادى فاطمة شمالاً ، ووادى الليمون شرقاً ،  
ووادى العبيدية (العبادية) والحسينية جنوباً . وكثير من هذه الخضر يأتي مع الفاكهة من جهة  
الطائف وجبال كراء، وفي هذه السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الأسماك المفلية التي تؤتى بها  
من جدة ، وهي في الغالب مضرّة جداً بالصحة لتعقمها من الحرارة وطول زمن البهل . وفي  
شرق المسجد سوق الليل وهي سوق كثره محلطة فيها جميع احتياجات الحاج . وفي كل هذه  
الاسواق ترى مدة الموسم حركة لا تنقطع يأتي من ورائها ربح عظيم لأهل البلد . ومدار حركة  
الأشغال الشاقة في مكة على العبيد منهم الجمالون والحطائون والحمارون والجمالون والسفراءون  
والخدامون . ولقد كان للرقيق مكة سوق كبيره أخذ أمرها ينحى شيئاً فشيئاً حتى كاد  
لا يكون له أثر بالمره . وكانوا يسمون المسكان الذي يبيعونه فيه بالذكاة لأنه كان في حوشه دكاكين  
يُحَسِّنون عليها ما يراود ببعه منه .

ومهدد المناسبة أقول ان ما يصرفه الحجاج بمكة ليس بالشىء الذي يستهان به ، لأننا اذا  
فرضنا أن متوسط عددهم يبلغ سنوياً اثني ألف نفس ، وأن متوسط ما يصرفه الواحد  
منهم مده اقامته بمكة خمس جنيهات ، فيكون مجموع ما يصرفه الحجاج في مكة على أقل مدير  
مليوناً من الجنيهات في حوشهر من الربا : في أجره مسكر و بعض المسأكل وأجره مطوف  
وزمزمى و بعض هدايا يشتريها للدوية وأهله . ومع هذا كدفاً بعض أهالى مكة لا ينظرون  
الى الحاج (قطع النظر عن كونه ضيف الله وفي بلدة الحرام) بالعين التي يحب عليهم أن ينظروه  
بها ، وعلى الأقل من الجهة الاقتصادية التي هي مصدر حياتهم . لأنهم مع احترامهم له يسيئون  
معاملته ويرون في ماله كلاً مباح لهم ، ويتقوّلون في ذلك الاحاديث التي لا يخرج معناها  
عن قولهم « الحاج رزق لأهل الحرمين و رزق الحاج على الله » ! ولعل هذه المعاملة السيئة  
كانت في ذلك الزمن السبي زمن الاستبداد الذي كان المطوفون فيه يوفنون أغنياء الحجاج  
في سوق المرابذة ، حتى يرسوا أمرهم على أيهم يتولى شؤونهم ، كما حصل لبعض سراة



المصريين في سنة ١٣٢٦ ولا حول ولا قوة الا بالله ! !

وجو مكة كثير الحرارة قليل الامطار ، ومع ذلك فقد تحصل فيه سيول كثيرة من الأمطار التي تنزل بكثرة في الجبال العالية المحيطة بالطائف . وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمل في شمال مكة قناطر لمخزمية هذه السيول عن هذه المدينة ، واصرافها من الجهة الشرقية نحو المسفلة الى خزان كبير في الجهة الجنوبية يسمونه بركة الماجن ، وهناك تستعمل للأعمال الزراعية . ولا تزال لهذه السيول أضرار جسيمة مكة ومبايها .

وأهواء مكة تختلف في هبوبها جملة مرات في الساعة الواحد . ولهذا يقول المكيون « إن الله خلق سبعين هواء جعل منها في مكة سعاء وستين وفي العالم كله هواء واحدا » : ذلك لأن الهواء يدور في جو المدينة بين جبالها المحذفة بها كما تدور الدوامة على سطح الماء . فينأى تراهد يدخل الى المساكن من المنافذ الغربية اذ يهبط عنها ودخل من الشرفيه أو الشمالية أو الجنوبية وهكذا ، ولذلك تجدمسا كهمم كثيرة الوافذوعالباها الى الجهات الاربع حتى لا تحرم من الهواء من أى جهة كان . والهواء المحرى عندهم وهو الغربى أحسنها وألطفها لانه يأتى من جهته البحر ، ثم هواء الشام و يسمونه الشمال والشمال ، أما الجنوبى والشرقى فهما حاران .

ويفسد هواء مكة في أيام الحج لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها ، وتكثر فيها زمن الشتاء أمراض الصدر ويدر فيها التدرن الرئوى ، وفي زمن الصيف تكثر الاحتمانات الدماغية و ضربات الشمس وأمراض العين والكبد والجهاز الهضمى والدوسنتاريا خصوصا بين الاطفال و يسببها عندهم أكل السمك العفن والقواكه الغير باضحة ، وفي زمن الحر تكثر فيهم الحميات لاسيما عند فساد مياه الشرب ، ويكثر فيهم مرض الحدرى ويموت بسببه سنويا أكثر من اثنين في الالف . ومما يحذر نادره ان الكوليرا لم تظهر في مكة الا سنة ست وأربعمائة ومائتين وألف هجرية أى في نحو سنة ١٨٢٥ ميلادية ، وفدت اليها مع حجاج الهند ولا تزال تفسد اليها معهم . ولو كانت الحكومة تعتنى

اشدة الحجر على حجاج الهند والحاو في جزيرة فمران<sup>(١)</sup> قبل دخولهم الى جدة بزمن لا مكسها الحيلولة بين حجاج بيت الله الحرام وهذا الداء الويل . والا وثمة الكبيرة التي حصلت بمكة في زمن الحج وفتكت بالحجاج فتكاد ريعاً كانت في سنة ١٨٩٠ ميلاديه وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٢ . وفي مكة مستشفى معروف الآن باسم شفقانة الحاصكية وهو من خيرات حاصكي سلطان روجه السلطان سليمان العائوني . وفيها أربع أجزاء حانات : اثنتان في طريق المسعى وواحدة في مصلحة الصحة بحيا دار الراجعة أشبه شيء بـ كان عطارة بسيطة فيها من الادوية ما فسد عالبه وأصبح ضرره أكثر من نفعه وعلى كل حال فالعناية بالمسائل الصحية بمكة فابلت جداً . لأن نقتهم بالطب القديم الذي مداره على الكي والقصد والحمية الشديدة و بعض أصناف العطارة الشرقية كالمر والصبغ أكثر من نفعهم بالطب الحديث .

و قد كان الحجاب العالي الحديوي حظه الله وكر في ايحاء مستشفى بمكة ورتب له طبيباً وأجزاءياً فلم يتيسر لهما القيام بأمور يتبها واكتفى الحال مؤقتاً بالخدم التي تقوم بها مأموريه الأوقاف الصحية زمن الحج ومقرها فيها يكون في التكية المصرية والحق يقال ان لها أثر ايد كرويشكر . ومصاريف هذه المأموريه تبلغ سنوياً فوق السبع مائة جنيه مصري ومع هذا فاننا نسمي الخدم التي تقوم بها مأموريه الحمل المصري الصحية لعامة الحجاج لا فرق بين مصري وغيره .

وأهل مكة يشربون من ماء الآبار التي فيها مثل زمزم أو التي في ضواحيها كـ الزاهر والعسملاني والحمرانه وغيرها ، أو من الصهاريج التي تملأ من مياه المطر أو ماء اليمانيع ، أو من عين زبيده التي بحري ماؤها الى المدينة في قنوات تحت الارض لها خزانات في شوارعها

(١) جزيرة فمران وامة في البحر الاحمر شمال الحديدة بمسافة أربعين ميلاً وعلى مسافة ٨٠ ميلاً من جدة . وفيها أحذية كثيرة بنها الدولة العلية بحيث أصبحت واقية بالمرض المقصود منها . ولو كانت الدولة لا تدع الهنود والحاو يدخلون الى مبياء حده الا اذا كان معهم حوار نطيف من فمران لكان ذلك أنفع للاد هابل للاد العالم بأسره ولا كمن المسامون ما تلصقه الافريح بمكة من انها نورة الاوثة التي تفتشى في بلاد العالم ساعهم الله .

علاؤها منها السماء ونور بهم . وهذه العين لها أهمية عظيمة جداً وهي من أجل الآثار التي تنسب إلى السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد رضي الله عنهما . وكان السبب في إسمائها أن هذه السيدة البارة رأت في حجبها ما كان ينال أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام من العناية الشديد والاهوال الكثيرة لقلّة الماء في تلك الأحياء ، فأمرت رحمها الله بأجراء الماء إلى أم الفري من عين حنين التي توجد فيما وراء عرفة إلى جهة الشمال الشرقي ، على مسافة نحو خمسة وأربعين كيلومتراً من مكة . وهذه العين تخرج من جبال طاد وسير في وادي حنين الذي حصلت فيه (سنة ٨ للهجرة بعد فتح مكة) تلك الواقعة المشهورة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من هوازن ونقيف ، وبنت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نبياً عظيماً ، كما أبلى المسلمون فيها بلاءاً حسناً . وفيها قتل دريد بن الصمة وهو من أكره رجال الخاهلية المشهورين ، فقتله رجل من المسلمين يسمى ربيعة بن رفيع السلمي .

وقد اهتمت زبيدة بهذا العمل الحليل اهتماماً كبيراً وأرسلت إليه العمال من جميع الأقطار ، فسوا لهذا الماء محرمي عظيمين وأوصلوا به محرمي آخر من وادي النعمان من الماء الذي ينزل إليه من جبال كرا التي تبعد عن عرفات شرقاً إلى الجنوب نحو أربعين كيلومتراً ، وسبروا إليه سبع قنوات أخرى من الجهات التي تسقط إليها السيول حتى تساعد ماء المحرمي الأصلي الذي عندما وصل إلى جنوب ممي نفرل في الصخر خزان كبير يصب فيه يسمى بئر زبيدة ، ومنه سيرت قيادة إلى مكة . ومن هذا المحرمي امتد فرعان : واحد إلى عرفات ، والآخر إلى مسجد نمرية يسير الماء فيهما من الحج .

وفي نهاية القرن السابع الهجري طم محرمي هذه العين وتهدمت فماتها وانقطع ماؤها عن المدينة ونال الناس من جراء ذلك جهداً عظيماً . ودكر الفاكهي في تاريخ مكة أن الأمير جويان « نائب السلطنة بالعرفات عن السلطان أبي سعيد بن خربنده (لعله خداسده) ملك التتار » أراد أن يعمل عملاً نافعاً في أم الفري فطلب إليه أن يعمر عين زبيدة ، فأرسل رجلاً من خاصته اسمه بازان لتعميرها فتمها في سنة ٧٢٦ وفيها جرت مياه العين إلى سفائيتها التي بناها في المعى وسماها باسمه ويظهر أن هذا الاسم تغلب على باقي السفائيات التي بمكة حتى صار يطلق على كل واحدة منها

اسم بازان الى الآن .

وما زالت هذه العين حياة لاهل البلد الحرام وحجاج بيت الله المعظم حتى أهمل شأنها وتهدم بنيانها وانقطعت مياهها مرة أخرى فيما بين سنتي ٩٣٠ و ٩٧٠ ، ونال الناس من ذلك أهوال ما كانت تخطر على البال ، حتى بلغ ثمن زق الماء (قربة صغيرة تسع ٣ لترات بفریباً) بعرفة في غضون هذه المدة ليرة ذهبية: وسبب إهمال هذه العين في المدة المذكورة أن ملوك مصر هم الذين كانوا يعتنون بها ويفومون بعمارتهافي الغالب . فلما تغيرت الأحوال ودخلت مصر مع أرض الحجاز سنة ٩٢٣ ضمن أملاك الدولة العلية التي كانت تشغل كل وقتها كثرة حروبها الخارجية ، أهملت الدولة ترتيبها الداخلية حكومتها ، خصوصاً ما كان يعيداً عنها . ولكن أهل الحرمین الشريفین قاموا في سنة ٩٦٩ واتمسوا من السلطان سليمان اصلاح هذه العين . وهالك رجته كریمته صاحبة السمو والملوكاني مهر مادسلطان أن يشرفها باجراء هذا العمل المرور من مالها الخاص ، وعينت مدير الأليام هذه المهمة ، وسلمته الأموال اللازمة لها ، فسافر من وفته الى مكة وشكل مجلساً من أهل الرأي فيها ، وأمر بحفر الماء وتنظيف فروعها و بناء ما تهدم من محراها، ولما وصل الاصلاح الى ثر زبيدة بمنى أراد رحمه الله أن يغير محراها الى مكة، فاضطر الى النزول في هذا الجبل الصخري على مسافة نحو خمسة وعشرين متراً من سطح الارض ، في مسافة طولها أكثر من كيلومتر، ثم سيرها في حوض الجبل القبلي حتى أوصالها الى مكة سنة ٩٧٩ .

وينقسم هذا الحريم من البياضية شرقي باب المعلى الى أربع شعب تتخلل المدينة من جهة الى أخرى . و يبلغ عرض هذه القناة نحو متر و ربع في ارتفاع نحو متر و نصف، وتفر من سطح الارض وتبعد عنه على حسب ارتفاعها وانخفاضها، ولها حزانات تملأ منها السفاءون . وفضل ماء زبيدة يسير الى المسفلة حتى يصب جنوب مكة في بركة المساجن وهناك يستعمل في سقي بعض البساتين والمزروعات التي لبعض الأشراف .

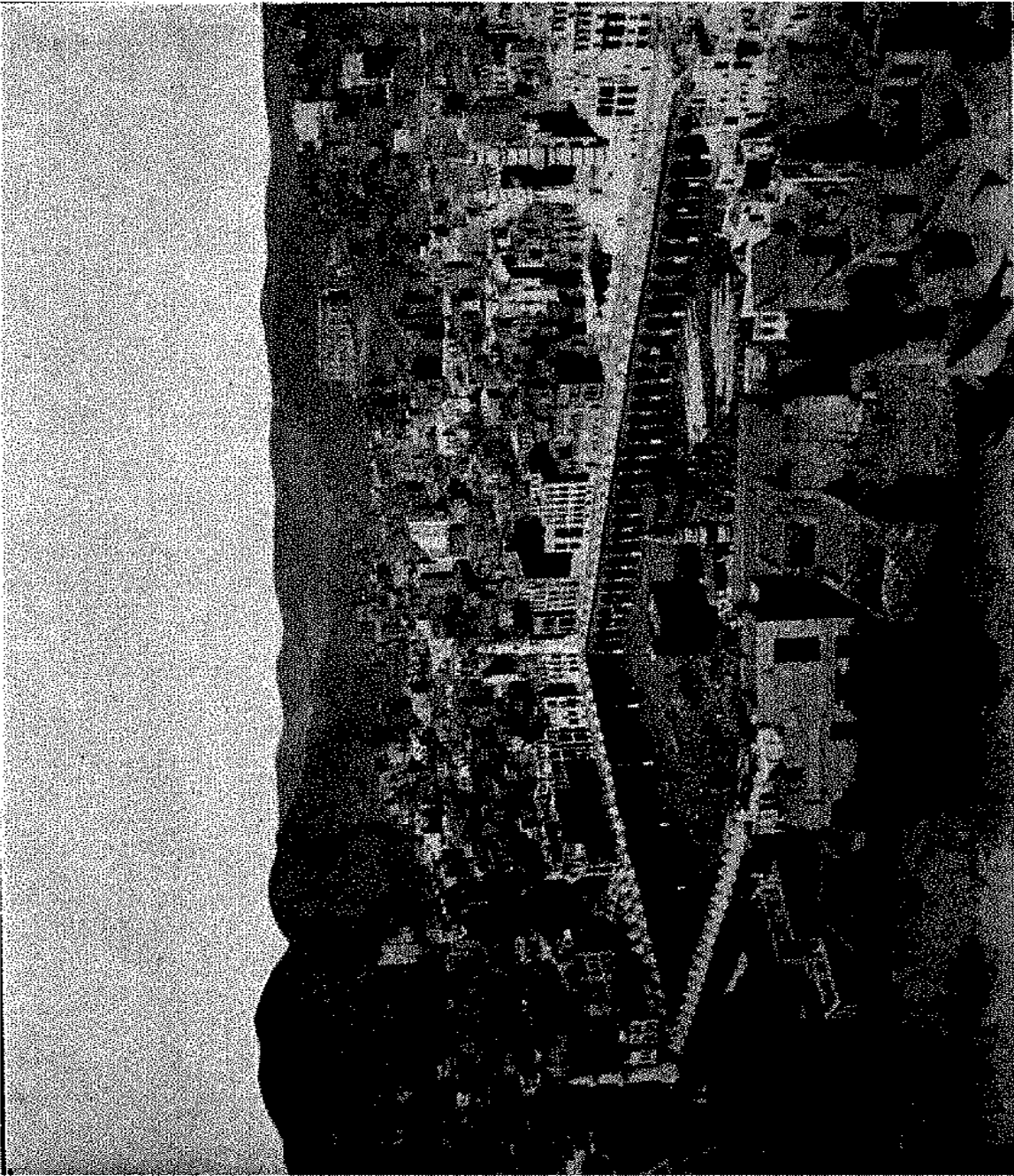
وكثيراً ما تعبت السيول بهذه القناة فتصلحها أمراء مكة بالأموال التي ترد اليها من الدولة أو من أصحاب الهمم والخيرات من المسلمين . وآخر ما حصل لها من ذلك على أثر السيول التي

وقعت في سنتي ١٣٢٧ و ١٣٢٨ فهدمت نقطا كثيرة منها، وطم محرأها بما تحلف اليه من الرمال والاحجار ، فقام حضرة صاحب الدولة الشريف حسين باشا أمير مكة وجمع الناس وطهره وأصلح ما اعتل منه . وكان للجناب العالي الخديوي العباسي أكبر فضل في ذلك لانه بمجرد ما بلغ مسامعه الكريمة خبر هذه الفاجعة التي أصيبت بها أم القرى ، أرسل بالفي جنيه مصري لهذا العمل الجليل وواعد بغيره كلما اقتضت الحال لمساعدته جزاءه الله خيراً .

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ على بلدية مكة أن الفتحات التي في أعلى هذه العين من جهاتها المكشوفة في مكة وفي أعلاها يستعملها الناس في غسيل ملابسهم وخلافها ، مما لا ينطبق على القوانين الصحية ولا تسمح به الشريعة الغراء الاسلامية !! وهل يسمحون لي أن أقول لهم ان ذلك ولا شك العلة الوحيدة لكثير من الأمراض التي تنفسي في مدينتهم : وعليه فيجب أن تكون العناية بأمر هذه الفتحات كبيرة ، وأن يضرب على أيدي من يعيث بها أوسدها في وجوههم بالمره ، وهل فاتهم قول صاحب الشريعة المصحاء (النظافة من الايمان) .

وياحبذ الو يا مردولنه مولانا الشريف بوضع طلمبات على فوهات مياه محري عين زبيدة في مكة ومنى وعرفة ، وعلى نثر زمزم ، وتكون هذه الطلمبات كبيرة بحيث تكفي لحاجة الحجاج من جهة ، ومن أخرى تجعل ماءها بعيداً عن التلوث بانواع البكتريا التي تكثر منها الحميات في الحجيج وتودي في الغالب بحياة الكثيرين منهم .

وعندي نصيحة للذين من عادتهم العناية بأمر ماء الشرب : ذلك أنهم اذا أرادوا الحج أخذوا معهم ما يكفيهم من المياه المعدنية أثناء الطريق ، أمامة وجودهم في مكة والمدينة فحسبهم غلى الماء المخصص لشربهم ، ولو أضافوا على كل لتر منه عشر نبط من محلول مركب من واحد في الألف من رميجانات البوتاسا . كان أحفظ لصحتهم . وهناك طريقة أخرى لتنقية الماء تنقية تامة ، وهي أن يؤخذ أقراص مجهزة تسمى أفراص (فياروجورج) ذات ثلاثة ألوان : الاول أزرق والثاني أحمر والثالث أبيض . فيذاب أولاً قرص أزرق ثم آخر أحمر في لتر من الماء المراد تنقيته ، وهناك يتم اتحادهما هذا الماء فتقوت جميع الحرائم التي فيه في مسافة عشر دقائق ، ثم يوضع فيه القرص الأبيض فيتحد مع اليود الذي به ويعمل معه



BOEHNE & ANDERER, CAIRO

رسم مکه و الحرم بالقطر غرافيا من جهة ابي قبيس

تركيباً عديم الطعم ، وبهذه الطريقة يكون الماء صالحاً للشرب . واذالم يكن لاهذا ولا ذاك فعليهم بقلتر سفرى يمتصون به الماء ولو في الصحراء .

هذا وأرجو قبل قفل باب الكلام على مكة أن يسمح لي حضرة القارىء بكلمة أسوقها اليه : ذلك أنى زرت القدس الشريف فرأيت به لكل نوع من النصارى واليهود على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم من الأديرة والكاياومنازل الضيافة شيئاً كثيراً جداً ، تمهدت فيها سبل الراحة والحياة للناس أجمعين : فالعمير يحد فيها مكاناً محاماً لمدة أسبوع على الأقل ، يرى نفسه فيه آكلاً شارباً نائماً كسائماً محمداً ومشكوراً من غير ما يتكلف لذلك قرشاً واحداً ، والغنى يحد فيها راحتته في نظراً أجر يدفعه يومياً لا يزيد عن الأجر الذى يدفعه فى لو كادة بسيطة ، ومن الأغنياء من يخذها مسكماً فقط ويتدارك أكله بنفسه . وهذه الأماكن التى قامت بها شركان البر والاحسان من الممالك المختلفة على اختلاف جنسياتها ومذاهبها كثيرة جداً ، وأكثرها لليهود ثم للروس ثم للأروام ثم للأرمن ثم للانكايز والفرساو بين والألمان . وقد أقام الألمان هناك أخيراً داراً للضيافة وللصحة على جبل الرحون صرفوا عليها أكثر من سبعين ألف جنيه : وهى دار رحيمية فسيحة شامخة المبانى ، وطيدة الأركان ، وضع فى مدخل سلمها تمثال امراطور وامراطورة الألمان ، وافتتحت هذه الدار رسمياً بحضور ولى عهد المملكة الألمانية الرس أيل فى شهر ابريل سنة ١٩١٠ م . وعدا هذه الدور والأديرة والملاجىء ترى هناك لكل جنس من النصارى واليهود المستشفيات العظيمة المشيدة والمدارس الفاخرة ، بحيث تكاد ترى بحوار كل بيت من بيوت المدينة مدرسة : هذه الألمان و تلك اللانكايز وغيرها للروس وخلافاً للفرساو بين وسواها لليهود ، بل تحدد لكل ورقة من هذه الامم مدارس مخصوصه للبنات والبنين على أحسن طراز جديد ، والتعالم فيها على أحسن بر وجرام كافل لحياة المتعلمين . اللهم إن هذه هى الحياة الصحيحة وهذا هو الوجود بكامل معانيه ! وهل لاخواننا المسلمين فى جميع أقطار المسكونة أن يقوموا بعمل مثل هذا بمكة ينتفع به الفمراء من حجاج المسلمين ، ولهم من مساعدة الحكومة العثمانية ما يوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التى تكون من ورائها راحة حجاج بيت الله الكريم ؟





وبهذه المناسبة يقول ان الجناب العالى حفظه الله بعد عودته من حجه المبرور ربط في تكبتي مكة والمدينة كثير أمن المرتبات الشهرية والسنوية الى عدد عظيم من أشرف وعلماء وأهالى الحرمين الشريفين ، لازالت تتوالى عليهم فيوضاته وإحساناته لأنهم أولى الناس بمثل هذه العماية السامية . ولعله حفظه الله يأمر فيكون لهبها أثر فقيم دائماً يشكره عليه الله والناس على توالى الايام . وياحبذا اذا كان المبلغ الذى جمع من السادة المصرين على دمة اقامة تذكار لحج الجناب العالى الخدوى يقام به دار للضيافة بمكة لفراء حجاج بيت الله الحرام عموماً والمصريين منهم خصوصاً ، ويقوم مصلحة الاوقاف بما يصرف عنه هذا الاكتاب والله الموفق للصواب .

## تاريخ مكة

يصعد تاريخ مكة الى سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه . وفي سنة ١٨٩٢ قبل المسيح أمره الله بالهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر ( كما ورد في التوراة ) ، فذهب بهما الى هذا الوادى الذى لم يسكنه أحد لعدم توفر الماء فيه ، اللهم الا أولئك العمالق الذين كانوا يسكنون غالباً فى الوادى الواقع شماله ويقال له الحَجُون : وهم قوم نزحوا الى هذا المكان من جهة البحرين وكان مُلْكهم فيها يمتد الى شبه جزيرة سيناء . والبايليون يسمونهم «ماليق» فأضاف عليهم العراييون لفظ عم (يعنى أمة) فصارت «عم ماليق» فخر فيها العرب الى عماليق ، والمصريون يسمونهم الهكسوس أى الرعاة .

فلما عثرت هاجر على بئر زمزم التى أصبحت حياة جديدة لهذا الوادى نزلوا اليها وسألوها الاقامة معها على أن يكون الأثر لها ولولدها ، فقبلت ذلك وكانت قد ابنت لها

بيتاً تأوى اليه مع اسماعيل . وكان ابراهيم يتردد لزيارتهم من فلسطين فأمره الله تعالى بتطهير هذا البيت وجعله مصلى للناس : قال تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى ابراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » . ثم أمرهما الله برفع قواعد هذا البيت ، وهناك هدمه ابراهيم ، ورفع مع إسماعيل على قواعد الكعبة المكرمة : قال تعالى « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا ما سكتنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » . ثم أمر الله أن يؤذن في الناس بالحج فقال « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » . ومن ثم اتسدت شهرة ذلك البيت المعظم تداع في النبائل الحاوررة ومنه أنى لفظ مكة أو مكاهى كلمة بالية سمته بها العماليق ومعناها ( البيت ) .

ورجع ابراهيم الى قومه ، وبقي اسماعيل في خدمة البيت حتى مات ، فتولى خدمته من بعده بنوه الى أن داخلهم الضعف فتغلب العماليق عليهم ، وصار أمر البيت اليهم . وما زالت السلطة في يدهم حتى وفدت جرهم على مكة من طريق اليمن بعد قطع سد مأرب ، في نحو منتصف القرن السادس قبل الميلاد وعليهم مضاض بن الحارث ، فزاحمهم وغلبوهم على أمرهم ، وصارت لهم الكلمة والسلطان في مكة بل وفي الحجاز بأكمله . فلما كرس سلطانهم وعظمت شوكتهم عثوا في الارض فسادا فوقع فيهم وباءت منهم ، فضعف أمرهم وتغلب عليهم بنو إسماعيل واستردوا أمر البيت منهم وطردوهم من مكة ، فساروا الى أرض جهيمة (شمالى يبيع) ، وفي ذلك يقول شيخهم عمرو بن الحارث .

وكنا ولاه البيت من عهدنا ت<sup>(١)</sup> \* تطوف بذاك البيت والامر ظاهر  
 كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا \* أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
 لى نحن كنا أهلها فأبادنا \* صروف الليالى والجدود العوائر  
 وما كادت تنحصر السلطة في نبي إسماعيل حتى أت خزاعة وتغلبت عليهم ، ووليت

أمر البيت من سدانة (خِدمة البيت) وسقاية (سقيا الحجيج) زمناً طويلاً بما كان لها من العصبية ، رغماً عما كان في بني اسماعيل من الرقي الادبي والسمو النفساني : لانه كثيراً ما كان ينبغ فيهم رجال يرهنون بحسن معرفتهم وكمال فضلهم على ذكاء أصلهم وكرم محتدهم ، مثل كعب بن لؤي الذي اشتهر ببلاغته وفصاحته . وهو أول من جمع الناس في يوم العروبة<sup>(١)</sup> ( يوم الجمعة ) وكان يخطبهم فيه بما يرشدهم الى طريق الفضائل ويبيدهم عن ارتكاب الرذائل ، وقد اشتهر أمره بين العرب وعظم قدره فيهم حتى كانوا يؤثرون نعام موته الى عام الفيل ، وهو من لا يقل عن أربعمائة سنة .

وما زال أمر البيت في يد خراعة حتى رجع قصي بن كلاب من الشام ، وكان ذهب اليها مع أمه صغيراً : وهو من أحفاد كعب والبطن الرابع والعشرون من اسماعيل . فجمع قبائل قريش ما كان فيه من حسن السياسة والذكاء وقوة العارضة بعد أن كانت تفرقت وأخذت الشجاعة تدب فيما بينهم ، وسعى أصاله رأيه حتى اشترى من خراعة حجابة البيت (الاستئثار بمفاتيح الكعبة) ثم أجلاهم بما وجدله من العصبية عن مكة الى بطن مر ( وادي فاطمة ) ، ومن ثم كرشأه ونبه أمره وعظم سلطانه واجتمعت له السقاية والحجابه والرفادة واللواء ( رايه الحرب ) ، ولم تجتمع في رجل قبله . وقصي أول من أطعم الحاج وسقاه لانه ضيف الله وجاره ، وبذلك سارت الركبان بسيرته وتحديث الناس بنباهته . وكان له رأي سديد وفكر رشيد . وهو الذي بنى دار الندوة قرب البيت وجعل بابها اليه ليجتمع فيها مع قومه للبحث في شؤ ونهم والافرار على ما يتم من أمرهم فاصبح به ملك قريش عظيماً وشأنهم جسيماً ، حتى كان لهم بعد ذلك خراج على القبائل والعشائر يؤدونهم اليهم ويتفرجون به منهم . وكان لمصي ولدان : عبد الدار وعبد مناف ، وقد شرف الاخير على صغره وزاد فضله عن أخيه الاكبر . فأوصى أبوه لعبد الدار بما كان في يده من السقاية والحجابه والرفادة واللواء والندوة ، حتى يتكافأ مع عبد مناف في شرفه الذي وصل اليه بعقله وفضله .

( ١ ) كاب أيام الاسبوع عند العرب في عصر الجاهلية الاولى كما يأتي : أول ( الاحد )

أهون ، جبار ، دنار ، مؤنس ، عرويه ، شبار .

ولمآمان قصى استولى عبدالدار على ما أوصى له به أبوه . وانتقل ذلك الى بنيه من بعده حتى ظهر بنو عبد مناف عليهم ونازعوهم ما في أيديهم ، وكادت تدور رحى الحرب بينهم ، وانتهى الامر بنحكيم بعض القبائل ففسموا بينهم شرف هذه الامتيازات : فكان لبني عبد مناف السفاية والرفادة ، ولبنى عبد الدار الحجابة واللواء اللذان مازالا ينتفلان فيهم الى فتح مكة . وكانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل البيت أراد أن يحجزها عنه ، فنزل قوله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » ، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه قائلا « ها كم خذوها خالدة تالدة » ، وعدموت طلحة سلمها رسول الله الى أخيه شيبه فبقيت في بنيه الى الان .

ووصلت قر يش في الحاهلية الى محكبير وشرف عظيم ، وانتهى شرفها الى عشرة أطن منها كانوا يقتسمون امتيازاتهم الفهوية من دينية وسباسبية واجتماعية وتشرعية . وكانت هذه الامتيازات يتوارثها الا نباء عن الا نباء وانتهى أمرها قبل الاسلام الى من سئذ كرم : كان العباس بن عبد المطلب (من هاشم) يسقى الحجيج واستمر ذلك في الاسلام . وكان أبو سفيان ابن حرب (من بني أمية) عنده العباب ، وهي رايه حر بهم لا يخرجها الا اذا حى وطيسها فيسلمها الى من يجمعون عليه الرأى لحملها . وكان للحرث بن عامر (من بني نوفل) الرفادة ، وهي ما كانوا يخرجونه من أموالهم لاعانه الممطع من الحاج . وكان لعثمان بن طلحة (من بني عبد الدار) السدان والحجابة واللواء والندوة . وكان ليزيد بن زمعة بن الاسود (من بني أسد) المشورة في الأمور الهامة . وكان لأن بكر الصديق (من تيم) الديات والمغرم ويعال لها الأشناق وكانوا يعضون على حكمه فيها . وكان خالد بن الوليد (من بني مخزوم) على خيل فر يش وكانت له العبة : وهي ما كانوا يجمعون فيه سلاحهم وذخيرة حربهم ، وكان لعمر بن الخطاب (من بني عدى) السفاره فيما كان يقع بينهم وبين غيرهم من العرب ، فيمضى عنهم ماراه من مصلحتهم . وكان لصفوان بن أمية (من ججح) الايسار وهي الا زلام (١) .

(١) واحدها زلم وهي أقذاح ثلاثة كات للعرب بالكعبة مكسوت على الاول أمرني ربي وعلى الثاني سباني ربي والثالث ليس عليه شيء . وكات العرب اذا أراد أن تمضى في أى أمر من أمورهم ذهبوا الى الكعبة واسمسموا بالارلام فيمترع لهم صاحبها فيمضون على ما قسم لهم .

وكان للحريث بن قيس ( من بني سهم ) الحكومة والاموال التي يقدمونها لأصنامهم .  
 أما بنو هاشم فقد علا أمرهم وعظم شأنهم خصوصاً في مدة عبد المطلب بن هاشم جد النبي  
 صلى الله عليه وسلم الذي كرس لسلطانه بعد واقعة القيل ، وذاعت شهرته وهاتاه القبائل  
 وقصدته العرب من جميع جهات الجزيرة . ولما ظهرت نبوة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد  
 المطلب وتحلى الاسلام بظهوره المنيع ، وبعدم تقدمه السريع ، كمل لبني عبد مناف فضلهم  
 وتم بهذا الشرف سعادتهم .

## حكم الاشراف بمكة

من أكر الحوادث التاريخية بمكة هجرته صلى الله عليه وسلم منها الى المدينة ، وفتح  
 لها بعد ثمان سنين من الهجرة . ومن ثم صارت مكة تابعة له وخلفائه من بعده .  
 وكانت حكومة الاسلام في مدته عليه الصلاة والسلام ديموقراطية «شورية» على  
 حسب الشريعة الغراء ، وكذلك في عهد خلفائه الراشدين ، حتى انضمت الخلافة الى  
 مظاهر الملك فشاهاشي من الاستبداد .

وكانت حكومة الحرمين تتبع في جميع أدوار حياتها مركز الخلافة الاسلامية . وأول من  
 تولى إمارة مكة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه ، ولاه عليها رسول  
 الله بعد الفتح ، عند خروجه لواقعة حنين في الثالث الاول من سنة ٨ للهجرة . وانتقلت الخلافة  
 بعد الخلفاء الراشدين الى الامويين في سنة ٤٠ هـ وفي اناسها استولى عبد الله بن الزبير على مكة  
 بضع سنين حتى استردها منه الحجاج بن يوسف الثقفي الى الامويين سنة ٧٣ . وفي سنة ١٣٢  
 انتقلت الخلافة للعباسيين وما زالت في أيديهم الى سنة ٣٥٨ . وتولى أمر مكة في هذه المدة نحو  
 مائة أمير من أشراف وغير أشراف . وفي هذه السنة انتقل حكمها الى الفاطميين وفيها دخلها  
 جوهر القائد ، ثم دخلها مولا المعز لدين الله العبيدي ومن ثم كانت البلاد الاسلامية من بغداد  
 الى حلب الى البصرة يخطب فيها للخليفة العباسي ، ومن حلب الى الحرمين وسائر بلاد العرب

يخطب فيها للعباسيين : والسبب في ذلك أن جعفر بن محمد بن الحسن الثائر بن موسى الثاني ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه تغلب على مكة في السنة المذكورة ، وخاف من العباسيين فدعا للمعز لدين الله العبيدي صاحب مصر ، فكتب له المعز بولاية مكة وبها شدأت حكومة الأشراف عليها .

واستقرت في بنيه من بعده الى سنة ٤٥٥ حيث ولها حفيد أخيه هاشم : وهو محمد بن جعفر بن عبد الله بن هاشم ، وتولى أمرها بنوه من بعده الى سنة ٥٩٧ . ويقال لهم الهواشم ، وكان حكمهم جورا وظلما حتى أن آخرهم الشريف مكث بن عيسى ضرب ضريبة على حجاج بيت الله الحرام مقدارها سبعة دنانير ، كان يتقاضاها في عيذاب أو في جده على كل شخص يقد الى مكة عن طريق مصر . فاستنعت الناس بصلاح الدين الأيوبي ، فاتفق مع مكث على الغائها ، ورتب له بدلها في كل سنة ثمانية آلاف أردب فحما . ومن هذا الوقت انشأ الخطباء في مكة يدعون لصلاح الدين عقب دعائهم للخليفة العباسي ولا مير مكة .

واستولى على مكة بعد مكث الشريف فماده سنة ٥٩٧ وهو الحلفة السابعة من أحفاد الشريف عبد الله أحى الشريف جعفر بن محمد بن الحسن الثائر وكان قتادة من أهل النخوة والشجاعة والهمة العالية ، واتسع ملكه من اليمن الى المدينة . الا أن أهل اليمن تغلبوا على مكة في مدة ولده حسن لسوء سلوكه ، ومارالت في أيديهم الى سنة ٦٣٠ ، وبعدها تغلب الشريف راجح بن قتادة عايتها وصارت الاماره بعده فيها كالكرة يتلقمها القوي من بنيه أو بني اخوته . وكانت حكومتها تتبع ملوك مصر باره وملوك اليمن أخرى لاشتغال ملوك مصر عنها بالحروب الصليبية ، خصوصا بعد موت الملك الكامل الذي كان يدعى له في خطبة الحرمين هكذا : « صاحب مكة وعبيدها ، واليمن وزبيدها ، ومصر وصعيدها ، والشام وصناديدها ، والجزيرة ووليدها ، سلطان القبلتين ، ورب العلامتين ، وخادم الحرمين الشريفين ، المحترمين : الملك الكامل خليل أمير المؤمنين » . وأول من استقل من ملوك اليمن لذلك العهد نور الدين بن عمر بن علي بن رسول ، وكان عاملا عليها للملك الكامل صاحب مصر ، ولقب

نفسه الملك المنصور . وما زالت حكومة مكة في هذا الارتباك والاختباط حتى آل أمرها الى الشريف أبي نعي بن حسن بن علي بن قتادة سنة ٦٦٧هـ ، فخطب لبيبرس ملك مصر فاقره عليها وحج من سنته . وما زال أبو نعي حتى وقعت له مع العسكر المصري حروب أوجتته الى التنازل عن الامارة سنة ٧٠١ الى ولديه حميضة ورميثة ، فغلبهما عليها أخوهما أبو الغيث بن أبي نعي . وفي مدته حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ ، واستمر بها حتى غلبه على الامارة أخوه حميضة سنة ٧١٤هـ وقتله ودعى اخوته الى وليمة عنده وقدمه اليهم مصلوقا ، وعلى رأس كل واحد منهم عبد شاهر اسيفه . وما زال حتى تغلب عليه أخوه رميثة سنة ٧١٨هـ فهرب ومات في هربه . وفي سنة ٧١٩هـ حضر الى مكة جيش مصري وقبض على رميثة وأتى به الى ملك مصر الملك الناصر بعد أن ولي مكانه الشريف عطيفة بن أبي نعي . وفي سنة ٧٢٢هـ أطلق الملك الناصر رميثة وأشركه مع أخيه في ولايته مكة ، وذهب عطيفة الى مصر ومات بها سنة ٧٤٣هـ ، وانفرد رميثة بالامارة حتى جعلها الملك الكامل شعبان ملك مصر لولده الشريف عجلان بن رميثة سنة ٧٤٦هـ ، وعزله عنها السلطان حسن بن محمد الناصر سنة ٧٦٠هـ ، الا أنه رجع اليها بأمر من الملك المنصور محمد وما زال بها حتى مات سنة ٧٦٦هـ . وتولى بعده الشريف أحمد بن عجلان ، وفي مدته صدر أمر الملك المنصور بلفو المكس الذي كان يؤخذ على الاشياء التي كانت تدخل الى مكة ، و عوض أميرها عنه مائة وستين ألف درهم وألف أردب قمحا ، وأمر فنقش ذلك على باب الصفا . واستمرت الامارة في بنيه حتى صدر أمر سلطان مصر بأن يكون الشريف حسن بن عجلان نائبا عنه في ولايته الحجاز وابنه الشريف بركات أميراً على مكة : وكان بركات عالما فاضلا محدثا ، وقد استدعاه الملك بارسباي الى مصر فوفد اليها معظماً مكرما وأخذ عنه كثير من علماءها ، ثم رجع الى مكة ومات بها سنة ٨٥٩هـ وتولى مكانه الشريف محمد بن بركات : وكان رضى الله عنه على أحسن ما يكون من العدالة والانصاف وحسن السيرة والرفق بالناس ، وقد سافر الى مصر سنة ٨٧٧هـ مدة السلطان قايتباي فاستقبل بما يليق به من صنوف الاعظام والاجلال ، ثم رجع اليها معززا مكرما . وفي مدته حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ وشيد فيها لصق الحرم من الجهة الشرقية مدرسته التي

تغلب عليها ذوو غالب ولا تزال في أيديهم الى اليوم .

وما زال محمد بن بركات على أمانة مكة و ولايته الحجاز حتى مات سنة ٩٠٣ هـ وتولى بعده ابنه الشريف بركات ، وما زالت الامارة تنتقل من يده الى يداخوته حتى استعمل بها في سنة ٩١٠ هـ . وفي سنة ٩١٨ أرسل اليه السلطان الغوري بدعوه الى مصر ، فاعتذر وأرسل باليابنة عنه ابنه الشريف أناعى وعمره ثمان سنين ، فآكرمه السلطان كل الاكرام وورده الى أبيه معززا وأشركه معه في أمر مكة والأقطار الحجازية .

ولما استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٢ هـ أقرهما على مكة ، وسار للنياه الشريف أبونعى بمصر ، فآكرم مشواه ، وأرسل معه أمرا بقتل حسين أعال الكردي الذي كان على جدة من قبل الغورى . فلما وصل الى جدة قبض على الاغا وأغرقه وولّى غيره مكانه ، ومن هذا الوقت صارت بلاد الحجاز واليمن تابعة للدولة العلية .

وكان الشريف أبونعى من خيرة الاشراف عتقلا وحملا وعلما وفضلا وادارة ودرايه ، واليه ينتهى نسب اشراف بنى حسن (الدين يحكمون الان) و بنى زيد ، و بنى بركات (الذين كان لهم الحكم قبل محمد بن عون) ، و بنى نعمة ( وهم متفرقون فى بلاد العرب) . وفي سنة ٩٩٢ هـ مات أبونعى وتولى بعده ابنه الشريف حسن : وكان عالما فاضلا كاملا أديبا سار فى ادارته بلا دده على هيج أبه فى العداله والكرم ومكارم الاخلاق ومحامد الصفات ، وهو رأس سلسلة الاشراف الحسينيين الذين منهم محمد بن عون جد العائلة الحاكمة الان .

وهو الذى بنى دار السعادة بمكة فى سنة ٩٦٧ هـ وكانت محل إمارته وإمارة خلفائه زمنا طويلا ، ومما جاء فى وصفها وتاريخ بنائها قول بعضهم :

ان بينا بناه خير مليك \* أسس الملك ككفه وأشاده

فاق فى وصفه وحسن بناه \* كل فصر لاهل العلا والسياده

جاء تاريخ وصفه فى نصيف \* أبايت الملوك دار السعادة

وما زال الشريف حسن قائما بأمر ولاية الحجاز حتى مات سنة ١٠١٠ هـ وأخذت



الشرافة تنتقل في نبيه و نبي اخوته حتى تولواها الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن ابن أبي نعي سنة ١٠٤٣ : وكان ذاهمة عالية وشجاعة تامة وادارة حسنة ، وما زال قائما بولايتها خير قيام حتى مات سنة ١٠٧٧ . وتولى بعده ولده الشريف سعد ولكنه خرج من مكة مقهورا ومكث بعيدا عنها احدى وعشرين سنة ، تولى امرها فيها الشريف بركات ابن محمد بن ابراهيم بن أبي نعي ، ومات سنة ١٠٩٤ ، وأعقبه عليها ولده الشريف سعيد بن بركات ، فغلبه عليها الشريف سعيد بن سعد بن زيد . ثم عزل عنها ، وأعقبه الشريف عبد الله ابن هاشم ، ثم أحمد بن غالب الذي مات سنة ١١١٣ ، فرجع الى الامارة الشريف سعد بن زيد ، وأخذ يتناوب الولاية هو و ولده الشريف سعيد جملة مرات . ومات الشريف سعد بعيدا عن مكة بالعبادية سنة ١١١٦ ، و بقيت الولاية في يد ابنه الشريف سعيد حتى مات سنة ١١٢٩ : وكان جليل القدر عظيم الفضل بعيد الآمال شجاعا مهيبا . وأخذت الامارة بعده يتداولها نوه و نواخوته حتى جلبهم عليها الشريف يحيى بن بركات ، ثم ابنه الشريف بركات بن يحيى فيما بين سنتي ١١٣٤ و ١١٣٦ . ثم رجعت الى نبي سعيد ، وما زالت فيهم حتى تولواها حفيده الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد في سنة ١١٨٦ . وهو مشهور بعلا الهمة و جلال الصفات والشجاعة الفائقة : حارب عرب الشروق و قبائل حرب و انتصر عليهم جملة مرات و انقادت اليه جميع بلاد الحجاز ، و امتد سلطانه على جهات كثيرة من بلاد العرب . وما زال في الامارة حتى مات سنة ١٢٠٢ و تولى بعده الشريف عبد المعين بن مساعد ، الا أنه تنازل عنها بعد أيام قليلة الى أخيه الشريف غالب . وفي مدته استفحل أمر الوهابية ، و وقعت بينه و بينهم حروب كثيرة كادت الغاية تكون فيها لهم ، لولا أن الدولة العلية كلمت محمد علي باشا و الى مصر كتب جماعهم ، ف ارسل اليهم جيوشا مصرية على رأسها ولده طوسون ، ثم ولده ابراهيم الذي فرق جموعهم و استولى على بلادهم بعد أن أخذ رئيسهم عبد الله بن سعود أسيرا و أرسله الى والده بمصر . وفي سنة ١٢٢٨ جاء محمد علي الى بلاد الحجاز فاستقبله الشريف غالب من جدة ، و سار في خدمته الى مكة . وكان كل منهما على خوف من صاحبه ، و انتهى الأمر بأن قبض محمد علي على الشريف غالب و بنيه

وأرسلهم الى مصر عن طريق القصير ، فوصل القاهرة في ١٧ محرم سنة ١٢٢٩ وقول فيها بالاحترام اللائق ، وبقى بها الى ١٩ شعبان حيث سافر مع أولاده حسب الارادة السلطانية الى سلانيك وأقام بها الى أن توفاه الله سنة ١٢٣١ ، وفيها عادت أولاده الى مكة بمقتضى أمر سلطاني .

وكانت مدة أمانة الشريف غالب على مكة ٢٧ سنة قضاهما كلها في حروب الوهابية . وكان رحمه الله على المهمة ، كبير الشهامة ، كثير الدهاء . ولما نفي الى مصر ولّى محمد على مكانه الشريف يحيى بن سرور في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ، ومن هذا الحين صارت بلاد الحجاز تابعة لمصر .

وكان على أعمال العرب الشريف شمر من جهة محمد على ، فنمت بينهما الضغائن ، فقتل يحيى شمر أمام باب الصفا وهرب الى بدر . وتولى على مكة الشريف عبدالمطلب ابن غالب ، بأمر من أحمد باشا يكن ، ولكن محمد على باشا أصدر أمره بتعيين الشريف محمد بن عون ، وكان اذ ذاك نزىلا عليه بمصر ، وكان سبق له أن تولى إمارة نربة وعسبر من قبله . فسار الشريف عبدالمطلب الى الطائف وجمع جموعا من العرب وحارب بها أحمد باشا ، ولكنه انهزم وطلب الأمان من الشريف محمد بن عون ، فأمنه هو والشريف يحيى وأرسلهما الى مصر بناء عن أمر محمد على ومعهما عبد الله بن فهيد وآخرين . ولما وصلوا اليها أكرمهم محمد على كل الاكرام ، وبعد سنة أعادهم الى مكة الا الشريف يحيى فانه استبقاه ومات بمصر سنة ١٢٥٤ . وبعد ذلك وقع نفور بين أحمد باشا يكن والشريف محمد فاستحضرهما محمد على ثم أعاد أحمد باشا الى مكة وحجر الشريف محمد بن عون بمصر ، وبقى فيها حتى خرجت ولاية الحجاز من قبضة محمد على سنة ١٢٥٦ زمن السلطان عيسد الحميد ، وصدرت الاوامر السلطانية بتولية ابن عون أمانة مكة . وكان رحمه الله عاقلا ذا دهاء وهيبة وذكاء ، ميمون الطالع عالم يحب العلم والعلماء ، ومكث زمنا طويلا وهو يدير أمر الحجاز بحسن درايته وادارته . وفي سنة ١٢٦٣ سار الى نجد لاجل احمد ففتنه فيصل بن تركي أمير الرياض ، وتم أمرهما بالصلح بعد أن قرر على فيصل خراجا للدولة قدره عشرة آلاف ريال

كل سنة، واستقر في ولاية مكة الى أن توفي في ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤ . وتعين بعده ولده الشريف عبد الله باشا كامل : وهو أول شريف منح رتبة الوزارة وانب باشا وكان تربى في الاستانة وتعلم فيها العلوم الشرعية والتفسير والحديث وفنون الادب . فوصل جدة بعد أن انجلى عنها امراكب الانكليز سنة ١٢٧٥ ، وهناك قابله المندوبون البريطانيون وطلبوا منه أن يساعدهم في وصولهم الى مكة ، فاعتذر عن احتمال هذه المسؤولية ، ثم قال لهم : وماذا تريدون من بلد لا زرع فيه ولا نبات ولا ماء ور بما بالك من مرض يذهب بحياتكم لعدم اعتيادكم على مثل هوائه ، في حين أنكم في غنى عنه ؛ فافتنعوا بحجابه وعادوا الى بلادهم وسار هو الى مكة .

وفي سنة ١٢٧٧ ذهب الى المدينة لاستقبال سعيد باشا والى مصر ، ورجع معه الى القاهرة ، ثم عاد الى مكة بعد أن صادف من الاجلال وكال الاعظام ما يليق بمقامه ، واستقر في الامارة الى أن توفي في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤ . وتعين أخوه الشريف حسن باشا مكانه ، فقدم اليها من الاستانة ، وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح والزهد والورع ودعاة الأخلاق ، واستقر حكمه الى سنة ١٢٩٧ ، حيث قتل أثناء دخوله جدة وكان ذهب اليها في موكب حافل : فتقدم اليه رجل افغانى كأنه يريد تقبيل يده وطعنه في خاصرته ، فتوفي بعد يومين مأسوفا عليه من عموم أهل الحجاز ، ونقل الى مكة رضى الله عنه وأهلها يابون بالشهيد . وتولى بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة ولكنه عزل عنها سنة ١٢٩٩ لكثرة الشقاق الذى كان بينه وبين الاشراف ، وتعين بدله الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ، فاخذ في تمكين قدمه في مركز الشرافة وعمم بهوذه على العرب والمأمورين من الأتراك حتى كانت الولاية كأهم من المأمورين عنده ، الا في زمن ولاية عثمان نوري باشا الأولى فانه ضرب فيها على يديه ، ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعي عون الرفيق ومؤازرته في الاستانة . ومن وقتها خلاله الجوى : فكان يعطى ويحرم ، ويسعد ويشقى . ويمنع وينعم . وقد كان ينزع الى مذهب الوهابية أو ما يقرب منه : فهدم كثيراً من قباب المزارات وخصوصاً فى المعلامة ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير ، بل وصل به الحال الى أن أمر بهدم قبتي السيدة آمنة والسيدة خديجة الا أنه ما عثم أن استرجع أمره .

وكذلك أمر فاز يلت ملك الرحي التي كانت في مولد السيدة فاطمة (دار خديجة) رضى الله عنهما، وكانوا يزعمون أنها هي التي كانت تطحن عليها في حياتها، وأمر أيضاً بتوسيع باب غار حراء في جبل ثور وهو الذي خيم على بابه العنكبوت بعدما أوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رفيقه أبي بكر عند هجرتهم من مكة إلى المدينة: وكان بابه لا يسع الا نفرا واحدا يدخل منه زاحفا على بطنه: وكان الناس يزعمون أن لا يدخله الا السعيد وأما الشقي فلا. فاراد توسيع هذا الباب ازاله هذا الوهم القاسد. الا أنه لم يكن له على كل حال أن يغير شكله الطبيعي مثل هذا من أجل الآثار ومن الاشياء التي كان الانسان يقدّر فيها تلك المعجزة التي خدمت الطبيعة فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه. وقد كان يميل سماحه الله إلى الرفه بكل أنواعه فكان عنده على الدوام المطربون بالالات والفراحيمة (الطبالون) والضاربون بالوبه وجملة ما يعال في معاملته للناس انه كان بها نواها. واستقدم أتومو بيلامن أوروبا كان يركه في طريق الطائف ولكنه مات بموته. وأشياء يستأجما شمال جرول ( بمكة ) وهو المكان الذي يخيم عنده المحمل المصري، وجلب إليه أشجارا كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها وساق إليه الماء من عين زبيدة، وبعال انه كان في مدته جمة من الحنات لم يسبق له بطير في مكة. أما الآن وقد انصرفت عنه المياه ومد جفت أشجاره ووذلت أزهاره وأصبح كقطعته من غابه في الصحراء سمع فيها الغرمان، وترعق فيها العقبان، سبحان مغير الأحوال بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ واخلف الناس في أسباب موته ؟؟ وكانت الشرافة بعده لأخيه الشريف عبدالاله باشا الذي كان يقيم في الاستانة، ولكن صدرت الارادة السلطانية بسمي راتب باشا والى الحجار بنوجيه الامارة الى الشريف على باشا بن عبد الله بن محمد بن عون الذي كان قائما للشريف في مكة، وما زال على غاية الوثام والاتحاد مع راتب باشا حتى حصلت حركة الاستانة وقام الدستور مقام الاستبداد وعزل راتب باشا لجوره وظلمه وخرج مدحورا الى الاستانة ومنها منفي الى رودس بعد أن صودر في جميع أمواله. أما الشريف على باشا فانه ظل بالطائف

متظاهراً بمشايعة الحكومة الدستورية الجديدة، وفي يوم الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٢٧ . حدثت فتنة بين بعض أهالي مكة والعساكر الشاهانية قتل فيها من الطرفين نحو عشرين رجلاً ، وقيل انها كانت بإيعاز الشريف علي باشا . وفي اليوم الثاني شاع في مكة عزل الشريف علي وتعيين الشريف عبد الاله باشا الذي كان مقبياً بالاستانة ، ثم جاء الخبر بوفاته وتولية الشريف حسين باشا ابن علي بن محمد بن عون وكان مقبياً في الاستانة منذ سبع وعشرين سنة . فلما حضر الى مكة قام الشريف علي منها بعائلته قاصداً الاستانة ولما وصل الى السويس نزل الى مصر ولا زال بها الى الآن . أما الشريف حسين فانه قام بالأمر حق قيام مهمة لا تعرف الملل ، وضرب على أيدي قبائل العرب الذين كانوا يتحفزون للخروج على الدولة : فكان حفظه الله يرسل بعسكره مع نخله هذا الى جهة في حين ما يرسل بنجل آخر مع فرقة أخرى الى غيرها وهكذا حتى هدأت البلاد وضرب الأمن بحجرانه في جميع أطراف الحجاز . ومما يذكرك له بالثناء الخليل انه أمر بجعل أجره الخيل من مكة الى المدينة الى ينبع أربع وعشرين ريالاً محمداً بعد أن كانت أكثر من سبعين ريالاً في مذهب سلطانه . وبالجملة فكفه عدل وقوله فصل وسيره فضل نفع الله به الدولة والماله وجعله ممثلاً لشرف بيت النبوة بمجاذجه الامين . ولقد تشرفت بمعرفته مدة وجودنا بعمية الجباب العالي بمكة فوجدته أيساً ودعماً كريم الأخلاق ، حسن السجايا ، قد جعل الوقار رؤياه ، وكل الادب جلال محياه . وفي أوائل عام ١٣٢٩ زحف الشريف حسين بخيله ورجله الى عسير لمساعدة الدولة العلية في محاربة الادريسي وعمى أن يجعل الله على يديه اصلاح ذات البين وحفن دماء المسلمين فيكون له بذلك أكبر فضل في العالمين .



﴿ جدول بأسماء من تولى مكة من زمن الفتح الى اليوم ﴾

﴿ مأخوذ من السالنامة الحجازية المطبوعة بمكة سنة ١٣٠٦ بتصرف قليل ﴾

تاريخ التولية	تاريخ التولية	سنة هـ
٥٤٥	عتاب بن أسيد	٠٨
	الحارث بن عتبة بن أبي سفيان	١٣
	قنقذ بن عمير بن جدعان	
	نافع بن الحارث الخزاعي	
٦٤	خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة	
	أحمد بن خالد	
٦٤	طارق بن المرتفع	
	الحارث بن نوفل القرشي	
	علي بن عدي بن ربيعة	٢٤
	الحارث بن نوفل القرشي	
	عبد الله بن خالد بن أسيد	
	خالد بن العاص بن هشام	
	عبد الله بن عامر الحضرمي	
	نافع بن الحارث الخزاعي	
٧٣	أبوفتادة الأصبغى	٣٦
	القثم بن العباس	
٧٥	عتبة بن أبي سفيان	٣٩
	مروان بن الحكم	
	سعيد بن العاص	
٨٧	عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق	
	خالد بن العاص المخزومي	
	عبد الله بن خالد بن أسيد	
٩٧	عمرو بن سعيد الأشدق	٦١
	عبد الله بن خالد	
	عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد	
	عروة بن عياض	
	عبد الله بن قيس بن مخزوم	
	عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقه	
١٠١	عبد العزيز بن عبد الله بن خالد	

«تولى الخلافة  
في مكة من سنة  
٦٤ الى سنة ٧٣»

تاريخ التولية سنة هـ		تاريخ التولية سنة هـ
	عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس .	١٠١
	عبد الواحد بن عبد الله .	
	ابراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي	
	محمد بن هشام بن اسماعيل الخزومي .	
	نافع بن عبد الله السكناني .	
	يوسف بن محمد الثقفي .	١٢٥
	عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .	١٢٦
	عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك .	
	أبو حمزة الخارحي .	
	عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي .	
	مروان بن محمد بن الوليد .	
	الوليد بن عروة السعدي .	
	محمد بن عبد الملك بن مروان .	
	داود بن علي بن عبد الله بن عباس .	١٣٢
	عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن .	
	العباس بن عبد الله بن معبد .	١٣٦
	زياد بن عبد الله الخارثي .	
	الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني .	
	السري بن عبد الله بن الحرث .	١٤٣
	محمد الحسن بن معاوية .	١٤٥
	السري بن عبد الله .	
	عبد الصمد بن علي بن عبد الله .	١٤٦
	محمد بن ابراهيم الامام .	١٤٧
	ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي .	١٥٨
	جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله .	
	عميد الله بن القثم بن العباس .	١٦٦
١٦٩	الحسين بن علي .	
	أحمد بن اسماعيل .	
	حماد البربري .	
	سليمان بن جعفر .	
١٨٧	الفضل بن العباس بن محمد بن علي .	
	محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة .	
	عباس بن موسى .	
	عباس بن محمد الامام .	
	عبد الله بن القثم .	
	علي بن موسى .	
	موسى بن عيسى بن محمد بن علي .	
١٩١	داود بن عيسى بن موسى بن علي .	
	الحسين بن الحسن بن علي الاصغر .	
	علي بن محمد بن جعفر الصادق .	
	عيسى بن يزيد الجلودي .	
٢٠٢	هارون بن المسيب .	
	حمدون بن علي .	
	يزيد بن حنظلة .	
٢٠٣	ابراهيم بن موسى الكاظم .	
	عميد الله بن الحسن بن عبد الله .	
	صالح بن العباس بن محمد .	
	سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي .	
	محمد بن سليمان المذكور .	
	الحسن بن سهل .	
	عميد الله بن عبد الله بن الحسن .	
٢١٨	صالح بن العباس بن محمد .	

تاريخ التولية		تاريخ التولية	
٥٥٥		٥٥٥	
٣٠١	ابن محارب .		اشماس الجركسى .
٣١٧	حافظ أبو الفضل .		محمد بن داود بن عيسى .
	أبو طاهر الفرمنى .	٢٣٢	على بن عيسى بن جعفر .
	الفاضى الشريف أبو جعفر محمد .	٢٣٩	عبد الله بن محمد بن داود .
	عيسى بن أنى جعفر .		محمد بن سليمان بن عبد الله .
	أبو الفتوح الحسين بن جعفر .		محمد بن المنتصر .
٣٨٥	حسن بن جعفر .		ايتاح التركى .
	أبو الطيب بن داود .	٢٤٧	عبد الصمد بن موسى .
٢٣٠	الشريف محمد بن حسن بن جعفر		جعفر بن الفضل .
٢٥٥	» محمد بن جعفر بن محمد .		اسماعيل بن يوسف .
٤٨٤	» العاسم بن محمد .	٢٥٢	عباس بن المستعين .
٥١٨	» فليته بن العاسم .		محمد بن طاهر بن الحسين .
٥٢٧	» هاشم بن فليته .	٢٥٢	عيسى بن أحمد بن المنصور .
٥٤٩	» العاسم الملقب بعمدة الد		محمد بن أحمد بن عيسى .
٥٥٧	» عيسى الملقب بطب الد		على بن الحسن الهاشمى .
٥٧٠	» مالك بن فليته .	٢٥٦	الموفق طلحة بن المتوكل .
	» العاسم .		ابراهيم بن محمد بن اسماعيل العباسى .
	» قطب الدين عيسى .		ابو المغيرة محمد بن احمد بن عيسى .
٥٧٠	» داود بن عيسى .		أبو عيسى بن محمد .
٥٧١	» مكث بن عيسى .		الفضل بن العباس بن الحسين .
	» العاسم بن مهنا .		هارون بن محمد بن اسحق .
٥٨٧	» مكث بن عيسى .		أحمد بن طولون .
	» العاسم بن مهنا .		محمد بن أنى الساح .
	» بكر بن عيسى .	٢٧٩	عج بن محلب .
	» محمد بن مكث .		ابن المهلب .
٥٩٧	» قتادة بن ادريس .		مؤسس الخادم .



تاريخ التولية سنة هـ	الأمير	تاريخ التولية سنة هـ	الأمير
٨٢١	الشريف الحسن بن عجلان .	٦١٧	عبدالله بن محمد الثائر بن موسى .
»	بركات بن حسن .	٦١٩	المثنى بن الحسن .
٨٢٧	علي بن عنان بن مغامس .	٦٢٦	الشريف الحسن بن قتادة .
»	الحسن بن عجلان .	٦٣٠	نور الدين علي بن عمر بن رسول .
٨٢٨	علي بن الحسن بن عجلان .	٦٥٢	صارم الدين ياقوت بن مسعود .
»	أبو الفاسم بن الحسن .	٦٥٢	طغتكين التركي . ( «تداولوا الامارة حمله» )
٨٤٥	بركات بن الحسن بن عجلان .	٦٥٢	راجح بن قتادة ( «سرايا مكان مصهما» )
»	محمد بن بركات .	٦٨٨	الشريف الحسن بن علي بن قتادة .
٨٥٩	بركات بن محمد وأخوه .	٦٥٢	»
»	هزاع بن محمد بن بركات .	٦٥٢	»
»	أحمد بن محمد بن بركات .	٦٥٢	»
»	بركات بن محمد .	٦٨٨	»
»	حميضة بن محمد .	٧٠١	»
٩١٠	بركات بن محمد وأخوه .	٧٤٠	»
»	بركات ومعه ابنه محمد .	٧٦٤	»
»	بركات بن محمد وولداه .	٧٦٥	»
»	أونمي بن محمد بن بركات .	٧٨٩	»
٩٣١	حسن بن أبي نعي .	٧٩٧	»
»	أبو طالب بن حسن .	٨٠٩	»
١٠٠٣	إدريس بن حسن .	٨١٨	»
١٠١٠	إدريس بن حسن .		
١٠١٢	محسن بن أخي إدريس .		
١٠٣٢	أحمد بن عبد المطلب .		
١٠٣٧	مسعود بن ادريس .		
١٠٣٩	عبدالله بن حسن .		
١٠٤٠	محمد بن عبد الله مع زيد .		
١٠٤١	نأمي بن عبد المطلب .		
١٠٤١			

سنة	الأمراء	سنة	الأمراء
١١٤٦	الشریف مسعود بن سعید .	١٠٤٢	الشریف زید بن محسن .
»	مساعِد بن سعید .	١٠٧٧	سعد بن زید .
»	جعفر بن سعید .	»	برکات بن محمد .
»	مساعِد بن سعید .	»	سعید بن برکات .
»	عبدالله بن سعید .	»	أحمد بن زید .
»	أحمد بن سعید .	»	سعید بن سعد بن زید .
»	عبدالله بن حسن .	»	أحمد بن غالب .
»	أحمد بن سعید .	»	محسن بن حسين .
»	سرور بن مساعِد .	»	سعید بن سعد .
»	عبدالمعین بن مساعِد .	»	عبدالمحسن بن أحمد .
»	غالب بن مساعِد .	»	عبدالکریم بن محمد .
»	یحیی بن سرور .	»	سعد بن زید .
»	محمد بن عبدالمعین .	»	عبدالکریم بن محمد .
»	عبدالمطلب بن غالب .	»	سعید بن سعد .
»	محمد بن عبدالمعین .	»	عبدالکریم بن محمد .
»	عبدالله باشا ابن محمد بن عون	»	سعید بن سعد .
»	حسین باشا .	»	عبدالله بن سعید .
»	عبدالمطلب بن غالب .	»	یحیی بن برکات .
»	عون الرفیق بن محمد بن عون	»	مبارک بن أحمد .
»	علی باشا ابن عبدالله .	»	عبدالله بن سعید .
»	عبدالاله باشا ابن محمد بن عون	»	محمد بن عبدالله .
»	حسین باشا ابن علی	»	مسعود بن سعید .
»	»	»	محمد بن عبدالله .



﴿ انتهى الجدول وبعض ما فيه يخالف لما جاء بكتاب مرآة الحرمين وغيره من التواريخ ﴾

## الوهابية ومحمد علي في الحجاز

\*  
— — —

في سنة ١١٤٢ ظهر رجل من عرب بادية نجد اسمه محمد بن عبد الوهاب ، تلقى العلم في مكة علي بعض شيوخها وأخذ يذيع عقيدة جديدة في الدين الاسلامي ، تجاوز فيها الحد الذي ذهب اليه الامام أحمد بن حنبل ، بل تعالى في بعض الامور غلوأ كبيراً ، وأخذ يرمي علي أحياء العرب حياً بعد حياً يذيع فيهم عقيدته حتى اتبعه كثير من الناس ، وما زال يزداد مريدوه ويكثر تاعوه حتى قوى أمره وخافته البادية . ولما قربت أشهر الحج أرسل الي شريف مكة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد عشرين رجلاً من قومه ليعرضوا عليه مذهبه ، وليستأذنوا له في حج بيت الله الكريم . فأمر بالقبض عليهم وسجنهم وحكم نكهرهم ففر منهم نفر الي الدرعية مفر الوهابي وأخبروه بما حصل ، فاستمر مع قومه ممنوعين عن الحج الي سنة ١٢٠٥ . وكان في امارة مكة الشريف غالب فاستأذنه في الحج فأبى فقامت لذلك الحرب بينهم . ورغمما عن موت محمد بن عبد الوهاب في سنة ١٢٠٧ فان الحرب ما زالت رحاها دائرة بينهم الي سنة ١٢١٣ ، وحصل في أثناءها خمس عشرة واقعة كانت الحرب فيها سجالات في الاخرة التي تسمى غزوة الحرمة فقد كان فيها للوهابيين النصر المبين . وفي هذه السنة تم الصلح بين الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية « الذي كان يهوم بنصرة الوهابي رغبة في اتساع ملكه حتى ضخم وكاد يستولي علي أطراف جزيرة العرب تمامها » وتحددت في هذا الصلح منطقة يهود كل من الطرفين ، وسمح الشريف للوهابيين بالحج في سنة ١٢١٤ . فتحج سعود بن عبدالعزيز ومعه خلق كثير . ثم حج أيضاً في عدد عظيم من قومه سنة ١٢١٥ . وفيها حدثت مناورة بين عربان الشريف وقوم سعود أدت الي استئناف الحرب بينهما ، وحصل من جرائها بين الطرفين ثلاث عشرة موقعة استولي ابن سعود في الأخيرة علي الطائف سنة ١٢١٧ . وبعد أن تفرق الحجاج في تلك السنة خافه الشريف غالب ففر الي جده مع واليه اشرف باشا . وصار الناس

في مكة لا يقر لهم قرار من الخوف . فعند ذلك قام الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود يطلب منه أمانا لخيران بيت الله الحرام ، علي أن يطيعوه ويكون هو عامه له علي مكة . وأرسله مع وفد من أفاضل أشرف البلد الحرام وعلمائها، فاجتمعوا لسعود في وادي السيل (علي مرحلتين من مكة ) وعاهدوه علي الطاعة . فكتب لهم أمانا في ورقة صغيرة هذه صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبدالعزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغوات وقاضي السلطان ، السلام علي من اتبع الهدى ، أما بعد فأتم جيران الله وسكان حرمة آمنون بأمنه ، أماندعوكم لدين الله ورسوله . يأهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا يشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آربا بآمن دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . فأتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز ، وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله ورسوله والسلام » . وأرسل هذا الامان اليهم في يوم الجمعة سابع محرم سنة ١٢١٨ . فصعد مفتي المالكية علي المنبر وتلاه علي رؤوس الاشهاد وقاله الناس بالطاعة .

وفي اليوم الثاني دخل سعود مكة حرمياً ، فطاف وسعى ونحرنحو مائة من الابل ، ثم صعد الى بستان الشريف الذي في المحصب ، وفي ثاني يوم نزل وصعد الى أعلى الصفا وخطب في الناس وتجددت له البيعة . وفي اليوم التالي أمر بهدم الفباب التي في المعلى بما فيها قبة السيده خديجة ، ثم هدم قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أبي بكر وعلي رضوان الله عليهما ، ثم أمر بجمع المؤذنين من الدعاء بعد الأذان وبعدهم تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام : فكان يصلي الصبح الشافعي ، والظهر المالكي ، والعصر الحنبلي ، والمغرب الحنفي ، وكانت العشاء لجميعهم . وارتحل سعود عن مكة بعد أن أقام بها أربعة عشر يوماً ، وسار بجنوده الي جدة طالباً الشريف غالباً وحاصرها أياماً فلم يتيسر له أخذها لحصانة سورها وقوة مدافعها التي نالت من رجاله كثيراً . ثم ارتحل الي الشرق ، فعاد الشريف غالب الي مكة في أواخر شهر ربيع الاول ودخلها ظافراً ولم يعارضه الشريف عبد المعين . وأخذت تقد اليه رؤساء القبائل لمخالفته ، واسنأف الحرب مع الوهابيين الي شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٠ .

وفيه انعقد الصلح بينه وبينهم على دخولهم مكة لاداء مناسك الحج ثم يعودون الى بلادهم . ومع ذلك فقد كان الشريف غائب يما الى الوهابيين اتقاء لشرهم ، ويتظاهر لهم بما يوافق مذهبهم : فكان أحيانا يأمر بهدم ما تقي من قباب الصالحين بمكة وجدة ، وأخرى ينه باختصار المؤدنين على الاذان دون السلام ، وغير ذلك من الامور التي توافق مذهب الوهابية . وفي سنة ١٢٢١ أحرق سعود المحمل المصري بمكة واشترط شروطا على المحمل الشامي وهو في هديته فلم يقبلها ورجع من غير حرج ، ومن ثم انقطع الحملان عن الذهاب الى مكة . وفي هذه السنة أخذ سعود جميع الجوهرات التي في الحجر الشريفة النبوية بالمدينة المنورة وكانت لا تقدر بثمن ، وطردها من مكة والمدينة وكان من طرف الدولة العلية ، واستبدأ امر الحرميين الشريفين استبداداً مطلقاً . فلما بلغ السلطان محمود كل هذا أرسل الى محمد علي باشا بان يسير جيوشه لقتال الوهابي ، فلم يتيسر له تلبية هذا الامر في وقته ، لانه منذ تولى على مصر في سنة ١٢٢٠ وهو يصل الليل بالنهار في ترتيب داخلتها وتنظيم ماليتها وتقوية حربيته . فلما توالى عليه الأوامر السلطانية بذلك جهز أول حملة وأرسلها الى ينبع تحت امره ولده طوسون باشا في رمضان سنة ١٢٢٦ ، فلما كوها وما معها الى الصفراء بلا صعوبه ، وهناك حصلت موقعة بينهم وبين عثمان المضايقي حاكم الطائف من قبل سعود وكان معه من الوهابيين عدد لا يحصى ، فانهزم الجيش المصري وتشتت شمله في هذه القفار ، وسار طوسون الى القصير وبقى فيها منتظراً أوامره والده .

وفي محرم سنة ١٢٢٧ جهز محمد علي جيشاً وأرسله بجرا الى ينبع وأمر طوسون باشا بالذهاب اليها للمحافظة عليها . وجهز في شهر صفر جيشاً آخر وأرسله من طريق البر تحت قيادة صالح أغا السلحدار ، ثم أخذ يوالي ارسال الجنود والذخائر برا وبحرا حتى اجتمع له في ينبع قوة كبيرة . وكان طوسون يكتب الشريف غالباً ويستترشد برأيه ويعمل بتدبيره ، وأرسل الى مشايخ حرب فجاءوا فاحسن استقبالهم وأهال عليهم الخلع والاموال ، فساروا في خدمته حتى دخل المدينة المنورة في شهر ذي القعدة وأخرج من كان فيها من الوهابيين ،

وسارت فرقة من الجنود التي في ينبع الى جدة من طريق البحر فدخلوها من غير مقاومة . فلما علم بذلك عسكر الوهابي الذين بمكة خرجوا منها وتركوا قلاعها خاوية . ثم سارت فرقة من الجنود المصرية من جدة الى مكة ، فمالبهم الشريف غالب بالاكرام التام ، ودخلوها واحتلوا قلاعها . وبلغ ذلك عسكر الوهابي الدين بالطائف فتركوه وساروا الى الدرعية . ولما وصلت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر المصرية على المدينة المنورة وجدة ومكة ، أمر محمد علي باشا بتزوين الماهرة حمسة أيام وأرسل مبشرا الى الحضرة السلطانية بهذا الفتح المبين ، فكان لذلك يوم مشهود في الاستانة .

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٨ مات سعود بالدرعية وتولى مكانه ابنه عبدالله . وفي ١٤ شوال منها سار محمد علي باشا من مصر قاصدا الحجاز ، فوصل الى جدة في أواخره وكان الشريف غالب حضر لاستقباله فيها . وما استقر بها محمد علي حتى أتته رسل من عند ابن سعود يطلب الصلح ، فاشتراط أن يدفع له الوهابي جميع المصاريف التي صرفت على العساكر من أول الحرب الى ذلك اليوم ، وأن يأتي هو لامضاء هذا الصلح بنفسه . وفي اليوم التالي استعرض عسكره أمام هؤلاء الرسل فأدهشهم حركاته ونظامه . ثم سار محمد علي الى مكة وفي خدمته الشريف غالب ونزل في بيت العرطسي ، ونزل طوسون باشا في بيت السقاف بالشامية . وكان كل من محمد علي والشريف غالب على حذر من بعضهما ، فاراد محمد علي أن يخولوه الجوقا ومرولده طوسون باشا بالقبض على الشريف غالب وأولاده وكان ذلك في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ، ثم أرسله مع أولاده الى مصر ومنها الى سلايك . وتولى مكانه الشريف محيي بن سرور .

ومكث محمد علي بمكة يرب أمورها ويعزو بجنوده كل قبيله نبذت طاعته أو نقضت عهده ، وبعد أن حج سنة ١٢٢٩ توجه بعسكره الى الطائف ، ووقع بينه وبين الوهابيين في افتتاح سنة ١٢٣٠ جملة وقائع ملك بعدها تربنه وربنه وبيشة وعسير . وكان كل جهة يملكها ينظم شؤونها ويعين عليها أميراً من عنده . وما زال ينتقل من اماره الى أخرى في جزيرة

العرب حتى عاد الى مكة في شهر جمادى الاولى ، فرتب بها مرتبات الى كثير من الاشراف وغيرهم على حسب ما تقضى به المصلحة العامة ، وهي باقية لا ولا دم الى الآن . ثم رجع الى مصر بعد أن عين حسين باشا الارناؤوطى والياً على مكة ، وأقام ابنه طوسون باشا قومنداناً عاماً على القوة العسكرية التي بالحجاز .

وفي شهر شعبان من هذه السنة عقد طوسون باشا صلحاً بينه وبين عبد الله بن سعود على أن يترك الحرب ويحقتنا الدماء وأن يدع عن الوهابى لحكومة الحجاز . وأرسل ابن سعود وفداً من عليّة قومه الى طوسون ليؤكّدوا له هذا العهد ، فبعث بهم الى والده بمصر فلم يرق في عينه هذا الصلح . واستقر طوسون باشا في الحجاز الى ذى القعدة ، ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فوصلها في شهر ذى الحجة ، وعملت له فيها زينة كبيرة . وكان ولد له في غيبته ولده عباس باشا الاول . وما زال بمصر حتى توفي سنة ١٢٣١ بالطاعون وعمره نحو عشرين سنة .

وفي محرم سنة ١٢٣٢ أرسل محمد علي ولده ابراهيم باشا الى الحجاز لحوادث الوهابيين . فسار في عسكر كثيف الى مكة ومنها قصد الدرعية . ولما وصل الى مكان يقال له مرنان وقع بينه وبين الوهابيين قتال شديد انتصر فيه عليهم ، واستولى بعد ذلك على مدينة الشمران ، ثم سار الى الدرعية فحاصر فيها عبد الله بن سعود واستولى عليها في ذى القعدة سنة ١٢٣٣ بعد قتال شديد ، وقبض على عبد الله بن سعود أمير الوهابيين وعلى كثير من بنيه وأهليه ودويه ، وبعد ان جعل على مدينتهم ساقطها سيّهم الى مصر . فلما أنت البشائر الى محمد علي زين القاهرة زينة كبرى وأمر باطلاق ألف مدفع . ووصل ابن سعود ومن معه الى القاهرة في أوائل شهر المحرم سنة ١٢٣٤ ، فدخلوها في موكب عظيم ، وقال محمد علي ابن سعود ناني يوم في سرايه بشرا بصدور رحب ، وقدم اليه الوهابى صندوقاً صغيراً فيه ما تبقى عنده من الحواهر التي أخذها أبوه من الحجر الشريفة النبوية : ومن ذلك ثلاثة مصاحف مكللة بالحواهر الثمينة ، وثلثمائة حبة كبيرة من اللؤلؤ ، وقطعة كبيرة من الزمرد . ثم أرسل عبد الله بن سعود الى الاستانة فصلبوه على باب همايون . وفي هذه السنة حج ابراهيم باشا وعاد الى مصر فعملت له فيها زينة كبيرة مدة سبعة أيام ، ومن ثم صارت بلاد الحجاز من أدناها الى أقصاها خاضعة لحكم محمد علي .

اماما كان من أمر آل سعود فانهم اجتمعوا أمرهم لاسترجاع نجد الى حكمهم بعد ان هدم  
 ابراهيم باشا دار ملكهم فقم لهم ذلك . وكان الأمير عليهم فيصل بن تركي ابن عم عبد الله بن  
 سعود ، فلما استفحل ملكه خافه محمد علي وسير اليه خورشيد باشا سنة ١٢٥٣ ، فاستولى  
 على الدرعية بعد جملة وقائع بينه وبين الوهابيين ، وقبض على فيصل في سنة ١٢٥٤ وأرسله  
 الى مصر ومعه كثير من آل سعود . وولّى الامارة بعده خالد بن سعود ، فثار عليه عبد الله  
 ابن ثنيان واتزعا من يده . فبلغ ذلك فيصلا بعصر وهو سجين بالقلعة : وكانت له صلة  
 بعباس باشا الاول ، فشكا اليه ما يلقاه من تغلب ابن ثنيان على بلاده ووعده ان هوخلصه  
 من سجنه وصار له الحكم في قومه يصير من رجاله ومن رجال محمد علي . فساعده عباس باشا  
 على الهرب . فسار فيصل حتى نزل على ابن الرشيد أمير شمر ، فاكرم وقادته وسير معه  
 بعض رجاله الى ابن ثنيان . وبلغ ذلك قومه فبادر اليه كثير منهم وساروا معه الى القصيم فحاصرها  
 وأخذ ابن ثنيان أسيرا وما زال في سجنه حتى مات ، وتم لفيصل اسديلاؤه على نجد سنة ١٢٥٨  
 واستقامت له الامور فيها الى أن توفى سنة ١٢٨٢ ، وله من البنين (عبد الله . وسعود . ومحمد .  
 وعبد الرحمن) . فاستولى عبد الله بن فيصل على الامارة ، فوقع خلاف بينه وبين أخيه سعود  
 الذي فر الى البحرين فساعده أميرها وخرح في قبائل العجمان وسار الى نجد ، والتقى برجال  
 أخيه عبد الله وعليهم أخوه محمد بن فيصل ، فحصلت بينهم موقعة عظيمة قتل فيها خلق  
 كثير من الفريقين ، وكانت الغلبة لسعود بن فيصل ففر عبد الله أخوه الى العراق وجمع  
 له جموعا والتقى بجيش أخيه سعود الذي كانت له الغلبة عليه أيضا . فمصد عبد الله أطراف  
 نجد يستجد قبائلها فلم يحصل على طائل ، ومن ثم توطدت قدم سعود في الامارة وأخذ يركب  
 كثيرا من المظالم ، ولكن مدته لم يطل بأكثر من سنة حتى عصت عليه قبائل نجد ، وتكدرت  
 عليه أيامه ومات حتف أنفه . وتولى الامارة بعده ولده محمد وعبد العزيز ، فاستجمع عبد الله  
 ابن فيصل قوة واستولى على الرياض عاصمة الامارة . وفر محمد وعبد العزيز الى مدينة الخرج  
 القريبة من الرياض ، وحصلت بينهما وبين عمهما مناوشات انتهت بهدنة بين الطرفين . ثم  
 حصلت بينهما وقائع كانت الغلبة فيها لعمهما عبد الله . وفي هذه الاثناء كانت امارة الرشيد



تتقوى بانقسام الكلمة بين آل سعود ، حتى عسلا أمره . فطمع في امارة نجد وتحرك لغزوة ابن فيصل من الحائل وحصره في الرياض مدة انتهت باستيلائه عليها وأسر عبد الله بن فيصل وأتى به الى الحائل معززا مكرما فاقام فيها نحو سنة ثم طلب الرجوع الى الرياض ، وبعد وصوله اليها توفي فيها . وكان ولداً أخيه سعود (محمد وعبد العزيز) في الخرج . وكان ابن الرشيد غير مستريح منهما فترقب الفرص فيهما حتى قتلهما واستولى على نجد . اما الرياض فكان فيها ولداً فيصل محمد وعبد الرحمن وكان لهما الأمر في بلادهم خاصة وتوفي محمد واستغل بالامر عبد الرحمن . وكانت بلاد القصيم بعد زوال حكم آل سعود مستقلة بيد أميرها حسن بن مهنا ورامل بن سليم فحصل بينهما وبين ابن الرشيد خلاف وقع بسببه حرب كانت الغلبة فيه لابن الرشيد وكان عبد الرحمن بن فيصل قد سار لمساعدة أهل القصيم فلما حصل الظفر لابن الرشيد واستولى على القصيم التجأ عبد الرحمن بن فيصل الى الكويت وهي في امارة ابن صباح واستجمع له قوة لقي بها ابن الرشيد ، فظهر عليه ابن الرشيد و بذلك صار له الحكم في كل نجد . وأقام عبد الرحمن في الكويت ورتدت له الدولة العثمانية مر بيا يصله من البصرة حتى مات ، وله من البنين عبد العزيز ومحمد وسعد .

وكانت حصلت فتنة بين مبارك بن صباح وأخوته ففعلهم ففرت أولادهم مع خالهم يوسف ابن ابراهيم الى البصرة . واستغاثوا بالدولة العثمانية فلم تلعت اليهم . فاستنجدوا بأمر نجد عبد العزيز بن الرشيد فكتب عبد العزيز الى الحكومة العثمانية بان ترخص له بالزحف على الكويت والاستيلاء عليها مدعيان ابن صباح قصد الاستجداد بالا سكايز وتسليم الكويت اليهم . وقصد بذلك اغراء الحكومة العثمانية به وانعلا بها عليه . فقبلت الحكومة كلامه وامدته برجالها وحصل بينه وبين ابن صباح واقعة كبيرة كان النصر فيها لابن الرشيد . فالبلغ انتصاره الى الحكومة العثمانية وأخبرها انه قتل ابن صباح « وكان خبره غير صحيح » وطلب منها أن يستولى على الكويت . فجهزت العسكر لذلك من البصرة ، وعند ما طلب ابن صباح ان يكف الحكومة عداها عنه وتدع الطرفين لبعضهما . فلم تلتفت الدولة الى ذلك فقام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل من الكويت بجيشه ، وهجم على عامل ابن الرشيد

في الرياض فقتله واستولى عليها وحصنها بسور متين، ثم حصلت بينه وبين ابن الرشيد وقائع كثيرة كانت تارة له وأخرى عليه، واستولى بعدها على أغلب بلاد نجد الا الحائل وجبال شمر فأنها بقيت في يد ابن الرشيد الى الان .

وهنا يحمل بنا أن نذكر كلمة عن اسرة الرشيد لتمام الفائدة فنقول :

كان عبد الله بن الرشيد أميراً على شمر وكان له ثلاثة بنين وهم طلال ، ومتعب ، ومحمد . ولما مات تولى بعده ولده متعب ، فقتله بدر و بدر ولدا أخيه طلال واستوليا على الامارة ، فقتلها عمهما محمد واستولى عليها : وكان رجلاً عاقلاً كريماً سارت الركبان بسيرته وتحدثت الناس بنباهته خصوصاً بعد ان انتهى حرب الوها بية وأسر عبد الله بن سعود وتشتت آله وودوه . لذلك أخذت سلطة محمد بن الرشيد تمتد في اطراف نجد خصوصاً بعد ان اشتعلت نار الشحنة بين بني فيصل بن تركي . ومات محمد بن الرشيد ولم يعقب ولداً فتولى الامارة عبدالعزيز بن أخيه متعب ، فقتله سلطان وسعود ولدا حمود بن الرشيد واستوليا على الامارة معاً ، ثم وقع بعد ذلك خلاف بينهما فقتل سعود أحاه سلطاناً وانفرد بالولاية . وكان لعبد العزيز بن متعب ولد صغير اسمه سعود هرب به حاله السهمان بعد قتل أبيه الى المدينة ، وأقام بها مدة طويلاً ثم سار منها بحيش كبير بتواطؤ مع قبائل شمر ، وهجموا على سعود بن حمود في الحائل وقتلوه واستولى سعود بن عبدالعزيز بن متعب على اماره شمر ولا يزال فيها الى الآن .

×

## الحرم المكي

كان الحرم المكي في مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود المطاف الآن ، وهي حدوده القديمة من عهد ابراهيم عليه السلام . فلما كثرت سواد المسلمين زاد فيه عمر وعثمان شيئاً مما اشترياه من الدور التي كانت حوله ، وزاد فيه عبد الله بن الزبير عندما بنى الكعبة ، وأقام ما كان ترمم منه . وكذلك زاد فيه الوليد بن عبد الملك وعمه ، وعمارة تذكفتشك ، وهو

أول من نقل اليه أساطين الرخام: واهتمام الوليد بالعمارات لا ينكر ، يعرفه من شاهد قبلة الصخرة بالقدس الشريف ورأى ما بقى فيها من آثار الموزاييك الذهبية وغيرها من أعمال القيشاني التي تدهش العفل ويحار فيها الفكر . ويوجد في المسجد الاموي بدمشق الى الآن شئ من أثر عمارته لم تصل اليه يد الحريق ، وبه أعمال موزاييك ذهبية بديعة جداً على حائط الصحن الجنوبي والغربي .

ولما حج الخليفة محمد المهدي سنة مائة وستين رأى أن البيت ليس في وسط المسجد فاشترى كثيراً من البيوت خصوصاً في الجهة الشرقية القبليّة وزادها في المسجد ، وأدخل اليه كثيراً من الارورارات التي كانت فيه وكات في ملكية الغير ، ثم أتى من بعده ابنه الهادي فأكمل ما بهص في مدة والده .

وكات دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة الشمالية الغربية ، وكان ينزل بها الخلفاء والامراء في حجهم في صدر الاسلام ، ولكنها أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث الهجري فأخذت تهدم بناؤها ، فكُتِب في ذلك الى الخليفة المعتضد العباسي فأمر بها فهدمت في سنة إحدى وثمانين ومائتين وجعلت مسجداً وفيها قبلة الى الكعبة ، ثم جعلوا الهاقبه عالية ، ثم غير شكلها فيما بعد الى شكل آخر ، واستمر مقاماً يصل في الامام الحنفي الى أن أتى الامير كلدي أمير جده في سنة ٩٤٧ هـ فهدمها ، وبنى المئام مر بعداً طبقتين : الاولى للامام والمصلين ، والثانية للمؤذنين والمبلغين وهو على هذا الشكل الى الآن .

وفي سنة ٨٠٢ احترق الرواق الشرقي ، فأمر الملك الناصر فرج بن برقوق ملك مصر بتعمير ما خرب منه ، ووضع بدل الاعمدة الرخام التي احترقت أعمدة من الحجر الشميسي . ومن ثم كانت تقوم بعمارده الحرم ملوك مصر ، وحسبك العمارة التي قام بها السلطان قايتباي في سنة ٨٨٦ .

وفي سنة ٩٧٩ ، مال الرواق الشرقي من الحرم ميلاً محسوساً فأمر السلطان سليم الثاني بأن يرسل المعمار يون والمهندسون والصناع من جميع الاصناف لعمارة ، فأرلوا سقفه

جميعه وأساطينه كلها وهدموا محيطه وبنوه على الترتيب الحالي، وأقاموا أعمدة الرخام بين أساطين حجرية متناسبة الوضع، وبنوا عليها قبا بأبدل السقوف التي كانت تطحنها يد الرطوبة المتخلفة من الأمطار، مع ما كان يكثر فيها من الحيوانات التي اشتهرت بعداوتها للأخشاب كالارضفة والسوس وغيرهما من الحشرات المضرة. وفي أثناء هذه العمارة مات السلطان، وكان الذي انتهى منها الجانب الشرقي والشمالى فقط، أعنى من باب على إلى باب العمرة. ولما تولى السلطان مراد خان أمر بنقش العمارة على الوجه الذى كان فدأمر به والده، فتمت على أحسن حال بالشكل الذى تراه الآن. وليس لمن بعده من السلاطين بهذا الحرم الا عمارات ترميمية أو تكميلية.

وفي هذه العمارة نزل العمال بأرضية الشارع الموصل إلى المسفلة، بحيث صار يصرف ما عساه يدخل إلى الحرم من مياه السيول التي كثيرا ما كانت سبباً في بعض أركانها وهدم بنيانه. وكانت الزيادات التي تتحلف من الدور التي دخلت في ترسع الحرم الشريف في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فراء طلبة العلم في المسجد، وكان لها أوقاف جمة، ولكن كثيراً ما تغيرت أوقافها واستبدلت بغيرها وأخرجت من يد واقف إلى يد غيره أقوى منه، ومن ذلك مدرسة قايتباى التي لا تزال للآن على يسار الداخل من باب السلام، فانها بعد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها، ضعفت أوقافها شيئاً فشيئاً، فعملوها من دار علم إلى دار ضيافة كان ينزل إليها أمراء الحاج المصرى، ثم صار يسكنها بعض أشرف ذوى غالب وهي في أيديهم إلى الآن. ولا يزال المحملان المصرى والشامى بوضعان أيام وجودهما بمكة لصق حائطهما الذى من داخل الحرم، وبحوارهما من الخدم ما يهوم بحراستهما. وعلى يمين باب السلام مدرسة يقال لها المدرسة السلطانية بها كتبها تقدم الكلام عليها في مكة.

والحرم من داخله على شكل مربع (منتظم تقريباً) وفي وسطه (بميل إلى الزاوية الجنوبية) الكعبة المكرمة. وطول ضلع الحرم المقابل للحطيم وهو الذى فيه باب الزيادة مائة وأربعة وستون متراً، وطول الذى يقابله وهو الذى فيه باب الصفا مائة وستة وستون متراً،

وضلعه الذي فيه باب السلام مائة متر وثمانية ، والذي يقابله وهو الذي فيه باب ابراهيم مائة وتسعة أمتار : فيكون مسطحة من الداخل سبعة عشر ألفاً وتسعمائة واثنتين من الامتار المربعة ، وهو ما يزيد عن أربعة أقدنة وربع . أما من الخارج فتوسط طوله مائة واثنتان وتسعون متراً ، وعرضه مائة واثنتان وثلاثون متراً ( وهذا حسب تحقيق المرحوم محمد صادق باشا أمير الحاج المصري ) . ويحيط بالحرم من داخله أربعة أقدنة وثلاثمائة وأحد عشر عموداً ، يتخللها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة من الحجر الشميسي الاحمر ، تقوم عليها قباب على محيط المسجد . وعلى بعض هذه العمود كتابة محفورة وبها ، تدل على ما كان لبعض الملوك من العمارة في المسجد أو من الاعمال التي فيها نفع للمسلمين كإبطال المكوس ونحو ذلك : ومن هذه الاعمدة عمود يقرب باب الحزورة لا يزال مقوشاً عليه عهد كتبه الاشرف شعبان سلطان مصر بإبطال المكوس التي كانت تأخذها أشرف مكة على الحجيج . وأغلب هذه العمود مطلي بالجبس : لأن بعض أمراء مكة ساء بهم الله كانوا اذا أرادوا بعض العهود المحفورة عليها ، عمدوا الى تلك النقوش وكسوها بعجينة من الجبس فلا يظهر لها أثر .

وأبواب الحرم ثمانية في الجهة الشمالية : وهي باب الدريبة ، وباب المدرسة ، وباب المحكمة وباب الزيادة<sup>(١)</sup> ، وبجواره الى الغرب باب الفطحي<sup>(٢)</sup> ، وباب الباسطية<sup>(٣)</sup> ، وباب الزمامية ، ثم باب عمرو بن العاص<sup>(٤)</sup> . ويليه من الجانب الغربي ثلاثة أبوابها باب العمرة<sup>(٥)</sup> وباب ابراهيم<sup>(٦)</sup> ، ثم باب الحزورة<sup>(٧)</sup> . ويليه من الجهة الجنوبية سبعة أبواب : أولها باب أم هانئ<sup>(٨)</sup> ، وباب العجلة<sup>(٩)</sup> ، ( ويسمونه باب التكية ) ، وباب الرحمة ( أو المحاهدة ) ،

(١) لان هذه الجهة رادت في المسجد في عمارته الاخيرة . (٢) نسبة الى الفطحي صاحب نار يع مكة وكانت له مدرسة يقيم فيها . (٣) لانه محاور لمدرسة عبدالباسط . (٤) وكان يسمى الباب العميق وباب السدة . (٥) لانهم يرحلون منه الى العمرة ويقال له باب بي سيم . (٦) وهو نسبة الى رجل خياط كان يسكن بجواره . (٧) وكان يسمى باب بي الحكم ، والحزورة اسم لسوق في الحاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في الحرم عند توسعته . ويسمونه باب الوداع لان الناس يرحلون منه عند سفرهم . (٨) وهي روجه هيرة بن عمرو والمجرومي ولها كان لها بيت هناك أدخل في الحرم .

(٩) وكان يقال له باب بي تميم .

وباب أجياد أو (السنبلة)، وباب الصفا، وباب بني مخزوم، ثم باب بازان<sup>(١)</sup>. ويلى ذلك من الجهة الشرفية أربعة أبواب: وهي باب بني هاشم (أو باب علي)، وباب العباس<sup>(٢)</sup> (أو باب الجنائز)، وباب النبي<sup>(٣)</sup>، ثم باب السلام<sup>(٤)</sup> وهو الذي يدخل الحاج منه الى الحرم عند طواف القدوم. ومجموع هذه الابواب اثنان وعشرون باباً، ولكن منها ما له مدخل واحد ومنها ما له مدخلان أو ثلاثة أو خمسة فيكون مجموعها تسعة وثلاثين مدخلاً.

وفي رحبة باب اراهيم تجد آلافاً من فقراء حجاج الدكارنة والهمود والمغاربة وفيهم كثير من المقدمين<sup>(٥)</sup> الذين لا يفدرون على الحركة، فيمضون هناك أيامهم عائشيين من حسنة أو باب الخير، وربما كان منهم بالمسجد ما تلجئهم الضرورة اليه مما لا يصح التوسع في شرحه! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم الله! فهل لحكومة الحجاز أن تفكر في أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو في مدة الموسم، وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الاسنانة يتدارك ما أهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل.

وفي المسجد ست منارات: الأولى ماردناب العمرة وهي من أعمال الخليفة المنصور العباسي في عمارته للمسجد سنة مائة وبلايين، وماردناب السلام، ومnardناب علي، ومندارة الحرورة وهي من أعمال المهدي العباسي في عمارته للمسجد سنة مائة وثمانية وستين،

(١) لقرنه من سقاية ناران ويسمونه باب العلة.

(٢) لأنه مقابل لدار العباس وسمى باب الحائر لانه يخرج منه الى المعلي.

(٣) لأنه كان صلى الله عليه وسلم يدخل المسجد منه لقرنه من دار حديجة.

(٤) وكان يسمى في الخاهلية باب بني عبد شمس وعرف الآن بدار بي شنة. وسمى باب السلام لدخول

الناس منه عند طواف القدوم الذي هو تحية المسجد الحرام.

(٥) أعلت هؤلاء المقدمين من عيد أهل مكة الذين ادا وصلوا الى الشيوحة أو اعترتهم عاهة تفعد بهم عن العمل طردهم سادتهم تخلصاً منهم، فيلحثون الى بيت الله الحرام ويعيشون من لقيام أهل الخير حتى يولاهم الله واحد الحسيب: من كات القاصيه فقد أراحهم الله من دسائهم، وان كات العافية استردهم سادتهم الى خدمهم! ولا بد للحكومة الحجاز من ان تزي رأياها في هؤلاء النساء فتحمل لهم ملجأ يأوون اليه حدمه للاساية. ويبدء المناسبة نقول لك ان أهل مكة يعملون مثل ذلك في حرمهم أو خيلهم التي يقعد بها كبر السن أو المرض: فيسركونها في شوارع مكة تلحس القمامة من طرفها وما يصح منها أحده أصحابه لاسعماله في خدمهم مرة أخرى!



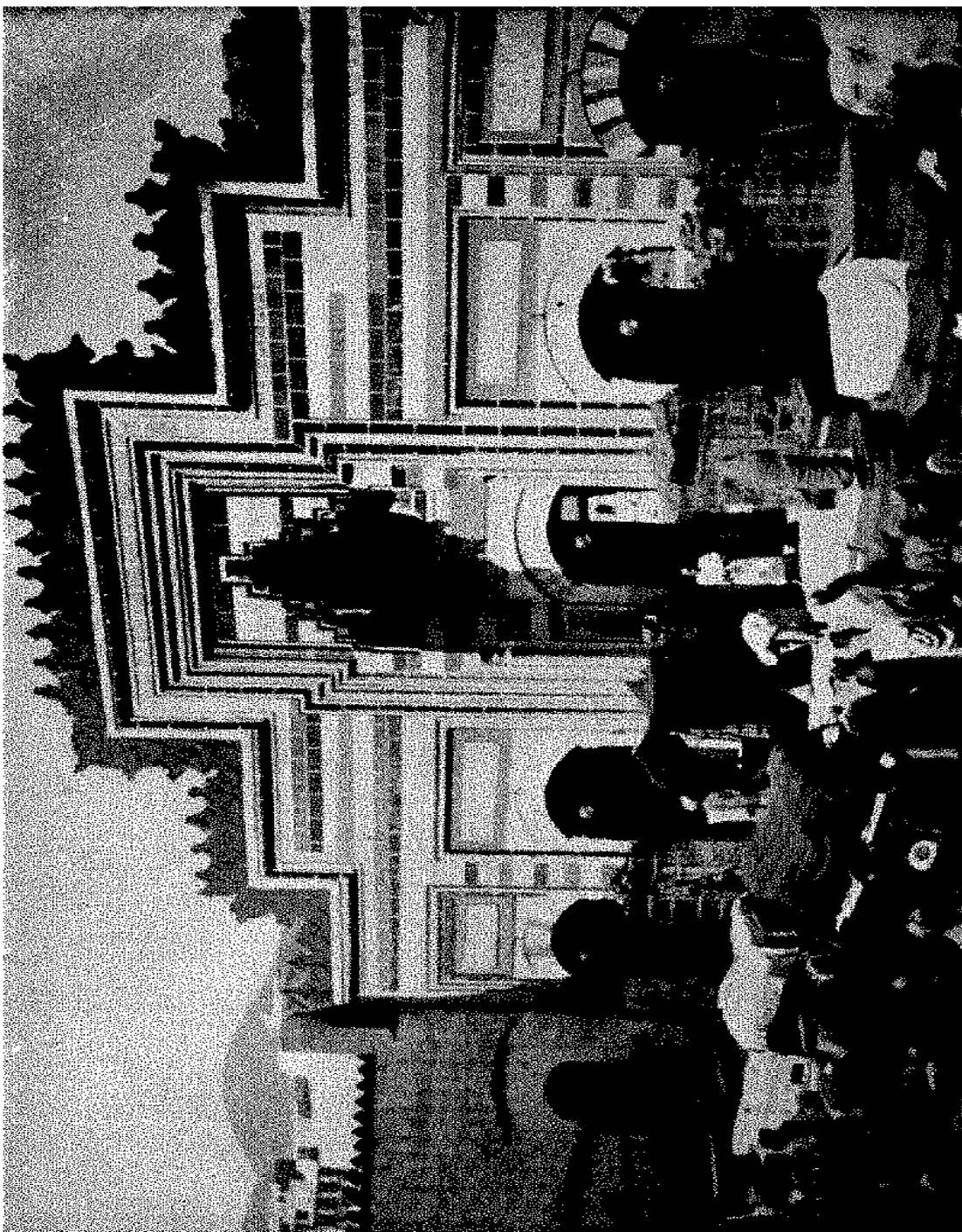




ومنارة باب الزيادة وهي من أعمال المعتضد العباسي سنة مائتين وأربع وثمانين، ومنارة السلطان قايتباي . وقد حصلت في جميعها ترميمات وزيادات في مدة العمارة التي قام بها السلطان سليم الثاني في المسجد ، وكلمة باقية لآن يؤذن عليها في الاوقات الخمس . وشيخ المؤدبين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم ، وفيها مزولة مثبتة في حائطها الجنوبي ، من عمل رجل من مراكش أهداها الى الحرم ، وهي عاينة في الضبط والاحكام وعليها ميقاتهم في النهار . فاذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالادان فيتبعه المؤذنون الذين على المنارات بأصوات يحركها الهواء على طبلة الادن فتحدث لها اهتزازات في القلب يمتلي منها خشية ورهبة وخشوعا وخضوعا .

وعلى حدود المطاف بقاء كل ضلع من أضلاع البيت ، سفينة قامت على أعمدة من الرخام : فالشامية منها مصلى الامام الحنفى ، والغربية للامام المالكي ، والجمهورية للامام الحنبلي ، أما الامام الشافعي فيصلى في مقام ابراهيم أو في المطاف مما يلي الكعبة مباشرة جاعلا بابها على يساره . والحنفى يتدى بالصلاة في جميع الاوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي ، الا الصلاة الصبح فيبدأها الشافعي ويتأخرها عنهم الحنفى . ومما يلاحظ في الحرم ان أهل كل جهة من العالم الاسلامي يجلسون عادة في الجهة التي يستقبلون فيها الكعبة في بلادهم : فالاعجم تجدهم عند باب السلام ، والشوام والأتراك يسهو بين باب الريادة ، والمصريون وراء المقام المالكي ، واليمانيون والحاووه واليهود وراء المقام الحنبلي . ومن أعرب ما شاهدت ان بعض المصريين يستعمل هناك البوصلة التي عملت للصلاة بمصر ولو حط فيها الاتجاه لجهه مخصوصة ، ولا يمكن أن تؤدي وظيفتها الا في البلاد التي على اتحاد مصر من الكعبة ، أما اذا وضعت مثلا في طريق المدينة أو اليمن أو الطائف فانها لا تؤدي وظيفتها المرة ، فليتهم ذلك من جهله .

وللحرم سخن كبير غير مسقوف تقطعه مماش محجوره ، وما يربها أرض بها زلط دون العولة يسمونها الحصباء ، وأول من حصب أرضية الحرم عمر رضى الله عنه . والكعبة في وسط سخن المسجد بميل الى الجنوب ويليها من الشرق مقام ابراهيم . وفي جنوبه الشرقى قبة زمزم التي بناها



باب الصفا بالخرم المكي

أبو جعفر المنصور في سنة مائة وخمسة وأربعين وفرش أرضها بالرخام، وعمقتها المأمون، أما الشبكة التي على فوهتها فقد أمر بعملها السلطان أحمد العثماني. وشرقي زمزم إلى الشمال باب شيبة، وهو بأكية كبيرة قامت وسط الحرم في حدود المطاف، على عمودين من البناء المكسو بالرخام، في المكان الذي كان به باب المسجد في مدته صلى الله عليه وسلم. وفي شمال المقام المنبر، وهو من الرخام غاية في حسن الصناعة أهداه إلى الحرم السلطان سليمان القانوني، ومكتوب على بابه بالخط الذهبي الجميل (انه من سليمان وانه سم الله الرحمن الرحيم). وأول من وضع المنبر في المسجد الحرام معاوية بن أبي سفيان حين قدومه إلى مكة حاجاً. وكان الخلفاء قبله يخطبون على أرضية المسجد تحت جدار الكعبة أو في الحجر، ثم أهدى إليه سنة مائة وسبعين منبر من خشب جميل من صناعة مصر لمناسبة حج الرشيد الذي خطب الناس عليه في حجه في السنة المذكورة. وفي خلافة الواثق أمر بعمل له ثلاثة ماابر: واحد وضع في الحرم، والثاني في عرفة، والثالث في منى، وخطب في حجه عليها جميعها. وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة في الحرم وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الأسود والركن اليماني، فإذا أراد الخطيب أن يحط استلم الحجر أولاً ثم دعا وصعد المنبر. وبعد الخطبة كان ينقل المنبر إلى مكانه بجوار زمزم، فلما أهدى السلطان سليمان إليه منبره الرخامي بقي مكانه واستمرت فيه الخطبة إلى اليوم. وفي حوائط المسجد الحرام من الداخل أبواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم، وبعضها مخازن في يد خدمة المسجد أو الزمزمة، وهؤلاء يستعملونها أحياناً للاستحمام كبراء الحجاج فيها بما ززم أو وضوئهم منها.

والجلمة فشكل (١) الحرم المكي على بساطته في سنائه نفيم جدا، ووضع صحبي،

(١) ومما نراه على شكله تقريباً جامع عمرو بمصر القديمة، ومسجد أحمد بن طولون بالقاهرة وإن كان في مساحته أكبر من الحرم: ويقال أن هذا المسجد بني تماماً على شكل مسجد في مدينة سر من رأى، وهي بلدة كانت تبعد عن بغداد بحولتين مئيلاً، وكان اسمها أولاً سمرافكبرها المعظم بالعمارة وبني له فيها قصرًا جميلًا وسماها سر من رأى. وفي وسط صحن مسجد ابن طولون قبة عالية تحميها ميصاة وصفت على شكل مربع تقرب وضع يب الله المعظم من المسجد الحرام وتسميها العامة بالكعبة، ومحوار هذه القبة من جهة القبة ميعة (بصح الأول وسكون الثاني) من الخشب يزعمون أنها من سفينة نوح ولكمهم ساجدهم الله إذا كانوا وصعدوا ذلك اكباراً لشأن هذه الكعبة المزورة فهل يمكنهم أن يرشدونا عن الرمان والمكان اللذين عثروا فيهما على آثار أول سعيته في العالم؟



وصحبه الكبير يؤدي بلا شك للمدينة ووظيفة الميادين الكبرى، كما سبق لك بيانه في الكلام على مكة .

وشيخ الحرم هو الوالي عادة ، وللحرم الشريف نائب، وقائم للنائب، ومدير يقوم بشؤونه . وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس : منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الاربعة . و ١٠٧ مدرسون . و ٤٥٥ مؤذنون . و ١٠٠ مشدون . و ١٢٠ فراشون . و ٨٠ وقادون . و ٢٠ كناسون . و ٣٠ بابون . و ١١ جبادون (ملاءون) من نثر زمزم . و ١٠٨ غسالون لقناديل الحرم . وهناك وظائف أخرى أخصها وظائف الاغوات وعدد هم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم ، وأول من رتب الاغوات في الحرم المكي للخدمة فيه هو الخليفة أبو جعفر المنصور . أما الذين يقومون بخدمة الكعبة المكرمة فهم سدتها من نبي شيبه . والخدمة في الحرم وراثية غالباً ما عدا شيخه ومديره فانهما يعينان من طرف السلطنة العظمى ، ووظيفة الاول تكاد تكون سياسية أكثر منها ادارية . والخدمة في الحرمين الشريفين محترمة جدا ويتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الى الآن . ويوجد ضمن رتب الدولة العلية العالية رتبة مخصوصة اسمها « خادم الحرمين » .

## الكعبة المعظمة

كان الله تعالى يرسل رسله الى خلقه في ظرف مخصوصة ليعلموهم واجباتهم في دينهم وديانهم ويرشدوهم الى طريق الخير الذي به تتم السعادة الحقيقية . فاذا مضت على ذلك فترة من الزمن خبط الناس في سيرهم وخلطوا بين عمل صالح وآخر سيء ، حتى اذا تغلب عليهم عامل الفساد بطبيعة الحال ساء أمرهم ونسوارساله ربهم اليهم وضلوا ضلالاً ميبئاً . ولما كان من طبيعة الوجود ضرورة وجود خالق قوي قادر، صار كل انسان يتخذ له معبودا على ما يتجسم في ضميره ويتعظم في وجدانه : فكان هذا يعبد النار لعمه انها القادرة على كل شيء . وذلك يعبد الشمس لان بها نظام العالم ، وآخر يعبد الاحجار لانها هيولى هذا الوجود : وهؤلاء الاخيريون

هم الوثنيون الذين كان منهم سواد العالم خصوصاً في الفترة التي بين نوح و ابراهيم ، بعد ان تفرقت الناس وتبلبلت الالسن وتغايرت طبائعهم باختلاف مواطنهم . وهذه الفترة على ماورد في الطبرى ألف وتسع وتسعون سنة .

وكان الكلدانيون في جنوب نابل في نطقة متوسطة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فأرسل الله تعالى منهم ابراهيم فوجدهم يعبدون النجوم واللات و كان أبوه يصنعها لهم فعاتبه على ذلك : قال الله تعالى مخبراً عنه « واذ قال ابراهيم لا يه آزر أتتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين »

وترك ابراهيم قومه وهاجر الى مدين ، وهناك أمره الله تعالى بالمهجرة بولده اسماعيل وأمه هاجر الى بلاد العرب . فاقاموا بمكة حتى اذا كثر عمر اباها أمره الله أن يبنى له بيتاً . وكان أول بيت وضع للناس يعبدون فيه ربهم عباده صحيحة : قال تعالى « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك وهدى للعالمين » . وهذا البيت هو الكعبة المكرمة التي بناها ابراهيم على شكل مربع ، زواياه الى الجهات الاربع ، حتى تتكسر عليها يارات الهواء لكيلا يؤثر ضغط الرياح على كتلتها ، وهذه هي بعينها القاعدة التي سبت عليها أهرام مصر وصارت محل اعجاب علماء العمارة الى الآن .

وما زالت الكعبة على بناء ابراهيم حتى بنتها العماليق ثم حصرهم (١) كداد كرا الاررقى بالسند عن على أمير المؤمنين وعبد الله بن العباس رضى الله عنهما .

ولما آل أمر البيت الى قصى بن كلاب في القرن الثاني قبل الهجرة هدمها و بناها فاحكم بناءها وسقفها بحشب الدوم وجدوع النخل . و بنى الى جابه دار الندوة وهى أول بناء بعد الكعبة في مكة : وكانها حكومته ومحل الشورى مع صحابته ، وكان لا يتم لهم أمر من الامور السياسية والاجتماعية الا فيها . ثم قسم جهات البيت المعظم بين طوائف قريش ، فبنوا دورهم على المطاف حول الكعبة وفتحوا عليه أبوابها . وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم بنحو خمس سنين هدم السيل الكعبة ، فاجمعت قريش أمرها واقتسمت القبائل بناءها ، وكان الذى يبنياهم باقوم الروم بمساعدة نجر مصرى . فلما انتهوا الى وضع الحجر الاسود اختلفوا

(١) وهذا خلاف لمن قال بان حصرهم ببنها قبل العماليق .

في أي القبائل تختص بشرف وضعه في محله ، وكاد يفضى الأمر إلى أشهر السلاح فيما بينهم . وكان صلى الله عليه وسلم يعمل معهم وعمره اذذاك خمس وثلاثون سنة ، وكان له فيهم شأن عظيم لحسن سيرته وكمال اخلاقه ، وكانوا يسمونه بالأمين ، فارتضوه حكماً . فطلب رداء ووضع فيه الحجر وأمر القبائل فامسكت بأطرافه ، ورفعوه بالحجر حتى اذا وصل إلى مكانه من البناء في الركن الشرقي وضعه فيه بيده الشريفة : وهذه العكرة السامية والسياسة الرشيدة انتهت الشحناء من بين القبائل ، وهم له شاكرون وبشدة ذكائه متحدثون . وكانت النفقة قد قصرت بهم فبنوا الكعبة على ما هي عليه الآن . وكان الحجر أولاداً خلائفها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها : « لولا ان قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض ، ولحملت لها باباً شرفياً و باباً غربياً ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قریش استعصرتها حينما بنت الكعبة » . فلما ولي عبد الله بن الزبير أمر مكة ، سير يزيد بن معاوية اليه الحصين بن نمير في عسكر ككثيف . فالتجأ ابن الزبير إلى المسجد الحرام ، فضربه الحصين بالمنجنيات فاصابت بعض مقذوفاتها الكعبة فهدمتها واحرقت كسوتها مع بعض اخشابها ، حتى اذا بلغه هلاك يزيد رجع عن معصية عن مكة . ثم رأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد ابراهيم مستنداً على حديث عائشة السابق ذكره . فهدم الكعبة وأتى لها من اليمن بالحصص التي فيهاها ، وادخل الحجر في البيت ، والصق الباب بالارض وجعل قبالة إلى الغرب باباً آخر ليخرج الناس منه ، وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً . ولما فرغ من بنائها طيبها بالمسك والعنبر داخلاً وخارجاً من أعلاها إلى أسفلها وكساها بالديباج . وكان انتهاءه من عملية هذا البناء في ١٧ رجب سنة ٦٤ للهجرة . فلما كانت خلافة عبد الملك بن مروان سير الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ابن الزبير فحاصره في مكة ، ورماه بالمنجنية حتى استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ . ودخل الحجاج مكة وكتب إلى عبد الملك بما جرده ابن الزبير في الكعبة ، فولاه عليها وأمره أن يعيدها كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهدم الحجاج من جانبها الشمالي ( الشمالي ) قدر ستة أذرع وشبر ، وبنى ذلك الجدار على أساس قریش ، ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من

بأقيها شيئاً ، ثم كبس أرضها بالحجارة التي فصلت عنها .  
وعليه فالكعبة الآن على بناء ابن الزبير من جوانبها الشرقي والجنوبي والغربي ، وبناء  
الحجاج من جانبها الشمالي . ولم يطرأ عليها بعد ذلك الا العمارة التي تغير فيها سقفها في زمن  
السلطان سليمان سنة ٩٦٠ ، ثم العمارة الترميمية التي حصلت في زمن السلطان أحمد سنة  
١٠٢١ وتاريخها محفور في قطعة من الرخام مثبتة في الشاذر وان على يد المعجن  
وهذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام  
الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أمر بعمارة سقف  
البيت الشريف و تجديد ميزاب الرحمة وتفوية جدار بيت الله الحرام السلطان أحمد  
في شهر محرم سنة ١٠٢١ » . ثم اغتبتها العمارة التي قام بها السلطان مراد الرابع على اثر السيل  
المائل الذي حصل في سنة ١٠٣٩ ووصل ارتفاعه الى مترين فوق أرضيتها ، فهدم  
من حوائطها الشمالي والغربي والشرقي ، أما ما عمر فيها بعد ذلك فشيء لا يذكر .

## شكل الكعبة

الكعبة الآن من الخارج على التعديل الذي رجع اليه الحجاج ، وهو ما كانت عليه مدة  
النبى صلى الله عليه وسلم ، ذات شكل مربع تقريباً ، مبنى بالحجارة الزرقاء الصلبة . ويبلغ  
ارتفاعها خمسة عشر متراً ، وطول ضلعها الذي فيه الميزاب والذي قبالة عشرة أمتار وعشرة  
سدتي مترات ، . وطول الضلع الذي فيه الباب والذي يقابله اثنا عشر متراً . وبأعلى ارتفاع  
مترين من الارض ، ويصعد اليه بواسطة مدرج يشبه مدرج المنبر . والمدرج الحالي من  
الخشب المصفح بالفضة أهداه الى الكعبة أحد أمراء الهند ، ولا يوضع في مكانه منها الا اذا فتح  
بابها للزائرين في الاحتفالات الكبرى : وهي غالباً لا تزيد عن خمس عشرة مرة في السنة .  
وفيما عدا ذلك ترى هذا المدرج بجوار فية زمزم من جهة باب شيبة ، ويصعدون اليها



بسلم صغير من الخشب . وفي الركن الذي على يسار باب الكعبة الحجر الأسود على ارتفاع متر وخمسين سنتيمتراً من أرضية المطاف .

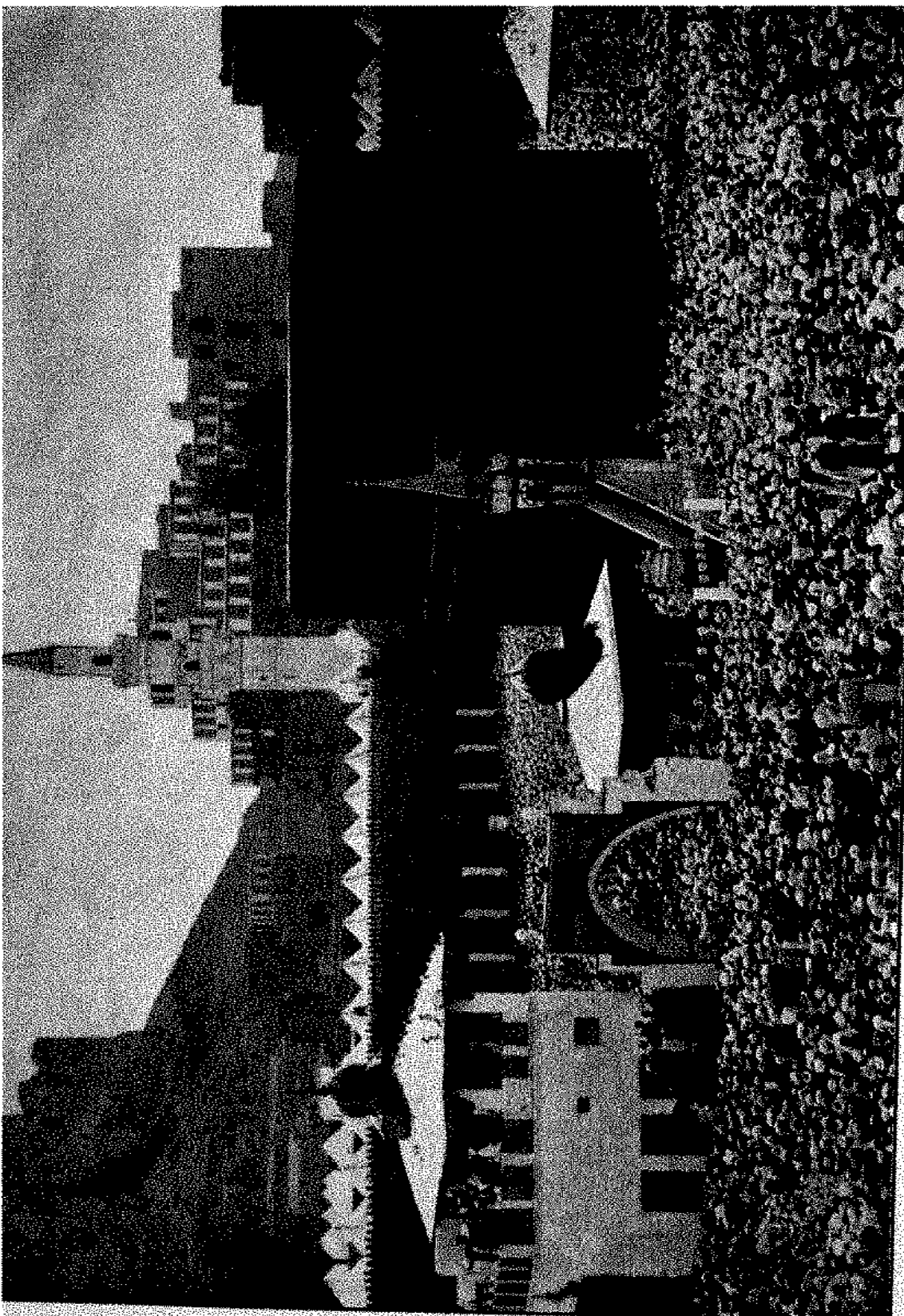
ويحيط بالكعبة من خارجها قصة من البناء في أسفلها ، متوسط ارتفاعها خمسة وعشرون سنتي متراً ، ومتوسط عرضها ثلاثون سنتي متراً ، وتسمى بالشاذر وان ، وهي من أصل البيت تركت خارجة عنه في بناء قريش لها قبل الاسلام لاختصارهم في بنائها .

والشاذر وان معناه ما يحيط بالسلسيل ، وكانوا يطلقونه في العمارات المصرية القديمة على محيط النافورات التي كانت في وسط الفاعات الكبرى .

وعلى ظني انه هنا من أثر عمارة الحجاج ، أقامه ليقى جدار البيت المعظم من تأثير الامطار والسيول التي كانت ولا تزال تنزل بكثرة الى المطاف : ودليلنا على ذلك انما هو لفظه الفارسي الذي لا بد أن يكون من وضع عملة من الفرس استحضرم الحجاج بن يوسف لعمارتهما . ولا يعد أن يكون ذلك من عهد ابن الزبير ، يؤيده ما ورد في الاعاني من أن ابن سريج سئل عن من تعلم الغناء على الفاعده التي كان يغني عليها مع انها ما كانت معروفة عند العرب ، فقال إنه تعلمها من عملة من الفرس كان ابن الزبير استحضرم لبناء الكعبة ، وكانوا تغنون بأغنية لطيفة فأخذها عنهم وأضاف نعماتها على النعمات العربية وغنى بها . وعلى كل حال فالشاذر وان والميزاب لفظان أعجميان ، ولم يرد ذكرهما على مدته صلى الله عليه وسلم .

و يسمون زوايا البيت الخارجة بالاركان : فالشمالى منها يسمونه بالركن العراقى لانه الى جهة العراق ، والغربى يسمونه الشامى لانه متجه الى جهة الشام ، والغربى يسمونه اليماني لاتجاهه الى اليمن وفيه حجر يسمونه الحجر الاسعد ، والشرقى يسمونه الركن الاسود لان فيه الحجر الاسود : وهو حجر صقيل بيضاوى غير منتظم ولونه أسود يميل الى الاحمر وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء ، وهي أثر لحام القطع التي كانت تكسرت منه ، وقطره نحو ثلاثين سنتيمتراً ، ويحيط به اطار من الفضة عرضه عشرة سنتي مترات ، والمسافة التي بين ركن الحجر وباب الكعبة يسمونها الملتزم ، وهو ما يلتزمه الطائف في دعائه واستغاثته .

ويخرج من منتصف الحائط الشمالى الغربى من أعلاه الميزاب (المزباب) ويقال له



الكلمة العظيمة منظر الحرم الكائن في أوقات الصلاة من المسج

ميراب الرحمة ، وهو من عمل الحجاج وضعه على سطحها حتى لا تقف عليه مياه الامطار : وكان من نحاس فغيره السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ بأخر من الفضة ، وتجدد في سنة ١٠٢١ مدة السلطان أحمد بغيره من الفضة المنقوشة بالماء الزرقاء تتخللها النفوش الذهبية ، وقدر أيتسه محفوظا في دار الآ نارا السلطانية الخصوصية بالاستانة . وفي سنة ١٢٧٣ أرسل اليها السلطان عبد الحميد يزا من الذهب وهو الموجود بها الآن .

وقباله الميزاب من الخارج يوجد الحطيم : وهو قوس من البناء طرفاه الى زاويتي البيت الشمالية والغربية ، ويبعدان عنهما بمسافة مترين وثلاثة سنتيمترات ، ويبلغ ارتفاعه متراً وسبعمائة متراً واصفاً ، وهو مغلف بالرحام المنفوش وفي محيطه من أعلاه كتابة محفورة بالخط المعلق فيها آيات قرآنية وتاريخ من قام بعمارته . ومسافة ما بين منتصف هذا القوس من داخله الى منتصف ضلع الكعبة ثمانية أمتار وأربع وأربعون سنتياً ، والقضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت هو ما يسمى بحجر اسماعيل ( تكسر الحاء وسكون الجيم ) وقد كان يدخل منه ثلاثة أمتار تفرياً في الكعبة في بناء ابراهيم ، والباقي كان زريبة لغنم هاجر وولدها ، ويقال ان هاجر واسماعيل مدفونان به .

أما الكعبة من الداخل فشكلها مربع مشطور الزاوية الشمالية ، وهي التي على عيني الداخل ، وهذه الشطرة باب صغير اسمه باب التوبة ، يوصل الى سلم صغير يصعد به الى سطحها . وبوسطها من الداخل ثلاثة أعمدة من العود القاقلي ، عليهما معاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من اخرى . وقطر كل عمود نحو ثلاثين سنتي متراً . وهذه الأعمدة من زمن عبد الله بن الزبير ، وقيمتها أكرم من أن يقدر لها ثمن ، ويقال ان عليها كتابه محفورة فيها ولكني لم أرها . وقد ذكر أنه كان بالكعبة قبل الاسلام ستة أعمدة ولا أدري ان كانت من البناء أو من الخشب . ويعطى سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردي عليها ربعات مكتوب فيها « الله جل جلاله » ، قد أهداها اليها السلطان عبد العزيز رحمه الله ، وفي قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلي فيه النبي عليه الصلاة والسلام .



ويحيط ببناء البيت من الداخل إزار من الرخام المجزع على ارتفاع نحو مترين ، وقد وضع في الحائط الغربي ألواح محفور في الأول منها : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا البيت المعظم العبد الفقير الى رحمة ربه يوسف بن عمر بن علي رسول ، اللهم أيد ديارك كريم بعز يزورك واغفر له دنوبه برحمتك يا كريم يا غفار يا رحيم » . ومكتوب حول هذه اللوحة : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه لي تار يخ سنة ثمانين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . والى جواره لوحة مكتوب فيها : « أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم وخارجه مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان سنة سبعين وألف » . ثم لوحة أخرى فيها « ربنا تقبل منا لك أنت السميع العليم ، تقرب الى الله تعالى بتجديد رحام هذا البيت المعظم المشرف العبد الفقير الى الله تعالى السلطان الملك الاشرف أبو النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله بتار يخ سنة ست وعشرين وثمانمائة » . وفي لوحة أخرى « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعسارة البيت المعظم الامام الاعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله أقصى آماله وتقبل منه صالح أعماله في شهر ر سنة تسع وعشرين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . ثم لوحة أخرى منقوش فيها « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا البيت العتيق المعظم الفقير الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين الشريفين مؤمن الحجاج في الرين والبحرين السلطان ابن السلطان السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وأيد سلطته في آخر شهر رمضان المبارك المسطر في سلك شهر سنة أربعين بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية » . وفي الجدار الشرقي لوح مكتوب فيه « أمر بتجديد داخل البيت السلطان الملك أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه يارب العالمين ، عام أربع وثمانمائة من الهجرة » . وفي الجدار الشمالي مكتوب على باب التوبة هذه الايات .

قد بدد التعمير في بيت الاله (١) \* قبلة الاسلام والبيت الحرام

(١) من هذا الشعر يمكنك أن تحكم على مقدار تأخر اللغة العربية بلاد العرب وخصوصاً في

القرن من حوالى القرن الحادى عشر للهجرة .

أم خاقان الورى مصطفى خان \* دام بالنصر العزيز المستدام  
بادرت صدقا الى التعمير ذا \* انما كان بالهام السلام  
وارتجت من فضله سبحانه \* أن يجازيها به يوم القيام  
قال تاريخاً له قاضى البلد \* عمرته أم سلطان الانام

بباشرة أحمدك فى سنة تسع ومائة وألف» . وبلغنى ان فى البيت حجراً مكتوباً بالكوفى  
ويقال انه قديم جداً وانه من القرن الاول للهجرة ، وان صح ذلك كان من عمل الحجاج  
ابن يوسف . وبجانب الباب على يسار الداخل طاولة من الخشب مغطاة بستارة من الحرير  
الاخضر موضوع عليها كيس مفاتيح الكعبة ، وهومن الاطلس الاخضر المزركش  
بالفضب ، يأتى اليها سنوياً من مصر مع الكسوة الشريفة . ومعلق بسقف البيت كثير مما  
بقى من الدخائر التى أهديت اليه ، ومن ذلك عدة مصايح ذهبية وفضية لا تقل عن  
مائة ، ومنها مصباحان ذهبيان مرصعان بالجواهر أهداهما للعبة السلطان سليمان القانونى  
سنة ٩٨٤هـ .

وتفتح الكعبة فى العاشر من المحرم للرجال ، وفى ليلة الحادى عشر منه للنساء ، وفى ليلة  
الثانى عشر من ربيع الاول للدعاء للسلطان من غير ان يدخلها أحد من الزائرين ، وفى صبيحته  
للرجال ، وفى مساءه للنساء ، وفى العشرين منه لغسيل الكعبة بحضور الشريف  
والوالى ، وفى أول جمعة من رجب للرجال ، وفى تاليه للنساء ، وفى صباح تاليه للرجال ، وفى  
مساءه للنساء ، وفى ليلة النصف من شعبان للدعاء للسلطان ، وفى صباح تاليه للرجال ، وفى  
مساءه للنساء ، وفى يوم الجمعة الاولى من رمضان للرجال ، وفى تاليه للنساء ، وفى السابع عشر  
مه للدعاء للسلطان ، وفى آخر جمعة منه كذلك ، وفى نصف ذى القعدة للرجال ، وفى تاليه  
للنساء ، وفى عشرين منه لغسيل الكعبة ، وفى الثامن والعشرين منه لاجرامها ( أعنى  
احاطتها بقماش أبيض من الخارج على ارتفاع نحو مترين من أرضية المطاف ) . وتفتح فى  
فى موسم الحج غير مرة لمن يزورهما من الحجاج نظيراً لجر يأخذه سدتها . وتفتح الكعبة

أيضاً بعد الحج في نحو العشرين من ذى الحجة لغسيلها .

ولغسيلها احتفال كبير يحضره الشريف والوالى وأعيان مكة وعظماء الحجيج : وكيفية ذلك أن يدخل دولة الشريف في مقدمة الداخلين إليها ، وبعدها أن يصلى ركعتين يؤتى اليه بجرادل الماء من عين زمزم ، فيغسل أرضها بمقشاة صغيرة من الخوص و يسيل الماء من ثقب في عتبتها ، ثم يغسلها بماء الورد ، وبعدها ذلك يضمخ أرضيتها وحوائها على ارتفاع الأيدي بالخلوق وأنواع العطر كدهن الورد والمسك ، وفي أثناء ذلك يكون البخور بالنذ والعزد صاعداً من جميع جهاتها . ثم يقف الشريف على الباب و يلقى على الحجاج الذين يكونون قد وقفوا إلا فامؤلفة في المطاف الى باب شيبة تلك المقشاة التي كانت تُغسل بها الكعبة وهي مقشاة صغيرة من الخوص طولها نحو ٣ سنتيمتراً ، فيتزاحمون عليها وينلقفونها بحال غريبة جداً ، ومن يحصل منهم على واحدة كأنه حصل على أمن شئ في العالم ، بل تكون عنده خيراً من الدنيا وما فيها ، ويحفظها على سبيل الركة أثر أشرفاً من بيت الله المعظم . وقد يأتى بعض القوم وخصوصاً المطوفين والزمازمة بمقشاة كثيرة يغمرونها بالماء ، ويدعون أنها من التي غسلت بها الكعبة و يبيعون منها على الحجاج كل واحدة بنصف ريال على الأقل !!

## الكعبة قبل الاسلام وبعدها

كانت الكعبة قبل الاسلام بنحو ٢٧ قرناً ذات منزلة سامية عند العرب باجمعهم ، لا فرق بين وثنيهم ويهودهم ونصاراهم . وقد تحاوت مكانها جزيرة العرب الى بلاد الهند وكانوا يعتقدون ان روح شبيهة أحداً لهم (وهو الاقنوم الثالث من تماثيل بودا) قد تقمصت في الحجر الاسود ، حين زيارته مع زوجته لبلاد الحجاز ؟ (انظر سياحة بريتون في بلاد الحجاز) . و يسمون مكة ( مكشيشاً ) أو (موكشيشانا) يعنى بيت شيشا أو شيشانا وهما على ما أظن من أسماء آلهتهم .

وقد ورد في مروج الذهب في الكلام على البيوت المعظمة « ان الصابئة كانوا يعتقدون ان الكعبة كانت من البيوت السبعة المعظمة عندهم، وكانوا يعتقدون انها بيت لزحل وانها باقية ببقائه على مرور الدهور وكرور العصور » . وكانت أغلب بلاد الشرق تدين بدين الصابئة وعلى الخصوص بلاد المعجم والهند والسكدان التي منها ابراهيم، ولا يزال مذهب الصابئة فيها الى الآن . وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم حكاية عن ابراهيم : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » . وقد ذكر المقرئى في باب فرق الخليفة ان من الصابئة فرقة كانت تسمى السكاظمة أصحاب كاظم بن تارح ، وان منهم من كان يزعم ان الشمس اله كل اله ، وان السيارات السبع آلهة وكانوا يسمونها المدرات . وكانوا يقيمون لها الهياكل يعبدونها فيها . وذكروا بعض المؤرخين انهم كانوا يحيطون معابدهم بحرم لا يطؤه الغرباء . وعلى ظنى انهم أخذوا هذا الحرم من الدائرة التي تحيط بملك كل كوكب من هذه الكواكب لثلاثا يتعداها اليه نجم آخر: وبهذا كان نظام<sup>(١)</sup> جميع العوالم . ولا يتعداهم كانوا يطوفون حولها كالمهم: وربما أخذوا ذلك من دوران هذه الكواكب حول الشمس بما يفيد تبعية الدائر للشيء الذى يدور حوله . كما لا يتعداهم كانوا يطوفون بهياكلهم أسابيع لعلاقة ذلك بالكواكب السبعة ، يعنى انهم كانوا يطوفون حول كل هيكل من هياكلهم سبعة أشواط لكل كوكب شوطاً : فاقرها ابراهيم في دينه وجعلها كلها لله وحده . ولا يحى ان

(١) لا يحى ان نظام العالم انما هو تتجاذب أحراره مع بعضها سواء كانت تامة أو متحركة بنسب مخصوصة تحفظ نظامه، ثم تحفظ هذا النظام العريب الذى هو من أكبر الأدلة على واحد الوجود وقدرته . ولكل سيار من هذه الاحرام دورة مخصوصة لا يتعداها اليه نجم آخر الادوات الادبائ فان دوائرهم غير منتظمة . لذلك ترى الناس اذاراً واشتتاً مهابطسواقه الطون وتقولوا فيه الاقوال وتوقعوامه الالهوال: لانهم يحشون مصادمته في سيره بأحد النجوم الى ربما صادفها في طريقه فتحل المواربه في هذه العوالم ويكون من ذلك الاضطراب الذى يعقبه الماء .



ولما كانت هذه الاحرام مدهشة في نظامها وكانت مصدراً لحياة العالم الارضى بما ترسله اليه من الحرارة والنور، كان الناس يعتقدون انها مؤثرة بنفسها ، فاتخذوها من قديم الزمان آلهة لهم . وحتى الاحتار التي كانت تنصل منها الى الارض أخذوها فعمدوها وكان منها الوثنية . ولذلك اشتمل الناس من زمن بعيد في استخدام تأثير الكواكب في تبيين حقائق الماضي والمستقبل ، فكان منه علم التنجيم . واشتمل آخرون في استخدامه في تمييز مطالبهم فكان منه علم الاوقاف والارياح والسحر ، الذي أخذوا منه أخيراً تأثير الفوس القويه على الصعيقة مما وصلوا به الى علوم أخرى جديدة يسمونها ميوتزم وهو ترموما في معناها مما يعبرون عنه بالتسويم المعاطسني . ومن الناس من حمل مباحثه قاصرة على حركات هذه الحجوم وابمادها وأصواتها وحرارتها وجميع ما يتعلق بها نظرياً ومادياً ، فكان من ذلك علم الفلك الذي يدل على قدرة واحب الوجود وعظمة هذا الواحد المعبود . وتخصيص عبادة الناس لهذه الكواكب السبعة ، لانهما هي التي تكون النظام الشمسي الذي منه أرضنا التي نعيش فيها . وكانوا يعبرون عن أفلاكها بالسماوات السبع ويرتبونها على حسب امادها من الارض كما تراه في قول الشاعر :

زحل شري صريحه من شمس \* فتراهرت بمطارد الاقمار

والعلم الحديث يعد سيارات هذا النظام سبعة أيضاً ولكنه يجرح منها الشمس والقمر : لان الاولى مركز هذا النظام ، والثاني تابع لها . ويصيهون عليها بتون وأورانوس . ولعل هذه السماوات المبودة هي المقصودة بقوله تعالى ليه الكريم في سورة المؤمنين « هل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم » وقال تعالى في سورة الطلاق « الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن » وقد تكرر ذكر خلق السماوات السبع في القرآن الكريم لتبين انها اعماهي خلق من خلق الله الذي يحب أن يكون متردداً بمادة الناس له .

ولقد كان عصر لمادة الكواكب الشأن الاول ، وخصوصاً للشمس الى كانوا يعتبرونها الههم الاكبر ويسمونها آمون وبصمهم كان يسميها أوروريس ، ثم للقمر ويسمونه ايريس . وكانوا يقيمون لها الهياكل الصحمة في كل جهة ، وأحجمها وأكبرها هيكل الكرنك ، وهو باق الي أيامنا هذه يقرأ الناس في صفحات حلاله وعظمته آيات الرقي المصري القديم في العلم والصناعة . والباليون كانوا يمدون الشمس ويسمونها بلوس ، والقمر ويسمونه عشطوره . وقد ذكر رولسون العالم الاثري الانكليزي انه كان يوجد في بابل هيكل يسمونه برس نمروود وكان مبدياً من سبع طبقات ارتفاعها ١٥٦ قدماً وكل واحدة منها ملونه بلون مخصوص : فالاولى كانت ملونة باللون الاسود رمزاً لرحل والثانية باللون البرتقالي رمزاً للمشتري والثالثة بالاحمر رمزاً للمريخ والرابعة بالذهبي رمزاً للشمس والخامسة بالاصفر رمزاً للزهرة والسادسة بالارزى رمزاً للمطارد والسابعة باللون الفضي رمزاً للقمر . ولقد أخذ السوربون دياتهم عن الكلدانيين لانهم اقرب الناس اليهم كما أخذوا عن المصريين تشيد العمارات الهائلة لمبوداتهم مما ترى آثره الآن في ببلدك ( هذه الكلمة مركبة من ببل بمعنى شمس وبك بمعنى هيكل ) ثم هيكل ببل في تدمر وهيكل الشمس في حيران وهيكل ايزيس في بطرة وغيرها . والذي أراه أن الفينيقيين هم الذين أدخلوا الى بلاد اليونان دياتهم في عبادة النجوم عند

فتحهم هذه البلاد لحارتهم في نحو القرن العشرين قبل المسيح . وهؤلاء أخذوا ديانتهم من الامم التي كانت تصلها بهم الرابطة التجارية كصر وخصوصاً آشور وبلاد الكلدان التي ظهرت في علم الملك على جميع الامم الي كانت تعيش في زمنها حتى كانت روما بمد بناء الرومان لها في القرن الثامن قبل المسيح تمول على ارضها وتستمد من علومها وعلماؤها مدة طويلة من الزمن .

وكان لكل أمة من هذه الامم أقوال في معبوداتهم وحكايات ناشئة عن أوهاج وحيايات مما يسمونه خرافات، وكما تدور حول اثبات القوة والتأثير لمعبوداتهم . واشتهر اليونانيون بكثرة هذه الحكايات لكثرة معبوداتهم منها وألقوا فيها المؤلفات ويسمونهم مثلوحيا : ويسنون لكل من هذه الآلهة قوة مخصوصة يتصف بها : فيقولون مثلاً ان أورابوس هو السماء محسمة ورحل بن السماء والمشتري بن رحل وهو اله الآلهة لقوته وقدرته ولكثرة ما أنتجتها منها ويقولون ان ستون اله البحر والرياح اله الحرب وعطار داله الصاحبة والرهرة الهه المال الخ . وكان اليونانيون يقيمون لهذه المعبودات هياكل مربعة يسمونها سيكوس ويحلمون لها بانام من الشرق وليس فيها مذبحات غيره ويحيطون بهذا الهيكل ببناء يسمونه الحوش المقدس ، وحول هذا الحوش كانوا يقيمون معابدهم التي يدخ الناس في محيطها قربانهم من غير أن يحسروا أن يحطوا خطوة واحدة نحو الهيكل بل ولا نحو الحوش الذي يحيط به . وكانوا يحيطون هذه المعابد بستاتين يسمونها بالنساتين المقدسة كانوا يرعون فيها أشجار المأكلة للكهنة وشجر الريفون ليأخذوا منه الريب الذي كانوا يضيئون به معابدهم وهياكلهم . وكانت المصريون تحيط معابدها مثل هذه العنات المروسة من الريفون ومن ذلك ما نراه الآن من اسم عربة الريفون التي تحوار المطرية والتي كانت حرماً لهيكل عين شمس الذي كانوا يسمونه هليوبوليس . وكان اليونانيون يحيطون هذه النساتين المقدسة بمآبات مقدسة أيضاً تطلق فيها الحيوانات الي كانوا يقدمونها الي آلهتهم على حرمتها . ولهذه العنات حدود لا يتعداها أحد من الناس بل ولا تجسر يد أن تمتد الي ماني داخلها . ولو دخل اليها أحد الخناة كان في حمايتها ووقت الحكومة نهبها منه في حدودها حتى اذا خرج منها أمسك به وأحرت عليه القصاص . واستمرت هذه العادة في كنائس الصراية الي القرون الوسطى : فكان اذا لحأ اليها أي انسان صار في حمايتها ولا تقوى أيدي أولئك الملوك الجابرة على أخذه منها . وأكبر هذه الهياكل اليونانية هيكل المشتري (Jupiter) وأوليه لانه أكبر الكواك التي تترك منها هذه المجموعة الشمسية حجماً وأكثرها بوراً . وكانوا يحجون اليه في كل اربع سنين مرة وكانت لهم هناك ألعاب يقومون بها لمعبودهم هذا مشهورة بالألعاب الاولمبية ومجموعها ٢٩٣ مرة تنندي من سنة ٧٧٧ قبل المسيح وتنتهي في سنة ٣٩٤ بعده وهي السنة التي اعتنق فيها الامراطور تيودوس الديانة المسيحية وأحلها محل ديانتهم الاولى . وكان القوم في مدة هذه الألعاب المقدسة يوقفون الحروب التي تكون قائمة بينهم حتى اذا انتهوا من حجهم عادوا اليها . وعليه فلا بد ان الكلدانيين الذين أخذ عنهم اليونانيون ديانتهم مباشرة أو بواسطة الفثيقين كانوا هم أيضاً يحيطون معابدهم بمثل هذا الحرم المحترم الذي استعمله ابراهيم حول الكعبة لما بناها بنتاً لله تعالى يعبده الناس فيها عبادة صحيحة في حجهم اليه ، وسار فيه العرب على ملته زمناً ثم تطرق اليها شيء من الوثنية تختلف قلته أو كثرته باختلاف معتقدات القبائل . وما زالوا كذلك حتى آتى

الاسلام فأزال معالم الوثنية بالمرّة ورجع بالناس في حجهم الى ملة ابراهيم .  
ولما ببى سليمان عليه السلام هيكل بيت المقدس أحاطه بحرم وتضى بأن لا يدخله أحد غير  
الكهنة فلما تطلت المسيحية عليه هدمه حتى اذا فصح المسلمون ايطاليا ناه عمر مسجداً ولا يرال  
المسلمون والنصاري يدخلون اليه : هؤلاء راثرون وأولئك متعمدون وأما اليهود فلا يزالون يحترمونه  
ولا يدخلون من بابه مطلقاً . ولكمهم نسوا أو تناسوا سب ذلك المنع لا هم يحملون علة الآن  
حتى لا تظأ أهدامهم بالصدفة حجراً من حجارة هيكلهم الذي هدمه بحتصر تم أني من بسده  
طيطوس فأحرقه ، وما هو على طي الا ذلك المع الاول : والآن يسمونه بالحرم القدسي .  
وكان قبائل العرب تصرب الحمي لمراعيها وتحمل له حدوداً لا تمتداها القبائل الاخرى . وكان  
الرجل مهم اذا أصبح عريراً اتحد له متسعاً من الارص وحمله حمي له يعتر بمرته فلا يدخل اليه أحد بل  
ولا يحسر أحدان يمدى على ما يقرب منه من الاراصى لا برعي ولا بصيد لا بها في حواره . وكان كليب ملك  
ريضة يحمي أرساً واسعة اسمها العالية وحملها حمي له فلما دخلت تحت رايه قبائل معد كماها وصار أعر  
العرب حمي منازل السحاب فلا برعاه غير الله وماشته . واتفق أنه رأي ذات يوم ناقة ترعي في  
حرمه وكان لامرأة رييلة على حساس صهره ومن ببى عمه فقتلها . فقتله حساس بها دوداً عن  
حواره هو أيضاً ، وكان من ذلك ما كان من حرب النوس الى وقت بين بكر وتعل مدة أربعين سنة .  
ومن ذلك ما ورد من أن عامر بن الطفيل سيد ببى عامر بن صعصعة والذي كان من أشهر فرسان  
العرب وأمدهم صبأ لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة عشرة للهجرة طلب منه أن يجعل له  
الامر من بعه ان هو أسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من هذا الامر شئ فعبص  
عامر وقال والله لا ملائها عليك خيلا ورحلا ودهب فرص في طريقه بالطاعون فمال الي بيت امرأة  
من سلول ومات فيه فدفعه قومه هناك وحملوا على قبره أنصابا ميلا في ميل وحملوا دائرتها حرما  
يحمي فيها الصميف والمطلوم فلا يجرعها عليه من يقصده ، وان قمل قم أصحابها في وجهه وكانوا  
عليه . ولقد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحرم وقال «لا حمي إلا لله ورسوله» . وحمي عليه  
الصلاة والسلام بالمدينة ما يسمونه بالقيع المحمي وحمله لحيل المسلمين وقد كان مسدي للناس  
ومصيداً لهم وعرضه ميل وطوله أربعة فراسخ . وقد حمي عليه الصلاة والسلام بالمدينة فقال حرام  
ما بب لا بتيها : وهما حرتان واحدة الي شهاها والاخرى الي حموها . ولما دخل عليه الصلاة والسلام  
مكة عام الفتح حمي دار أبي سفيان وحملها حرماً وأمن كل من دخل فيه من أعدائه . وبعد فتح مكة  
أرسل صلى الله عليه وسلم نعيم بن أسيد الحر اعى فحدد أنصاب حرما ومشاعر ها على ما وصفا عليه ابراهيم .  
ومن ذلك العهد اقتصر العرب على حمي بيوتهم فترى الرجل منهم للآن مهما كان صميفاً يدفع عن دخل  
في بيه مهما كلفه ذلك لأنه أصبح في حمايته ولو كان طاله من أقرب الناس اليه . وحسب الرجل مهم  
أن يقول له آخر أنا في وجهك حتى يدخل في هذه الحماية ، بل حسب عدوه منه أن يقول له أنا في وجه  
فلان ولو كان عائماً حتى يكون على بنته من أنه صار في حمايته يظاله بها ان هو أخفر حقاً من حقوقها .  
وهذه الحماية بهذا المعنى لا توجد في أية أمة أخرى وما نسمعه في مثل بلادنا من حماية الامم الاجنبية لبعض  
المسضعفين من غير رعاباهم هو غير ذلك بالمرّة . ومن هذا توسع الناس في استعمال الحرم فأطلقوه  
على البيت الذي لا يتمدى حدوده أحد بغير ادن صاحبه احتراماله . ثم أطلقوه على امرأة الرجل نفسها

لحرمتها على غيره . وأخذ الاتراك اط حرم فأضافوا عليه كلمة لك بمعنى مكان فقالوا احرم ملك يعنى مكان الحرم وقصروه على مكان النساء من البيت حتى لا يكون لمن يحترق دائرته أى عذر في الدخول فيها وانتهك حرمتها . وقد كان قدماء اليونان والرومان يردون في بيوتهم دائرة مخصوصة للحرم معمزل عن الرجال يسمونها جناسى (Gynécèe) ولا أدري ادا كان أصل هذه العادة عندهم ديبياً أخذوه عن المنطقة التي تحيط بمسوداتهم من الكواكب . ففصلها عن غيرها وتحمليها في عرلة تامة عنها . ثم حملوها حول هياكلها في الارض كما هي حول منارها في السماء . ومن هذا تلك الهاله التي لا ير اللون يرسمونها من الور حول رؤوس النبيين والقديسين للدلالة على أنهم في حماية الله الواحة الاحترام . ثم ما لبثوا أن صربوا هذه المناطق (١) حول مسوداتهم الصغرى مدفوعين اليه بمعامل الحب والاحترام والبرية . ومن هذا اتحد الملوك من قديم الزمان وهم آلهة الارض على ما كانوا يرمون احاطة قصورهم بحرم واسع لا يجوز انتهاكها لغير ذويهم أو من يباشرو خدمتهم . واسمعتل هذا الحرم في الاسلام وكانوا يسمونه حريمياً ومنه حريم دار الخلافة بمعداد : وهو الذي جعله المصور العباسى حول قصره بها في منتصف القرن الثاني للهجرة وكان اسمه قصر الخلد وكان عبارة عن ثلث المدينة على سعتها وعظمتها وكان له سور يمين حدوده كانت دور الناس من ورائه . وكان لهذا السور عدة أبواب بعضها خاص بالخليفة وبعضها الخاشيته وأخرى لدخول الناس : منها باب سوق الثمر وباب عمورية وباب العتة التي كان يقبلها الملوك أو أرسلهم عند قدومهم الي دار الخلافة . وهذا الحرم لم يكن لا حد أن يتعداه الا بأمر الخليفة أو أستاذ داره . ولما أرسل المأمون طاهر بن الحسين من حراسان لخارجة احيه الامين بمعداد وأقع محوشه ثم حاصر هذه المدينة سنة ١٩٧ ونزل بأعلاها من العرب وحمل مرله بها حراما كل من لحأ اليه صار آمناً وسماه بالحريم الطاهري . وما زال هذا الحرم محترماً في مدة ولديه عبدالله وعبيدالله . ولآن ترى قصور الملوك محاطة جميعها بحرم واسع يهصل بينها وبين ما يحيط بها من الدور والمباني وقد تلتفوا في تسميته بسموه ميداناً : وبقدرة ما تكون هؤلاء الملوك دستورين تكون هذه الميادين مساحة لرعاياهم : أنظر للميادين التي حول قصر كنجهم بلوندره وشوسرون بقنا واللو فر باريس وغيرها تراها كلها مع ما يحيط بها من الرياض والعياص منزهات عامة للناس على اختلاف طبقاتهم وقد كانت قبل معرفتهم للدستور أوسع من مراتب الآساد وأحوي من منازل الاستداد . بل انظر الي سراي يلدز وقد كان يحم السماء أقرب منها للعتناول زمن السلطان عبدالحميد الثاني كيف أصحبت بعد الدستور روضة الامة بل رهة العامة . ولم يكن قرب الملوك الدستوريين من رعاياهم باناحة هذه الاحياء من زمن ليس بعيد الا لا سادهم عن المطالم التي تتمتع منها الامم . والاسلام هو الذي منعه هذه الاحياء حتى لا يكون فاصل بين الرعية ورعاياها . واليك برهان صمير على ذلك : أتى رجل من عطاء الفرس بمدفح المسلمين لبلادهم الي المدينة ليشاهد عمر الذي فتح ملك الرومان والدرس في أيام قليلة . وكان يصور انه من أكبر الملوك فحامة وعظمة فسأل عن ابن الخطاب فقالوا له اطرفه تحت تلك الشجرة وأشاروا الي سدره في الخلاء . فلما بلغه رأى رجلا في مرقمه قد توسد لعاله وهو مستغرق في نومه . فعجب الرجل من أن يكون هدا هو الذي ملك هذه البلاد وقهر ملوكها فنام هكذا من غير سباح يحوطه أو حرس يحرسه ثم ما لبث أن فكر وقال « حكمت فمدلت فأمنبت فميت يا عمر »

(١) وعليه فليعدربنا الاوربيون اذا أخذنا عنهم هذا الحجاب وصر بناه على سائناحاً واحترامناهن أو

مباراة أخرى غيرة عليهن .

العبادات كلها انما هي مستمدة من شىء واحد: هو الاحترام الحقيقى والاخلاص الصادق ، وانما المدار فى صحتها على جهة توجيهها . وكل مشرع فى العالم لا بد له أن يراعى الزمان والمكان فى تشريعهم ويراعى تلك العوائد المتأصلة فى النفوس لعدم قدرته على ازالتهام مرة واحدة ، ولنا فى تدرج الاسلام فى تحريم الخمر أكبر برهان على ذلك وحسبنا صراحة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله لعائشة عن نبيان الكعبة : لولا أن قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعدا براهم .

وليس ذلك بغريب فشرية كل قوم مستمدة من الشرائع التى قبلها باختلاف يسير أو كثير فى بعض موادها . وشرية ابراهيم اعا كانت مستمدة من شرائع عمالفة الشمال الذين كانت لهم فى العراق دولة زاهية راقية فى القرن الخامس والعشرين قبل المسيح . وقد عثر المقابون لهم أخيرا فى اطلال نابل وأشور على آثار كثيرة تدل على مدى نيتهم وحرصاتهم وفيها شىء كثير من شرائعهم . وتوجد الان مجموعة كبيرة من هذه الآثار فى متاحف برلين ولودره . ومما ينسب الى هؤلاء العمالة اهم أول من عرف علم الفلك وحركات النجوم والافلاك لانه كان عندهم علماء دينيا محضاً ، ولذلك فقد فشا هذا العلم فى الصائفة على اختلاف اجاسهم .

ومن الصائفة أخذ العرب علم النجوم واشتغلوا به كثيرا حتى ان ابن قتيبة ذهب الى تفضيلهم فيه عن المعجم . ومن علم الفلك عرفوا علم الانواء (جمع نوء) ، وهو ما يسمونه الان بعلم الظواهر الجوية ، وكانوا يعرفون منه تغير الزمن ووقت نزول المطر واختلاف هبوب الهواء . وللعرب فى النجوم حرافات كثيرة: منها قولهم ان سبب دوران بنات نعش (الدب الاكبر) ان الجدى قبل والدهن نعشاهن يدرن حوله حتى اذا الحفنه اقتصصن منه . وهذا على ما أظن أخذوه من خرافات اليونانيين التى تفوق غيرها فى هذا القليل ، وكانت سبباً فى رقى الخيال عند كتاب الفرنجة وشعرائهم الذين لا يرلون رمزون بها فى أقوالهم ، وللنوم فيها كتب خاصة يسمونها (مثولوجيا) . ولما فشت فى العرب عبادة الاوثان عبدوا النجوم فى أشخاص هذه الاصنام: فعبدوا اللات ويرمزون به الى الزهرة ، والعزى ولعلمهم كانوا يرمزون به الى الشعرى ، وهبل وكانوا يرمزون به الى زحل .



أمر الله بها قضية مسلمة محترمة ويصدعون بما أمروا به من غير بحث عن علة أو سبب .  
ولقد ذكر المسعودي ما يفهم منه أن العرب كانت تحترم مكان الكعبة قبل بناء إبراهيم لها : فإنه قال عند الكلام على قوم عاد لما أصابهم القحط « وهم من العرب البائدة وكانت مساكنهم من بلاد اليمن إلى حضرموت بجنوب بلاد العرب » ما ملخصه : أنهم كانوا يعظمون موضع الكعبة وكان ربوة حمراء ، فوفدوا إلى مكة يستسقون ، ولكنهم عكفوا فيها على شرب الخمر ، فقالت لهم جرادة جارية معاوية سيدي العماليق مخاطبة رجلا منهم اسمه قيل ولعله كان رئيس الوفد :

ألا يا فيل ويحك قم فهيم<sup>(١)</sup> \* لعـل الله يطرنا غمما

فيسقى أرض عاد إن عادا \* قد آمنسوا لا بينون الكلاما

إلى آخر ما قالت : ومن هذا يفهم أن مكان الكعبة كان محترما في القوم قبل بناء إبراهيم لها .  
ورعا كان هناك معبد قديم للعماليق تلاشى أمره قبل وصول إبراهيم إلى تلك الجهة ، وبنى المؤرخون على أساسه أقوالهم في بنيان الكعبة قبل إبراهيم : فقال بعضهم إن آدم بناها قبله ، وقال آخرون غير ذلك ؛

ويظهر أن هذه الجهة كلها كانت مقدسة عند العرب : يؤيد ذلك تسمية قدماء المصريين بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة .

والفرس كانوا يحترمون الكعبة ويعتقدون أن روح هرمز حلت فيها وكانوا يحجون إليها من زمن بعيد جدا وفي ذلك يقول شاعرهم بعد الإسلام :

ومازلنا نحج البيت قدما \* ولبقى بالباطح آمينا

وساسان بن بلك سار حتى \* أتى البيت العتيق يطوف دينا

فطاف به وزمزم عند بئر \* لاسماعيل تروى الشارينا

وقال غيره :

زمزم<sup>(٢)</sup> الفرس على زمزم \* وذلك من سالفها الأقدم

(١) الهيمنة الصوت الحبي . (٢) اجتمع وتكرر .

واليهود كانوا يحترمون الكعبة وكانوا يتعبدون فيها على دين ابراهيم . والنصارى من العرب لم يكن احترامهم لها باقل من احترام اليهود اياها . وكان لهم بها صور وتمثال : منها تمثال ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزام ، وصورة العذراء والمسيح . وقد وضعت العرب أصنامها عليها على تغاير معبودات القبائل والعشائر حتى اجتمع على سطحها من الاصنام ٣٦٠ صنما . وأول من أدخل عبادة الاوثان الى مكة ووضع الاصنام على الكعبة عمرو بن لُحَيِّ كبير خزاعة حينما ولي أمر البيت ، وكان سافر الى الشام فاخذ عنها عبادة الاوثان ، وأخذ عن النموديين عبادة هبل واللات ومناه وكانت من آلهتهم كما تدل عليه النقوش الموجودة على آثارهم . وتبعته في ذلك قبائل العرب فكانت كل قبيلة تأتي بصنمها وتضعه عليها . ومع شيوع الوثنية في العرب فانها كانت فيهم أقل منها في سواهم ، لانهم لم يكونوا يعبدون الاوثان لدانها ولا لصنماتها كما كان الشأن في وثني الهند والصين والرومان والمصريين وغيرهم ، بل كانوا يعبدونها لتقر بهم الى الله زلفى .

وما زالت الكعبة على هذا الشأن حتى دخل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة فامر بارالله ما عليها من الاصنام . وفي حديث أسامة انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صوراءدعاء جعل يحجوها . وقد ذكر الازرقى عن ابن عائذ عن سعيد بن عبد العزيز أن صورة عيسى وأمه نمتا في الكعبة حتى رأهما بعض من أسلم من بصارى غسان . وقال عمر بن شيبه : حدثنا أبو عاصم عن جرير قال سأل سليمان بن موسى عطاء : أ أدركت في الكعبة تماثيل ؟ قال نعم أدركت تماثل مريم في حجرها انها عيسى مزوقا ( انظر صفحة ٦٠ من كتاب بلوغ الأرب في ما رآه العرب ) .

هذا كان شأن الكعبة في الجاهلية وقد أجمع الناس مع اختلاف دياناتهم على احترامها واتخذها كل منهم معبدا يعبد الله فيه على حسب دينه أو مذهبه ، وهذا في باب لم يقع له نظير في الوجود بالمرة ، اللهم الا بيت المقدس الذي يحترمه المسلمون والنصارى واليهود ، وان كان لكل مكان يتعبد فيه على حدته . وهل ترى يدبرها على شرفها واحترامها غير هذا الاجماع من قوم كانوا يقطع النظر عن اختلاف دياناتهم اذا جمعتهم كلمة فرقتهم أخرى ؟



واقدر بلغ من سمو مكانة الكعبة في النفوس أن جعلوا لها حراماً من جميع جوانبها واسع الأطراف بعيد الكناف، لا يدخله الا لسان الا وهو مُحَرَّم، وكل من دخله صار آمناً : قال تعالى محتجاً على أهل مكة « أو لم يروا أننا جعلنا حراماً آمناً و يُتَخَطَّف الناس من حولهم » . ولم يقف احترام هذا الحرم على تأمين الاسان ، بل تناول الحيوان ، بل تناول البسات ، بل لم يقف احترام الناس لها في حدود حرمها . وقد كان بمكة قبل الاسلام حزب يمال له حلف الفضول ، اجتمع اليه بنو هاشم و بنو المطلب و بنو أسد و بنو عبد العزى و بنو زهرة و بنو تميم ، فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها و غيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد اليه مظلمته . وقد حضر هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال فيه : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به في الاسلام لاجبت » .

ومسافة ما بين دائرة هذا الحرم و تقطتها المركزية التي هي الكعبة من جهة الشمال والشرق والجنوب تبلغ تقريباً خمسة عشر كيلومتراً ، أما من جهة الغرب فتبلغ ثلث هذه المسافة . وعلى حد الحرم من الجنوب مكان يقال له أضاه (على و زن نواه) ، ومن الغرب بميل قليل الى الشمال قرية الحديبية (وهي التي تمت بها بيعة الرضوان) ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له الجعريه ، اعتمر من كليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن وراء هذه الدائرة دائرة أخرى يُحرم منها كل من تجاوزها قاصداً الدخول الى مكة ، وهي وان كانت حلالاً إلا أنها تعتبر فناء للحرم : ولا شك أنه لوحظ في أبعاد الحرم عمران الجهات الثلاث الاولى ، حتى اذا قصد مكة منها من أرادها بِشَرٍّ ، فانه لا يصل الى حدود حرمها حتى يكون أهله قد استعدوا لحره و دفعه عن حوزتهم . أما الجهة الغربية وهي جهة البحر فليس فيها من القبائل ما يخشى من عدوانه : لذلك جعلوا حد الحرم فيها من التنعيم ، وهو مكان على مسافة نحو خمسة كيلو مترات من مكة . وعليه فميفات الاحرام أشبهت بالجهة التي يصلح المرء فيها من شأنه عندما يريد مقابلة ملك من الملوك . وحد الحرم هو فناء بيت الملك ، حتى اذا دخل اليه أكمل استعدادده للتشرف بلقائه : فتراه وقد أخذ منه الاحتشام كل ما أخذ ، يسير الى قاعة

الاستقبال بغاية ما يمكن من الادب ، حتى لكانه على مرأى منه ومسمع . وقد شاهدت ما يماثل ذلك في طوب سراى بالاستانة العلية : رأيت حجارة منصوبة الى اليوم على أبعاد مختلفة في الحوش الداخلى لهذه السراى ، وفي العناء الذى كان مخصصاً لحلوس السلطان من بنى عثمان فى الزمن الخالى ، وكان القادم على السلطان من الامراء والسفراء اذا حاذى كل حجر من الاحجار المذكورة يسلم بسلام مخصوص ، حتى اذا وصل اليه قبّل الارض بين يديه .

ولقد بلغ من شأن الكعبة فى الجاهلية أن الناس كانوا يحجون اليها من جميع أنحاء البلاد العربية وغيرها . وكانت أشهر الحج عندهم شوالاً وذا الفعدة وذا الحجة . وكانوا يحجّون الشهر الذى يكون فيه الحج وهو ذوالحجة ، والذى قبله لانه وسيلة اليه ، والذى بعده لانه تابع له : لان الحاح كان يسافر فيه الى بلاده فوجب أن يكون فيه آمناً على نفسه وماله . وترى ذلك فى أسماء هذه الشهور نفسها ، فذوالفعدة يعنى الشهر الذى يتعدون فيه عن الحرب ، وذوالحجة هو شهر الحج ، والحرم هو ما حرموا فيه القتال . وكانوا يحرمون أيضاً شهر رجب ويسمونه شهر الله الاصم ، أى الذى لا يسمع فيه صوت سلاح ولا صوت مستغيث ، على خلاف فى أنه هو الشهر الذى يمكانه من السنة القمرية الحالية كما كان عند مضر أو هو شهر رمضان كما كان فى عرف ربيعة . وذلك لان ربيعة كانت تسكن فى شمال بلاد العرب الى العراق ، وأظن ان هذا كان من الاسباب التى حملتهم على تأخير شهر رجب الى رمضان ، حتى يمكنهم السفر فيه الى مكة ومنها الى اليمن ، فيمضون بها شوالاً لا يتاعون فيه ما يريدون من تجارتهم ثم يعودون الى أداء حجهم ، ويرجعون الى بلادهم وهم فى أمن على أنفسهم وأموالهم ، لان حركتهم كلها كانت فى الاشهر الحرم : لذلك تراهم يقولون رجب مضر ورجب ربيعة لتعيين وقت كل منهما . وربما وقع تحريم رجب فى شهر شعبان فى سنة النبى ، فينادى الناس بذلك فى الموسم بقوله « اللهم انى أحللت رجب القادم وحرمت شعبان » . فتمضى العرب على ذلك فى سنتها . واذلك فانهم يعبرون عن شهرى رجب وشعبان بالرجبين كما كانوا يعبرون عن الحرم وصفراً بالصفرين .

والعرب كانت تنسى الشهور حتى توفى بين السنين القمرية والشمسية فكانوا يؤخرون

سننتهم كل ثلاث سنين شهراً (هو تقريبا الفرق بين السنين القمرية والشمسية في هذه المدة) . وكان السبب في ذلك جعل زمن الحج ثابتاً في فصل من فصول السنة كأحد الربيعين ، حتى يتيسر لهم القيام به في غير وقت الحر أو البرد الشديدين ، وخصوصاً في الزمن الذي تتوفر فيه مادتهم التي يتجرون بها من أصواف وأوبار وسمن ودهن وماشية وما في معنى ذلك . وهذا كله لا يتوفر على الدوام في شهر مخصوص من السنة القمرية كما لا يخفى .

وكان يتولى ذلك منهم النساء وهم من نبي كنانة وكانوا يسمونهم القلائس . وقد اتسدت مضر في نسء الشهور في القرن الثاني أو الثالث قبل الهجرة . وكانوا يعملون ذلك فقط في آخر شهري المحرم ورجب : فكانوا يؤخرون المحرم إلى صفر أو رجبا إلى شعبان فيكون شعبان رجبا ، والذي بعده شعبانا ، والشهر الذي بعده رمضاناً وهكذا حتى يستوفوا كل أشهر السنة . وفي ذلك يقول شاعرهم :

ألسنا الناسئين على معد \* شهور الحل نجعلها حراما

وبهذه العملية كانت السنة القمرية تدور معهم مرة في كل ثلاثين سنة تقريبا . وفي سنة عشر للهجرة كانت شهور السنة القمرية دارت ورجعت إلى أصلها في مكانها الطبيعي من فصول السنة . فأشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في خطبة الوداع بعرفة في السنة المذكورة « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . وحرّم الله النسيء في هذه السنة . فقال تعالى : « إعمال النسيء يزيد في الكفر بضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرّمونه عاماً » .

والعرب كانوا يسمون شهر رجب بالفردي لعزلته عن الأشهر الحرم الأخرى . وربما كانوا يستعملون رجبا لحجهم الأصغر<sup>(١)</sup> يعني العمرة ، وهم يقولون الآن الحج الرجبي ، ولا يزال هكذا يستعمل في الموالد بمصر ، فيقال المولد الرجبي أي الأصغر . على أن عدة الأشهر الحرم كانت عند غطفان ثمانية أشهر في السنة ، وكانوا يسمون ذلك البسل (فتتح الباء وسكون

(١) جاء في تفسير الألويسي في الكلام عن قوله تعالى « ألحج أشهر معلومات » انه الحج

الأكبر وان الحج الأصغر هو العمرة .

(السين) يعنى التحريم ، وفى ذلك يقول لهم اعشى نبي قيس :

أجارتكم تبسل علينا مُحَرَّم \* وجارتنا حلٌّ لكم وحليلها .

ومعنى تحريمهم لهذه الشهور انهم كانوا يحترمونها، ويلفون فيها السلاح، ويتركون الغزو الذى كان عليه مدار حياتهم ، وهولا يزال كذلك الى الآن فى كثير من أطراف جزيرة العرب . وكانت هذه الشهور كلها هدنة بين القبائل بأجمعها حتى لا يقف العداء حجر عثرة فى طريق الحاج منهم . ولذلك كانت العرب تستفصح من الحروب الاربعه التى وقعت لها فى هذه الاشهر، ويسمونها بالفجار أى التى حُرِّمَ فيها، وفى ذلك يقول خدش بن زهير العامرى

فلا توعديني بالفجار فانه \* أحل ببطحاء الحجون المخازيا

وقد أقر الإسلام الحرمة فى الاشهر الحُرِّم : قال تعالى « يسألوك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله » . وسبب نزول هذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن جحش الى محلة ، وأعطاه كتابا وأمره أن لا يفتحه الا بعد مسيرة يومين . فلما فتحه وجد فيه : « امض حتى نزل بنخلة فأتنا من أخبار قريش عما اتصل اليك منهم » . فقال لأصحابه من كان منكم لدرغبة فى الشهادة فلينطلق معى فانى ماض لا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن كرد ذلك فليرجع فان رسول الله قد نهانى أن أستكره منكم أحدا . فضى معه الفوم وكانوا تمساية حتى نزلوا محلة ، فر بهم عمرو بن الحضرمى فى نفر من قريش ومعهم تجارة ، وكان ذلك آخر يوم من رجب، فقتلوا ابن الحضرمى وأسروا رجلا من قومه وهرب بعضهم الى مكة ، ثم ساقوا العير فمدموا بها على المدينة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » . ولما بلغ ذلك قريش أقدم منهم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أيجل القتال فى الشهر الحرام ؟ فهزات هذه الآية الشريفة تحريم القتال فى الاشهر الحرم . ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

وكانت قبائل العرب تجتمع قبل الحج : أهل الشمال فى بدر ومجندة بمر الظهران : الذى هو على بعد نحو مرحلة من مكة الى الشمال الغربى . وأهل الجنوب فى ذى الحجاز : وهو على مرحلة

من عرفة شرقاً الى الجنوب . وأهل الشرق في عكاظ : وهي واقعة فيما بين قرن المنازل والطائف ، وتبعد برحلتين كبيرين عن مكة ( مائة كيلومتر تقريباً ) ، وقد اتخذها العرب سوقاً بعد الفيل بخمسة عشر سنة واستمرت الى سنة ١٢٩ هـ ، ثم انطلقت اكتفاء بسوق عرفة ومكة . وعليه فقد كانت هذه الاسواق (١) بمثابة معارض للتجارة ومؤتمرات للآداب ومكارم الاخلاق . وأظنك تحكم معي بأن العرب من أسبق الناس اليها ، بل سبقتوا بها الحكومات المتقدمة بقرون عديدة .

نعم سبقهم اليونانيون الى مثل هذا الاجتماع في الجماز يونات (Gymnasumes) التي كانوا يقيمونها لعالماهم ، وأخصها تلك التي كانت في أوثينية في القرن الثامن قبل المسيح

(١) وأشهر هذه الاسواق بعد عكاظ سوق دومة الخندل في صحراء نجد ، ثم محبة ودو الحار . وقد كان للقوم غير ذلك محالس خصوصية للمناظرة والمداكرة والمخاصرة في كل حي من أحياء العرب . وكان في مكة قبل الاسلام دار الندوة ونادي قريش بحوار الكعبة . فلما جاء الاسلام كان أغلب اجتماعهم في المساجد : فكانوا يحطون فيها وينشدون أشعارهم وكلها كانت حثاً على الفصيلة ومكارم الاخلاق . وكان القوم في المدينة يجتمعون في تقينة مني ساعة لانها كانت لسعد ابن عباد سيد الانصار ، وخطب أنى بكر وعمرها يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أشهر من أن تذكر ، لما كان لها من التأثير الذي حمط للإسلام كيانه ووطد بنيانه . ولاشتمال مركز الخلافة مدة الراشدين بالصوحات ، كثرت نالكوفة والبصرة دور العلم بطبيعة الحال لقرنها من مدينة الفرس وحصارتهم . وطهر الحط الكوفي هما خصوصاً بعد أن وضع أبو الاسود الدؤلي الحركات ووضع لهم نصر من عاصم الاعمام ( الققط ) في ولاية الحجاج بن يوسف . وقد كانت الحروف العربية قبل ذلك مقبولة ، ولا حاجة لابتداء الصعوبة التي كانت تتمرى القراء في تعيين مثل البناء من البناء من البناء ، فكان أول خطوة في رقي الكتابة العربية فنشأ عن ذلك كثير من المشتغلين بها مما كان داعية لاهتمام الناس بالعلوم العربية من لغة ونحو ونثر ونظم والشرعية كالحديث والفقه وغير ذلك ، فظهر فيها كثير من العلماء والشعراء والخطباء . وكان لهم فيها أندية للمناقشة والمفاخرة . وأكبرها كان في البصرة وهو المرير وكانوا يسمونها بمكاظ البصرة ، وفيه حصلت حملة معاربات بين الشعراء وعلى الخصوص بين جرير والفرددق والراعي في مهاجراتهم بعضهم البعض . وكثيراً ما كانت هذه المفاخرات تحصل في محالس الخلفاء لاسيما في زمن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد وهشام بن عبد الملك . وكان محالس المنصور والمهدي والرشيد والمأمون ومحالس الخلافة في قرطبة بالاندلس حافلة بمفاخرات الشعراء ومحادلات العلماء مما كان سبباً لشجدة القرائح ونمو المدارك وكثرة المباحث التي بصجت بها العلوم على اختلاف أنواعها وكانت سبباً لترقي الدولة الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى الى أوج عرفانها وحصارتها وعمرانها .

وكان لهم تاج يسمونه بالتاج الأولي يلبسونه لمن برز في هذه الألعاب ، التي كان الغرض منها تربية الحسوم وإعداد الأمة لان تكون أمة حربية . ثم انتهى بهم الامر بعد ضخامة ملكهم أن استعملوا هذه المنتديات لعرض معلوماتهم وبنات أفكارهم . وما زالت حتى صارت تطلق الآن على دور التعليم في أوروبا وخصوصاً في ألمانيا . ومن هذا ترى أن أسواق العرب كانت أعم من أمثالها عند غيرهم .

وكانت سوق عكاظ تقوم في صبح هلال ذي القعدة ، وقد قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة بعد البعثة ليشر في القمائل دين الاسلام . وفيه تقابل صلى الله عليه وسلم نفس بن ساعدة واحترمه كثيراً . وكانت عكاظ أكبر أسواق الجاهلية لانها تلي أكثر جهاتها سكاناً وأعظمها قوة ومنعة ، وكانوا يبيعون فيها ويشترون ويتناشدون أشعارهم ويتفاخرون بما لديهم من نسب عظيم وعمل خطير ، خصوصاً في القرن الاول قبل الهجرة . وكان لهم محاسن تحكم يعرف للناس مكانتهم وشجاعتهم وفصاحتهم وآدابهم ، ورما كان فيه العدو يشهد لعدوّه بالسبق من طريق الحق . وكثيراً ما كان هذا الاحتكاك السلمي يؤدي الى المصالحة بعد المكافحة فتتال الاساية من وراء هذا الاجتماع خيراً كثيراً . وكانت كلمات السانين من هؤلاء الشعراء تؤخذ وتعلق داخل الكعبة كبرياء لهم واشهاد آمن الناس بأنهم من المعوقين . وأشهر هذه المعلمات وأكبرها بلاغة سبع<sup>(١)</sup> كان معظمها ولا يزال مدرسة لسمو النفوس ومعالي الهمم وقد ترجمت الى كثير من اللغات الاجنبية ليتعرفوا منها كثيراً من عوائد العرب وأخلاقهم قبل الاسلام : وكانوا يسمونها بالمدنجات<sup>(٢)</sup> .

( أنظر صفحة ١١٦ من الجزء الثالث من العقد القرين لابن عبد ربه طبع بولاق )

(١) وأصحاب السبع المعلقة على ترتيب بلاغتهم هم : امرئ القيس بن حجر ومات سنة ٩٤ قبل الهجرة . ورهير بن أبي سلمى ومات سنة ٥٢ هـ . والائمة الديباني ومات سنة ١٩ هـ . وعمرو بن كاثوم ومات سنة ٢٣ هـ . والحارث بن حلزة ومات سنة ٣٤ هـ . وطرفة بن العبد ومات سنة ٨٤ هـ . وعنترة العبدي ومات سنة ٨ هـ . وبعضهم يلحق بأصحاب المعلقة أعنتى قيس ، وليد الذي مات سنة ٥٤ هجرية ويشعره ضرب الامثال في الاسلام .

(٢) ذكر صاحب جمهرة أشعار العرب ان أصحاب المدنجات هم : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، ومالك بن عجلان . وقيس بن الحظيم . واحيعة بن الحلاح . وأبو قيس بن الاسد . وعمرو بن امرئ القيس . وكلهم من الاوس والخزرج .

فمئة من مذهب امرى الفيس ومذهبة زهير مثل لانهم كتبوها عاء الذهب وعلقوها في  
 ات الحرام، وبقى بعضها فيه الى يوم القتح وحرقت أغلبها فيما حرق من الكعبة قبل الاسلام.  
 ولم تقتصر هذه السنة على الجاهلية بل وجدت في الاسلام : فقد كتب هارون الرشيد عهدا  
 بالخلافة الى ولده الامين من بعده ثم الى ولده المأمون ، وأرسل به فعلق في الكعبة الى زمن  
 الامين فاستدعى به ومرقه . ثم صار بعد ذلك كل من قام بشرف الخدمة في البيت الحرام من  
 الملوك والسلاطين يتيمن بكتابه اسمه داخلها بجوار ذكر الأثر الذي له فيها .  
 وما زالت الكعبة محترمة في الجاهلية حتى أنى الاسلام وجعلها الله في السنة الثانية للهجرة  
 قبلة للمسلمين حينما كانوا (وكانوا يصلون الى بيت المقدس) ، قال الله تعالى لنبيه ورسوله  
 محمد صلى الله عليه وسلم « قد نرى تغلب وجهك في السماء فلو لي لك قبلة ترضاها فول وجهك  
 شطر المسجد الحرام وحينما كنتم فولوا وجوهكم شطره » . فكان كذلك ، ومن ثم صارت  
 الكعبة قبلتهم في صلاتهم تنوجه اليها وجوههم ، وتعوذ في قبالتها بجاههم ، في أى نقطة كانوا  
 من هذه الكرة الارضية ، لافرق بين شمالي وجنوبي وشرقي وغربي بعيدا أو قريب ، وبذلك  
 أصبحت الكعبة عندهم مركز الدائرة التي يرتبطون بها جميعا بحبل دينهم المتين : دين التوحيد ،  
 دين المساواة ، دين الاحاء ، دين الحرية الصحيحة ، ولها في نفوسهم من الاجلال والاعظام  
 مالا يموى على تعبيره لسان ، أو يتخيله جنان ، لافرق في ذلك بين أهل مذهب ومذهب  
 آخر . بل ترى المسلمين على اختلاف مذهبهم يصلون حولها وراء أى امام كان : وهذا  
 لا يدل فقط على التسامح الموجود بين المسلمين ، بل فيه أكبر برهان على توحيد الغاية  
 التي يرمون اليها في عبادتهم ، والتضامن الذي يجب أن يكون بينهم ، وهذا التسامح لانراه  
 موحودا بالمرّة بين مذاهب الديانات الأخرى .

وقد جعل الله تعالى الطواف بالكعبة من فرائض الحج الذي هو فرض عين على كل  
 مسلم يستطيع اليه السبيل في أى زمان ومكان ، وفرض كتابية كل سنة على عموم  
 المسلمين يسقط بقيام البعض به فان أهملوه أنموا جميعاً .

ومن الغريب ان كل من يمع بصره لاول وهلة على الكعبة تراه في دهشة كبيرة ، لالكون  
 بصره وقع على شئ لم يتعود النظر اليه ، ولكن لما يعتربه من الخشية والرهبنة ! ! فترى هؤلاء

المشاهدين تأخذهم هزة كبيرة من هذا المنظر المهييب ، ومنهم من يقف لحظة في مكان المتأدب المستكين المتصاغرا امام هذا العظمة الكرى ، ومنهم من يصرخ بصوت الخوف ولسانه يلهث بكلمات منفصلة عن بعضها ، ومنهم من يحش بالبكاء فلا تسمع له غير نجيب يخنق معه صوته وتتقطع منه أنفاسه . وعلى كل حال فسببة خوف الانسان من ربه على نسبة مع قوة دينه ومثانة يقينه .

### — الطواف —

الطواف هو قطعك ما يحيط بالكعبة من دائرة المطاف سبع مرات وتسمى أسبوعاً (١) ويقال لها أشواط ويشترط في الطواف الطهارة التامة ، وينبغي أن لا يكون في يدك مثل نعال أو غيرها من الأشياء الوسخة . وتنتدى كل شوط من الحجر الاسود ، فاذا حاذيته تفرحت منه وغبته ان أمركم والاتوجهت اليه قائلاً : « اللهم انى ببيت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط فيسرها لى وتقبلها منى » ، ثم تسير مسلماً بيدك قائلاً « بسم الله الله أكبر » . وتطوف جاعلاً البيت على يسارك من وراء الحجر ويميداعن الشاذران .

والمطاف على شكل دائرة يضاوية من الشمال الى الجنوب ، وقد فرشت أرضه بالرحام من مدة بعيدة ، وأصلحت مدد السلطان سليمان الفاونى . وهو على حدود الحرم فى عهده عليه الصلاة والسلام . ومسافة ما بين آخره والكعبة من جهة الغرب والجنوب نحو ١٩ متراً ، ومن جهة الشمال والشرق نحو ١٢ متراً ، وفيه لصق البيت مما يلى باب الكعبة الى الشمال جزء

(١) بحث في كسب اللذة عن لفظ أسبوع فلم أحده بصرف الا الى سبعة أيام الاسبوع أو الى سبعة أشواط . الطواف مع ان سمع القوم كثيرة وقد مر بك شىء منها : فتأدر لدهى أن لهدى التسمية علاقه من المسميين وأن القوم ربما كانوا يطوفون في أحد أيام الاسبوع سبعة أشواط لكل يوم شوطاً وربما كان يدعوهم الى ذلك حيق ربههم الذى كانوا يسعملونه وهم يبيدون عن مكة فى الحصول على عيشهم فى هذه البلاد الي تصيق بطبيعتها عن القيام بحياة أهلها . فلما جاء الاسلام لم يهرى بينها ، وحلها كلها واحدة ، ولم يجعل لها ماعياً يؤدونها فيه .

وأشواط الطواف سبعة من رمى ويميد يؤيده قول تبع حسان مالك حمير .

ثم طفا بالنسب سماعاً وسمعاً \* وسجدنا عند المقام سجوداً

انظر داليه فيما يأتى من هذا الكتاب وهي الي وصف فيها دهابه الى مكة فى القرن الثالث قبل الهجرة بقصد هدم الكعبة ورجوعه عن فكره واحترامه لها وكسوته اياها وطوافه حولها .



مربع منحط عنه ، سعته نحو مترين من كل جهة يسمى المعجن : وهو ما كان يعجن فيه اسماعيل المؤنة التي كان يستعملها ابراهيم في بناء الكعبة وقد وجدنا فيه كتابة محفورة في قطعة من الرخام مثبتة في الشاذروان هذه صورتها « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة المطاف الشريف سلطان الانام الامام الاعظم ، المفروض الطاعة على سائر الامم ، أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله ، وزين بالصالحات أعماله ، في شهر سنة ستة وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

وعليه فقطر دائرة المطاف من الشمال الى الجنوب نحو ٥١ مترا ، ومن الشرق الى الغرب نحو ٤١ مترا ، والكعبة تقرىباً في وسطها . فاذا اعتبرنا أن متوسط ما يقطع الطائف حول الكعبة مائة متر في كل مرة ، ففي السبعة الاشواط يقطع سبعمائة متر . وادعرت ان الحاج يطوف مرات متعددة في اليوم الواحد أقلها مرة قبل كل صلاة من الصلوات الخمس أو بعدها ، علمت أن الحاج بين شاب وشاب وصبي ذكر أو أنثى يقطع في طوافه اليومي على رجليه نحو أربع كيلومترات على الأقل ، بل منهم من يقطع أضعاف ذلك قبل وبعد الصلاة الواحدة .

وذكر ابن بطوطة في رحلته انه رأى وزير غرناطة وكبيرها أبا القاسم محمد الازدي يطوف كل يوم سبعين أسبوعا ، ولم يكن يطوف وقت القيلولة لشدة الحر : فكأنه كان يقطع في طوافه كل يوم سبعين كيلومترا .

وللطواف مرشدون يقال لهم المطوفون . ولكل مطوف حجاج مخصوصون على حسب تغاير البلاد وتقاسمها : فترى للأتراك أو الهنود أو البخاريين أو المصريين مثلا مطوفين خصيصين بهم ، بل لكل قسم من أقسام البلاد مطوف معلوم يتوارث عن أبيه خدمة حجاجه ، تعيينه امارة مكة لهذا الغرض ، وكانوا قبيل الدستور كالملتزمين يحتكر كل منهم رسمياً صنفاً من أصناف الحجيج لا يمكنه أن يتعداه الى غيره ، لا هم كانوا يشترون من أصحاب السلطة بمكة هذه الالتزامات : ولذلك كان لبعضهم سلطان على حجاجهم يأمرون فيهم وينهون ولا يأخذهم فيهم شفقة ولا رحمة ، حتى اذا جاء الدستور أزال هذا التحكير ،

وأطلق الحرية للعجيج يطوفون مع أى شخص أرادوا .  
وكيفية التطوف أن يجمع المطوف في الغالب حجاجه قبل الصلاة أو بعدها ويسير هو أو  
واحد من صبياناه على رأس كل جماعة منهم ، فيطوف بهم حول الكعبة وهو يتلو أدعية  
الطواف بصوت عال ، فترد عليه الجماعة التي تتبعه . وربما كان المطوف ولدا صغيرا لا يزيد  
عمره عن ست سنين أو سبعة : فيحمله بعض الطائفين على عاتقه ويطوف به وهو يلقيهم  
الدعاء على هذه الحالة . ومن الطائفين من يطوف وحده ويكون دعاؤه بينه وبين ربه .  
وبعد صلاة الصبح والعشاء على الخصوص ترى المطاف مزدحما بجماعات الطائفين  
بحيث لا يمكن أن ينحرك الرجل الا بحركة المجموع من كثرتهم . فاذا حاذوا الحجر  
الاسود انقض بعضهم عليه لاستلامه ولا يزال يراحم بمنكيه حتى يصل اليه . ولكن  
البعض الآخر يكتفى بالإشارة من بعد وخير أفعال . ومن لم تكن لهم قدرة على المشى من  
الطائفين يجلسون في محفة يحملها أربعة على رؤوسهم أو اكتافهم ويطوفون بهم حول  
الكعبة ، وأغلب هؤلاء من الهند وخصوصا البنغاليين أو الجاويين : لان سواد  
حجاجهم ممن جاوزوا الثمانين ، يأتون الى هذه الاماكن المقدسة رجاء موتهم بها ، وهم يرون في  
ذلك كل سعادتهم ويعملون له طول حياتهم : لذلك تجدهم الذين الجسدين بؤرة الامراض  
التي تنفسي في الحجيج لان حالتهم الصحية تتأثر باى مؤثر بسيط وليس فيهم من القوة  
ما يقوى على دفعه وربما كانت حالتهم المعاشية تساعدا لأمراض بالف يد على الفتك بهم !!  
ولقد ذكر أهل السنة للطواف فضائل كثيرة وحشوا على الكثرة منه ، وقالوا ان لم يتيسر  
للإنسان ذلك فانه يحمل به أن يجلس في المسجد مستقبلا الكعبة مشاهدا فيها .

و بعد الطواف يذهب الطائف الى حجر اسماعيل فيصلب به ركعتين سنة الطواف يختمه  
بهما ، وان لم يستطع ففي مقام ابراهيم . وهو قبة قامت على أربعة أعمدة وأحاطت بها مقصورة  
نحاسية مربعة يبلغ طول كل ضلع منها نحو ثلاثة أمتار وستين سنتيمترا وهي على آخر المطاف  
تجاه باب الكعبة وفي داخلها الحجر الذي كان يقف عليه ابراهيم حال بناء الكعبة ، وبه أثر يقال  
انه أثر قدميه ، وذكروا أن أثر قدمي ابراهيم في هذا الحجر انما كان باستناده عليه عند زيارته لمكة

بعد بناء الكعبة ، وكان هذا الحجر قبل الاسلام موضوعا بالمعجن الى جوار الكعبة ثم اُبعد عنها بعد الفتح حتى لا يكون هناك أثر للوثنية بالمرّة ، ودفن بمكانه الحالي ، وبنى عليه فيما بعد القبة الحالية ، ويقولون ان تحته آلة البناء التي كان يعمل بها ابراهيم في الكعبة . والعرب قبل الاسلام كانوا يعتقدون في هذا الاثر ويحترمون به بل يقدسونه ، وهو المقصود بقول أبي طالب في لاميته :

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة (١) \* على قدميه حافياً غير ناعل

وربما أخذ العرب قبل الاسلام هذا الاثر من أثر القدم الذي بقية الصعود بجبل الزيتون بالقدس الشريف ، ويزعم النصارى أنه لعيسى عليه السلام وهم يقدسونه ويحترمون . ومن ذلك أنى احترام المسلمين لآثار تلك الاقدام التي ينسبونها الى النبي عليه الصلاة والسلام : كما تراه في قبة السيد البدوي في طنطا ، وفي جامع المؤيد ، ومسجد قايتباي بالماهرة ، وفي قبة الآثار النبوية في الاستانة ، وفي خزانة الآثار النبوية بقبة الصخرة ببيت المقدس ، وفي مسجد ابراهيم بحترُون . وعلى صخرة بيت المقدس آثار أقدام غير منتظمة يدعون أنها آثار أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أسرى به ، والى جوارها أثر قدم ينسبونه الى سيدنا إدريس عليه السلام ، والمسلمون هناك يقدسونها جميعاً كما يقدسون أثر قدم عيسى التي تراها في محراب علي بن مينا من المسجد الاقصى ، ويقول النصارى ان المسلمين فصلوها عن أختها التي في قبة الصعود ووضعوها بمكانها هذا . ويقال ان في محطة قدم التي في جنوب دمشق أثر أقدام عائصة في الصخر ينسبونها الى موسى عليه السلام وذكراها ابن جبير في رحلته . وقد رأيت في الفصل الرابع والثلاثين من كتاب محاضرة الاوائل للسكتواري ان أول موضع اهبط الله فيه آدم جبل سرنديب ، وفيه أثر قدم آدم عليه السلام غائص في الصخرة طوله سبعون شراً الخ ؟ ؟ ؟ وعليه فلا بد أن تكون فكرة تلك الاقدام أخذتها العرب عن اليهود أو الهنود ان لم يكونوا أخذوها عن المسيحيين وبقى أثرها في المسلمين الى الان .

ولمقام ابراهيم كسوة من الحرير المزركش بالقصب تأتي اليه سنويا من مصر مع كسوة الكعبة . ويتصل بمقصورته من الشرق سقيفة على طولها ، بعرض متر وثمانين سنتيمتراً ،

يزدحم الناس لصلاتهم وفيها ركعتي الطواف ، ثم يذهبون الى قبة زمزم . و باب هذه القبة الى الشرق وفيها بئر زمزم المشهورة وخرزتها من الرخام من عمل السلطان سليمان وهي مرتفعة عن سطح الارض بنحو متر ونصف ، ومن دونها حوض يعصب الملاءون فيه بدلانهم ، ومن هذا الحوض يملأ السفاءون جرارهم ، الا ما كان لخاصة القوم فانه يمسأ مباشرة من الدلاء الخارجة من العين . وهذه الحركة لا تكاد تنقضى في مدة الحج أبداً . وللحجيج اعتقاد كبير في ماء زمزم ويتهادون به في آنية من الصفيح أو الدوارق المختومة . و يزعم أهل مكة انه نافع لكل شئ ، دليل حديث « ماء زمزم لما شرب له » . ويدعى بعضهم أنه يشرب به اتقاء الجوع فيشبع ، وأظن ان خدمة العين ينالعون في فوائدهم بالغة يتجسم معها الوهم عند شاربيه . ومن ذلك يتبع طعمه من أدواق الناس على نسبة اعتمادهم فيه : فهم من يقول انه لا يعادله شئ في لدته ، ومنهم من يرى انه أحلى من العسل وأذمن اللبن ، ويرى غيرهم خلاف ذلك قال المعري :

تباركت أنهار البلاد سوائح \* بعذب وخصت بالموحة زمزم

والذي يفهم من ظاهر الحديث المذكور أن هذا الماء نافع لما شرب له من الأدواء التي من طبيعته اشماؤها ، وينسره بذلك حديث « انها شفاء سقم » . و حقيقة فانه ماء فلوى تكثرفيه الصودا والكور والحير والحامض الكبريتيك وحمض الازوتيك والوتاسا ، مما جعله أشبه شئ بالمياه المعدنية الصحية في تأثيرها ، وفيه قليله ولا تحلوا الكثرة منه من الضرر ، خصوصاً في غير موسم الحج حيث تكون بثرها مهجورة : لان أهل مكة لا يشربون منها للوحتها . وفي هذه الحالة يزيد فيها الحامض الازوتيك بدرجة تجعل ماءها غير صالح للشرب . وربما كانت نصيحة بعضهم بالتخلع ( كثرة الشرب ) منها بعد طواف القدوم ، لتأثيرها على الجهاز الهضمي بما ينظفه من المواد التي تكون قد انفرزت اليه مدة هذا السفر الشاق ، مما يكون نتيجة رد عمل تنشط به الاعضاء وتصح الجسوم . وقد قال الاطباء ان هذا الماء نافع للسكلي والمعدة والامعاء والكبد .

ولفضل ماء زمزم وشدة اعتقاد الناس في بركته ، تجرأ بعض خدمة المساجد في مصر ،

و ادعى تغيرها بالحجلاء من المسلمين بان عين الماء التي عنده في مسجده لها مفعذ على عين زمزم بمكة ( كما هي الحال في شهرة العين التي بمسجد الحنفي بالماهرة !! ) و يثبتون هذه الاكذوبة بفرية أشنع منها !! فيقولون ان رجلا من مصر كان حاجا فسقطت طاسة من يده في زمزم فلما حضر الى القاهرة عثر عليها في تلك العين ! ولهذا ترى كثير من الناس يتبركون بها ويستشفون بمائها .

و لقد بلغ من اعتقاد الناس في عين زمزم ( و خصوصا الدكارنة والهنود ) أنهم يأتون تقطع طول يده من القماش و يعرفونها في مائها ثم ينشرونها على حصص جاء سخن الحرم ، حتى اذا جفت حافظوا عليها و أوصوا بها لتكون كفنا لهم عند مماتهم . و بلغ من اعتقاد بعضهم فيها أنهم يرجون أن تكون هذه البئر المقدسة مقبرة لهم ، حتى يكون لهم من ركنها و عالي مكاتبها مقام كبير في حياتهم الاخرى !!! و لقد حدث في سنة ١٣٢٦ هـ ان اتى بعض الهنود بنفسه فيها حيا على غرة من خدمتها ، فاهتم الناس لهذا الأمر و استدعوا بالعواصين من جدة للبحث عن جثته ، و لم يعثروا عليها الا بعد دعاء شديد . فاخرجوها و نرحوا من البئر كمية كبيرة صلح معها ماؤها ، أما هذا الجاهل فقد ذهب و لا أدري الى رحمة الله أو الى عقوبته !!

و لقد أجمعت التواريخ العربية ان مبدأ ظهور هذه العين من عهد قدومها جر مع ولدها اسماعيل الى مكة فكانت سببا لعمارتها . و قد عاضت مياهها من مناطق يلا و لذلك يسمونها المضمونة ، و نبيت هكذا الى زمن عبد المطلب فحفرها ، و اهتم بتوسعتها و تعميقها أبو جعفر المنصور و المأمون و غيرهما ، و لا تزال محل عناية الملوك و السلاطين الى الآن .

و الأعراب يكادون يلصقون زمزم بنفس أركان الحج : فان الشخص منهم يضيف زمزم الى البيت الذي يحج اليه في نفس الأمر ، و اذا حلف فانه يقدم زمزم على مقام ابراهيم في قسمه فيقول « و البيت الحرام و زمزم و المقام ما فعلت كذا مثلا » . و هذا قسم تصعد معرفتها به الى معرفتنا بالعرب من عهد اسماعيل ، لذلك ترى الحجاج من الأعراب يدخلون الى زمزم جماعات و زرافات آخذين في صدورهم كل من كان في طريقهم ، حتى اذا وصلوا الى الحوض الذي بجوار البئر نرحوا ما فيه على رؤوسهم ، فيسيل الماء على ثيابهم الى أن تتل

جميعها ، ثم يخرجون فرحين مستبشرين تظلهم عصى خدمة العين التي لا تؤثر فيهم بالمرءة دون القيام بهذا الواجب الاقدس .

وليس الاعتقاد في مثل ماء زمزم خاصا بالمسلمين فان للهندو اعتقادا عظيما في نهر الكنج و بحيرة مادن . والنصارى يعتقدون في ماء الاردن الذي يبعد نحو عشرين كيلومترا الى شرق بيت المقدس و يسمونه نهر الشريعة لذلك ترى حجاجهم يذهبون اليه ، و يتبركون بالاستحمام به في المكان الذي تعمد فيه المسيح ، و يأخذون من مائه في آنية من الصفيح يتهادون بها عند عودتهم الى بلادهم . و أكثر النصارى اعتقادا في ذلك الروسيون والاقباط أما الافرنج فاعتقادهم في ماء لورده ( Lourdes ) في جنوب فرنسا لا يقل عن اعتقادهم في ماء الاردن .

### ﴿ فشل الامراء والملوك في تحويل الناس عن الكعبة ﴾

مما سبق ترى أن الكعبة مشرفة في الجاهلية مشرفة في الاسلام . لذلك اجتهد غير واحد من الملوك قبل و بعد الاسلام في تحويل العرب عن وجهتهم للكعبة الى شئ غيرها . و أول ما ذكر من ذلك أن تبعان حسان ملك ملوك حمير ، وهو عائد من حرب الاوس و الخزرج يثرب ، أراد هدم الكعبة وكان يهود يائمنعه من ذلك من كان معه من أحبار اليهود ، فكساها و عاد الى بلاده . و قد كانت غطفان بنت حرما مثل حرم مكة في القرن الاول قبل الهجرة ، تصدتحويل العرب اليه ، و قد كان على العرب ملك اسمه زهير بن حباب ، فلما بلغه ذلك قال لا والله لا يكون ذلك أبدا و أنا حي ثم نادى في قومه و قال لهم ان أعظم مائة ندخرها عند العرب أن نمنعهم من ذلك فأجابوه الى مراده و جرى بينهم قتال شديد ظفر فيه زهير و أبطل حرمهم . و في نحو سنة ٦٠ قبل الهجرة ، دخلت جيوش الحبشة الى اليمن انتقاما من ذي يزن ملك حمير الذي كان يفتك بنصارى نجران من قومه ، فغلبوه على أمره و أخذوا البلاد و دانت لهم رقاب أهلها . ثم فرد ابرهة الاشرم بالحكم فيها ، و بنى في صنعاء القليس - ( الكليسه ) ، و أراد أن يحول اليها حج العرب فسار بجيوشه الى هدم الكعبة . فلما وصل الطائف عرج على مكة ، و بعث من ساق اليه أموال أهلها و فيها مائتا بعير لعبد المطلب . فأتى

أبرهة وطلب منه أن يردها إليه . فقال له أبرهة « أسكنني في إبلك وتترك بيتا هودينك ودين آباءك وأنت تعلم أني إنما بسئت لهدمه ؟ » فقال عبدالمطلب « أناربالا للبيت رب يحميه » . فأعطاه أبرهة الهدية فساها هديا ، ودخل عبدالمطلب مكة وهو يخاطب أهلها بقوله :

يا أهل مكة قد وافا كمو ملك \* مع الفيول على أنيابها الزرد  
هذا النجاشي قد سارت كتابه \* مع الليوث عليها البيض تتقد  
يريد كعبتكم والله مانعه \* كنع تبّع لما جاءها حرد (١)

وزحف أبرهة على مكة ، فلما وصل قريبا من المزدلفة عند جبال يسمونها جبال النار وجد نوعا من الطير الأبايل (٢) قد حلق على الجو وأخذ يرميهم بحجارة من سجيل « طين » بمقدار حبة العسدس ، فلما وصلوا مكة فمأفهم داء الجدري الذي أصابهم ولا شك من مكروب كان كامنا في الحجارة التي كانت تتساقط عليهم من تلك الطيور : وبؤيده قول عكرمة « ان من أصابته الحجرة جدرته » . ولعل هذه الحجارة كانت في بيئة محدورة في بلاد العرب أو في غيرها ، فتشربت من هذه المكروبات وحملت الطيور الى هذه الجهة فكان منها ما كان . وكان مع جيش الحبشة ذلك الفيل الشهير عبد العرب باسم محمود ، وهو لفظ يصح أن يكون هنديا ان لم يكن مغوليا كان يطلق على نوع عظيم الخلق من الفيلة ولا يزال هكذا مستعملا في اللغات الافريقية ( Mamouth ) ، فاراد واسوقه على مكة فلم يتمكن من الحركة اليها ومات ، ويقال انه دفن بمكانه المشهور بباب جرول الذي يحجم عنده المحمل المصري ، وكانت له قبة كسرها الشريف عون الرقيق . ولما رأى أبرهة كثرة الامراض التي تفتك بقومه هرب وتشنت شمل جيشه ، وصادف قومه السيل فاغرق أغلبهم ، وهلك الباقي في شتاته ولم يصل منهم الى اليمن الا من آخر بحادثهم . وكان ذلك في عام ولادته صلى الله عليه وسلم ، والعرب تسميه عام الفيل ، وكانت تؤرح به الى الهجرة : فيقولون وقع الامر

(١) حرد يعني عصان .

(٢) وهو مثل صمار العصافير السوداء ونوعه لا يزال موجودا بالحرم يعيش في قبانه . وهو معروف في مكة باسم أنابيل ، ويطلقونه على المفرد والجمع . وهو ما ذهب اليه أبو عبيدة والبراء حيث قالوا لا واحد له من لفظه . وقال بعضهم مهرد مايل كسكين أو أنال كمراب أو اناله بشديد الباء وتخفيفها . وقال آخرون ان أنابيل وصف للطير بمعنى جباب .

الفلاني قبل الفيل أو بعده بخمس سنين مثلاً . وذهب ابن الكلبي الى أن وافعة الفيل كانت قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنة .

ولقد ذكر المؤرخ اليوناني مالالاس ( Malala ) في تاريخه الذي طبع في اكسفورد سنة ١٦٩١م ، « ان أبرهة الاشرم في حملته على مكة كان يركب عربة يقودها أربعة من القبيلة » وقد قال ابن الزبيرى أبحاثاً يشير فيها الى هذه الحادثة منها هذان البيتان :

سائل أمير الجيش عنام ترى \* ولسوف يني الجاهلين عليها  
ستون العالم يؤوبوا أرضهم \* بل لم يعش بعد الاياب سقيمها

ومرض الجدري ما كان يعرف ببلاد العرب قبل هذا الوقت . و ذكر المؤرخ بروكوبيوس ( Procope ) الذي ولد سنة ٥٠٠ من الميلاد ووصل الى رتبة الوزارة في القسطنطينية في سنة ٥٦٢ ، ان أول ظهور الجدري في مصر كان سنة ٥٤٤ للميلاد في مدينة بيلوسيوم : وهي مدينة عظيمة أطلالها بين بورسعيد ومياط للآن ، ونقلت جرائمه الى القسطنطينية سنة ٥٦٩ وهي نفس السنة التي ظهر فيها المرض في جيوش أبرهة حول مكة ، ولا يبعد أن الرياح أو الطيور نقلت اليها مكروبا في تلك الاثناء ، فكان منها ما كان . ولا شك أن قوله هذا حجة لان مصر كانت لذلك العهد من أعمال الامراتورية الرومانية . ويؤيد ذلك ما قاله الرحاله بروس ( Bruce ) الايموسى في رحلته الى بلاد الحبشة فيما بين سنتي ١٧٦٨ و ١٧٧٢ م التي كتب فيها عن كثير مما عثر عليه من الامور التاريخية والجغرافية والتاريخ الطبيعى ، و ذكر فيه انه رأى في كتب الحبشة ان أبرهة رفع الحصار عن مكة للمرض الذى أصاب جيشه اذ ذاك ، واستندج من صفاته أنه مرض الجدري الذى انتشر من ذلك الوقت في الشرق وأخذ يفتك في الناس فتكاً مريعاً ، حتى ألف فيه الرازى رسالته المشهورة في الجدري والحصبة . وهذه الرسالة لها قيمة كبرى عند أطباء الأفرج للآن فخفت من مصابه كثيراً ، غير أن هذا المرض الخبيث مازال يفتك بنى الانسان حتى اخترع الاستاذ ( جونر ) ( Jenner ) الاكلينزى مادة تلفيح الجدري وأشهر أمرها سنة ١٧٦٩م وباستعمالها خفت هذه المصيبة وأصبحت لا أثر لها تقريباً في البلاد المتقدمة ، الا أنها لا تزال موجودة بكثرة في البلاد العربية لعدم العناية بها . لذلك يجدر



بكل من قصدها أن يلقح جسمه بهذه المادة قبيل سفره اليها . ومن أعجب ما شاهدت بالبلاد العربية عناية صاحب الجمل السليم بعدم قطره مع جمل أجرب خوفا من سرعان العدوى اليه ، في حين أن العرب أنفسهم لا يهتمون بفصل الاجرب من نبيهم عن اخوته الاسحاء الذين لا يهتمون ان يصيروا طعمة لهذا الداء المهلك !!! والله في خلقه شؤون .

وفي أيام المقتدر العباسي ظهرت في العراق طائفة القرامطة ، وهم قوم ينسبون الى موالاته محمد بن الحنفية بن علي كرم الله وجهه ، ويكفرون من لم يكن على مذهبهم . وأول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطي ، وقد نبى دارا في هجر (١) سماها دار الهجرة ، وأراد أن ينقل الحج اليها : لذلك كان يقصد الطرق الموصلة الى مكة ويفتك بحجاج بيت الله الحرام ، فانتزع الحج في أيامه خشية منه . وسار القرمطي الى مكة في عسكر كثيف أيام الحج ودخل نخيله ورجله الى الحرم ووضع السيف في الطائفين والعاكفين والركع السجود على نعتة منهم ، وقتل في مكة وشعابها نحو ثلاثين ألفا واقتلع باب الكعبة وجرده مما كان عليه من صفائح الذهب ، وأخذ جميع ما في خزينة بيت الله الحرام من الحوهرات الثمينة ، واقتلع الحجر الاسود من مكانه ، واصرف به الى بلاده بعد أن هدم قبة زمزم ! وبقى مكان الحجر حاليا يتبرك الناس بمجده ، وبعد موت أبي طاهر رأى قومه أن من المستحيل تحويل الحج عن الكعبة الى بلادهم . فقام شنبر بن الحسين القرمطي بالحجر الى مكة ، وكان يحيط به برواز من الفضة يضبط بعض القطع التي تكسرت منه حين قلعه ، فوضع في مكانه على الحالة التي تراه عليها الآن .

وفي سنة ٤١١ دخل رجل الحرم بصفة درويش وضرب الحجر بعمود من حديد كان معه . فقامت عليه الالهة وقاتلوه شرقتلة . وكانت قد بطارت من الحجر ثلاث قطع مثل ظفر الانسان فاخذت والصقت في مكانها بحيث لا يمكن ملاحظتها . ويزعمون أن الحاكم بأمر الله العاطمي هو الذي كان أرسل ذلك الرجل حتى اذا كسر الحجر الاسود أمكنه تحويل وجهة المسلمين عن الكعبة الى مسجده بجوار باب الفتوح بالقاهرة .

ولقد ذهب بعضهم الى ان اهتمام عبد الملك بن مروان بعمارة بيت المقدس بالفخامة التي

(١) قرية مشهورة من أعمال البحرين .

كان يعمره بها، إنما كان لصرف مسلمي الشام ومصر وما والاها شمالا وغربا الى حجهم اليه اذا تمت الغلبة لابن الزبير على بلاد الحجاز. كما رعموا أن المنصور العباسي لما ابتنى مدينة بغداد وشيد فيها قصره المشهور بقصر الذهب بنى الى جواره القبلة الخضراء وبالغ في زخرفها ليولى وجوه الناس شطرها، وهي تهمة لا تراها في مكانها لما نعتقده من كمال دينهما ومثانة يقينهما رحمهما الله .

هذا وانى أظن أن ما يحرى للآن على لسان بعض السذج من فلاحى مصر من أنه يجبى يوم يتقطع فيه طريق الحج الى مكة، وعند ما يحج الناس الى مقام السيد البدوى فى طنطا، إنما كان أثر سياسيا لبعض ملوك مصر يقرب به الى الوهم امكان حصول ذلك، حتى اذا سنحت له الفرصة مضى فى سبيلها. ومع زوال هذه الفكرة بزوال صاحبها فان هذا الأثر السبى بقى على السنة بعض السذج للآن !! ومن هذا تلك المرأة التى ذهبت بتسمية بعضهم لقبلة الميضاة التى تراها فى وسط سخن مسجد ابن طولون فى القاهرة بالكعبة، ولا أدرى اذا كانت هذه التسمية قديمة على عهد ابن طولون فشك فى علمها أو من وضعيات بعض الجهلاء فترجوا الله أن يغفرها له .

لهذا كل ترى خدمه الكعبة الشريفة كلهم عيوبنا تباشر حركة الطائفتين حول الكعبة المكرمة وخصوصا الاعجام الذين ينسب لهم أهل مكة ظالما أنهم لا يتأخرون عن تدبىس الحجر الأسود اذا سنحت لهم فرصة تمكنهم من ذلك، ويقولون انهم دسوه فى سنة ١٠٨٨ وفى سنة ١١٤٣ وفى سنة ١١٥٥ حتى يصرفوا الناس عنه، وهو أمر ان لم يكن يعيد اعن الصحة ولا شك فى أنه مبالغ فيه: والسبب فى ذلك هو كراهية أهل مذهب المذهب آخر، يؤيده ما قاله العصامى فى تاريخه من أنه رأى نفسه التقدرة على الحجر وعلى أستار الكعبة فى سنة ١٠٨٨، وظن أنها عجيبة من دقيق العدس كان الغرض منها الايقاع باهل الشيعة .

أما ما حصل فى سنة ١١٥٥ فاصله سياسى محض: ذلك ان ملك الفرس نادر شاه طومان أرسل الى الشريف مسعود فى تلك السنة يطلب منه ضرورة اقامة صلاة خامسة فى

الحرم للشيععة . فارس الشريفة بالخبر الى الدولة العلية فاتهمته بانه مشايخ الاعجام . فتخلصا من هذه التهمة اتهمهم هو بهذه الفعلة الشنعاء حتى يوغر عليهم صدور الناس وأمر بان تلعن الرافضة على المنابر ولا يزالون يلعنونهم عليها في الحرمين الى الآن !!!

## هدايا البيت الحرام

لعظم مكانة بيت الله الحرام عند الناس كانوا يتقربون اليه قديما وحديثا بالهدايا الجزيلة والهبات الجليلة والحلى الفاخرة . فكانت تحفظ أولا في بئر في الكعبة يسمونها غيبغيب<sup>(١)</sup> أو عيب ، ولكن سدتها كانت تلتمها أولا فاولا . ومما وصل من هداياه القديمة الى عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم غزالان وسيفان من ذهب ، كان ساسان<sup>(٢)</sup> ملك الفرس أهداها الى الكعبة ( انظر تاريخ ابن خلدون ) فضر بهما صفايح وصفح بهما نابها . فلما كان عبد الله بن الزبير حلي أساطينها بصفائح الذهب . وأرسل عبد الملك بن مروان بثلاثين ألف دينار الى عامله على مكة ، خالد بن عبد الله السمرى ليحلى بها باب الكعبة والاساطين التي في جوفها وأركانها من الداخل . وزاد في ذلك ولده الوليد في عمارته للمسجد الحرام . وأرسل الرشيد الى عامله على مكة سالم ابن الججاج ثمانية عشر ألفا من الدنانير فضر بها صفائح سمعت على الباب ، وجعل مساميرها وحلقتي الباب وعتبتها من الذهب . وذكر ان المتوكل العباسي عمل زاوية من زوايا الكعبة بالذهب ( ولعلها كانت تشققت عملاً هادها ير بطبها طرفها ، ولا يخفى ان هذه المادة تستعمل الآن لمتانتها في ربط الاجزاء الثمينة بعضها ببعض ) ثم كسا عتبة الباب بالفضة ، وعمل له عضادتين من الذهب بدل اللتين أخذهما بعض

(١) العيب في اللغة المنحرف ولا يمدانهم كانوا يحرون على حافه قرابينهم والجاهليه ولما جاء الاسلام سدت هذه البئر وأزيل ما حولها من الاصنام والانصاب والارلام .  
(١) ساسان هو رأس الدولة الساسانية التي حكمت بلاد الفرس من سنة ٢٢٥ ميلادية الي سنة ٦٥١ الي سنوات فيها العرب على بلاد العجم .

أمراء مكة . وذكرا أيضا أن أم المقتدر العباسي أمرت في سنة ٣١٠ هـ فلبست جميع أسطوانات البيت ذهبا . حتى إذا دخلت القرامطة سنة ٣١٧ هـ إلى مكة جردت البيت من جميع ما كان به من الحلى والذخائر .

وفي سنة ٥٥٢ هـ اقتلع الخليفة المقتدى باب الكعبة وصنع عوضه بابا مصفحا بالذهب وعمل من القديم تابوتاه يدفن فيه بعد موته .

وقد كانت أيدي السلاطين والأمراء والملوك لا تقف في أى زمن من الأزمان عن تسديم الهدايا النفيسة إلى بيت الله الحرام ، كما كانت يدا الأشقياء لا تقف عن التطاول إليها ! سواء في ذلك حجبتها أو غيرهم ! ! ومن جسد بعض الحلى التى عبت بها هؤلاء الأشرار كثير من الملوك والأمراء منحصر بالذكري منهم السلطان الناصر قلاوون ثم السلطان سليمان القانوني ثم السلطان مراد الرابع .

## كسوة الكعبة

أما كسوة الكعبة فهى من زمن بعيد . وأول من كساها تبع أبو كرب أسعد ملك حمير ، حين مر عليها راجعا من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة : كساها بالبرود المنصبة وعمل لها نانا ومفتاحا وفي ذلك يقول مفتخرا :

ورد الملك تبّع (١) وبنوه \* ورثوهم جدودهم والجدودا

ادجيبنا جيانا من ظفار (٢) \* ثم سرنا بها مسيرا بعيدا

فاستبحنا بالخييل ملك قباد (٣) \* وابن اقلود (٤) جاءنا مصفودا

(١) تبّع لقب كان يطلق على ملك ملوك حمير وهو في قوة لفظ امراطور الان .

(٢) ظفار كانت مدينة عظيمة من مدن اليمن واطلاها نافية الى الآن فيما بين عدن وصنعاء ولها إقليم

يسمى الى الآن باسمها .

(٣) ملك من ملوك العجم . (٤) لعله أمير من أمراء العراق أو الشام .

فكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصباً وبرودا  
وأقنابه من الشهر عشرين \* وجعلنا لنا به اقليدا (١)  
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا \* وسجدنا عند المقام سجودا

وتبعه خلفاءه فكانوا يكسونها بالجلد والقباطي (قماش مصري) زمنا طويلا . ثم أخذ  
الناس يقدمون اليها هدايا من الكساوي المختلفة فيلبسونها على بعضها ، وكان اذا ابل منها  
ثوب وضع عليه ثوب آخر الى زمن قصي ، فوضع على القبائل رقادة لكسوتها سنويا واستقر  
ذلك في بنيه . وكان أبو ربيعة بن المغيرة قبل الاسلام يكسوها سنة وقبائل قر يش تكسوها  
أخرى فسمى بذلك العدل لعدله بين قبائل قر يش في كسوة الكعبة . وقد كساها النبي صلى  
الله عليه وسلم بالثياب اليمنية . ثم كساها عمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان .  
ولما حج الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٠ ، كان على الكعبة جملة كساوي فشكا اليه سدتها  
من كثرتها فامر بها فانزلت تخفيفا عن سفنها ، وأمر بان لا تعلق عليها الا كسوة واحدة  
فكان كذلك الى الآن . أما كسوتها من الداخل فمدور وفي محاضرة الاوائل للسكتواري  
أن أول من كسا البيت بالديباج والدة العباس بن عبد المطلب حين ضل العباس صغيرا  
فندرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فقعلت .

وكان العباسيون يبالغون في العناية بكسوتها ، وكانت من الحرير الاسود (وهو شعارهم) ،  
وكانوا يعملونها بمدينة تنيس المصرية التي كانت لها شهرة عظيمة في المنسوجات الثمينة  
( انظر مادة تنيس بالمفسر يزى ) وكانت تعرف بالمصر في شمال دمياط فهدمها الملك الكامل  
سنة ٦٢٤ لكثرة ما كانت توقع بها امراكب الفرنجة في الحروب الصليبية ، ولما كانت  
تتكلفه مصر في المحافظة عليها ، ولا تزال اطلالها موجودة قرب مدينة المطرية (دقهلية) .  
وقد قال النما كهي في أخبار مكة : رأيت كسوة مما يلي الركن الغربي (من الكعبة) مكتوبا  
عليها «مأمر به السري بن الحكم وعبد العزيز ابن الوزير الجرومي بامر الفضل بن سهل ذي  
الراستين وظاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة» ورأيت شقة من قباطي مصر في

وسطها مكتوب في أركانها بخط دقيق اسود « مما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين »  
 ورأيت كسوة من كساوى المهدي مكتوب عليها « بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير  
 المؤمنين أطال الله تقاءه ، مما أمر به اسماعيل بن ابراهيم أن يصنع من طراز تنيس على يد  
 الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة » ورأيت كسوة من قباطى مصر مكتوب عليها  
 « مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصلحه الله ، محمد بن سليمان أن يصنع من طراز  
 تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسامة عامله سنة تسع وخمسين ومائة » وكان من  
 أعمال تنيس قرية يقال لها تونة وكانت تصنع بها كسوة الكعبة أحيانا . قال الفا كهى :  
 ورأيت أيضا كسوة لهرورن الرشيد من قباطى مصر مكتوب عليها « بسم الله بركة من الله للخليفة  
 الرشيد عبد الله هرورن أمير المؤمنين أكرمه الله ، مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل من طراز  
 تونه سنة تسعين ومائة » .

وما زال العباسيون يهتمون بأمر كسوة الكعبة حتى اذا ضعف أمرهم صارت ترسل  
 تارة من ملوك اليمن وأخرى من ملوك مصر ، الى ان استقرت في سلاطين مصر فوقف  
 عليها الملك الصالح ابن الملك الناصر بن قلاوون قرىتى باسوس وسنديس من أعمال  
 القليوبية . ومن ثم صارت ترسل الكسوة الخارجية السوداء اليها سنويا . وكان كلما يتجدد  
 ملك أو سلطان يرسل للكعبة كسوة داخلية من الحرير الاحمر ، وبأخرى خضراء للحجرة  
 الشريفة النبوية . فلما استولت الدولة العلية على مصر اقتصرت كسوة الحجرة الشريفة  
 النبوية وكسوة البيت الداخلية ، واقتصرت مصر بكسوة الكعبة الخارجية . ومن ذلك  
 الوقت صارت هذه الكسوة المباركة ترسل من مصر سنويا : وهي ثمانية ستائر من الحرير  
 الاسود المكتوب بالنسيج في كل مكان منه « لا اله الا الله محمد رسول الله » وطول الستارة  
 نحو خمسة عشر مترا ، ومتوسط عرضها خمسة أمتار وبعض سنتيمترات . وكل ستارتين  
 تعلقان على جهة من جهات الكعبة ، فتربطان من أعلاها في حلقات من الحديد غاية في المتانة  
 قد تثبتت في سقف الكعبة ، ثم تربطان الى بعضهما بواسطة عرى وأزرة ، وتثبتان من  
 أسفل في حلقات وضعت في الشاذروان ، وهكذا كلما وضعت ستارة تثبتت في التي

بجوارها بواسطة هذه الازرة، حتى اذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع الاسود، ثم يوضع على محيط البيت المعظم فوق هذه الستائر في ادون ثلثها الاعلى حزام يسمى رنكا، مركب من اربع قطع مصنوعة من الخيش المذهب مكتوب فيه بالخط الجميل العربي آيات قرآنية، كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة الشريفة ( في زمن المرحوم اسماعيل باشا خديوم مصر ) الخطاط الطائر الصيت النادرة النابغة المرحوم عبد الله بك زهدى أحسن الله اليه . ومكتوب على الحزام من الجهة التي فيها باب الكعبة « بسم الله الرحمن الرحيم، واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل، أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا، انك أنت التواب الرحيم » ومكتوب في الجهة التي تليها من جهة الحجر الاسود « بسم الله الرحمن الرحيم قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . ان أول ببت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم . بسم الله الرحمن الرحيم، واذ بوأنالا إبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر، يأتين من كل فج عميق » ومكتوب في الجهة المقابلة للمقام المالكي « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليفضوا تفهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ومكتوب في الجهة الرابعة وهي التي بها الميزاب « في أيام دولة مولانا السلطان الاعظم ملك ملوك العرب والعجم السلطان محمد الخامس خان ابن السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان الغازي ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان عثمان خان خلد الله تعالى ملكه » .

والكسوة الشريفة تعمل في مصر سنوياً بإدارة فسيحة بالخرنقش وإدارتها موكولة لمديرها الهمام صديقنا عبد الله فائق بك الذي ترقت الكسوة في مدته رقيقاً ظاهراً بأهراً بالتجسينات

التي يدخلها عليها من آن الى آخر .

ومصاريف الكسوة تصرف الا آن من المائة وميزانيتها سنويا ٤٥٥٠ جنيها

مصريا وبيانها هكذا .

جنيه

٠٥١٥ ثمن مخيش فضة وملبس بالذهب ١٤٩٣٥ مثقالا و ٣٨٠٥٥ مثقالا فضة بيضاء .

١٦٦٤ اجرة شغالة في الزركشة وعدد دم ٤٧ نفراً .

١١١١ ثمن حرير واجرة سبيج والذين يشتغلون فيه عدد دم ٧٠ نفراً .

٠٢٠٠ ثمن أدوات للتشغيل مثل بفتة وخلافها .

٠١٥٠ مصاريف ليلة المهرجان المعتاد عمله للاحتفال بموكب الكسوة السنوى .

٠٠٦٠ عوائد تصرف للشغاله يوم نهاية عمل الكسوة .

٠٨٥٠ ماهيات مستخدمين ومرتبات خدمة ادارة الكسوة .

٤٥٥٠ الجلة

الا أن الحجاب العالى الخديوى بعد عودته من الاقطار الحجازية أمر حفظه الله بزيادة

العناية بالكسوة الشريفة مما زاد في ميزانيتها وسيزيد في بهاؤها ورائها .

ويتبع هذه الكسوة الشريفة ستارة باب الكعبة من خارجها ويسمونها بالرفع ،

وستارة باب التوبة من داخلها ، وكيس مفتاح بيت الله الحرام ، وكسوة مقام الخليل

ابراهيم عليه السلام ، وستارة باب منبر الحرم الشريف وهى من الاطلس المصنوع بالمخيش

الذهبي والفضى .

وعند انمام عمل الكسوة يعمل لها موكب عظيم في نحو منتصف شهر ذى القعدة يحضره

الجناب العالى الخديوى أو نائبه فيسيرون بها في موكب نفيم من المكان المعروف بمصطبة

المحمل الى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه ، حيث يسلمها حضرة مأمور تشغيلها الى

الحاملى في مجلس يعقد بحضور نائب من قبل سماحة قاضى مصر وبشهادة حضرة أمير

الحاج للسنة المرسله فيها ، وبعد أن يعمل بذلك اشهاد شرعى توضع في صناديق وترسل



مع ركب الحمل الى مكة . ويرسل معها غلايتان من النحاس مملوءتان بماء الورد التقي لغسيل الكعبة المكرمة .

وهناك تسلم الكسوة لحضرة الشيبى القائم بسدانه الكعبة باشهاد شرعى يحضره العلماء والكبراء فتبقى في منزله الى صباح يوم عيد النحر فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد انزال الكسوة القديمة ، ويكون المسجد عادة خلوا من الناس لان سوادهم يكون بمنى ، ولا يصبح مكة منهم الا بفر قليل .

اما الكسوة القديمة فيرسل المفصب منها عادة الى سيادة الشريف ، واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى جلالة السلطان ، والغير المفصب يأخذه الشيخ الشيبى فيبيعه على الحجاج ، وبجوار باب السلام دكاكين مخصوصة لذلك . وقبيل الحج يقطع الشيبى نحو مترين من أسفل ستائر الكعبة ويعوضها بازار من البفتة البيضاء يسمونه احراما ، وليس لهذا عندى من معنى ، اللهم الا لحاق الوقت لبيعه قبل الموسم على الحجاج ثمن كبير . وكان عمر ينزع الكسوة القديمة كل سنة ويفرقها على الحجاج وتبعه في ذلك عثمان ، الى أن وجد شيئا منها على حائض فأمر بحفر حفرة وألقى فيها الكسوة القديمة وأهال التراب عليها خوفا من أن يلبسها جنب أو حائض ، فقالت له عائشة « ان ثياب الكعبة اذا نزع عنها لا يضرها من لبسها من حائض وان كان معها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل » . ومن ثم صاروا يبيعونها ، وهم يأخذون ثمنها الآن لانفسهم .

ولم يكن يسع استار الكعبة أو كسوة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم للتبرك بهما مما يؤخذ على المسلمين في دينهم الذى لم ينص فيه على شىء من ذلك . لان الاعتقاد في آثار الانبياء والصالحين شىء قديم في جميع الشعوب . واعتقاد النصارى من الفرنجة في آثار البانا العظيم جدا : فقد حدثنى صديقى عزيز بك الفلكى أن خاله (وهى فرنسا واية الجنس كاثولكية المذهب) كان عندها قطعة صغيرة من نعل البانا «بى» التاسع طولها ٢ سنتى متر فى عرض نصف سنتى ، اشترتها باربعين جنهما وغلقتها بصفيحة من الذهب ، وكانت تحملها عميمة ثمينة تتقى بها جميع الامراض والطوارىء السيئة ، على أن مجرد الاعتقاد فى مثل هذه الامور

لا يخلو من الفائدة الفعلية .

## المحمل

ذهب بعض المؤرخين الى أن المحمل يتدى تاريخه من سنة ٦٤٥ هجرية ، وقالوا انه هو الهودج الذي ركبت فيه شجرة الدر ملكة مصر في حجها في هذه السنة ، وصار بعدها يسير سنويا أمام قافلة الحاج وليس فيه من أحد لان مكان الملوك لا يجلس فيه غيرهم .  
والذي أراه أن المحمل قديم جدا وربما كان من قبل الاسلام ، وكان يطلق على الحمل الذي يحمل الهدايا الى الكعبة المكرمة ، وقد سير رسول الله صلى الله عليه وسلم محملا الى مكة بهداياه الى البيت المعظم ، ومن ذلك ما نراه في التواريخ من اسم المحمل العراقي والحمل اليمني وما شاهدناه الا أن من محمل ابن الرشيد<sup>(١)</sup> ومحمل ابن سعود ومحمل ابن دينار ، وكل ذلك ليس الا جمالا تحمل صرتهم الى الحرمين منقطعة بسيطة من الجوح ، وكذلك محمل النظام ملك حيدرآباد بالهند يأتي مكة مع الحاجين من بلاده حاملا هداياه الى أهل الحرمين الشريفين . ولقد جاء في الكلام على دارفور في تاريخ السودان لنعوم بك شقرت تحت عنوان صرة الحرمين ما نصه : « وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الارض كلها لا تدفع جزية لاحد ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة فكان موكب المحمل يأتي<sup>(٢)</sup> الى مصر ومعه الريش والصمغ وغيرهما من خبرات البلاد فيبيعها ويتم شمنها بهود الصرة ثم يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصري » .  
وعليه فحمل شجرة الدر انما كان يسير امامها حاملا الهدايا التي أخذتها معها للبيت المكرم في هودج مزين باهية زينة وغاية ما هناك انها اعيت به ورتبت له كثيرا من الخدم

(١) وأمير محمل ابن الرشيد يسمونه سبهان .

(٢) أما الآن فمحمل ابن دينار يسوحه الى الخرطوم ومنها بالطريق الحديدي الى بورسودان ومنها

بحر الى جدة .

والحشم ، ومن ثم صار عادة تقوم بهاملك مصر كل سنة ، وما زالوا يبالبون في زينتته من سنة لاخرى حتى صارت كسوته بحيث لا يستطيع الحمل حمل غيرهامعها ، ( وكسوة الحمل الحالية مع هيكله الخشبي لا تقل عن ١٤ قنطاراً ) ، وصار ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل في صناديق على جمال أخرى تسير مع الحملة .

ويعمل للمحمل يوم خروجه من مصر احتفال كبير من أيام الدولة الايوبية . وهذا الاحتفال الآن له يوم مشهود بالماهرة تمشي فيه الجنود الراكبة والبيادة وحرس المحمل وركبه وخدمته من ضوية وعكامة يتقدمهم أمير الحج الذي يعينه الخنايب العالى الخديوى سنويا ، وهو من الباشوات العسكر بين فى الغالب ، وبعد أن يدور المحمل دورته المعتادة فى ميدان الملعة يمر على المصطبة ، وهى المكان المعد لجلس الخنايب العالى الخديوى يوم هذا الاحتفال ومعه رجال حكومته السنوية من الوزراء الفخام والعلماء الاعلام وكبار وذوات العاصمة ، وهنالك يأتى حضرة مأمور الكسوة الشريفة و بيده زمام حمل المحمل فيستلمه الخنايب العالى منه ويسلمه الى أمير الحاج ، وعندها تضرب المدافع ويسير الموكب تتقدمه أشاير السادة الصوفية ثم الجنود ثم حمل المحمل يتقدمه أمير الحاج ويتلوه المحامل والحماله ثم الفراجية (الطبايون) على جمالهم . ويستقر هذا الموكب سائراً الى الحجر فالدرج الاحمر ويمر من بوابه المؤيد فالغورية فالعاسين فباب النصر فالعباسية . وهنالك يتفرق الموكب وينزل ركب المحمل الى خيامهم التى ضربت لهم فى فضاء العباسية ، وينصب المحمل فى وسط ساحتها ليزوره من يريد التبرك به حتى اذا كان يوم السفر الى السويس نقلوه مع أدواتهم ودخائرهم الى وابور المحمل الذى يكون مهياً فى محطة العباسية ، وبعد الشحنة يسير الى السويس ومنها يبحر الى جدة ، ثم يفصد مكة براً .

وفى سنة ١٣٢٨ سافر المحمل مع قوته على الاسكندرية وعمل له فيها احتفال عظيم يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٠ حضره الخنايب العالى الخديوى ومنها أبحر الى يافا وركب الوابور الى المدينة المنورة ، وبعد الزيارة سافر الى مكة من الطريق الفرعى ، وبعد أداء فريضة الحج عاد الى جدة ومنها الى الطور ثم الى السويس ثم الى القاهرة . والحكومة الآن تهتم فى تقرير

قاعدة لسيره في الطريق الاقل كلفة ومشقة .

وللمحل المصري كسوتان : كسوته اليومية وهي من القماش الاخضر ، وكسوته المزركشة ولا يلبسها الا في المواكب الرسمية . وفي أيام وجوده مكة يوضع فيما بين باب النبي و باب السلام كسوته اليومية . فيكون هناك مزار للناس على اختلاف أجناسهم ، ولا ينقلونه من هذا المكان الا في مواكب الرسمية . وعند السفر به الى المدينة المنورة يسير اليها ركبته اما بالبر من الطريق السلطاني أو الفرعي أو الشرقي ، وإما من طريق البحر من جدة الى ينبع ومنها برا الى المدينة أو الى الوجهه ، ومنه الى محطة العلا ، ثم يتوجه في السكة الحديدية الى المدينة ، والمحمل الآن يسير في هذا الطريق الاخير لعنت أعراب الطريق البري من مكة وينبع وتشدد هم في طلباتهم وزيادة مرتباتهم .

وعند وصول المحمل الى المدينة المنورة يدخلها باحتفال كبير من باب العبريه ، وهناك يطلق له واحد وعشرون مدفعا ، حتى اذا وصل الى الباب المصري ترجل كل من في موكبه اجلالا لمقام الرسول صلوات الله عليه ، فادا وصلوا الى باب السلام أتى شيخ الحرم واستلم رمام الجمل وأصعده على سلم الباب وأناخه على تلك الصدفة الواسعة ، وهناك يرفع المحمل ويوضع في مكانه من الحرم غربي المنبر الشريف وترفع كسوته المرركشة ويلبسونه الكسوة الخضراء ، ويلبس أمير الحاج ومن معه من المستخدمين لباس الخدمة في الحجرة الشريفة ( وهو عمامة و فرجية بيضاء مشدود عليها حزام أبيض ) ، ثم يحملون كسوة المحمل بكل احترام ويدخلونها في الحجرة الشريفة من الباب الشامي ويتركونها في جاب من ساحة مقام السيدة فاطمة رضي الله عنها . ولا تزال بالحجارة الشريفة حتى يخرجوها يوم سمر المحمل من المدينة المنورة ، ويوكبون بها في يوم خروجه من المدينة كما كانت الحال في يوم دخوله . وعند عودة المحمل الى مصر يحتفل بقدمه رسمياً احتفال كبير يحضره الجناب العالي الخديوي أو من ينوب عنه ، فيسير الموكب من العباسية الى القلعة من الطريق التي كان خرج منها ، حتى اذا وصل الى مكان الجناب العالي الخديوي في المصطبة استلم سموه زمام الجمل من أمير الحاج وسلمه الى حضرة مأمور تشغيل الكسوة ، وعند هاتطلق المدافع ويتم

الاحتفال . وتحفظ كسوة المحمل بمخزن في المالية ، وهذه الكسوة تجدد كل عشرين سنة مرة وتبلغ تكاليفها نحو ألف وخمسمائة جنيه مصري . اما كسوته الخضراء فيكسى بها سنويا بعد عودته ضريح سيدي يونس السعدى ( بجبانة باب النصر ) وأظن أنه كانت له مدة حياته خدمة في سفرية المحمل .

واليك كشفاً ببيان ما يصرف من المالية سنويا في تسفير المحمل والمرتبات الجارية صرفها في مكة والمدينة المنورة حسب الوارد في الميزانية الاخيرة .

جنيه

٠١٢٨٢	مرتبات وتعيينات لامير الحاج ومستخدمى المحمل .
٠٢٥١١	» العربان .
٠١٤٩٣	» الاشراف بمكة والمدينة المنورة .
٠١٩٦١	» تكية مكة .
٠١٦٥٧	» تكية المدينة المنورة .
٠٢٨٧٩	» أهالى مكة والمدينة .
٠٣٠٠٠	» لمكة والمدينة تصرف سنويا من أوقاف الحرمين والاقواف الخصوصية والاهلية والخيرية ومن الخاصة الخديوية والمالية .
٢٢٥٠٠	تمن ومصاريف قمح الصدقة بمكة والمدينة .
٠١٦٢٩	» شمع وقناديل للحرمين .
٠٠١٥٥	» خيام وقرب وخلافها .
٠٤٢٤٨	أجرة منقولات برأ وبحرأ وأجر جمال .
٠٦٤٢٠	فيمة ما يرسل كل سنة الى الحرمين الشريفين من الزبوت والحصر وخلافها من ديوان الاوقاف .
٠٠٢٦٥	مصاريف ثرية .
٥٠٠٠٠	مجموع المنصرف سنويا .

وإذا قارنت هذا المبلغ بما جاء في المقر يزي عند الكلام على قافلة الحاج وجدت أنه نحو نصف ما كان يصرف عليها في زمن الفاطميين . قال المقر يزي : « قال في كتاب الذخائر والتحف ان النفقة على الموسم كانت في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين الف دينار ، منها ثمن الطيب والحلوى والشمع راتباً في كل سنة عشرة آلاف دينار ، ومنها نفقة الوفد الواصل الى الحضرة أر بعون الف دينار ، ومنها في ثمن الحمايات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون الف دينار ، وان النفقة كانت في أيام الوزير المازوري قد زادت في كل سنة وبلغت الى مائتي الف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول » .

ولقد كان لركب المحمل في الدولة المصرية شأن كبير ومقام خطير، وكانت مرتبة أميره في المرتبة الثالثة من مراتب الدولة، وكان صاحبها في عهد المماليك مرشحاً لانه يكون حاكماً للمعاصرة التي هي اهم وظيفة عندهم بعد وظيفة الوالى والسلطان ، وله رأى مسموع وكلمة محترمة ، وكانت وظيفته مستديمة وتوليته نقرمان سلطاني ، وله المكانة العليا والكلمة النافذة في بلاد الحجاز ، وكثيراً ما كان يصدر أمره بعزل وتولية امراء مكة . ولقد بلغ من مبالغة ملوك مصر بالاحتفاء بالمحمل أنهم قضوا على جميع حكام البلاد التي كان يمر عليها في طريقه بان يقبلوا خف جمل المحمل عند استقباله وما زالت امراء مكة يقبلونه أيضاً في استقبالهم له الى أن أعفاهم من ذلك السلطان جقمق في سنة ٨٤٣ . وكان الاحتفال بطولع وعودة المحمل مدة سيره على الر في أواخر زمن اسماعيل من الفخامة بمكان عظيم ، وكانوا عند عودته يبلون السكر فرحاً به في احواض كبيرة يشرب منها العادون والرائحون مدة ثلاثة أيام وهي عادة قديمة جداً . وكان يسافر في خدمته غير مستخدميه من أمير وأمين صرة وكتبة وصيارف ، كثير من الخدم والحشم والعكامة والحالة والقرابية والنجارين والفراشين والخميمة والسقائين ، وكان ضمن وظائف المحمل وظيفة اسمها أمين الكساوي والحلويات ومن شأنه توزيع الحلويات والكساوي التي كانت ترسل للعرب

واستعيض عنها الآن بصرف أثمانها لاربابها . وكان يخرج معه موظف رسم مأمور الذخيرة في عهده البقسماط الذي كان يؤخذ لما عساه يحصل في الايام الغير المعتادة التي كانوا يحتاجون فيها للصرف على الحجاج اذا قضت الضرورة . وكان من ضمن خدمته رجل يقال له شيخ الحمل ، وآخر اسمه أبو المظط ، ثم سائس الهرجلة (الهركله) ومقدم العيظ ، ثم سواق المقاطيع وكانت وظيفة الاول أن يشتري الجمال اللازمة للمحمل ، ويركب وراء حمل الحمل في موكله لملاحظته في سيره من الخلف كما يلاحظه المحاملي في سيره من الامام . أما الثاني فيمولون انه كان يقوم بغذاء الفطط التي كانت تتبع ركب الحمل مدة سفره في البر ، ويقول آخرون انما كان هذا اسمه أما وطيفته فهي التي غبروها بوظيفة امام الحمل . و يقال ان وطيفته كانت من عهد حجاج شجر ذالدر ، أما الثالث فقد كان رئيسا للصوبه والعكامة يستدعيهم عندما تكون هناك حركة مهمة ، فيأتون بغير نظام بين صياح وهياح وكلام . والرابع كان مباشر الدين بمعد هم المرض أو ضيق ذات اليد عن الاستمرار مع الركب . وجميع هؤلاء كان تعيينهم بقرمانات مخصوصة بعضهم من السلطة وبعضهم من ولائم مصر ، ولهم مراتب بالرزناح من عهد بعيد . وقد استغنى الآن عن كثير منهم في سفريه الحمل لعدم الحاجة اليهم مع صرف مرتباتهم لهم ، كما استغنى أخيراً عن وطيفة أمس الصرد التي يؤدها الآن واحد من كتبة المالية تمدده النظارة لذلك .

وكان للمحمل عشرون جمالهذه المأموريه . وكان لها مباح في بولاق بحوار شيخ اسمه سيدي سعيد . وكانت الحكومة في الزمن السابق تشتري مع هذه الجمال حملا تجعله فداء عنها كل سنة : فيأتي به الجماله قبل موكب الحج ويركبون عليه شيخ الحمل ويسرون به ومعهم العكامة والضوية وأمامهم الفرائحية يحيط بهم كثير من الغوعاء ، ويمرون في الماهرة ثم يذهبون الى باب الشيخ سعيد و يذبحونه هناك . وكان المحاملي يأخذ ربه ، والجماله ربه ، وخدمة الشيخ سعيد ربه ، وخدمة الشيخ يوسف الرابع الباقي . وكانوا يديعون لحمه الى الناس على سبيل البركة مدعين أن لحمه ينفع للصداع وشحمه للبواسير ، ولذلك فانهم ما كانوا يلفون به الى الارض . صدر دبحه ، حتى يهجم عليه الحاضرون من العامة و يقطعون اربار بايديهم قبل

ذبحه و يأخذ كل منهم ما تسمع به قُوته . وكان كثيرا ما يؤدي ذلك الى ضرر جسم يستهين به هؤلاء الجهلاء في جانب هذا الاعتقاد السخيف . فلما بلغ ذلك الجناب العالى حفظه الله أمر بإبطال هذه العادة الشنيعة مع صرف قيمة ثمن الجمل الى أربابه جزاء الله عن الدين والاسانية أحسن الجزاء .

\*

## حمام الحمى

حمام الحرم المشهور بحمام الحمى ببلاد سطوح المسجد الحرام ومنافذه وطاقاته . فتجده معشأ هنا وهناك ، ويجمع زرافات زرافات في جهات كثيرة من سخن الحرم وعلى الخصوص في الجهة الشرفية ، وله فيها مكان مخصوص فيه أحواض لشربه ، وبحواره مكان يلتقي فيه حب القمح المرتب له من أوقاف مخصوصة . وكثيرا ما تراد في الجهة الغربية ، حيث يوجد غير واحدة من فقراء القوم يبعون حب القمح للحجاج والزوار بقصد القائه الى جيوش هذه الحمامات المستأسسة ، التي تكاد ترفرف على رؤوس الناس ، لا مالم تعرف منهم في حياتها الا كل لطف وأس . وليست هذه الخبيصة قاصرة على نوع الحمام ، بل كل حيوان دخل الحرم وهو آمن ، حتى ذهب بعضهم الى عدم قتل الحية أو العنكبوت في الحرم ، احتراماً له واكراماً لها فيه . وانراد الحمام بوجوده في الحرم لا أظنه الا لسهولة أسسه وقلبه جفائه . ومن أغرب ما يروى عنه أنه مع كثرتة في الحرم لم يشاهد منه شئ على الحكمة الا نادرا جدا . وفي الجهة الشرفية من مكة تحت جبل أبي قبيس ثرى يقال لها ثرى الحمام يجمع عندها كثير منه ليشرب بحريته ثم يذهب الى حيث أراد . وهذه البئر قديمة جدا وأظنها من زمن الحاهلية . كما أنى أظن أن احترام الحمام هنا أيضا من زمن بعيد . وعلى كل حال فهو مكرم للبيت سواء قبل الاسلام وبعده . والقول بأنه من اسن تلك الحمامة التي عششت في الغار على النبي صلى الله عليه وسلم انما يزيد في احترامه واعظامه .

وليس الحمام بمحترم فقط هنا بل هذه عادة قديمة جدا : فبنونوح كانوا يكرمونه لانه أول



من بشرهم بظهور اليا بسمة مدة الطوفان . واحترامه عند النصارى يقرب من درجة التقديس ، لانه يمثل عندهم روح القدس ، ويقولون انه عندما كانوا يغسلون المسيح في نهر الاردن وهو صغير جاءت حمامة وحطت على رأسه ، لذلك يرسمونها في كنائسهم وعلى صورهم الدينية بكثرة . ومن هذا ترى الحمام قد أطلقت له الحرية في كنائس القوم في أوربا وخصوصا في كنائس ايطاليا والنمسا وبعض كنائس فرنسا ، وقد تعدى هذا الكنائس الى منافذ المساكين وكرايشها وأسطحها وأشجار الشوارع العمومية وساتينها: فاذا ذهبت الى فينا أو روما مثلا وجدت هنا وهناك في كل مكان من غير أن يؤذيه أى انسان . وأثر هذه العقيدة باق في الحمام الذى لا يزال في مدينة القسطنطينية الى يومنا هذا، وتراه على الخصوص في مسجد بايزيد ومسجد أنى أبواب الانصارى، غير أن أهل الاستانة قد بالغوا في اكرامه حتى حرموادبجه، فهم لا يأكلونه أبدا سواء في ذلك مسالموهم وبنصاراهم ويهودهم . أما ما ذكر من أن المسلمين يعتقدون أن حمام الاستانة من ذرية حمام الغار ( الذى يقولون عنه انه كان يخبر الرسول بجميع ما كان يفعله المشركون )، فانه لا أصل له عندهم، كما لا أصل في دينهم لتلك المأمورية التى كان يؤذيها حمام الغار . والشيععة من العجم يعتقدون مثل هذا الاعتماد في حمام الحرم ، ويزعمون أنه هو الذى أخرج أهل المدينة المنورة تقتل الحسين رضى الله عنه .

والصينيون يستعملون الحمام من زمن بعيد في استكشاف بحتمهم على مثل ما يستعمله بعض الارام الآن في طرقات مصر : فيأتون للحمام يطبق فيه جملة أوراق مطوية مكتوب فيها شئ من الخير والشر ، فتأتى الحمامة وتستخرج بمنارها واحدة يكون معها ألهم ، ويسمون هذه الحمامة بالكوب - بن (Pak-pko-Pin) يعنى الحمامة ذات الورقة البيضاء .

ولقد كان الحمام عند الساميين هو الحيوان المقدس للاله عشتورت (Astarte) . وكان عند الفنيقيين واليونانيين والسوريين يمثل السماء والنجوم . وأظن أن احترامه عند العرب في الجاهلية لم يأت الا من هذا الطريق . ولذلك كانوا يضعون تمثال حمامة داخل الكعبة بجوار تمثال هبل : ولقد ورد في سيرة ابن هشام عن صفية بنت شيبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة بعد الفتح وطاف بالبيت ، دعا عثمان بن طلحة وأمره بفتح الكعبة فلما

دخلها وجد فيها حمامة من عيدان وكسرها بدهن ثم طرحها .  
 على أنالوصرفماالنظرعن كون الحمام اظيفعاى شكله ، أبساى نوعه ، حميلاى صورته ،  
 اظيفعاى لاسه ، يمثلى فى عائلته المحمسة الحبهمة والشعمه الحسية ، فانامى فىه درسا عائليا  
 كبيرا : رى الد كرمه مع اناءه يعاملان لحماهما وحياءه عائلهما عملى المحدثين المحمدين ،  
 حتى اءافرعامن واجبهما الاهلى نرعالى حياهمما الزوجية : فتراهما بين توامق وتعاشق  
 وتعاقب ، لافصملاان الالىصملا ، ولا يفارقان الالىصملا فى جلابب جمال ، وأساليب  
 دلال ، مما لا يرى له مثال ، فى زوجين من غروبوعهما على كل حال .

على أن الحمام لءعلى الانسان خءمه بء كرفءشكر : فمءكان من القرن الثامن قبل المسيح  
 الى منءصء القرن السابع عمءر يؤءى وطففة الءلءراف بين الامم المءءلفة ، حتى أعلن مرس  
 ووطسون سنة ١٨٤٤ م بءلءرافهما الكهر بائى ، الءى لا يشك أءءى أنه أفاءء العالم بأمره  
 فائءه جسمة ، وكان من أكبر الاشياء الءى ساءءب على انءمءن العصرى وانشاره بمرعه .  
 ولىكن هل هءه الفوائءء الجسمام ، نساينا ففضل ذلك الحمام ؟

ولءى كما بءء الفائءه بءول لك ان أول من اسءعمل الحمام فى الزجل هو رءجل من حرره  
 أوجس ( من جزراليونان ) ، أنى فى سنة ٧٧٦ قبل المسيح الى آءنا لءصءر الالءاب  
 الاولمىة ، واسءصءر معه حمامة كاء عمءه أءءها من بين أفراءها . فلما ررى هءه الالءاب  
 أرسل الحمامة فءهبء الى عشاءها ، ومن فءومها علم أهل الرءجل بءجاءه فى مأمورءه . ومن  
 ثم اسءعمله اليونان والرومان والعرب والمصربون فى مراسلءهم . وكان لمصرو وءصوفاً  
 زمن الايوبىين والعاظمىين مصلءة للرسائل ، وكانها فى كل ءمة ناءء للءمام ، وكاه  
 غرب من ءهاب مءءءءه : فكانوا اذا أرادوا ارسل مءكءوب الى أى مكان ، أرسلوا على  
 ءماء حمامة ما ءوءه من هءءء ءمة . الا أنهم كانوا يرسلون ءءر من صورىن على  
 ءمامىن بءءلى ءصل فى ءصاء الرءمءة لءكا . ذلك أن المسلمىن فى عكا أرسلوا رسالءه الى  
 صلاءء الءىن الايوبىى بواسطة حمامة من ءمامهم ، فءبعها طىرءارء وصرها ، فسءطء فى  
 مءسكر العءو الءى عرف منها مواءع الضءف من عءوءه . ولءلك ءء كرلما نزل لوىس الءاسع

ملك فرنسا الى دمياط سنة ١٢٧٠ م وسار بجنده الى المنصورة ، أخذ ملك مصر الملك الكامل خيره بواسطة الحمام الزاجل ، فسير اليه جيوشه لوقته فأوقفته عند حده ، وكان ما كان من اهزام جنوده عند المنصورة وأسر لويس وسجنه بها الى أن تم الصلح بينه وبين ملك مصر ، فأطلقه وسافر الى تونس ومات بها . وفي حده يقول بعضهم .

قل للفرسيس وان أنكروا حبس لويس في معال صحیح

دار ابن لقمان على حالها والقيد ناق والطواشي صبیح

والحمامة تطع في ظرها من سبعين الى ثمان مائة كيلومترا في الساعة ، ولها صر على الخوع حملا أيام ولاسكنها لا تصر على العطش .

وكان لهذا الحمام في حصار المانيا لباريس بين سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ أكبر فصل في ربط أجزاء المملكة الفرنسية معا صحتها .

ورما كانت هذه الحكومات قد قصت أن لا يمس جنس الحمام لسوء حتى لا يكون نوع الزاجل منه عرضة لادى الصيادين وخلافهم فيؤدى مأمورين به وهو في غاية الهدوء والطمأنينة .

ولمدا كان عباس باشا الاول والى مصر رجوع الى تربية هذا الحمام واسنك أكثر من أنواعه . واكمه مات رحمه الله قبل أن يتم غرضه . وأخذ بعض دوات القاهرة عنه هذه الغية ، واكمهم اقتصر واعلى تربته وتطيره في محيط ديارهم . وقد يعلمه بعضهم الصر على الطيران حتى اذا التحم بحمام غرب طار معه الى أن تنفذ فواه ثم يرجع به الى صاحبه الذى يكون فرجه به لا يفدر . وللحمام عندهم أسماء مختلفة فمنها الخزندى - والربحانى - والمرزر - والفزازى - والابلق - والعنبرى - والغزار - والشاقى - وغيرها ، الا أن هذه الغية لم تقف عند أفية الاغنياء بل تعدتهم الى الفقراء وهم الى الان يضيعون فيها وقتهم الذى هم وعايلهم فى حاجة اليه لعمل حيوى مفيد . ولما شاهدت فى سستان سراى يلدز الداخلى ، بعد خلع السلطان عبد الحميد ، دارا كبيرة من السالك وفيها مالا يحصى من أنواع الحمام وهو من جمال الخلفة بمكان عظيم . وربما كان يتسلى به فى سجنه الذى فضى على نفسه به طول حياته ساخه الله .

# الحج

الحج في اللغة القصد ورجل محجوج أى مقصود . وفي اصطلاح المسلمين قصد مكة لاداء المناسك في زمن مخصوص من كل سنة قمرية . و واحدته حجة ، وتطلق على السنة فيقال عمر هذا الصبي سبع حجج أى سبع سنين .

وهو سنة قديمة جدا في الامم ، والغرض منه على كل حال أمر ديني محض ، وان كان الاجتماع فيه لا يخلو من فائدة دنيوية ، تزيد في رقي الامة أدبيا وماديا . وقد كان المصريون قبل أر بعين قرنا يحججون الى هيكل معبودهم ايزيس بمدينة سايس ( صا ) ، وفتح في منفيس ، وأمون في طيبة .

واليونان كانوا يحججون قبل المسيح بحمسين قرنا الى هيكل ديانا في افسوس ، ثم انتقلوا في مبدأ القرن الثاني قبل المسيح الى حج معبد ميسارفا في أيتنا ، وچوبيتير في اولمبيا . واليابان يحججون من عهد بعيد الى هيكل عظيم مشهور في ولاية اسجى ، وتجب زيارته عندهم على كل فرد منهم في عمره ولو مرة واحدة : فيتوجهون اليه بلباس أبيض على شكل مخصوص ، وسوادهم بمصدونه عراة لابس عليهم الا ما يستر عورتهم ، ويقطعون اليه كل المسافة ركضاً . والصينيون يحججون الى هيكل المعبودتيان من زمن بعيد جداً . والهنود لا يزالون يحججون الى هيكل چاغرنا ، أو هيكل الورا في حيدرآباد وهو محفور في الصخر على طول فرسخين ، وكذلك يحججون الى هيكل نودا بحزيرة منا قرب سميلان . وهم يكثرون من الطواف حول هياكلهم ، ولهم بحيرات مقدسه يتبركون عياها مثل بحيرة مادن قرب بحر قزوين . واليهود يحججون من القرن الرابع عشر قبل المسيح الى المكان الذي به تابوت العهد ، وكانوا يحججون اليه ثلاث مرات في السنة . وكان ذلك أكبر سبب لعمار أورشليم ، حتى أحرقها الامبراطور طيطوس الروماني وأجلى اليهود عنها سنة ٧٠ مسيحية ، وما زالوا بعيدين عن مدينة بيت المقدس حتى استوات العرب عليها سنة ٦٣٦ م (سنة ١٦ هـ) ، فأقرهم عمر رضى الله عنه مع

النصارى على ما كان لهم في بيت المقدس . ولما قامت الحروب الصليبية قطعت عليهم طريق حجهم الى أن استولت دولة نبي عثمان على اورشليم في سنة ١٥١٧م فأمنت الطرق ومهدت السبل الى بيت المقدس ، وهم يحججون الآن الى قطعة من السور القديم لهيكل سليمان في الجهة الغربية من المسجد الأقصى ويسمونها البراق .

أما النصارى فانهم يحججون الى بيت المقدس من سنة ٣٠٦ للمسيح ، أى منذ سارت هيلانة أم الامبراطور قسطنطين الى اورشليم وابتنت بها كنيسة القبر المقدس المشهورة باسم كنيسة العيامة . وكانوا يخرجون اليه من غرب أوروبا باحتفال عظيم ، وكان رئيس الجهة الديني يزود كل منهم بعصا ورداء من الصوف الخشن فيلبسه لوقته ، وكان لهم على طول طريقهم تكايا وأدوية وأون اليهامدة سفرهم ، واذا وصل الحاج الى بيت المقدس يتطهر في نهر الاردن الذي يبعد بنحو عشرين كيلومترا شرقي القدس ، ثم يلتحف برداء يحمله معه ليكون له كفنأ عند موته . فلما استولى السلجوقيون على بيت المقدس قل حجاج الافرنج الى اورشليم وحولوا وجوههم الى كنيسة القديس بطرس وبولس في رومه ، وفي تريف (Tieves) بجرمانيا . ويزعمون أن بالأخيرة فيص المسيح الذي كان يلبسه ، وقد بلغ عدد حجاجها سنة ١٨١٤ مليوناً ومائة ألف نفس من الافرنج . وهم يحججون أيضاً الى كنيسة لورده (Lourdes) في جنوب فرنسا بعد أن شاع في أوروبا أن السيدة مريم العذراء ظهرت لاثنتين من رعاها هذه المدينة . والزائرون لهذه الكنيسة يشربون من ماء ينبع قريباً منها يسمى باسمها ويعتقدون الى اليوم أن فيه شفاء للناس ويرسلون منه الى جميع أقطار المسكونة للتبرك والاستشفاء . ولم نكثر حجاج بيت المقدس الا بعد عمل السكة الحديدية اليها من يافا .

والعرب كانت تحج الى الكعبة قبل الاسلام بنحو خمسة وعشرين قرناً ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من اختلاف الالهة وتعدد الديانات وتغاير المذاهب . وكانوا يقصدونها سنوياً بالطواف بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون الآخرين ، لأنها كانت عندهم بيتاً لله الذي هو إله العالمين . ورغم أن شيوخ عبادة الاوثان في سواد

فبائل العرب فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة ، وليس ما ورد في أسماهم من عبد الكعبة ( وكان أبو بكر يسمى عبد الكعبة فلما جاءه الإسلام سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ) إلا لزيادة اجلالهم اياها ، كما هو الشأن في تسمية عبد النبي عند المسلمين ، مع كراهيته في دينهم . وكذلك لم يسمع عنهم أنهم عبدوا الحجر الأسود مع احترامهم له ذلك الاحترام الذي لا يمكن تصووره . وكانوا يعتقدون أن هذا الحجر نزل من السماء ، وبه أخذ بعض الفقهاء ، ونحن لا ندري ان كان وصل اليهم من طريق النيارك أو من طريق آخر . وكان لهذا الحجر في العرب شأن عظيم جداً حتى انه لما حصلت الحرب بين ابيدومضرا بنى نزار ، ودارت رحاها على ابيد ، فلعنت الحجر الأسود ودونته بحبل أبيض فبقيت ذلك امرأه من خراة فأخبرت قومها ، فاشروطوا على مضرا إن هم ردوا الحجر جعلوا ولاية البيت فيهم ، فوفوا لهم بذلك فردوه ومن ثم صارت ولادة البيت في خراة .

واحترام الاحجار (١) في الناس قديم جداً : فهم من كانوا يعبدون والداتها ، ومنهم من كان يجعلها مرراً لآلهتهم كما كان الشأن في الدول الراقية في عمرائها كدولة الرومان واليونانيين الذين كانوا يرزونها لمعبوداتهم من الكواكب وغيرها : ولم يكن ببعدهم الى الآن في نحت الاحجار وعمل التماثيل وترزيمهم في التصوير ، الا لاحترامهم اياه من قديم الزمان ، واسعمالهم له في الأزمنة الحالية تيمناً لمعبوداتهم . والصينيون واليابان والهنود لا يملون عنهم في هذه الصناعة ، ولهم فيها دقة غريبة وخصوصاً في الاعمال الخشبية التي يمثلون فيها كثيراً من معبوداتهم مثل بودا وكوهوشيو وس وغيرهما .

أما العرب فقد كانت أصنامهم سادجة مثل جميع طبائع الاشياء فيهم ، وقد كانوا يعبدونها المرهم الى الله زلفى ، وفي عمبة ناب السلام الخارجية بالحرم المكي ترى حجراً ضخماً أشبه شئ بدرجة سلم غير منتظمة . نازله في الارض يطئونها ببنعالمهم ، وأهل مكة يقولون عنه انه صنم من أصنام الجاهلية واسمه اساف .

(١) وفي باريس بحوزة الدكتور ومحفاسمه جيميه (Musée Guimet) وه مجموعة كبيرة من الاحجار القديمة وهي أكبر مجموعة في نابا وقد زررتها سنة ١٩٠٦م مع صديقي العاضل على بك هجـ وكيل دار الآثار العربية وسبقنا صاحبها والمأم بادارتها بكل أسـ ولطف .

وكان أنبياء بني اسرائيل يقيمون الاحجار في مناسبات كثيرة : منها ما هو تذكار لحادثه من الحوادث الجسمية ، كما فعل يعقوب عند ما تراءى له ربه في نومه ، فانه أقام حجراً تذكاراً لهذه الحادثة الكبرى في مكان سماه بيت إيل ( بيت الله ) ، كما أقام حجراً غرده تذكاراً للعهد الذي تم بنه و بين لابان ( أنظر الاية الرابعة والاربعين والخامسة والاربعين من الاسحاح الحادى والثلاثين من سفر التكوين ) . ومن هذاتلك الحجارة التى يصممها موسى فى ديل الجبل تذكاراً لكتابة كلام الرب ( أنظر الاية الرابعة من الاسحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج ) ، ثم الاننا عشر حجراً التى يصممها يشوع تذكاراً لعبور الاسباط نهر الاردن بنا بوب العهد ( أنظر الاية التاسعة من الاسحاح الرابع من سفر يشوع ) ،

ومن حجاره التذكار أيضاً تلك الحجارة التى يقمها صغار الحجاج على حافة طر يقمهم مع العاقلة . فتراهم اذا صادفوا فى طر يقمهم أحجاراً صغيرة تسابقوا اليها وأخذ كل بين يديه ما أراد منها ، ووضعها على بعضها حجراً حجراً قائلاً : هذا لاني هذا لأمي هذا لأخي هذا لصديقي فلان مثلاً . ويسمون كل كوم منها بطوراً ، وهم يزعمون أنه مادامت هذه الرحمة على وضعها كان أصحابها على قيد الحياة ! ولو لم يكن فى عملهم هذامن حسنة سوى تسمية الطر بق من الحجارة التى ينبعث فيها الالسان والحواول لكفى . وقد رأيت بعضهم فى مصر يقم هذه النواطير فى طر يقمهم الى الموالد وكثيراً ما ترى ذلك فى جبانات الأرياف قرب بعض الاضرحة . وجبانات النصارى بالارياف لا تحلو من ذلك .

ومن الحجارة ما كانوا يقمونها للاستشهادها : كالخجر الذى أقامه يشوع عند ما أخذ العهد على شعبه قائلاً لهم هذا الخجر يكون شاهداً علينا ( أنظر الاية السادسة والعشرين والسابعة والعشرين من الاسحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع ) .

ومن حجارة الشهادة ما يستعمله الناس فى الافتراعات (١) السرية فى أيامها هذه مما هو

(١) وذلك انهم اذا حافوا على حرية الشخص و ابداء رأيه فى الاقتراع العلنى ، ذهبوا الى الاقتراع السرى : وهناك يدار على الاعضاء نداء به حجارة سوداء وأخرى بيضاء ، فبأخذ المقترع حجراً من هذه الامرار على الرأى المقترع عليه أو من تلك اذا كان مخالفاً له ، واصلع هذا الخجر فى كيس يقدم اليه بحيث لا يشعر به أحد . وبعد أخذ جميع الافتراعات يقدم الكيس الى الرئيس ، وداوحد أن الحجارة البيضاء أكثر من السوداء ، كالأقراع ايجاناً بالبية الاصوات والا كان سلباً .

مستعمل على الخصوص في دوائر الحكومات الكبرى كجالس النواب وغيرها .  
وكان المصريون يقيمون الاحجار الجسمية كالمسلات وغيرها نذ كاراً للحوادث  
التاريخية الكبرى . وقد اقتفت آثارهم الدول المتقدمة وعلى الخصوص ما يقيمونه منها اعترافاً  
بفضل من ينبغ من أفراد الامة ، وهذه الآثار لا يكاد يخلو منها ميدان من ميادين عواصم  
أوروبا .

وجميع الحكومات من قديم الزمان تقيم الاحجار لتعبين تخومها وتحديد ممالكها . وقد  
عم هذا الاستعمال في تحديد ملكية الافراد حتى أطلق لفظ الحجارة على الحدود ،  
وأجمعت الشرائع كلها على احترامها .

واليهود الى الآن يقدسون قطعة من حائط سور المسجد الاقصى من جهة القبلة  
يسمونها البراق ، ويباغ طولها نحو ثمانية وأربعين متراً في ارتفاع مترين ، لزعمهم أنها الفضة  
الوحيدة التي بقيت من قاعدة سور الهيكل الاصلى الذى بناه سليمان عليه السلام ، وهدمه  
بختصر وسنحارب وغيرهما من ملوك الاشوريين والرومانيين . وهم يحجون الى هذه  
الفضة مرتين في كل سنة وخصوصاً في العيد الذى يسمونه عيد الدجاج (عيد الربان) .  
ويهود القدس يجتمعون عند هذا السور كل يوم وعلى الخصوص في عصر يوم الجمعة مع  
رؤسائهم الدينيين ، ويستلمون حجارتها باكين شاكين متعجبين متضرعين الى الله بأن يرد عليهم  
ملكهم وأن يعيد الى اورشليم نجاتها وجلالتها . وقد وصل بهم احترامهم لحجارة ذلك  
الهيكل الى أنهم لا يدخلون في حوش بيت المقدس أصلاً ، بل لا يدخلون من بابه مطلقاً ، خوفاً  
من أن تطأ أقدامهم حجر آمن الحجارة التي تكون ربما تحلفت من هيكلهم القديم ، وألفت بها يد  
الصدفة في أرضية هذا المكان . وهم يقدسون أيضاً جانباً من سور منارة المكفيلة التي بها  
قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب في حرون ، ويجتمعون عندها مساء كل يوم جمعة ويصلون  
ويبتهلون ويستغيثون ، صارخين الى الله تعالى أن يعيد اليهم ملك نبي اسرائيل .

وللنصارى ا حجار كثيرة يقدسونها ، ومنها شئ كثير في بيت المقدس . وقد بلغ تقدسها  
منهم الى حد لا يمكن تكيفه . ومن تلك الأ حجار الحجر الذى تحت قبة الصعود : وفيه أثر صدر



قدم بمعنى يقولون انه أثر قدم السيد المسيح عندما صعد الى السماء . وقد شاهدت بنفسى هذا الحجر الذى ملس وكاد يذهب أثره من كثرة لمسهم له وتقبيلهم اياه . وفى أسفل جبل الزيتون من الجهة الغربية مما يلي وادى سدرون (الذى يسميه العامة وادى مريم) قطعة من صخرة خارجة عن سور الكنيسة الروسية الشمالى، فيها بعض تقعر رأسى، يقولون ان السيد المسيح أسند ظهره اليها عندما نزل من جبل طور زيتا (جبل الزيتون) الى المدينة . ولقد اجتهدت الكنيسة الروسية فى ادخال هذا الحجر اليها ، فقامت من أجل ذلك قيامة الطوائف الاخرى، وكادت تحصل لذلك فتنة كبيرة، لولا أن الامر انتهى بجعلها منطقة عامة لجميعهم حتى لا يجرم الكل من التبرك بها . وازاء هذه الصخرة الى جهة الشمال توجد صخرة أخرى محاطة بسور للأروام ، يقولون ان السيد المسيح كان جلس عليها اذ ذاك ليشاهد منها صحرة بيت المقدس، و باب هذا السور يفتح للزيارة فى أيام مخصوصة . وللقوم فى كنيسة القيامة أحجار كثيرة تكاد تهوق حد التمديس : منها حجر يصف الدنيا الذى تراه فى وسط هيكل الاروام، وحجر المغسل الذى يزعمون أنهم غسلوا المسيح عليه ، وحجر الكأس الذى نزل به جبريل الى المسيح ووضعه عليه ، وعمود الحد الذى كان المسيح مربوطا به عند ما جلده أعداؤه، وحجر الاكليل الذى أجلسوا عليه المسيح وقت ما وضعوا على رأسه اكليل الشوك ، ويوجد فى بيت لحم كثير من هذه الحجارة المقدسة عند النصارى .

ومن الحجارة المقدسة المحترمة عند اليهود والنصارى والمسلمين على السواء، صحرة بيت المقدس التى كانت محل فربات ابراهيم واسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم من أنبياء نبي اسرائيل عليهم السلام، وكانت فميلة للمسلمين قبل الكعبة، ثم صحرة أبواب (النبي) التى فى قرية الشيخ سعد على طريق السكة الحديدية بين المزيريب والشام، ويقصد زيارتها والتبرك بها خلق كثير من جميع الافاق على اختلاف جنسياتهم ودياناتهم .

من ذلك ترى أن هذه الحجارة لم تقدر لتقدس لديانتها، ولكن لعلاقتها بشئ مقدس محترم: وعليه فالحجر الاسود الذى وضعه ابراهيم عليه السلام فى الكعبة إما أن يكون وضعه تذكاراً لصدعه بأمر ربه برفع قواعده هذا البيت المعظم ، وإما أن يكون للعهد الذى أخذه ابراهيم

على نفسه وولده بجعله هذا البيت مثابة للناس، وإما أن يكون قد أقامه إبراهيم حجة عليه وعلى ولده أن هذا البيت قد استعمل من ملكيتهم الى الله تعالى ليكون للناس متحلي ومسجداً للطائفين والعاكفين والركع السجود . ووضع في الركن الاقرب الى الباب ليكون أوّل حدود هذا البيت المكرم الذي يتدى منه الطائفون ، وجعل لونه أسوداً لسهولة تعيينه وتحديد مكانه : لذلك كان هذا الحجر محترماً من إبراهيم ، محترماً من ولده ، محترماً من المسلمين الى اليوم والى الغد . ولا عبرة بما ذهب اليه بعض السائحين الذين قصدوا مكة والمدينة تحت ستار شعار الدين الاسلامي ، وكتب عليهما كل بحسب نزعتهم سياسية كانت أو دينية ، وافترى بعضهم على المسلمين بأنهم في حجهم يعبدون الحجر الاسود الذي هو أثر من آثار الوثنية العربية الاولى ! اواني لا أدكر شيئاً أدحض به هذه الفرية سوى ما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم ورواه ابن أبي شيبة والدارقطني في العلل ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف عند الحجر فقال « إني لا علم لك حجراً لا تضر ولا تنفع » ثم قبّله ، ثم حجج أبو بكر فوقف عند الحجر ثم قال « إني لا علم لك حجراً لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » ، وقال عمر « أما والله اني أعلم لك حجراً لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك » ثم دنا فقبل . على أنه لم يسمع عن عرب الجاهلية مطلقاً أنهم عبدوا هذا الحجر فيما عبدوا من الاحجار بالمره ، مع احترامهم له كل الاحترام واجلالهم له كل الاجلال . وعلى كل حال فان الحجر الاسود عند المسلمين محترم مكرم معظم لالذاته ولكن لكونه شعاراً لربوبيته تعالى ورمزاً لسلطانه . يعرض عليه المسلمون فيستلمونه وفسلونه ، أو يسلمون عليه من بعد بكل احترام واحتشام : وعليه فهو في ذلك كالعلام الدول التي لا يحترم لكونها قطعة بسبطة من القماش مرفوعة على قطعة من الخشب أسط منها ، بل لانها تمثل سلطان الملوك وعظمة الممالك : وهلا حضرت استعراض جيش من جيوش الدول العظام ورأيت الفوم اذا حاذوا علمهم أحوا أمامه رؤوسهم وسيوفهم علامة على الخضوع والاحترام ؟

وما زال الحج عند عرب الجاهلية على ملّة إبراهيم واسماعيل ، ومشاعره<sup>(١)</sup> كلها محترمة  
عندهم ، حتى اذا عظمت قر يش بعد واقعة الفيل ، وقال الناس فيهم اهل الله يدافع عنهم ،  
نمخوا بأنوفهم على العرب ، وقالوا نحن ولاه البيت ، وليس لاحد من العرب مثل منزلتنا ،

(١) ولا بنى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فصيده مشهوره ببلاغتها وهي لاميه التي تبلغ  
واحداً وثمانين بيتاً ذكر لك مهاها بعض قسمه الذي تعرف منه المشاعر التي كانت تعف  
مها العرب في الجاهلية . قال رحمه الله :

وتور<sup>(١)</sup> ومن أرسى شيراً<sup>(٢)</sup> مكانه \* وراق ليرقى في حراء<sup>(٣)</sup> ونازل  
وبالبيت حتى البيت من بطن مكة \* وبالله ان الله ليس نغافل  
وبالحجر الأسود<sup>(٤)</sup> اذ يمسحونه \* اذا اكتفهوه بالصحي والاصائل  
وموطىء ابراهيم بالصخر رطبة \* على قدميه حافياً غير ناعل  
وأشواط بين المروتين الى الصفا \* وما فيهما من صورة وتمائل<sup>(٥)</sup>  
ومن حج ببت الله من كل راكب \* ومن كل دى نذر ومن كل راجل  
وبالمشعر<sup>(٦)</sup> الاقصى اذا عمدوا له \* الال<sup>(٦)</sup> الى مفضى الشراج<sup>(٧)</sup> العوايل  
وتوقفهم فوق الجمال عشية \* يميون بالايدي صدور الراجل  
وليلد جمع<sup>(٨)</sup> والمنازل من منى \* وهل فوفها من حرمة ومنازل  
وجمع اذا ما المقربات<sup>(٩)</sup> أجزته \* سراعا كما يجرجن من وقع وابل  
وبالحرة الكبرى اذا صمدوا<sup>(١٠)</sup> لها \* يؤمون قذفا رأسها بالجمادل<sup>(١١)</sup>

والمصيده موجوده برمتها في الجزء الاول من سيره ابن هشام

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١)  
وهي المواضع التي بها مناسك الحج ، والمشعر الاقصى هو عرفة لانه أعدها . (٦) نوح الهجرة  
وكسرها حمل عرفه . (٧) مرده شرح وهو مسيل الماء ، وهو حتى الشراج جمعهاى بحرى واحد  
وقى هذا ما فيه من ملاءمة التعبير اشارة الى اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفه . (٨) هي  
ليلة المرذله . (٩) هي الحمل الى صمر لاركوب والابل الى عليها رحاها . (١٠) تصدوا .  
(١١) الحجارة .

وانفقوا على أن لا يعظموا شيئاً من الحل: فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها، مع علمهم بأنها من المشاعر الحرام وأنهم كان الحج من زمن ابراهيم، وأفاضوا من جمع (المزدلفة)، وقالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاء وابه معهم من الحل في الحرم اذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، وأن لا يطوفوا بالبيت الا في ثياب الحمس ( وهم قر يش وسمووا بذلك لتحمسهم في دينهم أي تشددهم ) ، فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة . فدايت لهم العرب بذلك ، وكانت المرأة في طوافها تضع عنها ثيابها الا درعها .

وقد كان السعي بين الصفا والمروة من لوازم الحج في الجاهلية ، وكان لهم صنم على الصفا يسمى ( أساف ) وآخر على المروة يسمى (بائله) ، وكان للعرب فيهما اعتماداً سخيلاً كغيره من الاعتقادات الوثنية، وكانوا ينحرون عندهما هديتهم . فلما جاء الاسلام امتنع المسلمون عن السعي كيلاً ليكونوا مثل أهل الجاهلية في وثنيتهم ، فنزل قوله تعالى « ان الصفا والمروة من شعائر الله » : ومن هذا ترى ان الشكل في العبادات لا يعول عليه واما المنابر فيها على النية . وبالجملة فالشعائر التي كانت مستعملة في الحج من زمن ابراهيم واسماعيل، واتخذها الناس بمدحاً للمعبوداتهم على تمايزهم في العقائد، قد أقرها الاسلام وجعلها كلها لله تعالى وحده، ( واما الاعمال بالبيات ) ، وجعل الحج من فواعد الاسلام: قال عليه الصلاة والسلام « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً » . وقد وقف صلى الله عليه وسلم بالناس في عرفة وقال « الحج عرفة » وأفاض منها ، ونزل في ذلك قوله تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » (يعني قبل الحمس)، وطاف المحاح بالثياب التي معهم من الحل، وأكلوا من طعام الحل في الحرم، ولا يزال المسلمون يحجون على ما شرع لهم من هذه النسك الى اليوم . ولكن يظهر للمتأمل في طواف البدو الآن وعلى الخصوص أهل الشروق من عتبية ومطير، أن حجهم الصق بالبيت منه بعرفة : ذلك لان هؤلاء القوم يقدون على مكة في الخمس الاول من شهر ذي الحجة ، فيرتبون مساكنهم شرق المدينة من خارجها ، ثم يدخلون المسجد الحرام جماعات جماعات ، ويطوفون حول البيت طواف القدوم ماسكين بأيدي

بعضهم ، لا يوقفهم في طوافهم زحام المطاف بغيرهم ، بل يأخذون في طرقتهم كل من صادفهم فيه وهم يقولون « الله محمد ، لبيك لبيك ، حجيت ، تقبل أولاً تقبل حجيت ، الأ تقبل » . وإذا كان معهم نسوة (ولا يكن في الغالب الامن المتقدمات في السن) ، تراهن في مؤخرتهم ماسكات باكتافهم ، ولا يظهر منهن سوى أعينهن وفي أيديهن القفازات ، حتى اذا وصل الكل الى الحجر الاسود تعلق المتقدم منهم بكسوة الكعبة ، وأمسك بها بقوة بحيث لا يزحزحه عنها أحد ، وتبعه اخوانه وأزاحوا غيرهم من المستلمين بقوة وصبر لا يعتورهم امل ، محتلمين في ذلك ضرب الضارب وانتهار النهار ، حتى اذا كشفوا الناس عنه واستلموه جميعاً وقبلوه ، أتت نساؤهم لتقبيله ، فيضرب الزوج رأس امرأته لتصطدم جبهتها في الحجر ، ويحصل فيها أثر يكون عندهم علامة الحج ( كالوشم عند حجاج بعض النصارى الى بيت المقدس ) ، وعندها يصرخ الرجل قائلاً لزوجته « حجيت يا حاجة » ؟ فتصيح قائلة « حجيت حجيت » ثم تلتفت الى الحجر الاسود قائلة « حجيت ، خير ربك <sup>(١)</sup> انى حجيت » ثم ترفع رأسها الى السماء قائلة « تقبل أولاً تقبل حجيت الأ تقبل غصباً تقبل » . هذا كله قبل وقوفهم بعرفة ، ومنه ترى أن اعتبارهم أنفسهم أنهم حجوا بمجرد الطواف والاستلام قبل الوقوف انما هو بعض ما كانت سنته قر يش بعد واقعة الفيل ومحاة الاسلام .

وأخلاق هؤلاء الأعراب في الحرم الشريف بخلاف ما هو معروف عنهم من شدتها فانك تراهم فيه على غاية ما يكون من السكينة واللين والتسامح ، لا يقابلون الاهانة الشخصية الا بالسكوت المطلق عن الاجابة عليها ، وما ذلك الا لشدة احترامهم حرم الله واجلالهم لبيته المعظم .

ولاشك ان قصد الشارع من الوقوف بعرفة انما هو وحدة الوجود في مكان واحد ، تجمع اطرافه جميع أولئك الذين وفدوا من الاقطار المختلفة ، وهم وان اختلفت أجناسهم وتغايرت لغاتهم فقد توحدت ووجهتهم وتفردت غايتهم . نعم تجمعهم صحراء عرفة وتضمهم

(١) من تأمل في هذه العبارة ير ولا شك أنها من آثار الحامية . وبها يحكم قطعياً أن القوم قبل

الى فؤاد ذلك الحبل حتى اذا اجتمع الشخص بالآخر، عرف كل واحد ما بُهِم من أمر صاحبه، فمسيان وقد اهتم كلاهما بأمر أخيه مما تنصلح به أحوال الافراد وتستقيم به أمور الامم . وكيف لا وقد كان هذا الاجتماع بين يدي الله تعالى وفي حضرته، في يوم يكون الا لسان فيه ككايته عاطفة شريفة : هي الا خلاص بحيمته، لا يشوبه رياء ولا يتطرق اليه مرء .

وكان موسم الحج موعدا بين الناس يعضون به أشغالهم ويعضون فيه أمورهم وذلك لصعوبة المواصلات التي كانت بينهم قال بعضهم :

ما أحسن الموسم من موعد \* وأحسن الكعبة من مشهد

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتم بالحج من مبدأ الاسلام . وقد خرج من المدينة غير مرة حاجا أو معتمرا الى مكة ، وهي في أيدي أعدائه من المشركين ، غير حسب أي حساب للخطر الذي ربما كان يصيبه منهم . فمنعوه من دخول البلد الحرام . وفي عام الحديبية أناب عنه أبا بكر بان يحج بالمسلمين . وفي السنة العاشرة من الهجرة حج بهم صلى الله عليه وسلم حجة الوداع . وفي خلافة أبي بكر أناب عنه في الحج عمر لا شغاله بحروب الردة . وحج عمر بالمسلمين في خلافته سبع أو عشر مرات وهكذا كانت الخلفاء في الغالب يعمون بهر يضة الحج في صدر الاسلام حتى يقموا بأنفسهم على حال رعاياهم ، وقد أفادهم هذا الأمر في سياسة ملكهم داخله وخارجه سياسة عظيمة . ومن كانت مشاغل الملك تحول بينه وبين هذه الفريضة ، أناب عنه على أمانة الحج رجلا من فراته أو من عظماء أمته . وما زالوا ينزاحون في القيام بهذا الأمر ، حتى صار من المادرات سمع خليفة أو ملك أو أمراء و زير اسلامي يعم ناداء هذه الفريضة . ولعل أمراء المسلمين يعمدون الى ما كان عليه سلمهم الصالح من احياء هذه الفريضة ، لتحياتها ، وسهم وممالكهم . نعم تحياتها حياة طيبة : لا هم اذا تثاروا لحظة الى مرلة الناس في جميع طبقاتهم ، واختلطوا مع العامة منهم فر يعم ونعيدهم ، وسمعوا نداءهم و نكاء الضرب ، وشاهدوا حاجة البائس ومدار ما عمل العاقبة في احشاء هؤلاء المساكين الذين يحول سياج الملك بينهم وبين معرفتهم بحيمتهم ، هنالك يشعرون بما يحب عليهم لرعاياهم و يعملون على اعانه الضعيف واعانه اللهيء . و يندهم في ذلك الكراء والعظماء مسوفين بطبيعة تقليد الصغير للكبير

(والناس على دين ملوكهم) : فيصبحون وأممهم في أهنابال، وأحسن حال ، وهذه هي سعادة الراعي والرعية على السواء . نعم يجب على الامراء والعظماء والاغنياء أن يحجوا ، حتى اذا وقفوا لحظة في صف هؤلاء التعمساء والبؤساء، ترفقت فلو بهم وتحننت أفئدتهم وأصبحوا بعيدين عن عوامل الظلم والاستبداد، قريبين من مؤثرات الرأفة والرحمة . نعم نعم اذا وقف أولئك الملوك في سلك هؤلاء الناس والكل مفلوك بعرش إله واحد عادل، وهو القادر الفاهر ، مالوا الى الاشتراكية الحقة واهتموا بحال المفلوكين والمظلومين : فيردون عن هذا ظلامته، ومخففون عن ذلك محنته، ويحولون بين برائن القوى ومهجة الضعيف : وذلك تستقيم أمور الرعية، وتعود الى ما كانت عليه في خلافة الراشدين من الحياة الصحيحة .

ولقد شهدنا في ذلك برهاناً محسوساً : فان الحجاب العالى الخديوى عند ما وقف هذا الموقف أخذ يذكر حال البؤساء من حجاج بيت الله الحرام عموماً والمصريين منهم خصوصاً، مهتماً بأمرهم كل الاهتمام ، مفكراني الواسطة التي تخفف من مصائبهم وتسهل من مصاعبهم . فكنت تسمع منه على الدوام ، ووجهه حفظه الله محتقن بدماء الانفعال بعامل الرحمة والحنان، عبارات الاسف على ما يقاسيه البؤساء من حجاج بيت الله الحرام، وبيحث على الطريق التي يكون من ورائها راحتهم وطمأنينتهم . وهذه الفكرة لاتزال تشغل فكره الشريف الى الآن . كذلك كان الخلفاء والامراء في صدر الاسلام، وكثيراً ما كانوا يحجون . حتى ان الرشيد كان يغزو عاماً ويحج عاماً (وقيل انه حج ماشياً غير مرة)، ولذلك كانت حكومته من أحسن الحكومات نظاماً وأمتناً احكاماً . فلما تاعد الخلفاء عن تأدية هذا الواجب العمومي وأهملوا شؤون رعاياهم ، استهان الناس بهم، وما زالوا كذلك حتى غلبوا على أمرهم !! نسأل الله أن يعيد الى الاسلام عظمته ومجده .

على ان الحج له تأثير كبير في الاخلاق : فترى الحاج يتوب الى الله في حجه، ولا يتم مناسكه الا وهو على اعتقاد تام بعمرة الله له وتفضله بمحودنوبه من صحيفة أعماله . فاذا عاد الى بلاده سار في طريق الفضيلة ويصعب عليه أن يتركه الى غيره مهما كان شاباً : فان تمثل له شيطان غوايته، جرد له وازعاً من نفسه يحول فيما بينهما ، وفي الغالب يكون هذا الوازع أقوى

من خصمه الذي ينهزم أمامه . وإذا فليس من مذهب حقيقى للنفس أحسن من تربية الحج ، فهو مع المربى للنفوس الشريرة ومع المذهب لها . ولقد قرر علماء التربية أخيراً أن الانسان لا يبدله من شخص يسهل له طريق عمله ، حتى اذا انطلق فى سبيله فلاشى ويرده عنه : لذلك تراهم يستعملون كل الوسائل فى تحسينهم الى الصبي البليد أو الكسلان الاندفاع فى طريق العمل ولومرة واحدة ، فاذا ذاق حلاوة الاجتهاد صعب عليه رجوعه الى الكسل والبلادة . على أن الحاج ان لم تردعه نفسه عن اقرار الرديلة فانه لا يحرم من الناس مؤنبا عليها ، أو معيرا على اقرارها ، فيرجع اذ ذاك عن غيه طوعا أو كرها . وهذا أظنه حسبك فى فضيلة الحج التى لا تماثلها فضيلة ، والتى لو فطنت لها الحكومات الاسلامية لسهلت طريقه على رعاياهم ، حتى اذا كثرت سواد الحاجين منهم كثرت فيهم الفضيلة التى تؤدى الى الخير العام والسعادة الحقيقية . ولقد كانت الحكومة المصرية فى الزمن الغابر تخرج الى الشوارع والحارات فى أشهر الحج اناسا يتغنون بااشيد (يسمونها تخابين) تحرك عواطف الناس الى أداء هذه العريضة ، كما كانت خطباء المساجد تحث عليها وترغب الناس فيها (ولا يزالون كذلك الى الآن) .

## المسجد الأقصى

هو ثالث المساجد المقدسة عند المسلمين لقوله عليه الصلاة والسلام ( لا تُشَدُّ الرحال الا الى ثلاث : المسجد الحرام - ومسجدى هذا - والمسجد الأقصى ) . وهو مسجد الصخرة بببيت المقدس . وكثير من المسلمين يزورونه بعد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولون لمن زاره فلان قدس (بصيغة الماضى) . وليس لزيارتهم له وقت مخصوص ولا شروط مخصوصة مثل ما فى الحج . ولكنها زيارة بسيطة يؤدونها فى أى زمن شاءوا ، واختيارها فى موسم شم النسيم انما هو للحاق مولد سيدنا موسى عليه السلام . وأهل تلك الجهة يحتفلون بهذا المولدا احتفالا عظيما جدا : ذلك أنهم بعد صلاة الجمعة التى قبل سبت النور



يذهب المتصرف والقاضي والمفتي ومشايخ الحرم الشريف وأرباب الطرق وأرباب الدولة من ملكيين وعسكريين في آلاف من الناس من عرب وأهلين وحاجين ، ويجتمعون حول شجرة الزيتون التي في حوش الحرم بين مصطبة الصخرة والمسجد الاقصى . وهذه الشجرة (١) يسبونها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولون انه هو الذي غرسها بمكانها هذا؟ وهناك ينشرون جملة أعلام يسمون بعضها بعلم النبي ، وبعضها بعلم داود ، وبعضها بعلم موسى ، وبعضها باعلام الصخرة ، ويسير الموكب من الحرم الشريف الى مشهد موسى عليه السلام ، وهو على مسافة ست ساعات من بيت المقدس في الجهة الشرقية الجنوبية . وهناك ينتهي الاحتفال الذي يبدأ به المولد ويستمر خمسة عشر يوماً في الجبل وتقام فيه الاسواق لبيع ما يلزم للأعراب العاطنين بتلك الجهات .

أما الصخرة الشريفة فقد كانت قبلة للمسلمين بعدما فرضت الصلاة مدة ستة عشر شهراً حتى أمرهم الله تعالى بتوجيه وجوههم الى الكعبة المكرمة في السنة الثانية للهجرة . وهي صخرة كبيرة ضربت عليها قبة عظيمة جداً ، فيها من أعمال القيشاني والفسيفساء (الموزاييك) والنقوش الذهبية وغيرها ما يدهش الفكر ويحار له العقل . وهذه الاعمال من عهد عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد . وللمأمون فيها أثر عمارة تشكر . وقد أصلح الحاكم بأمر الله قبتها وضرب عليها قبة أخرى من الخشب لتحفظها من عبث الامطار وتأثير الاجواء . وارتفاع

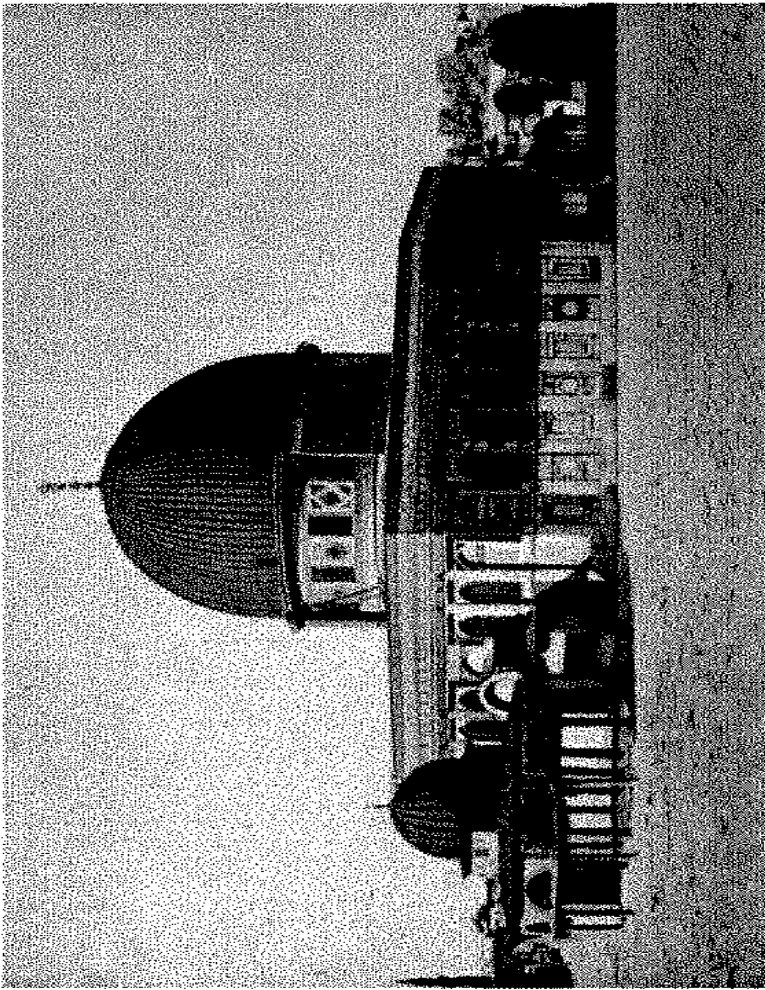
(١) ويوجد في الوادي الداخ من المزيريب الي حرش شجرة برعم أهالي تلك البلاد ان عليا ابن أبي طالب عرسها هناك؟ ولها عدهم مقام كبير ويأتون لزيارتها من جميع الجهات . وكذلك يوجد قرب العزيزية بولاية سيواس صخرة في رأس جبل يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ متر تقريباً يسمونها طاش ديل (تام الحجر) ويرعمون ان سيدنا عليا كان ماراً بهذا الوادي وكان راكماً قرناً متأخر فلوه البرعي ولما توارى في منطف الوادي بطرت اليرس فلم ترفلوا ففصلت فسمع فلوه صوتها فقفر من مكانه فوق الجبل فوق في الصخرة فجرتها ومات وهناك قبر معروف ، وفي طريق السالك في هذا الوادي الى قيصرية صخرة عظيمة يزعمون ان عليا ألقى بها علي حاكم قيصرية الذي كان يقصده أن يسد عليه الطريق ، وفي جوار قرية القنيطرة (من أعمال الشام) حوابعيل علي ويرعمون ان علياً لما توفي وصوه على جبل وأطلقوه فسار به الي هذا الجبل وله مسجد يقصده الناس لزيارته وخصوصاً الشيعة .

الاولى منهما وهي السفلى ١١,٥٠ مترا وقطرها عشرون مترا، أما الثانية ( العليا ) فارتفاعها ثلاثون مترا . ولقد عمرها صلاح الدين الايوبي بعد أن عبث الصليبيون بها وحولوها الى كنيسة وجعلوا هيكلها فوق الصخرة . ثم عمرها السلطان سليمان القانوني . وهذه القبة الآن آية من آيات الصناعة الرومية والعربية القديمة ، مما يستعصى على عمال زمننا الحاضر اصلاح ما اعتل منها . وهي قائمة على قاعدة مئمنة الشكل ، طول كل ضلع منها ٢٠,٤٠ مترا وحوائطها مكسوة بألواح كبيرة من المرمر فيها نقوش طبيعية جميلة جدا ومتناسبة مع بعضها تناسباً غريباً : حتى ليتخيل للسانها مرسومة بيد الرسامين الماهرين لا يبد هذه الطبيعة المتواضعة التي لا تريد أن تعلن عن نفسها باى حال من الاحوال !!! وأرضية القبة من الداخل مفروشة بالرخام المحزج ، وحواله أعمال الموزايك المرمرية من ألوان مختلفة . أما حوائطها من الخارج فكما بالفيشانى الغريب فى بابها ، والفديم منه ثمين جدا ، حتى أن القيشانى الذى رمت به مدة عمارة السلطان سليمان القانوني أقل منه فى قيمته . وعلى كل حال فهذا وذاك لا يمكننا أن نعوض ما تعبت به يد الضياع منهما . ولو فقه ذلك حماها وحادموها لما تجرعوا على اغتيالها وبيعها من العرجة السائحين ثم يحس لا يسمن ولا يغنى من جوع !! وفى وسط هذه القبة ترى الصخرة الشريفة : وهي من الجرايت الاسود ، وحوطها درزين من الحشب على شكل مربع طولها من الشرق الى الغرب ١٧,٧٠ مترا، وعرضه ١٣,٥٠ مترا و يبلغ ارتفاعه نحو مترين . وفى زواياها جملد محارب الى القبلة ، يسمون واحدا منها بمحراب ابراهيم ، وآخر بمحراب داود ، وآخر بمحراب على رضى الله عنه ، ولا أدرى معنى لهذه التسمية الاخير لانه لم يعرف عن على رضى الله عنه انه قدم بيت المقدس .

ويبرز من الصخرة لسان الى جهة القبلة يميل الى الشرق ، لهم فيه أقوال كثيرة : منها انه سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وسلم على عمر رضى الله عنه عند قدومه لفتح المقدس !!! وتحت هذا اللسان مغارة صغيرة ، يزل اليها بنحو ١٥ درجة ضيقة . وهي لا تزيد عن أربعة أمتار طولاً فى ثلاثه أمتار عرضاً ، والحوائط التي بنيت فى محيطها تجعل شكلها مربعاً تقريباً . وفى سقف هذه المغارة فوهة تنفذ الى ظهر الصخرة ، كانت مكان الفرايين التي كان

يقدمها اراهيم وخلفاؤه الى الله تعالى ، ومنها أنى تقديس هذه الصخرة . وفي قبالة هذه الفوهة بلاطة من أرضية المغارة تغطي ثرايسمونها جُجِب الا رواح ، وللقوم فيها حكايات كثيرة أشبه شئ بالخرافات ! ولعل لهذه التسمية أصلاً أخذوه من دمء القرايين التي كانت تنزل اليها ، وربما كان القوم يلقون فيها الهدايا النفيسة التي كانوا يقدمونها الى الصخرة ، كما كان الشأن في البئر التي كانت في جوف الكعبة . وعلى ظهر الصخرة من جهة الشرق آثار اثني عشر قدما : كان النصرارى في الفرون الوسطى ينسبوننها الى عيسى عليه السلام ، فلما تغلب المسلمون على بيت المقدس قالوا انها آثار قدسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار عليها ليلة الاسراء . ومع ما هي عليه من عدم النظام ، وانها على خط مستقيم فريبا ، وهو مالا يمكن السير عليه لفتحة ما بين الرجلين ، فانها تكاد يكون شككها واحدا ، وهو مالا ينطبق على شكل القدمين ، خصوصا وانها أصغر بكثير من الاقدام المنسوبة له صلى الله عليه وسلم مما ذكرناه في صفحة ١٢٥ من هذا الكتاب . ومن هذا وذاك ترى انها كلها موضوعة لا أثرها من الصحة : يؤيد ذلك أنه لم يرد في ديننا الحنيف ما يشير الى شئ من ذلك بالمره . وبجوار هذه الاقدام أتر قدم آخر ينسبونه الى ادريس عليه السلام . ويوجد بجانب الصخرة من الجهة الغربية بجوار الدرين خزانة من الفضة فيها قطعة من الحجر عليها أتر قدم ينسونه أيضا الى بيتنا صلوات الله عليه ، وفيها أيضا بعض شعرات من لحيته الشريفة .

ويزعمون أن هذه الصخرة معلقة في الهواء ، وانما بنيت تحتها هذه الحوائط حتى لا يفتتن الناس بها . واظن أن فكرة تعليق الصخرة مأخوذة عن اليهود ، وربما كان لهم شبه حق في ذلك لكثرة الفضاء الذي حولها ، كالصهاريج وغيرها من السرايب والمغائر . على أنه لا يبعد أن الصخرة الشريفة لا تتصل نقطتها المركزية بالجبل الا في النقطة الصخرية التي تشاهد في الجهة الغربية الشمالية من أرضية حوش الحرم . وعلى ذلك تكون كأنها امتدة في الفضاء على مسافة ستين أو سبعين مترا ما بين رأسها وقاعدتها . وكأن بناء هذه المصطبة حولها انما كان دعامة لها من جهة ويسهولة الوصول الى رأسها الذي كان مكان القرايين من جهة أخرى .

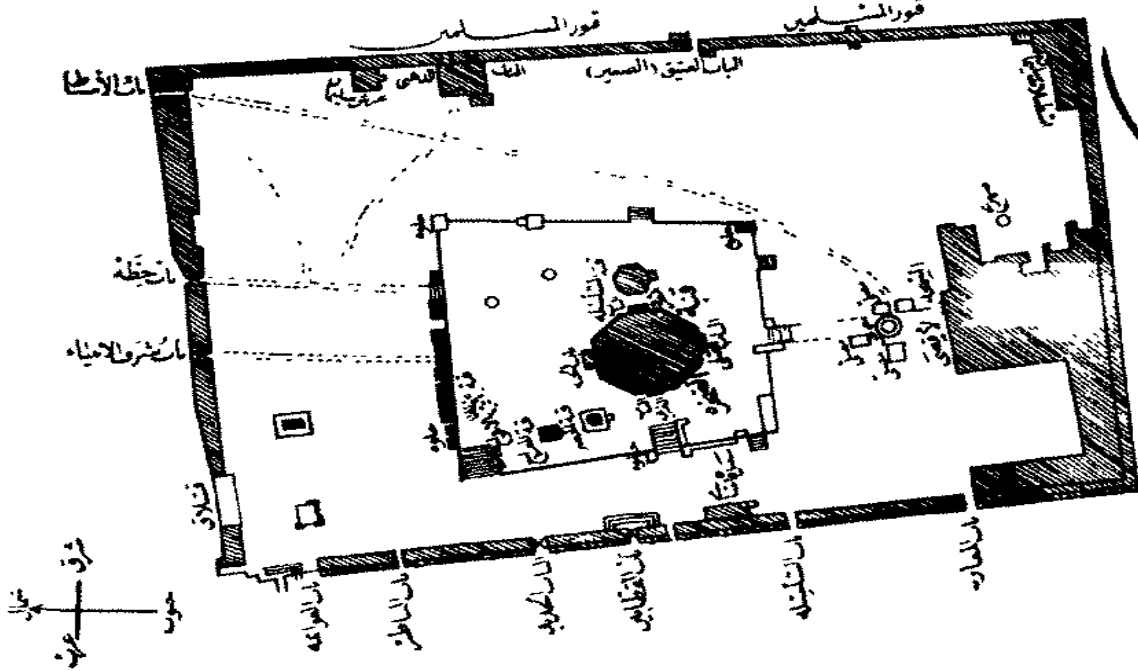


BOEHME & ANDERER, CAIRO

# قبة الضخمة وأبوابها قبلة المدينة

وادي مريم

سند زون



بوهمه و آندره

BOEHME & ANDERER, CAIRO

ولقبه الصخرة أربعة أبواب : واحد في شمالها ، والثاني في جنوبها ، والثالث في شرقها ، والرابع في غربها . والاول منها يسمى باب الجنة . وفي الاضلاع التي ليست بها أبواب توجد شبابيك كبيرة ، فيها أشكال كثيرة من الزجاج الملون ، غاية في حسن الصناعة ، وخصوصاً في تنسيق الالوان المختلفة التي بانعكاسها على جُدُر القبة تعطي أشكالاً بديعة جداً تزيد في رونقها ، لاسيما اذا كانت الابواب مقفلة !!

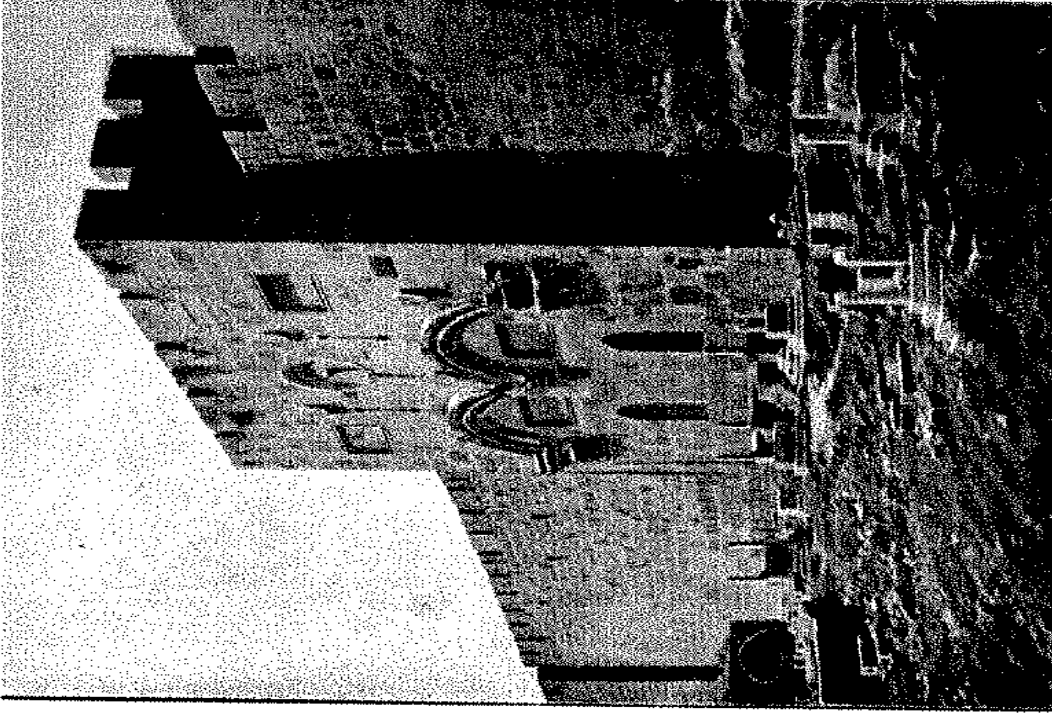
ويحيط بالقبة من الخارج فناء كبير أرضه مفروشة بالرخام يسمونه مصطبة الصخرة . وطول هذه المصطبة من الشرق الى الغرب لا يقل عن مائة وثمانين متراً ، وعرضها يزيد عن مائة متر . وترى بها هنا وهناك حول قبة الصخرة جملة قباب صغيرة ، يسمون واحدة منها بقبة المعراج ، يعني أنها ضربت على المكان الذي عرج منه النبي صلى الله عليه وسلم . والثانية يسمونها قبة الخضر . والثالثة قبة الارواح الخ . وعالها في الجهة الغربية من قبة الصخرة . أما الشرقية ففيها قبة السلسلة ، وهو شكل مصغر لقبة الصخرة الا أنها قامت على عمد من المرمر : ويزعمون أنها كانت محل حكومة داود عليه السلام ، ويقولون انه كان بجوارها سلسلة تنزل من السماء اذا أمسك الشخص بها وحالف عليها كذبا انفصلت عنها حلقة فتصعقه لوقته ؟ ؟ ؟

وهذه المصطبة ترتفع عن أرضية الحرم بنحو ثلاثة أمتار ونصف ، و يصعد اليها بثمانية سلالم في كل جهاتها : منها ثلاثة في الغرب ، وستمان في الشمال ، وستمان في الجنوب ، وسلم واحد في جهة الشرق . وسعة الدرجة الواحدة من هذه السلالم لاتقل عن عشرين متراً . ويقوم على طول الدرجة العليا من جميعها خمسة أعمدة قامت عليها أربعة أقواس لا يقل ارتفاعها عن عشرة أمتار ، وهي أشبه شئ بمدخل المعابد الرومانية . وربما كانت من أعمال هيرودوس ملك اليهود ، حين بنائه للهيكل سنة ١٩ قبل المسيح . و يسمون هذه الاقواس بالموازين : يعني التي تزن أعمال الخلق يوم القيامة ؟؟ كما يزعمون أن الصخرة تكون عرش الله في ذلك اليوم ؟؟؟ ومسلمو القدس يشتركون في هذه الافكار مع اليهود واذا فأصلها يهودي صرف .



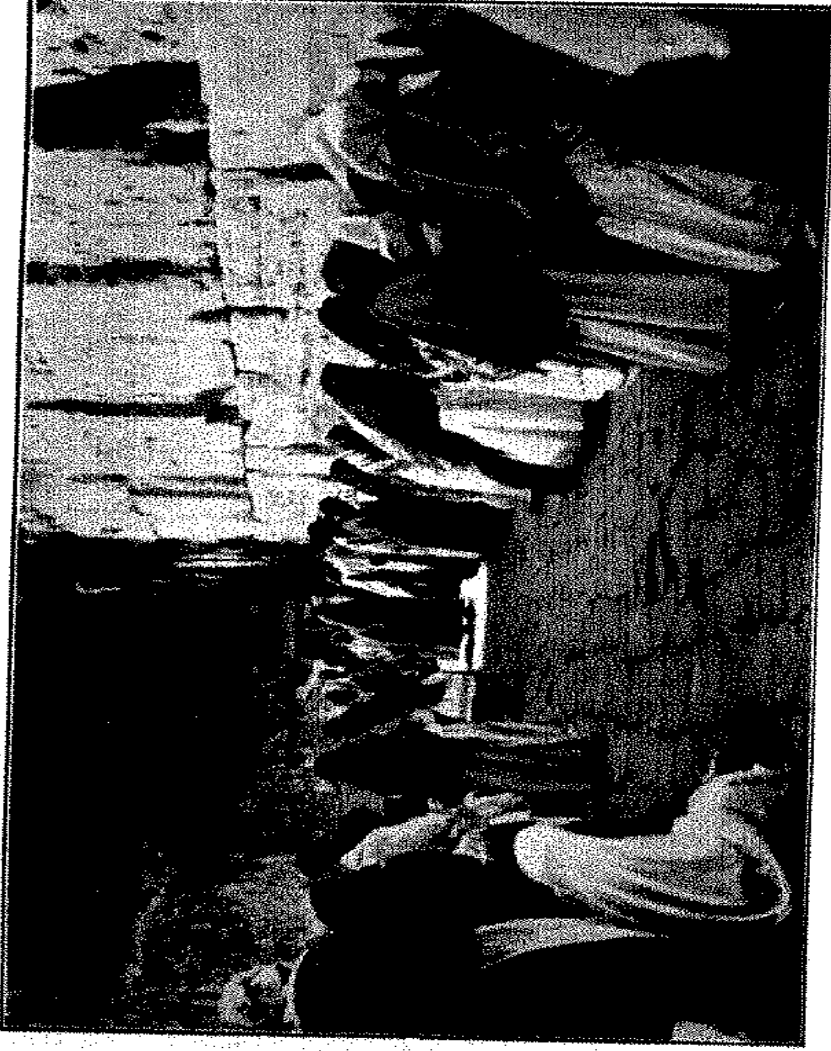
وحول مصطبة الصخرة يوجد حوش الحرم القدسي ، وهو على هيئة مستطيل غير منتظم من الشمال الى الجنوب : وطول ضلعه الغربي ٤٩٠ متر ، والشرقي ٤٧٤ متر ، والشمالى ٣٢١ متر ، والجنوبى ٢٨٣ متر . وفي الجهة الشرقية وبعض القبليّة سور به من اغل ارتفاعه ٨ أمتار تقريباً ، وهو قديم جداً رُممه السلطان صلاح الدين الايوبى ، والسلطان سليمان القانونى . وهاتان الجهتان تشرقان على وادى سدرون ( وادى مريم ) ، و بعضهم يسميه وادى جهنم ، واليهود يسمونه وادى يوسفات ، وقد ورد ذكره فى التوراة بلفظ يوشافاط ، و يزعمون أن به يحشر الناس يوم القيامة ، وهناك يتسع فناؤه وتنفسح أرجاؤه ؟ ؟ وهذا الوادى يفصل بين جبل الزيتون وجبل صهيون الذى بنيت عليه مدينة بيت المقدس . أما الجهتان الاخريان ( الغربية والشمالية ) ففيهما جملة مدارس على محيط الحرم ، أشهرها مدرسة قايتباى فى الجهة الغربية ويسكنها الناس الان ، وأما التى فى الجهة الشمالية ففيها قشلاق للعسكر .

وفى حوش الحرم جملة مصاطب صغيرة يصلون فيها ، وفى كل واحدة محراب الى القبلة . وفى الجهة الغربية قبة جميلة جداً أقيمت على سبيل للاشرف قايتباى . أما الجهة القبليّة ففيها مسجد كبير نعيم يسمونه بالمسجد الاقصى : وليس هو المراد بما ذكر فى القرآن الكريم : لانه كان كنيسة بناها الامراطور جوستينيان فى منتصف القرن السادس للمسيح ، وحوّلت الى مسجد اسلامى بعد الفتح . وانما كان المراد به المسجد الذى حول الصخرة نفسها كما تقدم . ولما حضر سيدنا عمر رضى الله عنه الى بيت المقدس ، صلى فى الجانب الشرقى الجنوبى للمسجد الاقصى ، وترى مصلاه الى الآن على بساطة تامة فى بنائه بجوار الفخامة التى عليها باقى المسجد . وباب هذا المسجد الى الشمال فيما يقابل مسجد الصخرة ، وطوله من الشمال الى الجنوب ٨٠ متراً ، ومن الشرق الى الغرب ٥٥ متراً ، من غير الزيادات التى أضيفت عليه شرقاً وغرباً . وجميعه مستوف ، ويحمل سقفه أعمدة عظيمة من الرخام المرمر الجليل : ومن ضمنها عمودان بجوار بعضهما الى جهة القبلة من الشرق ، عليهما دريزين من الحديد لمنع الناس من الولوج بينهما ، بدعوى أن من يمر من بينهما يكون سعيداً والا كان شقيماً



BOEYNE & ANDERER, CAIRO

الباب الذهبى للمبى جى الاقصى



BOEYNE & ANDERER, CAIRO

الباب الذهبى للمبى جى الاقصى



(كما يقال عن العمودين اللذين بمسجد عمرو بن العاص نسطاط مصر) !!  
 وفي هذا المسجد من رجميل جداً من خشب الأبنوس المطعم بالسن والصدف أهداه اليه  
 نور الدين الشهيد محمود بن زكي . والى جواره من الغرب محراب صغير في أرضيته حجر به أثر  
 قدم ينسبونه الى عيسى عليه السلام .

ويوجد في حوش الحرم وخصوصاً في الجهة الغربية والقبليّة صهاريج كثيرة ، وأبواب  
 توصل الى كهوف تحت الارض : واحد منها بجوار المسجد الاقصى من جهة الشرق :  
 وينزل اليه بجمله درجات من الحجر ، توصل الى مكان واسع مربع الشكل ، في وسطه  
 عمودان كبيران من الحجر الصلد ، يميلان قبايا يستند عليهما سقف المكان ، وفي جوانبه  
 حوائط بها فتحات مسدودة .

وأهم هذه الكهوف ما يسمونه باصطبلات سليمان : وتوجد في الزاوية القبليّة الشرقية  
 للحرم . وينزل اليها بواسطة سلم صغيرة بجوار السور الشرقي ، وترى في وسطها صدفة كبيرة  
 بجانبها دخلة فيها اناء كبير من الرخام ، ويزعمون انه مهدمريم أو محراب مريم و يقولون ان  
 زكرياء كان يأبىها بالطعام هناك ، وهذه السلم توصل الى فناء رحيب ، يحمل عرشه  
 اثنا عشر صفا من العمدة الكبيرة ، يكون مجموعها ٨٨ عموداً ، ارتفاع متوسطها ثمانية أمتار  
 أو أكثر . وكل هذه العمدة تحمل أقواساً عليها قباب تدعم أرضية الحرم . وحول هذا الفناء  
 حوائط من البناء العتيق ، وفي الجهة القبليّة منه باب مسدود ينفذ على وادي سدرون .  
 وفي الجهة الشماليّة والغربية فتحات مسدودة بعضها صغير وبعضها كبير ، ربما كانت توصل  
 الى مثل هذا المكان : مما جعل بعضه فيما بعد صهاريج لخزن مياه الامطار معروفة بأسماء  
 من اتخذها لهذا الغرض ، وقد رأيت في زيارتي للقدس سنة ١٩١٠م أمام بعض هذه  
 الفتحات آثار حفر قديم .

ومن هذا يتضح لك ان أرضية الحرم كلها معلقة على مثل هذه العمدة : مما يدل على أن هذا  
 كله إمامه والهيكل الذي بناه سليمان أو خلفاؤه وسماه الصليبيون باصطبلات سليمان .  
 ولا يبعد أن اليهود استعملت جانباً من هذا المكان وقت الكوارث التي حلت بهم زمن



سنحار يب و بختنصر و طيطوس ، و دفنوا فيه دفائنهم الثمينة ، التي أ كثر الجرائد أخيرا من ذكر العثور عليها أو على بعضها ، و خببت في شأنها و وصفها كثيرا سواء بحق أو بغير حق ، و اهتمت الدولة بها اهتماما عظيما .

و للحرم الشريف عشرة أبواب : سبعة منها في الجهة الغربية ، أهمها باب السلسلة في الوسط ، ثم باب المغاربة إلى جنوبيه ، و باب القطنين إلى شماله . و في الجهة الشمالية باب شرف الانبياء وهو الذي دخل منه عمر إلى المسجد ، ثم باب الاسباط و يسمونه باب حطة ، و يزعمون أنه هو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة البقرة « و ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة » . و يوجد في جهة الشرق باب الظاهرية و ينزل إليه بسلام توصل إلى دهليز يحيط ببناء مربع ، فيه أعمدة من الرخام من جواربسه الغربي و الشمالي و الجنوبي يقوم عليها سقف المكان . و قد أحيطت هذه الأعمدة بدرز من الحديد عليه قطع كثيرة من الخرق البالية ، يضعها العامة تذكارا لريارتهم له . و يقولون ان هذا المكان كان محل حكومة سليمان عليه السلام ؛ و به إلى الان عمودان من السماق ( نوع جميل جدا من المرمر يندر وجوده الآن ) ، يمولون انهما أرسلتا إلى سليمان هدية من بلقيس ملكة سبأ . و بجوار هذا المكان باب له منفذان مغلقان على وادي سدرون : القبلي منهما يسمى باب التوبة ، و الشمالي باب الرحمة ، و هذا الباب كان يسمى مدة العمارة التي قام بها هيرودوس في الهيكل باب سوزان ، وهو الذي دخل منه هرقل إلى بيت المقدس سنة ٦٣٩ ميلادية ، و من ثم سمي بالباب الذهبي . و مفاتيح المسجد الاقصى و الصخرة من مدة مديدة في يد عائلة الخالدي الشهيرة ، و كذلك في يدهم مفاتيح كنيسة القيامة لعدم اتفاق طوائف النصارى عليها .

أما المدينة فهي واقعة في درجة ٣١ و ٢٧ دقيقة من خطوط العرض الشمالي ، و درجة ٣٢ و ٥٤ دقيقة و ٤ ثانية من خطوط الطول الشرقي ، و متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٧٧٠ متر . و هي مبنية على هضبتين عاليتين احدهما على جبل صهيون و الثانية على جبل عكره ، و تنحدر مابينها نحو الشرق إلى وادي سدرون ، و نحو الجنوب الغربي إلى وادي هنوم . و عدد سكانها الآن ٧٠ ألفا : منهم عشرة من المسلمين ، و خمسة و أربعون من اليهود ،

وخمسة عشر من النصارى من أجناس مختلفة وأغلبهم من الاروام .  
 ولمدينة القدس طريق حديدى ضيق من يافاطوله نحو ٨٠ كيلومترا ، وهو شركة  
 فرنساوية قامت بعمله في منتصف القرن الماضى .  
 ولقد كانت هذه المدينة في منتصف القرن الخامس عشر قبل المسيح عامرة ، وكانت  
 تسمى يَبُوس وكان سكانها يُسَمَّون اليبوسيين .  
 وفي مبدأ القرن العاشر قبل الميلاد استولى عليها داود ملك نبي اسرائيل ، وكان ملكه في  
 حبرون ، وأتى إليها بتابوت العهد وعمر فيها كثيرا وسماها أو رشليم ، وبنى في غربها الجنوبي  
 مدينته التي سماها باسمه ، وقبره موجود فيها على جبل موريا ، وخلق ابنه سليمان فزاد في عمارتها  
 وبنى على الصخرة الهيكل المقدس . ولما تقسمت مملكة فلسطين بين أسباط نبي اسرائيل ،  
 وقعت مدينة أو رشليم في نصيب يهودا . وفي مدة بنيه حاصرها سنحاريب ملك بابل سنة  
 ٧١٢ ق م ورجع عنها بعد أن هدم جانباً منها ونهب شيئاً من أمتعة هيكلها . ثم استولى عليها  
 بختنصر ثلاث دفعات : سنة ٦٠٦ و ٥٩٦ و ٥٨٨ قبل الميلاد . وبعد أن نهبها واستولى  
 على كل ما عثر عليه من ذخائرها ، أمر بها فهدمت ولم يتركها إلا بعد أن جعل عاليها سافلها .  
 وفي سنة ٥٣٦ ق م استولى عليها قير وش ملك العجم ، وأمر بها فبنيت وجدد بناء هيكلها  
 سنة ٥١٦ ق م ، وأعاد إليه جميع ذخائره التي نهبها الاشوريون . وما زالت أو رشليم عامرة حتى  
 استولى عليها الرومانيون مدة الملك بومبيوس سنة ٦٤ ق م . وفي مدة حكم الرومان ظهر  
 فيها المسيح عليه السلام . ولما استولى عليها الملك طيطوس سنة ٧٠ م ، أحرق هيكلها  
 وهدم المدينة بعد أن طرد اليهود منها . وما زالت حتى عمرها الملك ادریان وسماها ايليا . ومنع  
 اليهود من أن يطئوا أرضها ، وجعل الديانة الرسمية فيها المسيحية ، وبنى فيها كنيسة القيامة  
 سنة ١٣٨ م . وما زالت مدينة القدس في يد الرومانيين حتى استولى عليها العرب في سنة  
 ٦٣٦ م ، وكانوا يسمونها بيت القدس ، وأتى إليها سيدنا عمر بن الخطاب بنفسه لفتحها  
 وأطلق الحرية المطلقة للنصارى واليهود في مزاوله دياناتهم والتصرف في أموالهم ، ومنحهم  
 كثيراً من فضله في عهده الذي كتبه لهم !!! مما يدل على منتهى التسامح الاسلامى الذى

كثيرا ما ينسأه أو يتناسأه أعداؤه خصوصا في هذه الايام . وفي سنة ٩٦٩ م تغلب العاطميون على هذه المدينة ، ثم استولى عليها السلجوقيون في سنة ١٠٨٦ م ، ثم أخذها الصليبيون في سنة ١٠٩٩ م ، وأقاموا فيها مملكة سموها مملكة القدس ، مكثت في أيديهم - م كل مدة الحروب الصليبية الاولى ، وأحسن ملوكها هو الذي كانت تسميه العرب الردوبيل (Bauduin) ، وما زالت هذه المملكة في يد الصليبيين حتى غلبهم عليها صلاح الدين الايوبي في سنة ١١٨٦ م ، و بقيت في حكم ملوك مصر حتى استولى عليها الأتراك سنة ١٥١٧ م ، وهي باقية بأيديهم الى الآن . وللسلطان سليمان القانوني في هذه البلاد آثار كثيرة تذكره بالشكر ، ولكن أهلها اختلط عليهم الامر فينسبون كل اصلاح له الى سليمان بن داود عليه السلام . ولتمة الكلام على بيت المقدس نقول لك : انه يوجد فيه مزارات كثيرة : منها و راء سور المدينة في الجهة الغربية القبليية في قمة جبل صهيون ، مسجد فيه قبر سيدنا داود عليه السلام ، و يقول بعضهم ان سليمان ولده مدفون معه ، و يقول آخرون بل هو مدفون في مصطبة الصخرة . و بعضهم يقول انه داخلها تحت البلاطة السوداء . و يوجد تحت سور المدينة من جهة الشرق قبر سيدنا عباد بن الصامت وسيدنا شداد بن اويس الانصاري . و الى ناحية من هنالك المغارة التي فيها قبر السيدة مريم . و في جبل طورزيتا قبر سيدنا سلمان الفارسي الصحابي ، والسيدة رابعة العدوية ، و قبة صعود سيدنا عيسى عليه السلام ، و قبر الشيخ حسن الراعي و قبر العزيز عليه السلام . و على بعد ست ساعات بالعربة من جنوب بيت المقدس مدينة الخليل ، و يسميها اليهود حبرون - و فيها مسجد مرتفع عن الارض بنحو عشرة أمتار ، و به قبر ابراهيم و سارة و اسحق و يعقوب و يوسف عليهم السلام ، و هذه القبور كلها في مغارة تحت أرضية المسجد ، و هي مغارة المَكْفِيلَة التي اشتراها ابراهيم ليدفن بها ، و لها مزارات على سطحها في أرض المسجد . و عدد سكان هذه المدينة عشرون ألفا منهم ١٥ من اليهود و الباقي من المسلمين . و في الطريق بين الخليل و بيت المقدس مدينة بيت لحم ، و فيها كنيسة نفيسة أقيمت على المكان الذي ولد فيه المسيح . ترى في داخلها على الدوام عسكرا من الجند العثماني لحفظ النظام الذي كثيرا ما يعيث به تشاحن بعض الطوائف المسيحية مع بعضهم .

## كيف تحج أيها المسلم

اعلم وفقك الله لطاعته، أن الحج فَرِيضَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، مرة واحدة في العمر على كل مسلم، حر، مكلف، صحيح البدن، ميسور الزاد والراحلة، قادر على نفقة عياله مدة سفره في حجه، مع أمن الطريق إليه. ويحرم الحج عمال حرام، ويكره بدون إذن من له الولاية على من يريده. وتجاوز الانابة فيه عند العجز عن أدائه بحبس أو مرض، فإن زال وأوجب أداءه بالذات.

فإذا تيسر لك ذلك كله فسافر على بركة الله لاداء هذه القرية. فإدا وصلت الى ميقات الاحرام فأحرم بنية الحج (أو العمرة<sup>(١)</sup> ان شئت أوهما معا) قائلا: اللهم انى بويت الاحرام لحج بيتك المعظم يسره لى وتقبله منى (وكيفية الاحرام ان يتجرد الرجل من مخيط الثياب، ويلبس ازارا معه رداء وعلان ان تيسر له ذلك. أما المرأة فتلبس ملابسها وتكشف كفيها ووجهها ان لم تخش الفتنة. ويسن تقليم الاظافر وحلق ما شعث تحت البطن «العانة» وتسريح الشعر والغسل قبل الاحرام وصلاد ركعتين بيدؤه بهما). ثم تلبى قائلا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. ولا تزال تكرر التلبية من وقت الى آخر، حتى ادا دخلت مكة قلت: اللهم ان هذا الحرم حرمك والامن أمنك والعبد عبدك، اللهم انى جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة راجياً أن تستقبلنى بحض عفوك وكرمك وأن تحرم جسدى على النار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

(١) العمرة فى اصطلاح الحجيج ريادة البيت الحرام. وهى سنة عند المسلمين وأركانها احرام، وطواف، وسعى. وحلق أو تقصير، واس هار من مخصوص، وكثير من الحجاج ادا وصلوا الى مكة يدهون الى التعميم، وهو أقرب مكان في الحل على طريق المدينة قبل وادي فاطمة، ويوصثون من ماء هناك ثم يحرمون بنية الاعتمار ويصلون ركعتين سنة احرام العمرة، ثم يمودون الى مكة فيطوفون ويسعون ثم يحلقون أو يقصرون ثم يتحللون.

وصحبه وسلم . فاذا جئت الى الحرم فادخل من باب السلام قائلا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام بفضلك يا ذا الجلال والاكرام . ثم سر نحو البيت من جهة الشرق قائلا : اللهم ان هذا الحرم حرمك وهذا الامن أمنك ، اللهم حرّم جسمي على النار . فاذا وقع بصرك على الكعبة فقل : بسم الله والله أكبر ( ثلاثا ) لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . وادخل من باب شيبية قائلا : رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا . فاذا أتيت الحجر الاسود فاستقبله وقل : بسم الله الله أكبر والله الحمد ، اللهم اغفر لي ذنبي وطهر لي قلبي واشرح لي صدري وعافني برحمتك فيمن تعافى . ثم استلمه بيمينك وقبله ( ان أمكنك ) وانوالطواف قائلا : اللهم اني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط لوجهك الكريم ، اللهم يسر هالي وتقبلها مني ، ثم اطلق في طوافك قائلا : اللهم ايماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، اللهم ان هذا البيت بيتك والحرم حرمك والامن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار فاعذني منها يا عزيز يا غفار ، اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والممات ، اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والديار والآخرة ، اللهم أظنني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك واسقني بكأس نبيك محمد صلى الله عليه وسلم شراباً هنيئاً مريئاً لا أظمأ بعدها أبداً ، اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنوباً مغفوراً وتجارة لن تبور ، اللهم اني أعوذ بك من الشك والشرك والنفاق وسوء الاخلاق وسوء المنقلب وسوء المنظر في المال والاهل والولد ، اللهم اني عبدك وابن عبدك قد أتيتك بذنوب كثيرة ، اللهم ما كان لك منها فاغفره لي وما كان منها لعبادك فاحمله عني . وكلما قرئت من الحجر الاسود قل : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، فاذا حاذيته فقل مستلماً ان أمكنك أو مسلماً عليه بيمينك

من بُعد : بسم الله الأ كبر ، ثم ادع الله تعالى بما تشاء من الادعية السابقة أو بما يحضرك من غيرها ، والاحسبك الذكر والتوحيد والاستغفار وجمعها قولك : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ويسن الاضطباع في طواف القدوم : وهو اخراج الذراع الايمن فوق الرداء الذي تشتمل به ، وكذلك يسن فيه الرمل (أى الجرى بخطى ضيقة اشارة الى أن الجسم ممتلى قوة وشهامة ، ولم تؤثر فيه عوامل مشقة السفر في سبيل الله ) .

و بعد طوافك سبعة أشواط على هذا النظام توجه خلف منام ابراهيم وصل ركعتين سنة الطواف ، ثم قل : اللهم انك دعوت عبادك الى يتسك الحرام وقد جئت طائما لا مرك فاغفرلى وارحمى ، اللهم اغفرلى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا ، اللهم اغفرلى وجميع المؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات . ثم اقصد الملتزم وقل اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آباءنا وأمهاتنا واخواننا وأولادنا من النار ، اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم انى عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزم لا عتاك متذل بين يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واغفر لى دنبى . ثم اذهب الى بئر زمزم فاشرب منها هنيئا مريئا . ثم توجه الى المسعى فاذا خرجت من باب الصفا فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ثم اصعد على درجات الصفا وتوجه الى الكعبة فاذا شاهدتها قل : بسم الله الأ كبر والله الحمد ، ثم اسع الى المروة قائلا : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله ولا نعبد الاياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم انى أعودك من عضال الداء وخيبة الرجاء وشماتة الاعداء وزوال النعمة ونزول النقمة ، وتهرول بين الميلين الاخضرين (وهما عمودان مبنيان فى جدار الحرم : واحد بجوار باب البغلة ، والآخر بجوار باب على ، ومسافة ما بينهما سبعون مترا) قائلا : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الاعز الاكرم ، ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار



يأرحم الراحمين ثم ادع الله بما شئت، حتى إذا أتيت المروة فاصعد على سلمها وتوجه إلى المسمى<sup>(١)</sup> وادع بما شئت . وبعدهذا شوطاً من السعي . وهكذا تسمى في الأشواط السبعة . وتستحضر أثناء سعيك ذلك الجهد الذي أصابها جر في هرولتها طلباً للماء عند قدومها بولدها إلى هذه القفلة ورحمة الله بها بعثورها على عين زمزم، فكان عليها استعمار مكة التي أصبحت قبلة للمسلمين في جميع أطراف الأرض . وإذا كنت متمتعاً (محرم بالعمرة) حلقت أو قصرت وتحللت (فككت احرامك) ، حتى إذا كان يوم التروية (اليوم الذي قبل يوم عرفة) ، أحرمت للحج . أما إن كنت قارناً (أعني محرم بالحج والعمرة معاً) أو مفرداً (محرم بالحج فقط) ، بقيت باحرامك في مكة إلى يوم التروية ، ثم توجه إلى عرفة فتبيت فيها إن لم تكن أردت المبيت بمنى . وتقضى عرفة<sup>(٢)</sup> يوم التاسع من ذي الحجة وجزاً من ليلة العاشر في الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل والتلبية والصلاة على النبي والاكثار من تلاوة سورة الاخلاص ومن قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وتكثر من الدعاء والتضرع إلى الله بقبول حجك وغفران ذنبك خصوصاً بعد العصر . ويسن الجمع (تقديم العصر مع الظهر) مع الامام عرفة . فاذا أفاض الامام أو نائبه

(١) المسمى هو ما بين الصفا والمروة وطوله نحو أربعمائة وعشرين متراً، وهو شارع عمومي محاط بالبيوت والمحارن والدكاكين، مما يجعله مزدحماً بالناس زمن الموسم لاسيما عند دخول القوافل بالحجيج إلى مكة، وهناك يكثُر الساعون وبصافون في سعيهم مشقات كثيرة . وعلى طري المسمى وخصوصاً من حمة المروة دكاكين للحلاقين يخلق أو يقصر فيها من أراد أن يتحلل من احرامه .

(٢) يكفي في الوقوف بعرفة لحظة من يوم التاسع وليلة العاشر . ولو فاتك الوقوف فقد فاتك الحج من عامك ، فتحلل بعمرة ، وعليك قضاؤه في العام القابل ولو كان حجك نقلاً . هذا عند أهل السنة ، أما عند الشيعة من الاعجام فحاجهم لو فاته الوقوف فانه لا يتحلل حتى يقضى حجه في عام قابل : لذلك تراهم يبالغون في الاحتياط لوقوفهم فيقفون في اليوم التاسع والعاشر، ولا يبدلون من عرفة الا بعد قليل من ليل العاشر عشر .

ولقد فاتهم الوقوف سنة ١١٤٣م فقاموا بمكة محرمين حتى أدوا الفريضة سنة ١١٤٤م، ولكن أهل مكة قاموا عليهم بدعوى أنهم وضعوا نجاسة في البيت وأرغموا الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد على اصدار أمره باخراجهم من البلد الحرام فساروا إلى الطائف وجدة وأقاموا بها إلى الموسم التالي .

من عرفة فانفر معه الى المزدلفة، وان كنت مالكياً فحسبك من اقامتك بهامقدار ما تجمع فيه جمارك وهي تسع وأربعون حصاة في حجم العولة تقريباً، وان كنت شافعياً فحسبك الاقامة فيها جزأ من نصف الليل الثاني، وان كنت حنفياً فبت بها وانزل بعد صلاة الصبح الى منى، وارم جمرة العقبة بسبع حصيات تقول في اثناؤها: بسم الله الله أكبر رجماً للشيطان وحزبه، اللهم تصديقاً بكتابتك واتباع السنة نبيك وخليتك عليهما الصلاة والسلام. ثم اذبح ان كان عليك هدي، ثم اخلق أو قصر وقل: الحمد لله الذي قضى عني سكي، اللهم زدني ايماناً و يقيناً، وهناك يحل لك كل ما حرّم عليك في الاحرام الا النساء والطيب. وفي اليوم الثاني ارم جمرة العقبة بعد الزوال، ثم ارم الجمرة الثانية ثم الثالثة بسبع حصيات في كل جمرة، وكذلك فعل في اليوم الثالث. ثم انزل الى مكة وطف طواف الافاضة، واسع ان لم تكن سمعت بعد طواف القدوم. ومن الناس من ينزل في عاشر ذي الحجة الى مكة، حتى اذا طاف طواف الافاضة وسعى (ان كان عليه سعى) عاد من يومه الى منى، ونزل منها الى مكة بعد زوال اليوم الثالث عشر وهذا ينتهي الحج. و يقيم الحجاج في مكة أياماً يصلحون فيها من شؤونهم، ثم يمصدون السفر الى الزيارة أو العودة الى بلادهم.



## محرمات الاحرام

يحرم على المحرم لبس المحيط وتغطية الرأس وازالة شعره بنتف أو حلق، فان فعل شيئاً من ذلك متعمداً أو ناسياً فعليه الفدية (نذبح شاة): الا اذا كان الشعر الذي أزيل منه يسيراً لا يتجاوز اثنى عشرة شعرة فعليه حينئذ أن يتصدق بحفنة من بر. ويحرم عليه أيضاً تقليم أظفاره، وعليه الفدية ان فعل: الا اذا كان ظفراً أو ظفرين فعليه أن يتصدق بمد أو مدين. ويحرم عليه الطيب في بدنه أو ثوبه أو فراشه أو أكله أو شربه أو في عطوس أو دهان، ويجب عليه به الفدية. ويحرم عليه صيد الحيوان أو قتله أو تنفيره أو اذاعه كما يحرم عليه قطع حشيش

الحرم وشجره وعليه به دم . ويحرم عليه الجماع وبه يفسد الحج .  
 واذافات الحاج شئ من أركان الحج أو العمرة أو شروطهما سهوا أو عمدا بطل حججه  
 وعمرته، وان فاته شئ من الواجبات وجب عليه دم لكل واجب تركه : وذلك بان يذبح شاة  
 في الحرم ، فان عجز عن الذبح صام ثلاثة أيام في الحج من وقت احرامه الى يوم النحر ، وسبمة  
 اذا رجع الى بلده . هذا اذا كان ترك شيئا منها قبل الوقوف ، أما ان تركه بعده فله صوم العشرة  
 الايام بعد عودته الى وطنه . وان فاته شئ من السنن أو المندوبات فعليه أن يتصدق .



المسئل	الشافعي	المالكي	الحنفي	
الاحرام للعمرة	ركن	ركن	ركن	
طواف العمرة	«	«	«	
السمي في العمرة	«	«	«	
الاحرام للحج وهو يبه الدخول فيه	«	«	«	
التلبية مع الاحرام وان ادبرها بعد السمي	سنة	سنة	سنة	
الاحرام من المقاب	واحد	واحد	واحد	
طواف القدوم	سنة	سنة	سنة	
البدء بالحجر في الطواف	شرط	شرط	شرط	
ستر المودة في الطواف	«	«	«	
الطهارة في الطواف من الخدين	«	«	«	
ركعتا الطواف	سنة	سنة	سنة	
وقوع السمي بعد الطواف	شرط	شرط	شرط	
عدم الاعتناء من السمي والطواف	سنة	سنة	سنة	
البدء في السمي من الصفا	شرط	شرط	شرط	
المتى في الطواف والسمي مع القدرة	سنة	سنة	سنة	
موالات الانواع في الطواف والسمي	شرط	«	«	
اليوم عرفه بهاراً	ركن	ركن	ركن	
اليوم عرفه ليلاً	واحد	واحد	واحد	
الدفع من عرفه مع الامام (العمرة)	سنة	سنة	سنة	
اليوم عرفه	واحد	واحد	واحد	
تأخير جمع المغرب والعشاء عند البدء	سنة	سنة	سنة	
المدة بمسئ اليومي أيام التشريق	واحد	واحد	واحد	
رمي الجمار	«	«	«	
عدم تأخير الرمي الى الليل	سنة	سنة	سنة	
الحلق أو التقصير	واحد	ركن	واحد	
التربيت من الرمي والذبح والحلق	سنة	سنة	سنة	
الحلق بالحرم وتوقيفه بأيام الحج	«	«	«	
طواف الافصة	ركن	ركن	ركن	
طواف السعة الاشواط	شرط	شرط	شرط	
الطواف من وراء الحجر والتادروان	«	«	«	
تأخير طواف الافصة عن الرمي	سنة	سنة	سنة	
قول طواف الافصة في أيام الحج	«	«	«	
السمي في الحج	ركن	ركن	ركن	
طواف الوداع	واحد	واحد	واحد	

\* وقيل انه ركن

\* الركن عندما ربة اشواط فقط

\* الى آخر شهر ذي الحجة

## الاحرام

يجب أن يكون الاحرام من الميقات . ولكل جهة ميقات معين : فقدر روى عن عمر  
وان عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مهل أهل الشام الجحفة ، ومهل أهل المدينة من  
ذى الحاسية ، ومهل أهل نجد من قرآن ، ومهل أهل اليمن من تلمام » والحجفة وتسمى مهية  
قربها صغيرة على طريق المدينة إلى مكة ، وهي شرقي رابغ وعلى نحو ستة أميال منها ( ويراد  
بأهل الشام هنا ما كان شمالي مكة ) . ودوالحيفة ( آثار على ) منزل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذا خرج من المدينة المنورة لحج أو عمرة ، وكان عليه الصلاة والسلام يحج من هذا  
الطريق ويهل من هذا المكان ، وإذا عاد إلى المدينة دخل من طريق المعرس وهو بطن  
الوادي . وكان طريقه إلى مكة على الصمراء و بدر وعسفان ، ومازله على غير منازل الحاج في  
أيام هذه ، ورعا تعقت في كثير منها وان اختلفت اسمائها . وأما قرن المنازل فهو مشتبك  
طريق نجد مع طريق العافله من الطائف إلى مكة ، وهو على مرحلة من الطائف ومرحلتين  
من مكة ( وقد كان في قرن لعدينان مع بختنصر واحة كبيرة في القرن الثالث عشر قبل الهجرة  
انتصر فيها الأشوريون على العرب ثم جمعوا عنهم إلى بلادهم ) . أما دات عرق التي يحرم منها  
العادمون من نجد فهي غرب بني قرن ، والحد الفاصل بين نجد وتهامة ، قال الشاعر .

كأن المطايا لم تنخ تهامة \* إذا صعدت عن دات عرق صدورها

ويعلم فتح أوله وثانيه جبل على ليلتين من مكة ، وهو في طريق اليمن إليها ، وأودينه تنحدر  
إلى البحر .

وهذه المواقيت للخارج عن حدودها ، أما الداخل فيها فيحرم من أي نقطة من الحل . ولا  
بدلنا أن نلاحظ أن جعله صلى الله عليه وسلم ميقات احرام أهل المدينة من ذي الحليفة ، التي  
هي على نحو عشرة مراحل من مكة ، في حين أن مهل الجهات الأخرى لا يبعد عنها إلا بنحو  
مرحلتين ، إنما هو لزيادة عنايته صلى الله عليه وسلم بالاستعداد للدخول إلى حرم الله ،

وأراد ذلك لاهل المدينة لانهم أحب الناس اليه وأقر بهم منه : وانما الاجر على قدر المشقة . وكثير من الناس اذا عزموا على الحج يجرمون من بيوتهم ، وترى ذلك كثيرا في أهل المغرب . وقد ذكر أن عبد الله بن عامر والى البصرة لعثمان بن عفان ، لما أكرمهم الله ففتح بلاد الفرس من أدناها الى أقصاها ، حتى وصلت فتوحاته الى حدود الهند شرقا ونحوم سببر ياشمالا والمحيط الهندي جنوبا ، قال له أحد خاصته : لم يفتح الله لاحد ما فتح عليك : فقال لا جرم لأجعان شكري لله أن أخرج مُحْرَمًا من موقفي هذا وأحرم بعمرة من نيسابور .

## لباس الاحرام

كان الداس قديما يصنعون ملا بسهم من القطن أو الكتان أو جلود الحيوان بحال بسيطة جدا . والمصريون كانوا يستعملون في أول أمرهم المنزر ثم البرس : وهو قطعة من المماش تلتقى على الاكتاف ، وترتبط بحزام وترسل الى الركبتين في العامة أو الى أسفل منها في الخاصة . حتى اذا ترفت الدولة في عمرائها أطالوا من ذلك البرس الى الكعبين ، ولبسوا من تحته قميصاً لا أكمام له أخذوه عن الانبوبيين<sup>(١)</sup> . وكانوا في مبدا أمرهم يلبسون ملا بسهم بلون واحد ( أخضر أو أزرق أو احمر ) ، ثم اتهموا استعمال كثير من الالوان في ثيابهم مع ما كانوا يوشون به دوائرها بالاشرطة المنقوشة .

أما الاشوريون فقد كانوا يشتملون بقطعة كبيرة من القماش ، ويمرون بها من تحت ابطهم الايمن و يغطون بها الصدر ، ثم يرسلونها على الكسف الايسر ، حيث يثبت طرفها اما بعقدة أو بمشبك ( انظر سطر عشرين من صفحة ١١٥٣ من الجزء الثاني من دائرة المعارف الفرنسية الكرى ) . ثم غيروا هذا الزي بان لبسوا قميصاً صغيراً ومن فوقه شئ يشبه العباءة . والاعجام كانوا يزيدون على ذلك سراويل واسعة .

(١) هم سكان انبوتيا : وهي مملكة قديمة كانت في حوب مصر في المطمعة الى مها الحنشة وما والاها شرقا الى السومال ، وشمالا وعربا الى حرة عظيم من السودان المصري .

واليونان كانوا يلبسون رداء طويلاً واسعاً ويمرون به من تحت ابطهم الايمن ، بعد أن يلقوا به وسطهم ، ثم يرسلونه على ظهرهم بعد أن يغطوا به كتفهم الآخر . ثم صاروا يشملون به الجسم جميعه : ذلك بانهم كانوا يأتون بهذا الرداء الطويل ويربطون طرفيه ، ثم يدخلون ذراعهم الايمن مع الرأس من فتحة ما بينهما ، بحيث تكون العقدة على الكتف الايسر ، ثم يلف الجسم بباقي هذه الشملة ويسمونها شيون ( Chion ) ، كما تراه الى اليوم في عرب البادية المصرية خصوصاً عرب المغرب ، ولا شك في أنهم أخذوا هذا الزي من الرومانيين أو الفرطاجيين ، ولبت فيهم على بداوته الاولى الى الآن . وهذا الشكل يوجد منه صور كثيرة على الآثار الرومانية ، وقد شاهدت شيئاً مماثلة تماماً على قاعدة المسلة التي في القسطنطينية في ميدان السلطان أحمد ، وعلى بعض النواويس الموجودة في متحف الاستانه ، وفي النقوش الموجودة في سقف جامع القهرية ( القهرية ) : وهو أول كنيسة بنيت في الاستانة وحولت الى مسجد بعد الفتح .

أما دار الآثار المصرية فقد شاهدت فيها أن ملابس المصريين في قديم الزمان كانت تنحصر في لبس المتر : وهو فوطة يلفها النصف الاسفل من الجسم على هيئة ما يكون الرجل في أيامنا هذه داخل الحمامات العمومية <sup>(١)</sup> ، وأخص بالذكر مما رأيت على هذه الصورة تمثال كفرين المشهور بشيخ البلد في القاعة حرف ( B ) ، وهو ناي هرم الجيزة الثاني ، ومن ملوك العائلة الرابعة المصرية التي كانت توجد في القرن الخمسين قبل المسيح ، ثم تمثال ( رعنفر ) من العائلة الخامسة في القاعة حرف ( I ) ، ثم تمثال أمور وأمون وهما من معبودات المصريين ، ثم صورة للمسيح بالدخلة الصغيرة للطريقة اليمنى تمثله بمتر بسيط . ويوجد غير ذلك كثير من التماثيل البرنزية والنحاسية التي في دواليب المتحف لا بسة شبه احرام كامل ، وقد شاهدت من بينهما تمثالا من الفخار للعدراء وهي ملتحفة بشملة تغطي جميع جسمها وانها على يدها .

أما القاعات الرومانية واليونانية التي على يمين صحن المتحف من الدور الاول ، ففيها تماثل

(١) هذا اللباس شائع للآر في أغلب بلاد السودان وغيرها من البلاد التي لا يزال على فطرتها

الاولى ، وشاهده على كثير من أعراب البادية في احرامهم وفي غير احرامهم .

الاحرام باشكاله التامة : وترى في وسط القاعة حرف (T)، امرأة رومانية من الرخام الابيض الوردي بهيئة احرام كامل : أعنى أنها ملاحفة برداء أبيض يغطي كل جسمها ماعدا رأسها . و يهرب منها مثال رجل من الجرايت الاسود ملتحف برداء قد انحسر عن ذراعه الايمن : وهو ما يسمونه في الاحرام بالاضطباع، وفي رجله بعلان لا يغطيان ظاهر القدم، اللهم الاعروفة يدخل فيها الابهام، ويخرج منها سيران رفيعان يتصالبان على مادون الكعبين، ويربطان في مادون العقب : وهي ما يسمونها في الحجاز بالنعال الشرقية، التي أجمعت المذاهب الاربع على تحية الاحرامها . وهذه العلى تراها أيضاً في قدم منفصلة عن جسمها، موضوعة على يسار الداخل في القاعة حرف (R) .

ومتاحف القنون الجميلة في جميع احاء الدنيا غاصة بصور الناس في العهد القديم وهم في لباسهم البسيط الذي عمال لباس الاحرام بل هو بعينه . والآن يمثلون هذا اللباس تماماً في شحيص الروايات التي تشخص الزمن المديم الروماني أو اليوناني، وخصوصاً في تمثيل صور الانبياء والحكماء .

و يقال ان اليهود كانوا يستعملون في معابدهم لبس غير الخيطة ، أما الآن فيكفون بوضع رداء على أكتافهم من الصوف يسهونه تلميت أو تسيسوت، ليتشبهوا بموسى عليه السلام في ساطة لباسه .

ومن هذا ترى أن ملابس الناس في الزمن المديم، بل في جميع أدوار الائم الحالية حتى في ابان حضارتها، كانت على هذه الساطة . وليس هذا بغريب، فان آله الخياطة ما كانت معروفة في تلك الارمان : ولقد كان الناس يستعملون أولاً في خياطة ملابسهم شوك الاسماك وسل النحل ، ثم توصلوا الى استعمال الابر الحديدية، أما الابر التي من الصلب فانها لم تخترع الا في القرن الرابع عشر لله سببح، ولم يذع استعمالها في أوربا الا في القرن السادس عشر .

وكان أسط تلك الملابس شكلاً ونوعاً ملابس الاشور بين الذين هم اخوان الكلدانيين، الذين خرج منهم ابراهيم ( لان كلهم من الجنس السامي ) : وعليه فلباس الاحرام كان هو هو بذاته ذلك اللباس البسيط الذي كان يلبسه ابراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى بالحج قائلاً : « وأدن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .



وما زالت هذه السنة قائمة في حج البيت الى الان . وأما كونه أبيض فلا ن لون البياض شعار الطهارة والنظافة ، والا فالعرض من الاحرام لبس غير المخيط مطاماً : اشارة الى أن الاسان خرج الى ربه من زخارف الدنيا وما فيها الى بساطة الوجود وداوته ، خرج الى ربه من أهة الحياة ورفهها ، وتمثل بين يديه تعالى بحال رجع فيها الى طبيعة الوجود البشري من حيث البساطة التامة ، التي كان مظهرها ذلك الزي الذي يمثل الاشتراكية الحقة بكل معاينها ، فيستوى فيه الصعلوك والملوك ، هذا الزي الذي يستعمل الاسان في مهده و يشيعه الى لحده ، حتى كأنه يقول لربه : اللهم انى فد نزعتم عن نفسى ظاهرها و باطنها رداء قد وشتته الا باطيل وموهته الا ضاليل ، وخرجت اليك وقد جردت نفسى لك مما أملك طامعاً في بيل . الا أملك من نعم ان عشت أعود بها الى حياة جديدة كلها فضيلة وخير و بركة ، وان مت أقضى بها الى سبيلك ومحبتك وطاعتك ، وأنتقل بها الى دار السعادة الحقيقية فأحشر في زمرة المهبولين والصديقين ، زمرة الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وهلا رأيت ذلك اللباس الاكثير وسى البسيط ( لباس الرهبان ) الذى رسم عليه كل من عمالى غليوم الثانى أميراطور المانيا والامراطورة فر يتته ، وأرسل بهما فوضعا في الملجأ الالماني الذى نى في بيت المقدس ؟ وسافر الرئيس ايتل لافتتاحه رسمياً بالياباه عن والده الامراطور في شهر ابريل الماضى سنة ١٩١٠ .

على أنه لا يعزب عن فطنتك وينبوع عن فكرتك أن الاطباء وجدوا أخيراً أن الاسان لا بدله من تعر يض جسمه الى الهواء المطلق ومؤثرات الجو ونحو شهر من كل سنة ، يسترجع فيه الجسم قوته ويستعيد نشاطه ، بفضل ملاصقة أو كسيجين الهواء لجميع مسام جسمانه : وهذه العملية يحترق ما في الدم من السكر بون الذى تشبع به أثناء دورته من العصابات الى تخلفت في الجسم ، فيعود الى القلب دماً نقياً ز كياً صالحاً لتغذية الحياة بمادة القوة ، التي تكون بها العافية التامة والصحة العامة ، التي هي فوام الوجود بل الحياة بمجمع معاينها .

لذلك ترى الاور و پاو بين ، وعلى الخصوص الانجليز ( لا اعتنائهم بصحتهم أكثر من غيرهم ) يعتمدون كل سنة الى الحبال ، أو الى شواطئ البحار ، فيخضعون نيا بهم الا ما يستر عورتهم



و يقعون على هذه الحال شهر أو أكثر يستعيدون فيه ما فقدوه من قواهم في سبيل العمل طول سنتهم . وكثيرا ما رأيت الفرنجة في هذه الأماكن الصحية على شاطئ البحر ، حفاة عراة معرضين بكل جسمهم للهواء وبرودة الجو وحرارة الشمس جملة ساعات ، وليس عليهم إلا تلك العانة المستعمارة التي يغطون بها السبيلين ، ويسمون ذلك بعلاج الطبيعة أو علاج الهواء ( 'Cured' air ) . ولا غرابة إذا رجعت بنا المدينة الحديثة الى كثير من العوائد التي كان عليها القدماء في بداوتهم مما يسميه الجهلاء خشونة وتوحشاً .

وإذا فلاة بما يقوله المخرفون أو المتحاملون على الدين الاسلامي المتعصبون عليه ، من أن الاحرام هو سبب كثير من الامراض التي تعترى الحاج بمكة وعرفة ! ولو أنصفوا لسبوا كل ما يقع لبعض المحرمين من البرودة شتاء والاحتقانات الدماغية صيفاً الى علتها الحقيقية وهو الفقر ، الذي يموت منه يومياً آلاف من الناس على قوارع الطرق في عواصم الدنيا المتقدمة . ولقد شاهدت في بعض أسفارى بعاصمة من عواصم أوروبا يمشون من البرد والناس حوله ينظرون الى ما يعترى جسمه من انفعالات الموت ، بين ضاحك منه وساخط عليه !! وإذا فالمحرم الذي يحرم بثوب واحد يكون من عادته لبس ثوب واحد ، والافلا حجر عليه أن يلبس ماشاء من غير محيط ، أو يضع على رأسه مظلة ، أو يلبس ماشاء من مخيط و يعدى عنه بما يساعد على حياة البائس والعقير .

## خروج الحجيج الى عرفة وافاضته منها

في السابع والثامن من شهر ذي الحجة يتبدى الناس في الخروج من مكة الى عرفة على جماهم أو حميرهم أو أقدامهم ، ويتجهون الى طريق الشرق مارين بالمعلي ، ثم يسرون نحو الشرق بميل خفيف الى الجنوب بين جبلين في واد عرضه يختلف من مائة متر الى خمسمائة ، وحرارة الناس فيه لا تنقطع في هذين اليومين . وفي نهاية مكة من هذه الجهة « البياضية » وفيها قصر الشريف عبد المطلب على بين السالك الى عرفة ، يحيط به بستان أغلب أشجاره



من شجر السدر . و بعد نحو ثلاثة كيلومترات منه تجد جبل النور على يسارك ، و قمته عالية جداً قد أقيمت عليها قبة بيضاء ضاربة بنورها الى السماء : وكان هذا المكان يتعبد الناس فيه قبل الاسلام ، و تعبد به النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته و ابتدأ نزول الوحي عليه فيه . ثم تنعطف قليلاً نحو الجنوب ، و بعد نحو خمسة كيلومترات تصل الى منى ، فترى في مبدأ دخولك في طريقها العمومى على اليسار جمره العقبة : و هى حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض نحو مترين ، قد أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة عن الارض بنحو متر و نصف و من أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط اليه حجارة الرجم ( الجمار ) الذى يقوم الحاج بعمليته عند الافاضة من عرفة . و لقد كانت منى <sup>(١)</sup> مكاناً مقدساً عند عرب الجاهلية و كان بهاهم بيت لا صنم لهم . و هى الآن مكان متسع طوله من الغرب الى الشرق ، قد أقيمت فيه بيوت أغلبها لاشراف مكة و أغنيائهم ، يسكن بعض الحجاج فيها بالاجرة عند ذهابهم الى عرفة أو عودتهم منها ، أما غالب الحجيج فانه يكون محبباً بالعضاء الذى يحيط بها ، و فى غير الموسم لا يكون فيها أحد فى الغالب . و فى هذه المدينة شارعان متوازيان على طول الوادى . و فى شارعها العمومى ترى الحمرتين الاخريين فى وسط الطريق واحدة بعد الاخرى . و بعد هذه المساكن الى الشرق ترى الوادى يتسع من الجنوب على مسافة اثنين كيلومتر ، و تشاهد به تلى يمينك مسجد الخيف ، ثم المصطبة التى تنصب فيها خيم الشريف و والى مدة اقامتهما فى منى زمن الحج . و من ثم يضيق الوادى و يسمى بوادى محسر ، حتى اذا وصل الى المزدلفة و هى على مسافة ساعتين من منى أخذت فى الاتساع مرة أخرى . و هالك ترى على يمينك المشعر الحرام الذى يجب الوقوف عنده فى النزول من عرفة ، و فى هذه الجهة <sup>(٢)</sup> مسجد على جبل قزح عمّره السلطان قايتباى ، و من هالك يضيق الوادى ثانياً و يسمى بوادى عرّانة (بضم العين وفتح الراء و النون) حتى اذا قرب من مسجد نمرّة ( و يسمى مسجد عرفة أو مسجد ابراهيم ) انتحيت أرجاؤه الى الشمال و الجنوب . و هذا المسجد كبير قد أحاطت به

(١) لا يبعد أن يكون العرب أخذوا هذا الاسم من جزيرة ما الي فيها هيكل بودا قرب جزيرة سيلان .

(٢) الموحود من هذا المسجد الحائط العربى (الذى هو جهة القلة) فقط .

خريطة جبل عرفات  
وبحيم المحاح في وقومهم به



البواكي في جهاته الاربع من داخله، وعمّره قايتباي عمارة تشكره. ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والنصف الآخر في الحِلِّ، وبوسطه مجرى ماء يُسَيَّرُ اليه زمن الحج من مجرى عين زبيدة. وفي شمال هذا المسجد نخل الى الشرق ترى العلمين: وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما، ارتفاع نحو خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة، قد أقبها في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب، وهناك تحدد الجبل قد حلق على الوادي وقفله أمامك من الشرق بشكل فوس كبير وهو ما يسمونه جبل عرفة. وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا. وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمونه جبل الرحمة، وسفحه الخنوي هو حد عرفة من الشمال، وفيه صخرة عالية كان ينف عليها الرسول صلوات الله عليه في حجه ليخطب في فومه: وهي مكان وقوف الخطيب الى الآن. وفي أعلى جبل الرحمة مناره يعلو فيها ليلد عرفة مصابيح لارشاد السالكين اليه، وفي أسفله مصلى تسمى مسجد الصحرات لان في أرضيتها صخور كبيرة الى جانب بعضها يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها، وبحوارها ترى مجرى عين زبيدة الذي سيره الى مكة.

## الوقوف بعرفة

عدو رسول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب الحملين يحياهم قريبا من جبل الرحمة يليهما مضارب الحجاج على اختلاف أجسامهم. وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى جميع الاعراب محتشدين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالحجر المرصوص، أما باقي الحجيج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدحم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا حاليامن واقف أوقاعد، وجمالهم وحميرهم مربوطة بحوارهم، وترى الكل في صعيد واحد، حتى يتعذر على الاسان السير الى أي جهة أراد ولولضرورة في نفسه. ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية يتسمها اشار عراسي، ويخصص

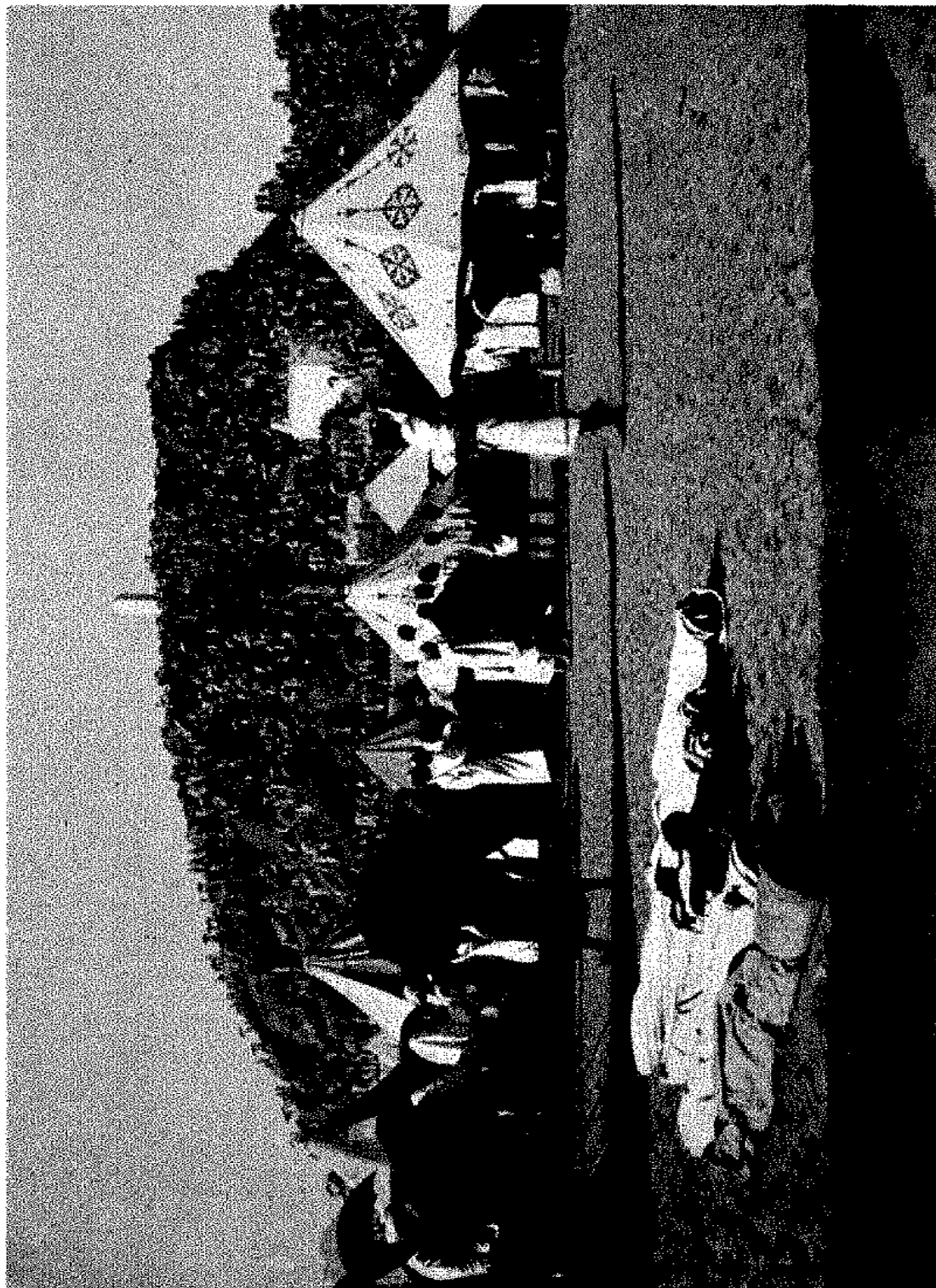




كل حذاء لسكنى جماعة من الحجيج ، وجمالهم من ورائهم ، وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الحمة التي ربط حمالهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، لكان له شكر الله والملائكة والناس أجمعين . وفي سعة الوادي ما يضمن لدولته اقامة الكل على الراحة التامة ، لان هذا التراحم انما سببه التقرب من مجرى الماء ، ومن السوق الذي تراه بجوار مسجد الصخرات ( ويباع فيه بعض الاغذية الضرورية) . وربما كان لتراحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب ، الذين يكون لهم من سعة هذا الرحاب عون على النهب والسلب . وبسبب هذا التراحم يضل الناس عن أمكتهم اذا تركوها لامر ما ، ولذلك تراهم ينادون على بعضهم إماناً سائهم ، أو بألفاظ اصطلاح عليها أهل كل جهة ، حتى اذا سمعها واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة اقامة بعرفة .

ويحذر بدولة مولانا الشريف إصدار أمره الكريم بالعباية التامة بملاحظة فتحات محرى عين زبيدة ، وتعيين خدمة مخصوصين لها لا يدعون أحد أمن الحجاج بعثها أو يغتسل فيها ، خصوصاً أولئك المحذومين الذين يغتسلون في الحوض الذي يسمونه بحوض المحذومين زاعمين أن فيه شفاءهم ، وهم بعملهم هذا انما يضررون اخواتهم المسلمين بنقل العدوى اليهم . ولا يعزب عن فكره السامى أن علماء البكتريولوجيا ذهبوا الى أن الماء هو أكثر موصل للعدوى وخصوصاً في وباء الكوليرا : سأل الله تعالى السلامة لعاده .

ويوم الوقوف هو التاسع من ذى الحجة مع قليل من ليلة العاشر اتفاق المسلمين . فادا نبت هذا اليوم عند القاضى بالصفة الشرعية وقف جميع المسلمين على اختلافهم في الجسديات والمذاهب من غير أن يكون للشك تأثر عليهم ، الا الشيعة من الاعجام فانهم لو حصل عندهم أدنى شك في رؤية هلال ذى الحجة ، بمعنى أنهم لم يشاهدوا منهم الجم الغفير ، وهو يوم التاسع والعاشر احتياطاً . وفي عرفة ترى الناس مشتغلين كل شأنه ، وهم وان انفصلوا في هياكلهم ، فان قلوبهم مرتبطة ارتباط ذرات الجسم الواحد ببعضها . وبعد صلاة العصر يتحرك الحمالان بحر سهما الى منحدر جبل الرحمة وينهض خطيب عرفة (وهو في الغالب قاضى مكة



BOENNE & ANDERER, CAIRO

# التخايخ على حسب وشمس الرخمة بفرقايت

الذى يتعين من قبل السلطان) ، فيصعد بناقته من طريق حلزونى الى صخرة فى صدر هذا الجبل ، ويخطب بيابة عن خليفة رسول الله خطبة يعلم الناس فيها مناسك الحج ويكثر فيها من الدعاء والتلبية ، ومن دونه مبالغون بأيديهم مناديل يشيرون بها فى كل تلبية الى الواقفين دون الصخرة فيقول الكل « لبيك اللهم لبيك » ، بصوت يكاد يصعد بالا حشاء الى عنان السماء ، فياله من ساعة ترى الناس فيها قد تجردوا بالمرة عن أنفسهم ، فلا يكادون يشعرون بما يحيط بهم من معالم الحياة ، وقد تغلب وجدانهم على وجودهم وظهرت روحانيتهم على جسمانيتهم ، حتى كانوا فى لباسهم الابيض الطاهر النقى ملائكة لله فى هذا الوادى الذى يردد أصواتهم وانتهالانهم الى واجب الوجود ، الى الملك المعبود ، الى الواحد الا حد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فادارت ارجع اليهم صدى هذا الصوت احدث فى نفوسهم هزة تدق لها قلوبهم وتضطرب منها أفئدتهم خشية من رب الارباب ومالك الرقاب ، هنالك تسوح النفوس فى ظروفها وبتكش الحسوم على هياكلها من رهبوت هذا الملكوت ، وحشاشات القلوب تتصبب من آفاق عيونهم أسفا على ما اقترفوه من ذنوب وعيوب !! وتتلاحق الارواح الى التعلق بأستار رحمت رحمانها ، تائبة مستغفرة ضارعة اليه تعالى تقبلها فى ساحه عفرانه ، مؤملة فى عظيم كرمه واحسانه ، ولا تلبث أن تتراجع وهمى على يقين من قبولها فى ساحة الرحيم الرحمن ، وقد وقر فى نفوس ذويها حب الفضيلة و بغض الرذيلة ، وحسب الا لسان من فضيلة الحج هذه الحسنة الجميلة . ويستمر الناس على هذه الحال حتى اذا غابت الشمس فى الافق ، أطلق صاروخ من قبل الخطيب اعلانا بتمام الموقف . عندها تتحرك الحامل بين ضروب المدافع وعزف الموسيقىات ، وأصوات الالبتهالات ، وكثرة الدعوات ، وانهمال العسرات ، ويكون كل حاج قبل ذلك قد حمل حوله واستعد للافاضة ، فتتفر الناس مرة واحدة من عرفات مسرورين هاتفين بهتاف الفرح والحبور حتى اذا وصلوا الى ذينك العلمين خرجوا من بينهما . وهناك ترى الزحام لا يوصف والناس فى حركة هائلة الى المزدلفة . فاذا وصلوها نزلوا بها ، وأقامها الحنفية الى ما بعد صلاة الصبح ، والشافعية الى ما بعد نصف الليل ، أما المالكية فحسبهم من الاقامة بها قد رساعة يجمعون



فيها جمارهم من الحصى الموجود في أرضية واديها : وهي تسع وأربعون حصاة في قدر القولة يتناولها الحاج من رمال تلك الصحراء الواسعة ، ليرجم بها في منى التي ينزل اليها من ليلته . وأغلب الحجاج يقدون مالكا ويسرعون في النزول إليها حتى يجذوا لهم فيها مكاناً يقيمون به على راحتهم . وفي صباح النحر وهو يوم العيد لا كبر يكون عموم الحجاج وصلوا إلى منى . ويخيم المحمل المصري في شمال المصطبة التي فيها نخيم الشريف ، والمحمل الشامي إلى جوار مسجد الخيف : وهو مسجد كبير ذو فضاء واسع مربع يحيط به سور متسع ، وإلى حائطه الغربي رواق على طوله ، قام سقفه على أعمدة من البناء . وباب هذا المسجد إلى الشمال ، وفي وسط صحنه تجاه الباب قبة كبيرة أقيمت على مكان يصلي الناس فيه ، وهو المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحوار هذه القبة مأذنة صغيرة بناها السلطان قايتباي سنة ٨٨٤ ، وبنى بجانب هذا المسجد داراً كان ينزل إليها أمير الحاج المصري فاندثرت ، ولكن المسجد باق على حاله ، إلا أنه يحتاج من داخل سورده وخارجه إلى عناية ذوى الشأن ، حتى يكون نظيفاً بعيداً عن عبث العابثين ، ان لم يكن لموجبات الدين فلموجبات الصحة العمومية ، وخصوصاً في منى التي تكتب فيها صحيفة الحاج الصحية وتساق على أجنحة الرق إلى جميع أقطار المسكونة .

و بمجرد وصول الحجاج إلى منى يتصدون من فورهم حمرة العقبة فيرمونها وينحرون ويحلقون أو يقصرون ثم يلبسون ملابسهم : وعند ما يحل لهم كل شيء ما عدا النساء والطيب . ودبائح القران تدبج في شرقى منى وتلقى في حُفَر تحفر هناك لهذا الغرض وكلما امتلأت حفرة بجثث القرابين ردمت وحفرت غيرها وهكذا ، ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً ، ولو كانت الحكومة تعنى بجمع ما يتراكم فيها من العظام مع ما يتخلف منها حول مكة ، وتبيعه لاحدى الشركات بجدة ، وتصرف ثمنه في تحسين طرق الحجاج ونظافة شوارع مكة لكان فيه فائدة كبيرة . وقد طلبت شركات كثيرة التزام ذلك من الحكومة السابقة فلم يقبل طلبها . أما الحكومة الحالية فاطن أنها لا ترى مانعاً في ذلك مادام في مصلحة البلاد

و يفيم الحجاج عنى الى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة ، ثم ينزلون الى مكة لاداء الركن الباقى من أركان الحج وهو طواف الافصة والسعى لمن لم يكونوا سعا بعد طواف القدوم ، ومن الناس من ينزل الى مكة أوّل يوم بعد رمى جمرة العقبة لاستكمال جميع مناسك الحج ، ثم يرجعون من يومهم الى ملى فيقيمون فيها مع اخوانهم باى و بالث أيام التسريى ، و يرجعون فى كل يوم منهما الحمرات الثلاث ، و فى عصر اليوم الثالث ينزلون الى مكة .

## الرجم

الرجم فى اصطلاح الحجيج رمى غرض مخصوص فى منى بسبع حصيات فى حجم الغولة، وهذا الغرض يسمى جمرة . والحمرات ثلاث : جمرة العقبة ، والجمرة الوسطى ، والجمرة الصغرى ( و يسميها العامة ابليس الكبير والوسطانى والصغير ) . ولكل جمرة مكان مخصوص (مد كورفى وصف الطريق الى عرفة) ، و رميها واجب باهاق المذاهب : فيرمى الحاج فى أوّل أيامه عنى ( يوم الاحية ) جمرة العقبة وحدها ، ثم يرمى ثلاثتها فى كل يوم من اليومين التالين ، فيكون جملة ما يرميه سبع حصيات فى سبع ( ٤٩ حصاة ) . ومكان الحمرات تراه على الدوام عاصاً بالرامين فلا تصل اليه الا بمشقة عظيمة ، وكثيراً ما شاهد بين هؤلاء الرماة اناساً يَجْمُرُونَ بِتَشَفِّ شَدِيدٍ ، ومهم من يغلوفى ذلك فيرمى هذا الغرض برصاص طينجته كأنما يرمى عدواً ألد ، والكل يتخيل أنه انما يرمى ذلك الشيطان الرجيم الذى لا تحفى عداوته لبنى الانسان ، فكانما هم بهذا الرمى يشهرون عليه حر باعوا بالما سبق من إغوائهم ، و يقطعون كل صلة بينهم وبينه .

والعرب كانوا يرجمون هذه الحمرات الثلاث فى حجهم قبل الاسلام ، لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم وهو فى تلك الجهة بذبح ولده اسماعيل . فأخذوه وسار ليصدع بامر ربه فوسوس له الشيطان بأن لا يفعل ، فأخذ حصيات و رماه بها ، وكان ذلك فى المكان الذى به الجمرة الاولى ، فتركه وسار الى هاجر وأخذ يقبض لها عمل ابراهيم ، فاخذت

حجارة ورمته بها ، وكان ذلك في مكان الحجرة الثانية . فذهب الى اسماعيل يشنع له عمل أبيه ، وأخذ قبضة من الحصى ورماه بها ، وكان ذلك في مكان الحجرة الثالثة . لذلك كانت ترجم العرب هذه الامكنة مشخصين ذلك الشيطان ، وتابعهم عليه الاسلام ، ولا غرابة في ذلك : لان التاموس الطبيعي يقضى بأن يكون كل معنى من المعاني مصدره المادة . وعليه فهذا الرمي المادى يوصل بلا شك لمعنى دقيق جليل في ذاته : هو تربية مأسكة جديدة في شخص الرامي وهي مخالفة شيطان النفس والاتعاد عن مسالك الشرور .

والرجم أمر قديم في الامم : قال الله تعالى في سورة الشعراء في احابه قوم نوح على اصنامهم لهم « لئن لم ينته يانوح لتكونن من المرجومين » . وقال تعالى في سورة هود في جواب أهل مدين على بصيحة نبيهم شعيب لهم « قالوا يا شعيب ما نعنه كثيرا مما تقول وانا لنتراك فيما ضعيناً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » .

وكان الرجم في نبي اسرائيل ، وقد ورد في الآية ٢٤ و ٢٥ من الاصحاح السابع لسفر يشوع مانصه : « فأخذ يشوع عمخان بن زارح والنصبة والرداء ولسان الذهب وبيده عحور ، وبناته و نره وحميره وغممه وخميته وكل ماله وجميع اسرائيل معه ، وصعدوا بهم الى وادى عحور ، فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم ، فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة وأحرق قوهم بالبار ورموهم بالحجارة » .

والنصارى يرمون مكان شجرة التين التي لعنها المسيح حينما أراد أن يأكل منها ولم يجد فيها عمراً ، أنظر آية ١٩ من الاصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى . ومكان هذه الشجرة على طريق الذهاب من بت المقدس الى نهر الازدُن في الوادى الذى ينزل على يسار جبل الزيتون .

والعرب كانوا يرمون في الحاهلية من سخطوا عليه حياً وميتاً . فكانوا يرمون الزانى المحصن حياً لشناعة عمله ، وتاعتهم عليه الشريعة الغراء ، كما كانوا يرمون قبور من ينفون عليهم : وهم يرمون من القرن الاول قبل الهجرة الى الآن قرأى رجال في المغمس بين مكة والطائف ، لانه كان يقود جيش أبرهة الى مكة ، فسات في هذا المكان قبل وصوله اليها .



# الحجاج يزعمون الحجرات بالحجرة الوسيطة

KOEHNE & ANDSER CAIRO



قال جرير يهجو الفرزدق :

اذامات الفرزدق فارجموه \* كما يرمون قبر أبي رغال

والمسلمون يرمون قبر أبي لهب خارج مكة لأنه عدو نبينهم صلى الله عليه وسلم ، و يرمون قبر أبي جهينة في طريق العمرة لأنه كان من حكام مكة الظالمين ، و يرمون قبر يزيد بن معاوية (١) لسوء سيرته وشناعة فعلته مع آل البيت رضوان الله عليهم ، و يرجون قبر مسلم ابن عنبه (٢) في ثنية المشلل بين مكة والمدينة ، لأنه فتك باهل المدينة ولم يراع حرمة رسول الله في تحابته وجيرته . و قد ذكروا المسعودي في مروج الذهب عند ذكر اليمن وملوكها ، انه يوجد في طريق العراق الى مكة نحو النظامية ، موضع يعرف بقبر العبادي (٣) ترجمه المارة ؟

(١) قبر يزيد بن معاوية بدمشق الشام في حارة الحالية شرق مقبرة الباب الصغير يفصل بينهما طريق . وهو مكان مسور يبلغ طوله نحو ثمانية أمار في عرض أربعة وعليه تل من حجارة الرحم يبلغ ارتفاعه نحو ستة أمار ، وأهل دمشق يصصونه . ويهدده الماسة أذكر لك اني ررت في هذه المقبرة قبر معاوية بن أبي سفيان وهو في قمة بسيطة وقد دفن الي حوارده بعض التابعين ، وقبر عبد الملك بن مروان حوارده يحيط به سور مهدد من الطوب التي ولاسقفه !! وهما لك سرخيالي عظم ملكهم وقجامة سلطانهم وكبير ابيتهم وحليل مطهرهم في حياتهم وهو مالا يطق على ما نراه من حقارة ممارهم الحالية التي لم تقم لها من مبدأ حكم العباسيين قئمة ! سبحان من ييده الملك نمر من يشاء ويدل من يشاء .

(٢) مسلم بن عقبة هو أعور بني مرة سيرة يزيد بن معاوية الي مكة لقتال عبد الله بن الزبير وأمره أن يحمل طريقه على المدينة ، وكان أهلها قد سدوا طاعته ، وقال له ان هم أطاعوك اتركهم الي مكة والا حاربهم وأوقع بهم . فلما وصل اليها أقبلوا أنوارها في وجهه وكانوا قد خمدقوا عليها لما بلغهم تحركه اليهم . فدخلها عود في يوم الثلاثاء ٢٧ دي الحجة سنة ٦٣ وأحد يقبل في صحابة رسول الله وتابعيه حتى قتل منهم يماً وأحد عشر ألناً وسبب المدينة ثلاثه أيام : ويسمون ذلك اليوم المشثوم بيوم الحرة . ثم ارتحل عن المدينة فاضدامكة ثبات في الطريق ودفن في ثنية المشلل . فأتت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن ربيعة ، وكان قد قتل ولدها مسلم فيمن قتل ، فبشبت قبره وصلبه على المشلل ورجمه ولا يزال قبره يرحم للآن .

(٣) لعله أبو منصور العبادي المشهور بالامير والمولود بماداحدى قري مرو سنة ٤٩١ هـ وقد ورد في دائرة المعارف «انه مات في طريقه الى خورسان من سداد وكان غير موثوق به في دينه وله رسالة يبيح فيها شرب الخمر» . وربما كان له في الحصة التي مات بها ما أسخط أهلها عليه فرجموه ولا يزالون يرحمونه



## القربان

القربان شئ كان يتقرب به الناس من قديم الزمان الى الله تعالى، وكان يختلف نوعه باختلاف الازمنة والامكنة . وأول ما وصلنا من أمر القرابين أن قابيل بن آدم قرَّب الى الله شيئا من ثمرات أرضه ، وقرَّب أخوه هابيل ذبيحة من أبقار غنمه : قال الله تعالى « واتل عليهم نبأ ابنتي آدم بالحق اذ قرَّبا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » ، وبعد الطوفان بنى نوح مذبحا لله قرب اليه فيه كثير من الحيوانات وكان يحرقها على المذبح . وكان ابراهيم يتقرب الى الله تعالى بالخبز والحجر ، وقد أمره الله أن يذبح له عجلة وعزرا وكبشاً وحمامة وبعرة ( انظر سفر التكوين آية ١٧ و ٩ ) ، كما أمره أن يفدى ولده الذبيح بكبش يذبحه قربانا ، وذهبت على سنته العرب قبل الاسلام ، ثم المسلمون من بعدهم في أخصيتهم . وكان بنو ابراهيم يقربون الى الله الذبائح ويحرقونها ، حتى أتى موسى فقسم الذبائح الى دموى وغير دموى : وهذا القسم الاخير كان ينحصر في الماشية التي كانوا يطلقونها في البرية لله تعالى ، ومنها أتت السائبة (١) والبحيرة (٢) والحامى (٣) عند العرب : وهي التي كانوا يطلقونها لاصنامهم ، وما زالت فيهم حتى حرّمها الاسلام . ولا يزال شئ من هذه العادة عند بعض خدمة الاضرحة في أرياف مصر : فانهم يرسلون عجلا صغيرا في حقول بلادهم معلنين أنه عجل هذا الولي ، ولا يزال سائبا على حرّيته في حقول البلد وما جاورها يأكل مما يشتهي منها ، وأربابها لا يجسرون على طرده أو اهانتة خوفا من الولي الذي هو في حمايته ،

(١) السائبة الناقة اذا ولدت عشر اناث ليس بينها ذكر سبت فلم يرك طهرها ولم يحز وبرها ولم يشرب لبنها الا صيف وتمهل لآلهتهم .

(٢) البحيرة هي بنت السائبة يحلى سيلها مع أمها بعد أن تشق أذنبا .

(٣) الحامى هو الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي طهره وخلى

في ابله يضرب فيها فلا ينتفع به بعير ذلك ، والعرب يلحقونها بالوصيلة : وهي الشاة التي أتت عشر اناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر .

حتى يأتي مولده فيأخذه الخدمة سميئاً معلوفاً و يذبجونه و ينتفعون به (وعجل السيد أشهر من أن يذكر ، كما أن فحل العزب لا ينكره أحد) . أما الذبائح الدموية فكانت تنقسم الى ثلاثة أقسام: الذبيحة المحرقة، و ذبيحة التكفير عن الخطايا ، و ذبيحة السلامة . وكانوا يحرقون الاولي ولا يبتقون منها شيئاً الا جدها فيأخذها الكاهن . والثانية كانوا يحرقون منها جاساً والباقي يأكله الكهنة . أما الثالثة فكانت اختيارية ولحمها حل لهم . وكانوا يشترطون في هذه الذبائح أن تكون خالية من العيوب . و اذا عجز الانسان عن تقديم ذبيحة من ذوات الاربع كان يكتفى بتقديم ذبيحة من الطيور .

أما الذبيحة عند المسيحيين فهي محصورة في لحم المسيح ودمه اللذين يقدمهما الكاهن في صورة خبز وحمير للمتناولين منهما .

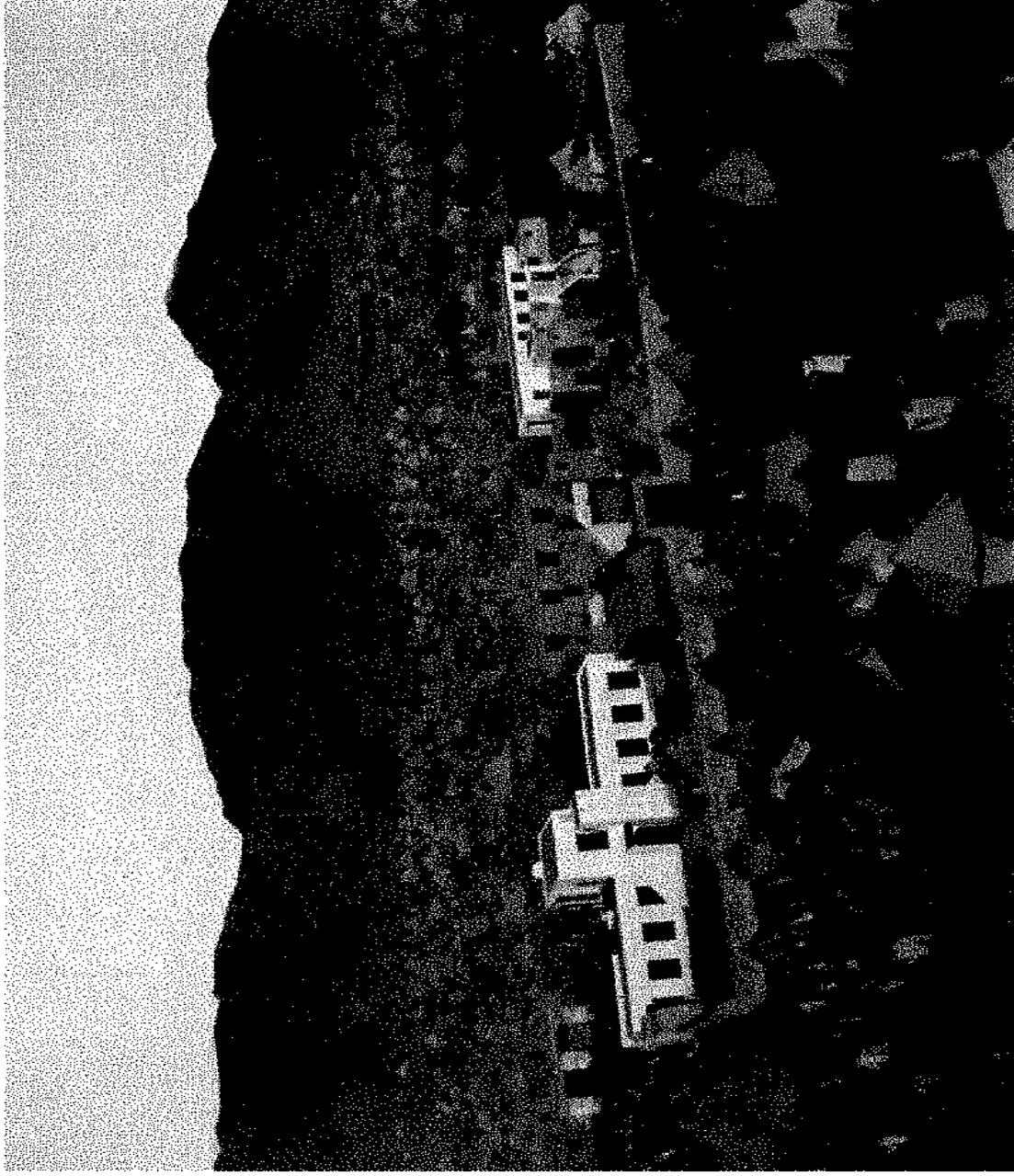
فلم اشقت عبادة الاوثان والكواكب في الناس كانوا يقدمون اليها شيئاً من نباتات حقولهم ، و يحرقونها على هياكلهم ، ثم آل أمرهم الى استعمال النباتات العطرية كاللند والعود وأمثالهما من الاصماغ ذات الروائح الحسنة . و فشا استعمالها بعد ذلك في الحفلات الدينية على اختلاف أنواعها .

وكان قدماء اليونان يُدخلون الملح في قرايينهم لانه كان عندهم رمزاً للصداقة ، كما كان رمزاً لحسن القرى . وكانوا يضعونه مع حب الشعير في سلة و يقدمون منه شيئاً الى الحاضرين : و يظهر أن عادة بعض المصريين من رش الملح في مجتمعاتهم على رؤوس الناس محتلطاً في الغالب مع حب القمح ، وكذلك ما يرشونه منه في أسبوع المولود ، انما هي مستمدة من هذا الاصل . أما الرومان فكانوا يقدمون الذبائح الى آلهتهم بكثرة ، وكان الحاضرون يأخذون من لحومها تركاً . و يفرقون منه جاساً على من لم يكن حاضراً من ذويهم وأهلهم : وهي عادة باقية في حجاج الهند والجواهر المسلمين الى الآن . وكانت كهنتهم وقت تقديم ذبائحهم يرشون على الحاضرين بواسطة غصن من شجر الغار عسلاً وماء . وترقى الناس في ذلك حتى صاروا يرشون ماء الورد في اجتماعاتهم ، ولا تزال هذه العادة مستعملة في الحفلات الدينية على اختلاف مذاهبها الى الآن .

ولم تقتصر ذبائح القربان على الحيوانات ، بل بالغ كثير من الامم فيها، حتى كانوا يقدمون ذبائحهم من البشر كالغنيقيين والكتعانيين والصوريين والفرس والرومان والمصريين وغيرهم، وما زالت هذه العادة الشنيعة فاشية، وعلى الخصوص في أور وپا حتى صدر قرار من مجلس الاعيان الرومانى بمنعها سنة ٦٥٧ ميلادية . ومع ذلك فقد استمرت في بلاد الغال و بلاد الجرمان الى ما بعد هذا التاريخ بمدة طويلة .

وكان المنذر بن امرى\* القيس بن ماء السماء ملك الحيرة يقدم الى معبوده العزى الذبائح من البشر، ولا شك أنه أخذ هذه العادة عن وثى الفرس .

وقد كان قدماء المصريين يقدمون الى النيل (وكان من معبوداتهم) في يوم ١١ بؤونه من كل سنة عادة من فتياتهم، و بعد أن يزينوها باحسن زينة يغرقونها فيه استمطارا لرحمتهم . وما زالت هذه العادة السخيفة حتى أبطلها عمرو بن العاص و وافقه عليها ابن الخطاب رضى الله عنهما ، كما هو مبسوط في المفريزى في الكلام على مفايس النيل وزيادته . وكثير من المعجزة المصرية الى الان يعملن عروسة من الطين و يغرقنها في اناء من الماء في هاته الليلة التي يسمونها ليلة النمطة ، و يزعمن أن ماء الاناء اذا زاد ثانى يوم عما كان عليه ، كان النيل عاليا في سنته والا فلا . ولا شك أن هذه العادة صورة بسيطة من التي أبطلها عمرو . ومن هذا ترى أن المسلمين كانوا أسبق الامم في تحريم الذبائح البشرية . وهم يسوقون ذبائحهم الى البيت الحرام بمكة في حجهم و يسمونها هديا ومعناه الهدية . وهو امامن البدن (الابل) ، أو البقر، أو الغنم، والا بل أحسنها، و يشترط ألا يكون عمرها أقل من خمس سنوات ، وألا يكون عمر البقر أقل من سنتين، والغنم أقل من سنة . وقد قسموا الهدى الى واجب في دم الكفارات ، ومنسوب في دم الشكر . واشترطوا أن يكون دبح الهدى بمعنى في أيام النحر وهو الا فضل أو بمكة في غير أيام التشريق، وأن يفرق لحمه على الفقراء من عباد الله .



BOEHME & ANSCHUTZ, CARNO

منظر عمومی ملتی واکجائج میمون قینا

# الآثار في منى

يوجد في منى غير مسجد الخيف غار قريب في الجبل الجنوبي يسمى بغار المرسلات، كان يتعبد فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، ونزلت فيه عليه سورة المرسلات، ويقصده الناس للزيارة والتترك به. وفي الجبل الشمالى منها مغارة يقولون ان ابراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر، ويبلغ طولها ٤ متر وعرضها متران ونصف، وعلى يمين الداخل فيها كهف تفر في جوف الجبل. ومن خارجها مصلى في مكان يقولون عنه انه مذبح اسماعيل، وبجوارها صخرة كبيرة في جوف الجبل فيها فلح كبير، يزعمون أن تلك السكين التي أراد أن يذبح بها ابراهيم ولده فلتت من يده رحمة بالذبيح ففاصت في هذا الصخر ففلقته على ماترى، وهذا الاعتقاد باق بمكة الى يومنا هذا! ولو ادعوا أن هذا الفلح انما هو ناشئ عن حادث طبعى، واختاره ابراهيم مذبحاً ليسيل فيه دم ولده حتى يسمع صوته في عالم السموات اعلاناً بصدقه بامر الله وكمال طاعته له، لكان أولى. وبقرب هذه المغارة يقيم حجاج الهند ولهم فيها اعتقاد هائل: فتراهم هناك وقد فرشوا على الحصباء خارج خيامهم وداخلها شطرات نيئة من لحم الاضحية، وبعد جفافها في الشمس يحتفظون عليها وياخذونها معهم الى بلادهم هدية مباركة مقدسة لمن كان عزيزاً عليهم. وأظن أن هذه عادة قديمة للعرب كانوا يقومون بها في أيام منى ومنها سميت بايام التشرى أى التفديد. وهى الثلاثة الايام التي تعقب يوم النحر، وقد مر بك في باب القران مثل ذلك في عوائد الرومان ولعلمهم أخذوها من اليونان، وهؤلاء أخذوها ضمن العوائد الكثيرة التي أخذوها عن الهند أنفسهم فيكون أصلها منهم ومرجعها اليهم. ولو علموا أن أجرهم من ذلك انما هو ما يصيبهم من الامراض التي تنشأ عما يحدث من مكروباتها الضارة لكانوا ألقتوا بها الى بطونهم من يومها، خصوصاً وسوادهم في حاجة اليها لكثرة الفقراء فيهم. وعلى كل حال فقراء حجاج الهند في غاية من الوساخة، ومن وسطهم تظهر الامراض والاوتئة وفتك بهم فتكاذر يباع ولا قدرة لهم على مقاومتها لان غالبهم في سن الشيخوخة.





## خروج الجناب العالى الى عرفة

وافاضته منها

فى صباح يوم التروية خرج الجناب العالى من مكة الى عرفة ، راكباً جواداً كريماً وهو بملايس احرامه . وسار فى موكب رهيب ، ومن خلفه رجال معيته الكريمة من ملكيين وعسكريين ، يتقدمهم دولة البرنس كمال الدين والسكل محرمون . وكان فى رفقة سموه سعادة عبدالله بك نجل الشريف . ومعه كثيرون من عليّة الاشراف وحضرة مكتوبجى الولاية وياوران دولة الشريف ، وفى مقدمة هذا الركب الميمون فصيلة من عساكر الحرس الخديوى السوارى بجزار يقم تخفق عليها البنود ، ومن ورائها فرقة من جند اليشة على هجنهم وهم يضربون نوتهم ويوقعون عليها أناشيدهم ، ويحيط بالركب جميعه فرقة أخرى من الحرس الخديوى . ولما تجاوز حفظه الله المعلى ، مر على جنود الدولة وهى واقفة وقفة الاحتشام لتقديم واجب السلام والاعظام ، وطلقات المدافع تدوى فى فضاء هذا الوادى احتفاء بمقدمه الشريف فقيام سموه تحية الشاكر ، وسار حتى اذا حاذى جبل النور ، وقف برهة مستقبلاً فيها هذا الاثر النبوى الكريم ، قرأ فيها الفاتحة ودعا الله تعالى بما شاء . وما زال حتى وافى صيوان الشريف الخصوصى بمنى ، وقد كان خصص لجنابه العالى ، والى يمينه الصيوان الخديوى يتلوه صيوان دولة البرنس ، ثم صواوين دولة الشريف والوالى وحاشيتهم . وكانت خيم المعية السنية ، وبقى الحاشية قد نصبت فى الجانب الآخر من الطريق على يسار السالك الى عرفة . وبعدهما استراح حفظه الله فى صيوانه ركب قبل الزوال وسار فى حاشيته الكريمة الى مسجد الخيف فصلى به الظهر ، ثم سار لزيارة دولة الوالدة بمنزل دولة الشريف الذى جهز لاقامتها فيه بمنى ، وعاد سموه الى مقره بعد صلاة العصر ، وما زال هناك والمحمل وجيوش الجحيج تمر بين يديه الكرى بمنى الى عرفات ، حتى ركب حفظه الله بعد صلاة الصبح يوم ٩ ذى الحجة فى موكبه الحافل قاصداً عرفة ، وسار تحذوه العظمة والفخامة ، وفرقة الأعراب من

أمامه تضرب نوبتها ويوقعون عليها بنشيدهم الرخيم ، وأصوات الخلق فيما بين ذلك تملو بالتلبية وراء التلبية . وقد عرج جنابه العالى فى طر يمه على مسجد نعمة، و بعد زيارته سار الى عرفة، فوصلها فى الساعة الرابعة العربية نهارة، ونزل الى الصيوان الذى أعده لسموه دولة الشريف فى الجهة الجنوبية من هذا الوادى . وكان الى جواره صيوان دولة الوالدة وخيم حاشيتها، يتلوها خيم المعية السنية ، والى جانبها غر باصيوان مولا بالشريف وخيم حاشيته ، وأمضى الجناب الحديوى يومه معتكفاً فى صيوانه، و بعد صلاة العصر بنحو ساعة ركب جواده وسار والى يساره دولة الشريف ، ومن خلفه مادولة الرانس وعطوفة وكيل الولاية وجم غفير من كبار الاشراف ورجال الدولة، حتى وقفوا حذاء جبل الرحمة ، وما زالوا واقفين هناك حتى أفاض الناس فافاضوا معهم .

وكانت افاضة الجناب العالى حفظه الله من عرفات من الفحامة بما لم يشاهده مثيل بالمره : فانه بمجرد ما تحرك الحملان سار حفظه الله والى جانبه حضرة الشريف ، ثم من فى معيتهما من الامراء والعظماء يحيط بالجميع سياج من الحرس الحديوى يتلوه آخر من حرس الشريف . ثم انتظم الموكب فسار وفى مقدمة الركب كوكبة من عسكر البيشة بهم جنهم ، وفى وسطهم فرقة منهم تدق نوبتهم، والباقيون يتغنون بنغمات تدخل رئاتها فى القلوب فتملؤها سرورا وحبورا . ومن ورائهم شردمة من عسكر الحرس ، يتلوها الجناب العالى وحضرة الشريف يتلوها حاشيتهما ، ومن ورائها فرقة الموسيقى العربية تعرف بنغماتها الشجية ، ثم رجال الاشراف من حضر وبدو . وسار الجميع فى هذا الموكب الرهيب حتى وصلوا الى المزدلفة ونحن على غاية ما يكون من الراحة .

وكان موكب دات الجلال والعظمة والدة الجناب الحديوى، وصاحبات الدولة الرئيسيات يسير بعد ركب الجناب العالى . وكان مما يأخذ بالالباب بهاء وسناء : فكانت جنود الحرس المشاة والخيالة تحيط بعرباتهم، يتقدم الجميع فرقة من عسكر الدولة وجند البيشة بموسيقاها، يتبعها هودج الحاشية، وآلاف المشاعل فى جوانب الركب تملأ الجو نورا، وغناء الضوية والخدم وزغردة نساء الجميع تزيد الافئدة سرورا .

وقد قطعنا المسافة من عرفة الى المزدلفة في ساعتين ، كان الجناب العالى فى انناهم محل أنظار الناس على اختلاف أجناسهم . والمصريون منهم يرفعون له كلما مر عليهم أصوات الدعاء وعبارات الولاء . وكانت قد أعدت هناك الخيام ونصبت الصواوين لنزوله حفظه الله اليها مع دولة الوالد و حاشيتهما ، فقضوا فيها ليلة النحر فى صفاء وهناء . وبعد صلاة الصبح نزل جنابه العالى فى موكبه الى منى ، فرمى جمرة العقبة ، وذبحت الضحايا الكثيرة بحضوره حفظه الله ، وتحلل من احرامه ( لبس ملابسه العادية ) ، ثم نزل الى مكة بموكب حافل ومعه دولة الشريف ، فصليا العيد فى الحرم الشريف بالمقام المالكى ، وطافوا فى الاقضية ، ثم تناول سموه طعام الغداء فى دار الامارة ، وعاد بعد صلاة العصر الى منى فى موكبه الفخيم .

## أيام الجناب الحديوى بمنى

— والاحتفال بتلاوة فرمان الشريف بها —

ما برغت شمس يوم الجمعة ١١ ذى الحجة الموافق ٢٤ ديسمبر حتى التفت الجنود التركية والمصرية حول المصطبة الكبرى التى كانت عليها سرادقات سمو خديوينا المعظم ودولة الشريف وسعادة وكيل الولاية ، يتقدم كل فرقة موسيقاها استعدادا للتشريفات بحفلة تلاوة فرمان دولة الشريف . وفى الساعة الثانية العربية نهارا اصطهت رجال المعية السنية فى الجهة اليمنى من الصيوان الكبير المعد للجناب العالى الحديوى . وكان دولة الشريف أرسل بعض حاشيته لمدالة الوفد الحامل للفرمان والحلعة السنية ، ثم سار الى صيوان الجناب العالى وجلسا يتجاذبان أطراف الحديث ، حتى اذا وصل الوفد الى سلم المصطبة ، خف الجناب العالى ومعه مولانا الشريف نحو السلم ، واستقبلا الفرمان بتقبيله ، ثم قصد الكل الصيوان الحديوى وجنابه العالى فى مقدمتهم . ولا يخفك ما فى هذا الترتيب من المعنى الدقيق اللطيف الذى يشير الى علو مكانة جنابه الرفيع ، وأن مقامه هنا هو المقام الاول ، ومنزله هو المنزل

الاجل . فجلس حفظه الله فى صدر المكان ، وعن يساره دولة الشريف ثم نائب الوالى ثم أنجال الشريف ثم عليه الاشراف ، ومن خلفهم مشايخ القبائل العربية وصاحبها الفضيلة مفتى وقاضى مكة وكثير من علمائها وأعيانها ، ثم رجال العسكرية العثمانية وفى مقدمتهم سعادة ناظم باشا قومندان قوة الحجاز . وجلس على يمين الجناب العالى دولة البرنس كمال الدين باشا ، ثم أصحاب السعادة شفيق باشا وعزت باشا وخيرى باشا ثم موظفو المعية السنية ، يلهم مستخدمو قوة المحمل الشريف المصرى . وهناك توسط ساحة الصيوان عز تلومكتو بجى الولاية وأخذ فى تلاوة فرمان الذى كان يمسك بطرفه اثنان من التشرىفاتية فتلاه بالتركية ، وعند ما أتى على لفظة الخلعة السنية التى قدمها جلالة السلطان ﴿ محمد الخامس ﴾ الى دولة الشريف فكها أحد المهمندارين من غلافها الاطلسى وألبسه اياها . وبعد تلاوة فرمان قام كاتب يد الشريف وتلا ترجمته المرسله معه بالعربية : وخواها أن مولانا السلطان حفظه الله لما يعلمه فى دولة الشريف من أصله الرأى ، وعناو الكعب فى حسن الادارة ، وكمال الدراية ، ومحاسن الاخلاق ، وواسع المعرفة وكرم السجايا ، ومحامد الخصال ، ومعالى الفضائل ، ووجه دولته مركز الشرافة العظمى ، وهو يرجوه على الدوام مساعدة حجاج بيت الله الحرام ، والقيام بكل ما فيه راحتهم وصحتهم ، مع تأمين الطرق وتسهيل المواصلات والضرب على أيدي الخارجين من الاعراب عن الصراط السوى المستقيم . ولقت نظره الى الدقة فى صرف المرتبات وتوزيع الصدقات على أربابها بكل ضبط ، مع مساعدته لمأمرى الدولة من عسكريين ومليكيين على أداء وظائفهم . وكان كلما ذكر اسم واحد منهم ألبسوه كركا ، حتى اذا تمت الخفلة أمر الجناب العالى فاديرت أكواب الشربات على الجميع ، وبعد شرب القهوة اصرف الشريف مودعا من الجناب السامى بكل تحلة واحترام .

ومما يجمل بنا ذكره تلك الالغاب التى وردت فى هذا فرمان موجهة من قبل صاحب الخلافة العظمى الى دولة الشريف حتى تعرف مكانته السامية : « جناب الامين الامجد ، الاجل الاوحد ، المقتنى آثار أسلافه الاشراف ، من آباءه الفرصنايد آل عبدمناف ، وأجداده الحميدى السير الجميلى الاوصاف ، فرع الشجرة الزكية النبوية ، طراز

العصبة العلوية المصطفوية، المنتمى الى أشرف جرثومة علا عنصرها ، والمنتسب الى أنفس أرومة غلا جواهرها ، زبدة سلاله الزهراء البتول ، عمدة آل بيت الرسول ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى من أعظم وزراء سلطنتنا السنية، الحامل لنيشانى الافتخار المرصع العثمانى والمجيدى ، وزيرى سميرالقطانة أميرمكة المكرمة الخ «

وعلى هذا يجدر بنا أن نسوق اليك شيئاً من الالاقاب التى كان يكتب بها الى أميرمكة فى عهدالدولة العجركسية : فقد ورد فى صبح الاعشى فى رسم المكاتبه الى أميرها هذه العبارة : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العضدى ، النصرى ، الذخرى ، العونى ، المقدمى ، الاوحدى ، الظهيرى ، الزعمى ، الكافى ، الشريفى ، الحسينى ، النسيبى ، الاصيلى ، العلافى ( الحسينى مثلاً ) ، عز الاسلام والمسلمين ، ساعد الامراء فى العالمين ، جلال العترة الطاهرة ، كوكب الاسرة الزاهرة ، فرع الشجرة الزكية ، طراز العصبة العلوية ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيب أمير المؤمنين ، لازال حرمة أميناً ، ومكانه مكينا ، وشرفه يبيض له بمجاورة الحجر الاسود عندالله وجهاً ويضئ جبيناً ، صدرت هذه المكاتبه من المجلس العالى تحمل اليه سلاما تميل اليه الركائب الخ » .

ومنسه ترى ما كان وما يكون لمركز الشرافة العظمى من جليل المقام وعظيم الاحترام لدى الملوك والسلاطين . وليس هذا بغيرىب فى بابيه فحسب هذه الاسرة فخراً أن

عائلة اشرف مكتة اقدم اسرة<sup>(١)</sup> شى يفتت فى العالم

(١) لان هذه الاسرة الشريفه تصعد حلقات سلسلهامس عيرشك الى نبيا محمد صلى الله عليه وسلم: وكل فرع من فروع هذه الشجرة الكريمة النوية ، يترك الوالد لله الى ولده من مبداء الاسلام الى يومنا هذا ، نسبتبه الى هذه العترة المباركة ، ارتأيمسالا يصاهيه عنده ومنزله شىء بالمره . ويوجد كثير من هذه الفروع فى بلاد الاسلام وعلى الخصوص مصرالتى كانت محط رحال آل البيت رضى الله عنهم ، ولكل فرع سلسله نسب توصلهم الى أحد سبطى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : السادة الحسينيون ، أو الحسينيون مثلاً . وهذه النسب مسجلة فى دوائر مخصوصة عندقيب الاشراف ، ولاربابها مراتبات تصرف اليهم سنويا فى مواعيد يعلن عنها فى الجرائد اليومية . ومن هذا تعلم من غير شك أن نسب هذه العائلة نوصوله الى النبي صلى الله عليه وسلم يصعد الى أربعة عشر قرناً تقريباً .



BOENNE & ANDERER, CAIRO

الاحتفال العالمي بالخيول وهو مشروع لدراسة وتطوير الإرث الثقافي للخيول في كل أنحاء العالم

وبعد تلاوة فرمان خرج سمو أفندينا الخديو وحفظه الله مع دولة الشريف الى رصيف المصطبة ، وفي أثرهما جميع رجال المعية السنية ورجال الشريف والدولة وموظفو المحمل الشامى ، حيث استعرضت جنود القوة الحجازية يتبعها حرس المحمل الشامى ، ثم الحرس الخديوى يتبعه حرس المحمل المصرى . أما الترتيب والنظام فى القوتين الاخيرتين فقد كانا مما دهش له جميع المتفرجين من ملكيين وعسكريين وخصوصاً رجال الدولة : حتى أن رئيس قوة الحجاز رأى أنه لا يحسن سكوته عن الاعتراف بذلك ، وأبدى اندهاشه من النظام العسكرى المصرى . وكان دولة الشريف وسعادة وكيل الولاية يبديان اعجابهما مما شاهداه ، وشكر اللجناب العالي الخديوى عنايته الكبرى برقى حكومته السنية . ومما يذكر بالمناسبة

وحيتان السابيين والمؤرخين قد حققوا بالاجماع أن نسبه عليه الصلاة والسلام يصعد الى عدنان فلا يكون هناك أى شك فى تحقيقهم نسه اليه . لان الانتساب كان من الحصيصة التى امتارت بها العرب على سائر الامم ، وهو من خصائصهم الى الآن . وكما كان انتسابهم الى جدأعلى (أعشى) كلما كانت حلقات سلسلة نسبهم أكثر (كان محدهم أعظم ، وأصلهم أكرم . وقد أجمع المسلمون من مبدا الاسلام الى يومنا هذا على صحة هذا النسب العالي ، وهم يحفظونه عن طهر قلب من نومة أظفارهم وهالك هو : محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وحيث انه من الثابت فى التاريخ أنه كان لعدنان واقعة مع بحصر فى مبدا القرن السابع قبل المسيح ، فتكون المسافة بين حلقة السلسلة الحالية (أى الموحودة فى يومنا هذا) والحلقة العدنانية نحو ٢٦ قرناً . وادحارينا للسابيين الدين أوصلوا نسب عدنان ناسماعيل بن ابراهيم ، وقالوا ان عدنان بن ادم بن ادد بن الهميسع بن سلامان بن بنت بن حل بن قيدار (نايت) بن اسماعيل ، كانت المسافة بين الحلقة الحالية من هذا النسب الكريم والحلقة الاسماعيلية أكثر من سبعة وثلاثين قرناً .

على أنالو وفقاً بنسب هذه الاسرة الشريفة عند الحلقة النبوية ، فانها تكون أعرق الاسرة (العائلات) الموجودة على ظهر السسيطة حسياً ، وأقدمهم نسباً : لان الاسرة التى يحترمها التاريخ فى أوروبا وبعجلها المر بجه عامة ، ويمطون شأها المحرد اصالتهاى حسياً ، وعراقتهاى نسبها ، لم تطهر الا بعد أسرة الاشراف بكة بقرون عديدة : اذ لا يحفى ان أسرة التربون (Bourbon) التى هى أقدم أسرة أوربية ، والتى تشتم حكما فى فرنسا وايطاليا واسبايا ، لم يبدي تاريخها الا فى سنة ٩١٣ بمدا الميلاد . ويلوها أسرة هابسبورج (Habsbourg) التى لها الحكم الا فى السماء ، وبسدى تاريخها من سنة ٩٥٤ ميلاديه . ثم أسرة السعواى (Savoie) التى منها ملوك ايطاليا الحاليون وتبدي من سنة ١٠٢٧ . ثم أسرة ملوك آل عثمان وتبدي من سنة ١٢٧٧ . ثم أسرة قياصرة روسيا وهى أسرة رومانوف (Romanov) وتبدي من سنة ١٥٤٧ ميلاديه .

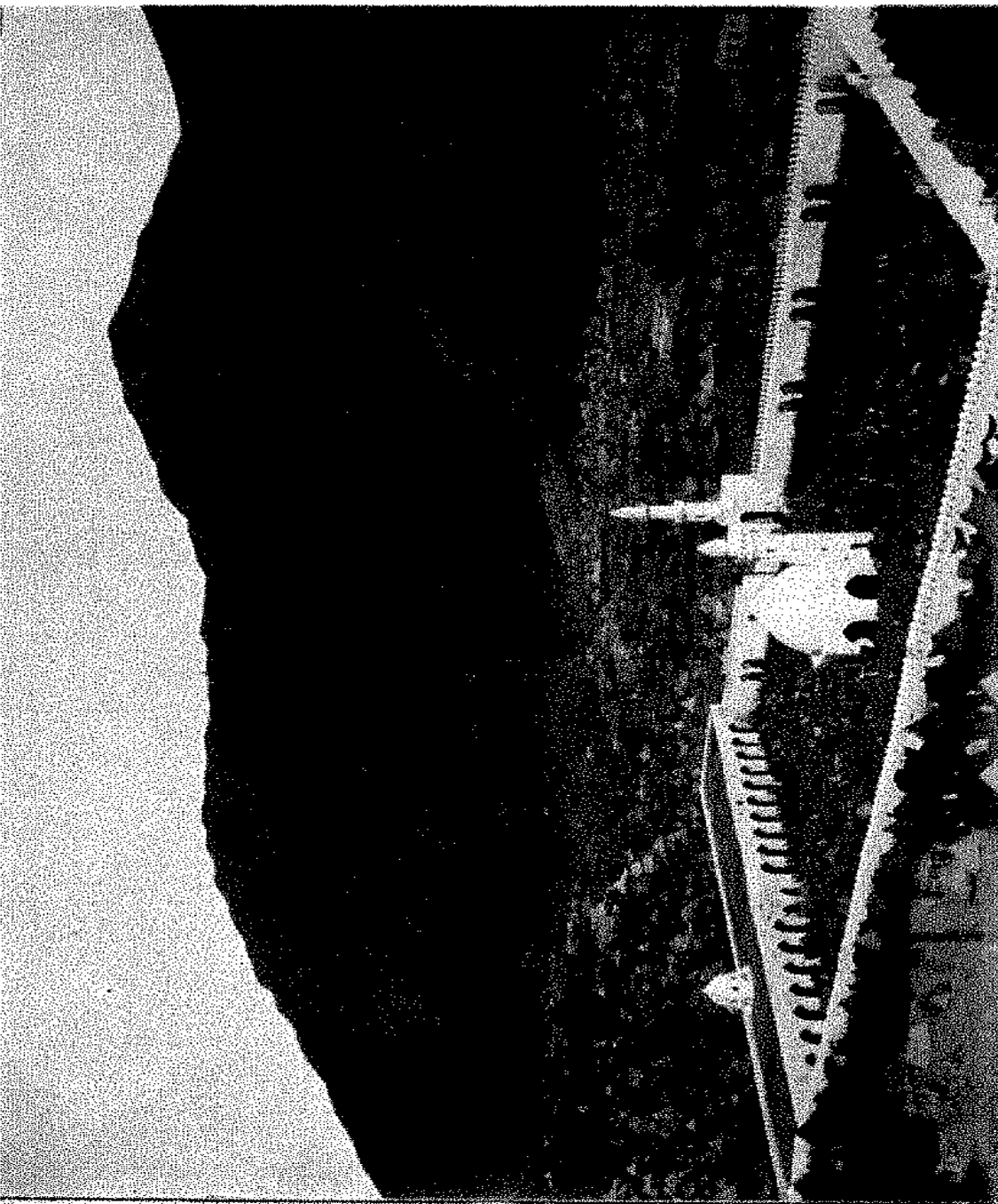




للجناب العالى أثناء ذلك ، أنه لاحظ منه التفاتة فرأى عسكر على بن دينار (سلطان دارفور) ، مع رئيسهم الذى أتى بحملهم ، وراء صفوف الناس من بعد ، فارسى فاستحضر رئيسهم ، وبعد أن لطفه وحياه بما يليق بكرمه ، أمره حفظه الله بان يسير بجنده فى هذا الاستعراض ، فسار يتقدم رجاله الذين كانوا يحركون حراهم على نغمة الموسيقى بحماسة كأنهم يتحركون الى حرب أو طمان .

وفى نهاية الاستعراض قصد الجناب العالى صيوانه ، وبعد ما استراح قليلا ابتدأت التشرىفات العيدية لجنابه الرفيع : فتقدم العسكر بون يتلوهم الملكيون من رجال المعية السنوية وغيرهم ممن حضر لاداء هذا الواجب من وجهاء المصريين ، ثم موظفو الحمل المصرى ، وتشرف الكل بلثم راحته الكريمة ، داعين له بطول العمر وكمال السعود والرفاهية ، وهنئين نفر بضعة الحجج الشريف . ثم تلا ذلك العدد الكثير من الاشراف وعظماة مكة وغيرهم من كبار الحجيج ، وكانوا يقدون على سموه بواسطة دولة الشريف ، فيقدمهم الى جنابه العالى تارة أحد أبحاله الكرام وأخرى أحد رجال تشرىفاته أو ياورانه . وكان حفظه الله يقابل الجميع بصدر رحب ، وثرع باسم ، ووجهه باش ، مما جعل الكل يخرج من حضرته داعياً شاكرام . وفى أثناء هذه المقابلات كانت تعزف فى أطراف المصطبة موسيقات الحرس الخديوى ، والحمل المصرى ، والشامى ، وموسيقى القوة العسكرية الموجودة بمكة ، والى جانبها المزمار البلدى ، تتخلل نعماتها طلقات المدافع وهتاف الحجيج باصوات السرور والخبور من كل جانب بما لا يمكن وصفه .

وبعد تمام التشرىفات قصد الجناب العالى صيوان الشريف لرد الزيارة وتقديم واجب التهانى ، فاستقبله دولته من خارج الخيمة بكل ما يمكن من واجبات التبجيل والتعظيم وأجلسه فى صدر المكان وجلس عن يسار سموه . وهناك دخل رؤساء الديوان الخديوى يتبعهم جميع الموظفين المصريين وعسكر بين وملكيين لتهنئة دولته ، وكان الجناب العالى حفظه الله يقدمهم لسيادته واحداً واحداً كلاباسمه ، وبعد شرب الشربات انصرفوا الى أماكنهم ، وتوجه الجناب العالى محاطاً برؤساء معيته الكريمة الى خيمة وكيل الوالى ، فاستقبله بغاية



BOERME & ANDERER, CAIRO

مستجد الحرف و محمد الجناح بيني

الاجلال والاحترام ، و بعد تناول المرطبات وشرب القهوة توجه حفظه الله الى صيوانه ومكث فيه يستقبل وفود المهنيين الذين كانوا يتقدمون اليه بواسطة دولة الشريف أو بعض حاشيته .

و بعد الظهر زار دولة الشريف ومعه عطوفة وكيل الوالى معسكر المحمل المصرى ، فقو بلا بما يليق بمقامهما من الاحترام بين اطلاق المدافع وعزف الموسيقى بالسلام الشاهانى . و بعد صلاة العصر ركب الجناب العالى ومعه دولة الشريف فى موكبهما الفخم لرمى الجمرات ، ثم عادا الى مقرهما . وفى المساء كان الجناب العالى الخديوى قد أعد وليمة فاخرة لسيادة الشريف ومعه ثلاثون من عظماء قومه ، و بعد صلاة العشاء حضر المدعوون يتقدمهم سيادة الشريف فاستقبلهم الجناب العالى بما جبل عليه من الاليناس ، وكان رجال التشرىفات الخديوية يقومون بالخدمة اللازمة ، و بعد مأكلوا مالذ وطاب هنيئا مريئا رفعت الموائد ، وجلس القوم للسمر ساعة من الزمان ثم خرجوا شاكرين للجناب العالى كرمه ، ذاكرين فضله وآدابه ، داعين مبتهلين الى الله بان يكثر من أمثاله فى أمراء المسلمين وملوكهم . وكانت فى أثناء هذه الحفلة موسيقى الحرس الخديوى تشنف أسماع الحاضرين ، وسسهاام الالاعاب النارية تشق كبد السماء فتزيد درار يها زينة على زينتها ، وسواقىها النارية تنثر فى فضاء الارض تبرها المتلهب فيريدها نورا على نورها . وكان آلاف المتفرجين من عرب وعجم ومغاربة ومصريين وسودانيين وأتراك وجاوه وهنود وغيرهم ، فرحين مبتهجين مهلئين مندهشين لهذه المظاهر البديعة التى لم يسبق لها نظير فى منى بل ولا فى جميع هذه الديار . وكان أكثرهم دهشة من سبق له الحج قبل هذه السنة : وحقيقة فان هؤلاء هم الذين كانوا يحسون بالفارق بين الحج فى السنين الماضية ومظاهره فى هذه السنة المباركة . وما زال الناس فى سرور وحبور الى نصف الليل ، ثم انصرفوا وكلهم داع بعزة الاسلام ونصرة أمرائه وتوفيقهم .

وقد أمضى الجناب العالى يوم ١٣ ذى الحجة فى زاور مع دولة الشريف و وكيل الولاية واستقبال بعض الزائرين ، و بعد صلاة العصر نزل الى مكة فى موكبه الفخم . وبالجملة فقد كان سموه عني محطاً للرجال ، ومكانا لتحقيق الآمال ، ومنهالا للخيرات ،



ومصدر اللحنات ، وكان صيوانه على الدوام غاصاً بالزائرين من عظماء الحجيج على اختلاف أجناسهم .

## مواكب الشريف

يركب دولة الشريف في مواكب الرسمية على النظام الآتي :

تتقدم فرقة من الخيالة والقرابة ، ثم جماعة من المهجانة من عرب البيشة ، ثم بعض السياس تتلوهم الجنائب : وهي جملة أفراس عربية يتلو بعضها بعضاً ، يقود كلا منها سائسان : واحد الى اليمين والآخر الى اليسار ، ومن وراء الأفراس بعض البغال ، وعلى الكل الرخوت الذهبية . ويعقب ذلك عربة يجرها زوج من الجياد ، ومن خلف العربة بمسافة خمسين مترأدولة الشريف على فرس مرخوت ، يحيط به الخدم والحشم وغيرهم من الخزنجية ( الخزندارية ) ، ومن على يساره مائلا الى الورا قليلا حامل الشمسية على حصانه : وهي شمسية كبيرة من الحرير المزركش بالقصب ، والكتير المذهب ، وقطع التبر المثقب (الثرثر) ، يتخلل ذلك كثير من القصوص الكريمة الجميلة . ولهذه المظلة وضع خاص بها : تكاد تكون نصف كرة منتظمة ، قطرها نحو متر ونصف ، وقائمها من المعدن الابيض ويطول حتى يرتكز في ركاب حامله أثناء السير ، ويثبت في الارض أمام صيوان الشريف اشارة الى وجوده في محبته ، وهذا يعني عن رفع العلم عليه وان كان للشريف علم أحمر خاص به .

ويسير من وراء الشريف الجم الفقير من السادة الاشراف ، يتلوهم أعيان مكة على خيلهم أو حميرهم ، والكل بلا بسهم الرسمية ونياشينهم ، يتخلل ركابهم الخدم والحشم والعبيد ، ومن خلفهم ضاربو النوبة : وهم موسيقيون عربيون راكبون على خيلهم يضربون بالزمار البلدي والنقرزان ، يحيط بهم عرب البيشة على هجنهم وهم يتغنون من وقت الى آخر باغنية حماسية

على نعمة الموسيقى ، ولا يزال الموكب سائر على هذا النظام حتى يصل الى المكان الذي يقصده دولة الشريف .

ونظام هذه المواكب عادة قديعة في ملوك الشرق : وقد كانت تركب فيها على المثال المتقدم الخلفاء من العباسيين والفواطم وملوك الجراكسة وغيرهم مما تراه مبسوطاً في المقرئ وغيره . وكانت هذه الشمسية تسمى عند الفاطميين بالمظلة وحاملها كان من كبار القوم وله مكة محصورة ، ويسمى بحامل المظلة ، وبعضهم يسميه حامل القبة . وقد رأيت في تاريخ السودان لشقير بك في الكلام على دارفور ، أن أميرها علي بن دينار يركب في احتفالاته الرسمية بما يقرب من هاته المواكب . وهاك نص عبارته تحت عنوان ركوب السلطان « وقبل الظهر بساعتين يركب السلطان جواداً مزركش العدة ، وأمامه العساكر الحاملون الاسلحة المارية مشاة ، ومن ورائه الخصيان راكبين الخيول ، وبينه وبين الخصيان بعض الحياض بسروج الرهط كاملة العدة يقودها السياس خلفهم صفواً واحداً ، وعن جاني السلطان نفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظله وتظلل جواده ، وهي مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب ومبطن باطلس مختلف الالوان كل شقة بلون ، تتدلى من أطرافها شرار يبقصب ، ولها يد طويلة من خشب متين مغشاة بنسيج ملون كل شر بلون « اه .

## سفر الحجيج من مكة

بعد النزول من عرفة ينتظر الحاج في مكة صدور أمر الشريف بسفر الحجاج منها ، ولا يكون ذلك في الغالب الا في الاسبوع التالي لنزولهم من حجه . والفرض من هذا التأخير وواج تجارة هذا البلد . فاذا جهز الاسان نفسه سافر الى المدينة المنورة ، أو الى بلده ان كان سبق بالزيارة قبل الحج أو شغله عنها شاغل : فينزل مع القافلة الى جدة ومنها الى حيث يريد .

وعلى كل حال فانك ترى مكة اذ ذاك في حركة هائلة بالجمالة وجمالهم وهي مجهزة للحمل غادية رائحة ليللا ونهارا في طرق مكة وعليها شقادفها (١) ومحفاتا وسحلياتها : لان هذا هو الموسم الوحيد الذي يستقدم منه هؤلاء الاعراب حياتهم بواسطة هذه الابل التي هي رأس مالهم الوحيد، بل هي حياتهم بجميع معانيها : فهم من البانها ولحومها يأكلون، ومن أوبارها وجلودها يلبسون، وبرونها وبعرها يدفنون، وهي مركبهم ومحملهم في هذه المسافات الواسعة الشاسعة، التي لا يمكن غيرها من جنس الحيوان أن يقوم بالمأمورية التي تقوم هي بها في وسطهم : ذلك لان الحمل سفينة الاسفار في القفار، وله قدرة على احتمال مشقات الحياة الصحراوية ، خلقه الله مقوس الظهر لا احتمال الاثقال ، وجعل خفقه واسعا مدورا طريا حتى لا ينزلق على الاحجار ولا يسوخ في الرمال ، يحتمل العطش أياماً (وزعم بعضهم أنه يحتمله شهرين) : لان القدرة الالهية جعلت له أربع معدات لهضم الغذاء ، يعقبها تجويف كبير يخزن به الماء، فاذا نفذ ما فيه رجعت اليه عصارة مائية من الاوعية الكثيرة التي حوله مما يأتي اليها من رشح البدن (وتقدر بعشرين لتراً) . ويساعده على احتمال العطش انه كغيره من المجترات، له خاصة اخراج الغذاء من معدته الى فيه ، بواسطة ضغط عضلات المعدة على بعضها ، فتقلص وتطرد الغذاء الى فمه فيلوكه : ومن هذه العملية تتنبه غدد القم واللسان والزور فتفرز من اللعاب ما يلطف من غلته ويخفف من عطشه . والحمل يحتمل الجوع أيضاً

(١) الشدوف عبارة عن سريرين من الحشب وقاعدتهما من الحمال على مثال العجرب، وعلى حافة كل سرير من الحشب الحارحي والحلبي شبكة من عيدان اشجار السنط بحيث اذا ضم السريران الي بعضهما على ظهر الحمل بحال متينة يكونان قبة يغطونها بئتي من الحشيش وركابها يصعون عليها في العالم بعض الاكلة الميريية والتركية ففي الراك من الشمس والمطر . ولو كانوا يعطونها في الشتاء بئتي من المشمع كانت الفائدة أكبر وأعظم . والشدوف يسع نرين وبمكثهما أن ياما فيه كما يمكن أن يجلس فيه الراك على راحته بواسطة مخدات صغيرة خفيفة يصمها على ما يحب . والحمة هي كرسيان من الحشب اذا ضما الي ظهر الحمل جلس فيهما راكبان على مثال حلوسهما على الكراسي ووجههما الى رأس الحمل ، وأغلب ما ترى المحمات في الرك الشامي . أما السحلية فهي سرير من أسرة الشدوف شد على ظهر الحمل مستعرضاً ويجلس فيه مران وهي في العالم من غير مظلة ويرك فيها الفقراء من الناس وخصوصاً من اليهود الذين يحملون حرارة الشمس .

أياماً متعددة بتغذيته من الدهن الذي في سنامه ، ولهذه المزية الكبرى استخدم في الحروب من زمن بعيد جداً ، ولفرق الهجاة المصرية في فتوحات السودان شأن يذكرك في شكره . وغذاء الجمل في بلاد الحجاز امان الحشيش أونوى البلح أو اللبن ، وقدر أيت بعضهم يلقمه الثريد المصنوع بمرق اللحم ، وبلغني ان عرب السواحل تلقمه السمك نيئاً . والعرب يقولون ان أنثى الجمل تعرق من جميع جسمها ، أما الذكرفانه لا يعرق الا من دوماته وهي شعر بين أذنيه ، والبدو يشبعون فتيسلة قد يحتمهم بعرق جمالم فتصير سريرة الاشتعال بمجرد ضرب الزناد عليها . وجمال الحجاز صغيرة ضئيلة في الغالب ، والتي اقبائل حرب منها هي المتعودة على الحمل . أما التي لغيرها من القبائل وخصوصاً البعيدة عن مكة والمدينة فانها غير معتادة على الاحمال وبعاني ركابها مشقة جسمية وخصوصاً ركاب الشقائف . ويوجد غير الحمل في مدن الحجاز وعلى الخصوص في مكة والمدينة كثير من الحمير الحساوية (الحساوية) المتينة ، ويؤتى بها من بلاد الحسا في شرق بلاد العرب . ومع ما هي عليه من السرعة في السير . فانها تحتمل المشى في هذه الصحراء ثلاثة أو أربعة أيام متتامة . ويمكنها أن تمشى في اليوم نحو مائة كيلو متر من غير أن ترى عليها أثراً كبيراً من التعب . وغالب هذه الحمير لا يخلو جلد ها من الرص . ويوجد هناك أيضاً بغال متينة يؤتى بها على الخصوص من بلاد الشام أو العجم . والخيل في هذه المدن قليلة ، وهي تتحمل أيضاً مشقة السفر هناك أياماً متوالية ، وجسها ليس بالجيد لان الجنس الطيب محصور في جهة نجد ولا يهرطون فيه إلا بأثمان غالية ، وعلى كل حال فان الجنس الطيب من الخيل في نجد قليل الا أن جداً : لان الانكليز بالهند يشترون منه كل سنة عدداً كبيراً يستعملونه في الغالب في المسابقات و يأخذون من نسله من أفراسهم نسلاً مختلطاً قواماً متيناً .



## الطريق الى المدينة

تقوم قوافل الحجاج من مكة الى المدينة المنورة : فيسيرون في واحد من أربع طرق على حسب تبعية المقوم والحمالة اليها . وهذه الطرق هي : السلطاني — والفرعي — والغاير — والشرقي .

والطريق السلطاني هو أحسنها سيراً وأكثرها ماء . فاذا قامت القافلة منه خرجت من باب العُمرة وسارت الى الشمال الغربي وتمر على المحطات الآتية :

وادي فاطمة — ويجري فيه ماء عذب يأتي من السيول التي تنزل من جبال الطائف ، وبه مزارع كثيرة ، ويسكن فيه عرب الاشراف من ذوى حسين وذوى غالب ، ويسكن في المنطقة التي بينه وبين مكة الى بحرة بنو لحيان .

عسفان — مأوها قليل وفي طريقها عمقة لا تسع الا جملاً حملاً ، والعرب التي تسكن في هذه الجهة بشور (بشر) وحران .

خليص — مها بئر التفلة ومأوها غزير ويسكنها قبائل زبيد ، ويقرب منها واحة بهامياه جارية وفيها بساتين ونخيل .

القديمة — (القضية) قرية على البحر ومساكنها كواح صغيرة ومأوها من الحفر التي يخزنون فيها ماء الامطار ، وأهلها من زبيدو يشتغلون في الغالب بصيد البحر ومنها يتجه الطريق نحو الشمال .

رابع — وهي قرية على البحر الاحمر وفيها قلعة بها بعض الجند العثماني ، ومأوها من الحفر والآبار وأهلها من زبيد . ويأتي الى مياهها بعض السفن الصغيرة لمشتري ما يصيده أهلها من الاصداف وغيرها ، ويُزلون اليها خفية كثيراً من الدخان وغيره من الاشياء الممنوعة وعلى الخصوص الاسلحة وما يلزمها من زخيرتها . ويبيعونها بأثمان رخيصة جداً .

مستورة — مأوها غرض (ومنها طريق الى بدر، الى الصفراء بسمونه الملف) ، ويسكن هذا الطريق قبائل صبح في بدر ، والاحامدة في الصفراء .

بئر الشيخ — وتسكنها قبائل صبح . والمياه على طول هذا الساحل لا ترغى الصابون .

ديار بنى حصاني — مأوها غرض ويسكنها صبح ، والحوازم .

الحسراء — وهي قرية بها نهر عذب وفيها بساتين ونخيل ويكثر فيها البرتقال واللبن والموز والحناء ، ويزرع بها كثير من الخضر كالقثاء والبطيخ وغير ذلك ، ويسكنها الحوازم ، ومنها ينشئ الطريق الى الشمال الشرقى .

الجديدة — وهي قرية مأوها عذب وبها قبر ولي الله سيدي عبدالرحيم<sup>(١)</sup> البرعى المصرى ويسكنها قبائل الحوازم والاحامدة . ومنها يميل الطريق قليلا نحو الشرق .

بئر عباس — ويسكنها جاب من الحوازم وصبغ والاحامدة ومأوها قليل ، ومنها يميل الطريق الى الشرق قليلا .

بئر ويش — ويسكن هذه الجهة قبائل الاحامدة والرّحلة ( بكسر الراء وفتح الحاء ) .

آبار على — ويسكنها قبائل عوف وعمرو ومأوها عذب وهي على مسافة نحو خمسة كيلومتر من المدينة المنورة ، ويترك فيها القوافل شقا دهم وسحاليهم حتى لا يدفعوا عليها قوشانات في دخولها المدينة . ومن يريد أن يدخلها بحمله دفع عليه الرسوم المعتادة من جيبه . وربما طلب منه الجمال أكثر من اللازم فليتدبر .

### الطريق الفرعى

والطريق الفرعى يتسدى من رابع متجها الى الشمال الشرقى ويمر على المحطات الآتية :

وادي حرشان .

نقر الفار — وهو محجر ضيق منحدر تمر منه الجمال جملا جملا ويسكنه بنو سالم .

(١) وهو المقصود بقول بعض الشاذيين في أغبيتهم «ياسد قل للنبي عبدالرحيم . نحاش» ولعل المرض دهمه في طريق المدينة فمات ودفن بهذا المكان وله ديوان عمر مطبوع كله مدائح الرسول

- بئر رضوان - وماؤها عذب .  
 أبو ضبايع أو أم ضبايع - وماؤها عذب ويسكن فيها بنو عوف .  
 الرياض أو وادي الريان - وماؤها عذب وشجرها كثير ويسكنها بنو عمرو .  
 القدير - وفيه مجرى ماء .  
 وادي المعظم - ماؤه عذب .  
 بئر الماشي - ماؤها حلو ويسكنها عوف .  
 آبار على .  
 المدينة .

### طريق الغاير

وطريق الغاير يتبدى من رابع أو من مستورة ويقطع جبل الغاير إلى الشمال وهو أقل هذه الطرق مسافة . فاذا وصل المسافر إلى الغاير صعد من عقبه عالية تشرف على هاوية عميقة طريقها ضيق جداً بحيث لا يسع إلا دابة . وهذا الطريق خطر في صعوده وهبوطه وخصوصاً على الركاب ، ومع ذلك تسير فيه الدواب بسهولة لأنها تعود عليه ، ومسافة الصعود إلى ظهر هذه العقبة لا تقل عن ست ساعات . ويسكن الغاير ومنحدراته (١) قبائل اللّهبة ومسروح وهم أشرك العرب على الحجاج . وهذا الطريق يسمونه الطريق المدني ، لأن أهل المدينة يستسهلونه في حجهم لقربه : فيركبون هجنهم أو حيرهم أو خيلهم ويسرون فيه قوافل ، قوافل . ولهم منازل ينزلون فيها حيث يكون الماء ويقمون بها ريثما يأكلون ويصلون ثم يستأنفون السير إلى مكة . وكثير من الحجاج الأقوياء الخفاف الانتقال وخصوصاً من المصريين كانوا يصحبونهم من المدينة إلى مكة ، أو من مكة إلى المدينة عقب أيام التشريق مباشرة وينتظرون بالمدينة حتى إذا جاءت القوافل إليها انصرفوا معها إلى ينبع .

وكل حارة من المدينة تكون قافلة تسير تحت زعامة شيخ هذه الحارة ويسمون ذلك

(١) جل القبائل الموجودة في هذه الطرق الثلاثة بطون من حرب .

ركباً فيقولون «ركب فلان حضر الى مكة أو قام منها في يوم كذا» . وكذلك الحال في زيارة أهل مكة للمدينة المنورة قبيل شهر رجب .

### ﴿ الطريق الشرقى ﴾

والطريق الشرقى يخرج من مكة من باب المعلى ويتجه الى البياضية ثم يسير في طريق شمال طريق منى ويتجه الى الشرق ويمر على المحطات الآتية :

بئر البارود - مأوها عذب .

وادي الليمون - ويكثر فيه شجر الليمون والمارنج والليمون الحلو ، ويزرع فيه البطيخ والخضر . وفيه ماء جار ينزل اليه من جبال الهدى ويسير في مجرى مبنى الى بسايننه وغياضه . ومنه يتجه الطريق نحو الشمال .

الحفائر - ( الضريبة ) مياهها عذبة وقرينة من سطح الارض .

بركة سمرة - لا ماء فيها مدة الصيف .

بركة المسلح - ( حارة ) مأوها غزير وعذب وبسايننها كثيرة .

الحبيط - ( الضيعة ) .

سُقَيْنَة - ( صفيينة ) وبها نخل وآبار عذبة .

السوَيْرِجِيَّة - ( السويرفية ) قرية يسكنها سادات من نبي حسين وبها آبار ومزارع كثيرة .

الحجرية - ويبعد الماء عنها بنحو ربع ساعة .

غُرَابَة - أو غراب وفيها مياه كثيرة على عمق ذراع أو ذراعين من سطح الارض .

الغدير - أو الحنك وبعضهم يكتبها الحنق وفيها بركة كبيرة تملأ من مياه الامطار .

سيدنا حمزة -

المدينة المنورة .

وعربان هذا الطريق من الزيود<sup>(١)</sup> واللّهبة<sup>(٢)</sup> وعُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup> ومَطِير<sup>(٤)</sup> والرَّحَلَةَ<sup>(٥)</sup> وهم أبعد الاعراب عن الحضارة .



## نظام القوافل

—————

قلنا ان الحجاج لا يخرجون من مكة الى المدينة الا في ركب القافلة التي تكون جَمَّاتِها من أهل الطريق الذي يسرون فيه . وغالبا ما تكون جمال الحاج تابعة لجمال واحد وهو الاحسن ، أما لو كانت تابعة لجمالين فتكون مشغوليتهما أكبر وتعبه بينهما أعظم . وعلى كل حال فعلى الحاج أن يجتهد في تخفيف أحماله وأنقاله . فإذا اكملت شحنة القافلة نهضت الجمالته بحماهم وأخذوا يقطرونها في بعضها قطارا واحداً أو قطارين بجوار بعضهما ، وفي المقدمة يكون غالباً أكبر الركب وجاهة وعصبية . وجمال كل رجل تسير من خلفه مقطورة في جماله ، ومنهم من يرى تقدمها على جماله حتى تكون على الدوام تحت نظره خوفاً عليها من عبث العاشين . والحمل عندهم ينقسم الى قسمين جمال الشدق : ويركبه اثنان ومعهما اللازم من فراشهما ومؤتتهما اليومية ، وجمال الحمل ويقال له العصم يحمل المتاع ويركب فوقه رجل واحد أو رجلان ان كان المتاع قليلا . وأجرة العصم في الغالب ثلثا أجرة جمال الشدق الذي يكون من الجمال المتينة القوية حتى

(١) الزيود شيعة يفسون الى سيدنا ريديس على رين العابدين . ومن عوادهم أنهم لا يحنون بل  
يسلحون حلدعاتهم وقصيدهم ، ويموت من جراء ذلك منهم خلق كثير ، وأطفال مكة يعيرونهم بذلك .  
(٢) اللهبة مشهورون بالمدن والحياة .

(٣ و ٤) هما من أكبر قبائل بلاد العرب قوة ومعة وأكثرها عدداً وأمسها شجاعة ، وأعليهم  
لا يلبسون الا المنزر ، وساؤهم على حاب عظيم من الشجاعة . وقد بلغ من المرأة العيبية أو المطيرية أنها  
تمسك بيد الفرس وهو نعدو وتجري معه ثم تصمط على ديله بيدها وتقذف بنفسها فوق ظهره ،  
وهي كذلك ترك الحمل في عدوه .

(٥) وعرب الرحلة لا يقيمون في محل واحد بل تراهم كما يشير اليه اسمهم منقلبين وراء الكلا  
من مكان الى آخر .

يتمسره حمل ما فوقه . وليس لهذه الاجرة من رابطة بل يقدرها الشريف كل سنة باتفاقه مع الوالى ، على حسب أهوائهما وتحت رحمتها بضيوف الله ، ثم ينادى بها المنادى فى الاسواق ، ولذلك تراها كالترمو منر ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع ولاية الامور بحكمة . ولقد كانت اجرة جمل الشهد فى سنة ١٣٢٨ ست ليرات عثمانية من مكة الى المدينة الى ينبع ، أما قبل الدستور فقد بلغت ١٣ جنيتها مصرى او نصفاً ، كانت تؤخذ من الحاج فى مكة بواسطة المطوف ، وهذا اعدا ما كان يصيبه من الجمال فى طريقه من طلبه زيادة على الاجرة المذكورة مدعيًا بأنه لم يصمله شئ من أجرته .

وعليه فاذا كان الحماكون فى بلاد العرب من الاخير البعيدين عن المطامع ، كانت الجمالة على اخلاقهم ، والعكس بالعكس (والناس على دين ملوكهم) .

والمطوفون بعد أن يتفقوا مع الجمالة على حمل حجاجهم يسافرون غالباً الى المدينة فى قافلتهم بحجة المحافظة عليهم ، وكثيرا ما يفر الجمالة بضماف الحجاج فى اخذون الاجرة منهم ويخبرونهم بان الجمال خارج البلد ، ويرجونهم فى اخذها من هناك حتى يوفروا عليهم دفع القوشان ( كلمة تركية معناها المكس ، وهو عوائد تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة أو جدة أو المدينة أو يدع ، وليست لها قيمة مخصوصة بل ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع ذوى الكلمة هناك . وربما بلغت ريبالين أو أكثر قبل الدستور مع أن الذى يرد لخزينة الدولة منها ستة فروس عثمانية فقط) . فاذا خرج الحجاج المساكين من مكة لا يجدون الا جمالا ضعيفة ضئيلة ينالهم منها مشقات جسمية ، وكثيرا ما يتركونها ويسرون على اقدامهم جل مسافة الطريق أو كلها .

والقافلة لا تنتظم عادة الا بعد أول محطة حيث ينظم الجمالة جمالمهم ويرتبون قطاراتهم التى لا يخالفونها طول سفرهم .

والجمالة فى الغالب نحيفوا الجسم رقيقوا الساقين قصارا القامة يكاد أن لا يكون فى جسمهم عضل بالمرّة ، أما عظمهم فهو الحديد أو أشد صلابة ، ولهم قدرة على العدو بحيث لا يلحقهم فيه أحد : ولقد رأيت رجلا منهم يعدو وراء جمال شارده حتى تعلق بذيله فعاقه عن الجرى ثم أمسك

بزمامه . أما ملا بسهم فهي قيص عليه حزام من الجلد به عادة سكين طويلة أو سيف صغير ، وفي يدهم عصا غليظة قصيرة يسمونها المطرقة وعلى رؤوسهم تلك الصمادة (الكوفية) (١) التي يلقونها عليها بأشكال مختلفة . وبعض عرب الشروق واليمن يستعملون غير الطاقية شيئاً من الخوص يشبه البرنيطة الواسعة ان لم يكن هوهي و يسمونها الظلة .

وبعض الجمالة يلبس معلا في رجلاه ، فيها من حرارة الارض وحصصاً بها . أما نظافة ملا بسهم فلا يمكنني أن أقول لك عنها غير أنها اذا اتصلت بجسومهم لا يخلعونها مطلقاً حتى تنخلع هي عنها ، وهذا لا يكون الا اذا أكل عليها الدهر وشرب . والمترفون منهم يغيرون ملا بسهم كل سنة مرة في موسم الحج ، وبعضهم يلبس عليها عباءة من الصوف أيام الشتاء تقيهم شدة البرد يسمونها مشحاً . ولون هذه الملابس كلون الجبال أو الرمال : فتراها صفراء قائمة أو حمراء طوبية ، وربما كان اختيارهم لهذه الالوان حتى لا تثرى بسهولة من بعد بل يشكل فيها الأمر على الرائي . وفي ذلك ما لا يخفاك من الفكرة التي أساسها الخبث والغدر !! وربما أخذ من هذا الغطية الاستحكامات الجديدة في أوروبا وبابطبة ترابية تشبه أرض المنطقة المحيطة بها . وبعض كبراء الحجيج يعطون جمالتهم عباءة من الجوح الاحمر فيفرحون بها فرحاً عظيماً ويقع في نفوسهم موقماً حسناً ويتباهون بها على أقرانهم .

والجمالة بعد الالاتعاد عن مكة يلحفون للحجاج في السؤال ، ويلفظون لهم في الافوال : فترى أصواتهم هنا وهناك قائلين لركابهم « جرجوش - هلهه - سكر - جرش » . فيجيبه هذا الحاج أنت أخذت ، ويقول الآخر ما بقي شيء أو ما في معنى ذلك . وهناك يكثر بينهم الاخذ والرد الذي ينتهي بأخذ الجمالة ما يريدون . وكثيراً ما ترى في الطريق بعض أعراب من غير جمالة القافلة ومعهم جمال ضئيلة وهم ينادون (يارو ويكب يارو ويكب) ويكون ذلك غالباً في المحطات الالهة بالسكان : وتصغيرهم للركاب في نداءهم لا يخلو من معنى ينطبق على حقيقة من يركب معهم من هؤلاء الذين لم تسمح لهم ذات يدهم بالاستعداد على ركائبهم قبل سفرهم ، ولهذا فانهم يتساهلون في أجرتها كثيراً . وترى ذلك على الخصوص في طريق عرفة .

(١) أظن ان لفظ الكوفية: نسبة الي الجملة التي كانت تحمل فيها وهي الكوفة .

وعلى طول طرق القافلة ترى كثيرا من حجاج القور ( التكرور ) مشاة باطنافهم ، وكثيرا ما ترى الام حاملة طفلها في شبه كيس ملتصق نظرها بحيث لا يظهر منه غير رأسه ، وعلى رؤوسهم بعض أمتعتهم ، وفي أيديهم صفيحة أشبه بالكشكول يضعون فيها غذاءهم . وإذا كانت لهم حاجة الى السؤال سألو اركاب القوافل بلطف وأدب ، ومارأيتهم يطلبون غير الماء لانه يصعب عليهم حمله ، وخصوصا في مدة الصيف الذي تجف فيه القرب وتنشف الركايا . فاذا مرت القافلة قرب بيوت قبيلة من القبائل وجدت كثيرا من الاعراب ينادون على البطيخ الكبير تقولهم برطيخ ، وعلى صغيره بقولهم الخربز ( وأصلها قاربوز بالتركية ) ، وينادي بعضهم الما الما ، خُبْزُ خُبْز . الثمر ، الفجل الخ الخ ، فاذا قربت من ديارهم وجدت شردمة من أولادهم يحيطون بك وأيديهم ممدودة للعطاء وهم يتغنون بقولهم : يا حاج سلامات ، يا فندي سلامات ، يا بو ياسلامات ، ان شاء الله سلامات ، ان شاء الله عرفات ، ان شاء الله بركات و بعضهم يقول : حجج حجيج ( حجج الحجيج ) بيت الله : والكعبة ورسول الله الخ . وكانى بالحالة واللفظة تهضم في أكتفهم والحسنه تضيع بين أصابعهم لا يعرفون الكرامة الا وقت امتداد يدك بها اليهم ، فاذا انقضت حركتها صارت كماها ما كانت !! وهذا امر لا ينطبق على ما هو مشهور في الطبع العربي من ذكره للنعمة وحفظه للجميل . ولهم أغنية يتغنون بها في طر يقهم ، وهي في الغالب على النعمة العراقية والرومية التي أخذوها عن حجاج الاتراك والشوام . وجمالهم ترناح اليها وتسمع لها فتسببها لحظة ما هي فيه من التعب والعناء . وهذه الاغنية لا يكاد يعرفها من سماعها لانها أقرب الى الرطانة منها الى العربية ، على أنها لا تحلو من معان دفيقة لطيفة وأغلبها غرامية تمثل حكاية محب ومحجوب أو عاشق ومعشوق ومنها ما هو مدح في المطايا ودونك شيئا منها :

« يا حبيبي لو ترى حالي واللى جرى لى بعد فراقك

والله ما غبت عن بالى ولا نسيت الحصافه ذاك»

« ياسيدوايش غر بك في دايرة الحفا والشوك ، يارهيف ، يامرود العين ، ياريت خدى

ينقسم نعلين ، الله يحاسبهم كما حاسبونى ، كما رمونى بحوف الوقيسة وانا حى » .



« لو اهنى بالحج واوفى بجماره ، واقف على العيرات ساجدين مع الربيع ، ( الجبل المرتفع ) صبح أربع تسمى شعيب الخضارة ، مع مثلهن يمسى بوادى الربيع ، مع مثلهن كل تهنى بداره ، وادى النعيم اللى عذوقه مهايبع . »

« يا الله ياراد كل غريب بلاده والذوق (النوم) بعد القسا (القسوة)

( يعنى التعب الشديد ) ، حمت اللمن (المن) والشام وكل دايره جيت من وراها ، لى فى اللمن سيدولى فى الشام باشا ، ان جيت عند اللى فى اللمن بيتى السيدى ملكنى ، وان جيت عند اللى فى الشام ييجى الباشا يحكى . وينطقون بالقاف جيا غير معطشة وصغار الججاج من المصر بين لهم أغنية يتغنون بها فى طر يقهم وعلى الخصوص ساؤهم . وهى لا تخرج عن ذكر الطريق للحج وذكرا البيت وعرفة وزمزم ، وخصوصاً ذكر النبي عليه الصلاة والسلام . وكلها عبارات بسيطة ليس فيها شئ من المعانى العالیه تذكر لك شيئاً منها :

« أنا ممدح محمد ، والحسن والحسين والقاسم أحمد ، بلغ العاشقين يارب زيارة محمد ، مديح باشتياق أنا ممدح الالنبى ، ياهنا اللى انوعد .  
يا ليلة ان برزواو باتوا لبرّه ، و بات قلبى فى حنين ، و يطلب من الله يرجعوا سالمين ، بنصره من الله ، ياهنا اللى انوعد .

وان جيت حبيبي ياو بور وان جيت حبيبي ، لا كنسك وأرشدك وبالشمع أقيدك ، مروق بنحوخه يا بحر ، يا بحر مروق بنحوخه ، لا يمك عكار ، ولا ريح بدوخه ، تحت ظل القلوع أبو شال وجوخه ، فى رابع نوى الاحرام ولبس احترامه ، يانهار الهايوم خلوه يفك احترامه ، يافرح قلبى يوم طلوع الجبل ، والخطيب على الجبل ، والمبلغ يرقى ، يافرح قلبى ساعة النفره ، وفرحت عيوننا ونزلنا بفرحه ، وفوتنا من بين العالمين كان الفجر لايج ، يوم دخولنا منى ونصبنا الخيم وذبحنا الذبايح ، وافكرنا العميال وبقى الدمع سايل ، و بعد

ثلاث أيام حملنا مكة، وطفنا طواف الوداع وبرزنا، والجمال حملنا، وعلى أبو ابراهيم سرنا، وصلنا قبلة المصطفى والاعتاب زمره، حول مقام النبي، قال الطواشي منين يا جماعة، زوروا النبي زوروا وأطلبوا الشفاعة .

والخداء قديم جداً في العرب . والمؤرخون يقولون ان أول من حدا الجمال مضر بن ربيعة وكان حسن الصوت وملك كثير من الابل، وذهب بعضهم الى أن توقيع الجمال في سيرها هو الباعث الاول على وزن الشعر فيهم . ولهم لكل سير من سير الجمال بحر مخصوص : فاذا سارت الهوي بنا فالرجز واذا أسرع فالتخبب . وقد كان الخلفاء يأمرون شعراءهم فيحدون لجمالهم . ومن ذلك أن عبد الملك بن مروان كان راكباً جملاً في سفره (ولعله في حجة) وجمالاه يحدو بقوله :

يأبها البكر الذي أراك \* عليك سهل الارض في ممشاكا

وبحك هل تعلم من علاكا \* ان ابن مروان علاذراكا

خليفة الله الذي امتطاك \* لم يعمل بكر مثل ماعلاكا

ووقت تحميل القافلة وتنزيلها تكثر السرقات من الجمالة أنفسهم . وقد يتفق جمالك مع جمال آخر فيحضر في هذا الوقت الذي يلبيك فيه بصريخه وصياحه في حين ما الاخر ينقض على غفشك ويسرق منه ما تصل اليه يده ، حتى اذا هدأ وعك شعرت بما نقص من متاعك . وهناك يكثر الصياح فيقول هذا : خرجي ، ويقول الاخر : ملابسي ، وغيره يصيح : لحافي وهكذا ، وبعد هرج ومرج من غير فائدة يسكت الصائحون شاكين أمرهم الى الله ، ويشتغلون بتجهيز شؤونهم . وليست الجلبة قاصرة على هؤلاء بل ترى الصراخ من انحاء القافلة تباهها فهذا يصيح قائلاً : يا حاج فلان ، وذلك ينادى : يا حاجة فلانه ، وآخر يقول : اندر ، وغيره يومئ به يشاهد الحرامي فيقول : شايفك ، وآخرون يشتغلون بنصب خيامهم فيدق هذا بمطرقة ، ويتصارع الآخرون الذي زحزحه عن مكانه، وهو في أثناء ذلك يزعم مع الذي من وراءه لانه يزاحمه على محله . وتسمع فيما بين ذلك أصوات الاعراب هذا يقول : الخطب الخطب ، وآخر يقول : الما الما

وهكذا ، ومأمم الاسارقون ما تصل اليه أيديهم ، ويفرون من حيث لا يشعرون بهم أحد . وبالجملة فتستمر هذه الجلبة صاعدة في هذا الفضاء الى عنان السماء نحو ساعة من الزمان ، أعني ريثما ينزل الحجاج حمولهم ، وينصبون خيامهم ، ويمهدون فراشهم بين رحلهم ، ويحيطونها بشقادفهم التي تلتف بها جماهم وجمالهم . وهناك يبدأ هذا في جلب الماء بنفسه أو بواسطة جماله ، وآخر يستقضى الخشب ، وغيره ينصب القدر لطبخ بعض الاغذية الجافة كالعدس والارز واللحم المجز ، وذلك في المحطات الصغيرة التي لا تطول الاقامة فيها ، أما المحطات الكبيرة فيشترى منها اللحم الطري الذي يذبحه بعض أعرابها ، وبعد العشاء يشربون قهوتهم وينامون بعد أن يمطوا الجمالة عشاءهم . والرفقاء من الحجاج يتناوبون السهر على حراسة غفشهم ، ومن يسهر منهم تراه على الدوام يصرخ بكلمات الاضطراب والانزعاج كقولهم ، « شايك ، ابعده ، لا تقرب » وهكذا . والحجاج يقضون حاجتهم بين رحلهم في الغالب ، ومن ابتعد عنها لا بد أن يكون معه أنيس يحرسه عند اشتغاله بنفسه ، والا فانه لا يحرم واحدا من الأعراب ينقض عليه ويضربه في رأسه بعصا يابسة قصيرة تخدمها أنفاسه !! وهناك يشلحه من ملابسه أو يكتفى بقطع كمره من حزامه أو من ذراعه . فاذا استغيبه صحابته قاموا بالبحث عنه فيجدونه إما فاقد للحياة فيوارونه التراب على حاله !! وإما فاقد للشعور فيأخذونه ويقومون بشأنه ، وقليل ما ينجو من هذه الضربة . وعلى كل حال فالناس في القافلة تراهم جلوساً قياماً ما مع ماشيتهم وخدمهم وجمالهم وتبعهم بلا فارق بين الجميع ، بل ترى السيد على الدوام يبالغ في السؤال عن خدمه والاهتمام بشأنهم حتى لكانه يتقرب بذلك منهم : وهنأتحقق مسألة السادة الصوفية (سيد القوم خادمهم) . وقد يقطع الجمالة بعض الجمال من القافلة أثناء سيرها ، ويتظاهرون باصلاح حمولها حتى اذا ابتمدت القافلة عنهم أو وقعوا بركابها وهم يستغيثون ولا يفأنون ، وسلبوهم متاعهم ، وكثيرا ما يجهزون عليهم ، ويفرون بجماهم الى حيث أرادوا . والادهي من ذلك كله ما يهدد القافلة من خطر هجوم بعض القبائل التي في طريقها عليها ، أو على الاقل وقوفهم في وجهها فلا يدعونها تمر الا بعد أن يأخذوا منها ما يرضيهم باسم أجره المرور في أرضهم ، وربما كانت لهم مع المقوم

وكبار الجمال المناقشات حقيقية أو ظاهرة تنتهي على الدوام باقناع المقوم لحججه باعطاءهم ما يطلبون .

وبالجملـة فركب القوافل لاضمانه بالمره ، وهو بين أيدي المقومين والمطوفين كالطيرة الضعيفة في يد الطفل ان شاء أكرمها وان شاء أهال عليها المصائب والمتاعب من كل جهة ، لانهم طبعاً في هذا القضاء ، أرباب الحكومة والقضاء . وهم الذين يفضلون فيما عسى أن يقع من الحجاج من الشغار أو الصغار الذي هو شأن الطبقة السافلة منهم على الدوام ، لاسيما صغار الحجاج المصر بين الذين لا تسمع منهم على طول الطريق الا عبارات تافهة أو مشاجرات أساسها شئ لا قيمة له بالمره بما أدت الى أخذ البعض بخناق الآخر ، وذو والعصبية منهم هم الغالبون . أما اذا كان الشجار بين بعض الحجاج والجمالة ، فان كان الحاج ضعيفاً احتمل الاهانة لأول مرة ، والادافع برفع لسانه ويده بسرعة يعتبره رد فعل بالاعتذار اليهم والاستكانة لهم ، ولا يعدم الحاج المتشاحن في هذه الحال من اخوانه من يعنفه على شجاره مع الجمالة المنتصرا اليهم لا بلسان الحق ولكن بعبارة الملق والمداهنة اللذين أساسهما الجبن والنفاق والعياذ بالله ، مما يجعل روح ذوى الاحساس الرقيق تردد بين حناجرهم وخناصرهم !! واذا آمن يريد بنفسه خيراً فعليه أن يصم أذنيه ويربط لسانه عن أمثال هذه المهاترة ، فترتاح روحه ويطمئن قلبه وان كان ضميره في ألم مستمر .

وعلى كل حال فيجب أن يكون الناس في طريق القافلة كلهم عيوناً تحافظ على حياتهم ومتاعهم . وعندى أنه يجب على حجاج كل قافلة أن تكون لهم بصيرة على أنفسهم : فيرتبون أمورهم وينتخبون ائمانتهم رئيساً منهم قبل قيامهم من مكة . وهذا الرئيس يرتبهم في خارجها فيعين منهم خفراء بالنوبة يقومون بحراسة القافلة في أثناء سيرها وفي اقامتها . واذا حدث حادث في القافلة أثناء المشى أوقف سيرها ونظر فيما فيه صالحها : وهذا أظنه أولى من تسليم زمام أمرهم الى مقومهم . وما على حكومة الحجاز اذا رتب لكل قافلة خفراء من العسكر تقوم بحراستها في نظير رسوم مخصوصة تتقاضاها من ركاب القوافل ؛ فذلك يكون فيه شئ من الضمان للحجاج ، اللهم الا اذا صادفوا منه ضعفاً على اباله .

من غص داوى بشرب الماء غصته \* فكيف يصنع من قد غص بالماء  
على أناسمنا ونحن نكتب هذه الكلمات أن حكومة الحجاز مهتمة بتسيير السكة  
الحديدية بين مكة وجدة . فاذا تحققت هذه الامنية سهل على الحجاج الطريق الى الحرمين  
الشريفين بواسطتها . وهنا نرجو من حكومة الحجاز أن لا تجعل هذه السكة ضيقة مثل السكة  
التي بين الشام والمدينة ، حتى لا تصادف شيئاً يعوق سرعة سير القطارات عليها ، والله تعالى  
يوفقها بمنه وكرمه الى ما فيه الخير العام .

## سفر الجناب العالى

### من مكة الى الوجه

أمضى الجناب العالى بمكة يوم ٤ اذى الحجة وهو يستقبل زواره ، ويفيض نضاره ،  
على البائسين والمحتاجين ، بعضهم بواسطة رجال المعية السنية ، وبعضهم بواسطة حضرة  
مأمور التكية الذى أحيل عليه البحث فى الالتماسات الخاصة بالمرتبات اليومية والشهرية .  
وفى ظهر ذلك اليوم أمر حفظه الله فسارت حملة الحاشية الكريمة الى بحرة تحت قيادة حضرة  
الامير الامى على بك اسماعيل ومعها كثير من فقراء الحجاج المنقطعين مصريين وغير مصريين  
من صدرت الارادة السنية بتسفيرهم الى بلادهم بناء عن التماسهم على نفقة الخاصة  
الحديوية . ثم قامت فى عقبها حملة دولة الوالدة فوصلت حفظها الله بحرة فى منتصف الساعة  
الثالثة بعد الغروب .

وبعد صلاة العشاء طاف الجناب العالى طواف الوداع ، وركب سموه وفى ركابه  
المخيم من بقى فى خدمته من رجال معيته ، وبمجرد ما خرج من باب مكة وجد دولة الشريف  
وحضرة وكيل الوالى وكثيرا من الاشراف والكبراء قد اجتمعوا الوداعه ، وساروا فى  
موكبه ساعة شاكرين له همته السامية ، وآدابه العالیه ، مكررين آيات الثناء على فضائله

وفواضله . فشكرهم جنابه العالى مودعا . وسار وفي خدمته أصحاب السيادة أنجال الشريف وسعادة مكتوب بجى الولاية والشريف ناصر الذى تعين من قبل الشرافة العظمى مهمندارا لجنابه السامى مدة وجوده فى أرض الحجاز ، ووصل ركابه العالى بسلامة الله الى بحرة فى منتصف الليل . وأمضى فيها يوم ٢٧ ديسمبر ، وبعد صلاة العشاء ركب الى جدة .

وكان حفظه الله كلما مر فى طول الطريق على طابية ، وجد عسكرها نزلا من طوايبهم لأداء واجب التعظيم ، وضرب تقيهم منبثا الطابية التى بعدها بقرب تشریفه اليها . ولما اقترب من جدة وجد سعادة قائم مقامها وحضرة قومندان عساكرها مع كثير من أعيانها فى انتظار تشریف جنابه العالى ، وسار الكل فى ركابه حتى وصل الى سلم الكور تينة فى نحو منتصف الليل . وهناك سلم عليهم سموه شاكرهم عنايتهم وآدابهم ، وركب الزورق البخارى الى وابور المحروسة مع بعض رجال معيته . وكانت دولة الوالدة قد سبقت اليه مع حاشيتها ، أما باقى رجال الحرس والمعينة السنية فقد نزلوا الى وابور الرحمانية الذى كان فى انتظارهم .

وفى صباح يوم ٢٨ ديسمبر قابل الجناب الخديوى فى يخته أصحاب السيادة أنجال الشريف وسعادة قائم مقام جدة وحضرة قومندان عساكرها ، ثم قناصل الدول الموجودين فى هذا الثغر ، وكانوا قد أتوا بصفة رسمية لتوديع جنابه العالى ، فشكرهم سموه على آدابهم ، وأرسل تفرقات الامتنان والشكر الى جلالة السلطان ، ومقام الصدارة العظمى ، ودولة الشريف ، وحكومة الحجاز ، على ما لاقاه حفظه الله من كمال العناية منذ حضوره الى هذه الاراضى المقدسة . وفى هذه الاثناء كان ينظر حفظه الله فى أوراق حكومته التى أتت الى جدة مع آخر بريد . وبعد ان أصدر أوامره السنية فى الشؤون الهامة ، أمر حفظه الله فسارت مركب المحروسة وقت الظهر تماما قاصدة الوجه : وهى ميناء فى ساحل بلاد الحجاز على البحر الاحمر ، وتبعد عن جدة شمالا بمسافة ٢٤ ميلا فوصلها ركابه العالى ظهر يوم ٢٩ ديسمبر ، وفى يوم ٣٠ وصلت مركب الرحمانية ، وهناك أخذ فى اجراء الاستعداد اللازم لسفر سموه برا من الوجه الى محطة البدايع للسفر منها الى المدينة المنورة بطريق السكة الحديد الحجازية .

## الوجه والسفر من الى المدنى ننتا المنورة

الوجه قرية على عرض ٢٦ درجة و ١٤ دقيقة وطول ٣٦ درجة و ٢٧ دقيقة ، وفيها نحو أربعين بيتاً صغيراً . وعدد أهلها لا يزيد عن خمسمائة نفس : كلهم تقريباً عائلة واحدة تسمى عائلة البديوى ، ويشرف على القرية تلة من ورائها ، عليها قلعة حصينة ، وفي هذه القرية على صغرها ثلاثة مساجد يقصدها في أيام الجمعة كثير من العربان التي في ضواحيها من قبيلة بلي . وكانت لقرية الوجه أهمية عندما كان يمر عليها ركب المحمل مدة سفره على البر : فقد كانت تنصب فيها الاسواق وتفرق فيها العوائد على العربان . أما الآن فحياة أهلها من صيد الاسماك وتجارة السمك والاصواف التي تأتي اليها من وراء الساحل والفحم الخشبي الذي يؤتى به من داخل البلاد . وأغلب تجارتها مع السويس ، ومنها تقوم اليه في كل خمسة عشر يوماً بواسطة على إحدى مراكب الشركة الخديوية . ولما كانت الوجه محطاً لرحال المحمل المصري ومراً للحجاج المصريين كانت ادارتها وماولياها شمالاً من المويلح وضبا والعقبة في يد الخديوية المصرية ، وكان يعين عليها محافظ من طرف حكومة مصر مع قاض للنظر في الاحكام الشرعية ، وكان لها جند يحرصون الطرق ، حتى اذا انقطع الحج من هذا الطريق عادت ادارة هذه البلاد الى الدولة العلية .

ولقد كانت هذه القرية مدة وجود الجناب العالي بميائها على أكمل ما يكون من معالم الافراح : فكنت ترى الرايات الحمراء على بيوتها وعلى سوارى فلايكها ، والعلم العثماني كان يخفق طول هذه المدة فوق قلعتها . وفي الليل كانت القرية تلوح كأنها الثريا زهاء وبهاء لمصابيح الزينة التي كانت على دورها ، وخصوصاً دار القا مقام والقاعة ، وبالجملة فقد كانت البلد في حركة هائلة لم ترها طول عمرها .

ومن سنة ١٣٢٧ رجع المحمل المصري الى الوجه من جدة لتأدية واجب الزيارة بالطريق الحديدي من محطة العلاء . وسبب ذلك تعرض عربان الدرب الطويل ودرب ينبع له

بغير حق . ولعلمهم يرجعون عن غيهم فيعود الى مجراه الاصلى .

وفي يوم السبت الموافق آخر شهر ديسمبر نزل الجناب الخديوى الى البر ، وكان في انتظاره حضرة قائم مقام الوجه وسليمان باشا ابورقادة شيخ قبائل بلي والمتعهد بحملة الركاب العالمى ، فركب حفظه الله المهجن مع حاشيته وسار الى جهة الشرق فى ركب حافل من عليسة عربان هذه الجهة ، وفي مقدمتهم نحو خمسين نفر آمن عرب عقيل على هجنتهم ( وهم جنود للدولة من العرب مثل جنود البيشه ) وفي أيديهم مزاريق مرفوع عليها العلم العثمانى ، وعلى رأسهم ضابط برتبة صاغ قول أغاسى ، وأمامهم فرقة منهم تضرب نوتهم بالنقرزان ( النتره زان ) على طول الطريق . وما زال حفظه الله سائرا بموكبه وفي خدمته حضرة قائم مقام الوجه وبعض مأمورى الدولة هناك فى واد يقال له أبوعرايش ، حتى وصلوا بعد مسيرة أربع ساعات واصف الى ماء يسمى رأس حرامل ، وفيه مكان يسمى الرحبة . وقد كانت حملة الخيام سبقت اليه واستعدت فيه لقدمه الشريف ، فتصدسوه سرادقه ونزل من فى معيته كل الى خيمته .

أما دولة الوالدة حفظها الله فنذكر كبت مع صاحبات السمو والعصمة كرىمى الجناب العالمى ، ودولة الرئيس فاطمة هانم أفندى ، ودولة والدة الرئيس نازله هانم أفندى حلیم و بعض حاشيتها ، عربات صنعت بصنفة خصوصية للسير فى طرق الجبال بحر كل واحدة منها ثمانية من الجمال ، ومن ورائها نختروانات تحملها البغال ، على جملة اشكال ، حتى اذا تبين من هذه استرحن فى تلك . وكان خلفهن هوادج لمن كان فى معيتهن من القلقوات ، يتلوهن باقى حملة الركاب الخديوى من حرس وخدم وحشم ، يتقدمهم رجال المعية السنية . وما زالت هذه الحملة سائرة حتى وصلت الى المكان الذى فيه المخيم الخديوى فى مسافة عشر ساعات .

وفي يوم أول يناير ركب سمو الجناب العالمى بعد صلاة الفجر وسار بركبه فى وادى السير حتى نزل فى مخيمه بوادى أبى الفزاز ، وبه ماء يسمى باسمه ، ومسافة السير اليه على نحو اليوم السابق .



وفي هذا الوادى يكثر شجر العِشَار والشَّرَاة ( نوع من السنط ) والقَرْيَظَة ( نوع من الخلفة يرتفع عنها وتأكله الابل ) والدوم والاراك ( السواك ) ، وكذلك يكثر فيه نبات العوسج والخروع والضُرْمَة ( تشبه الخلفة الا انها قصيرة ) والرْمَث ( نبات كالشيع ) والخِرْمَة ( مثل البتونيا ) والسيال والحنظل وله عندهم فوائد كثيرة وخصوصاً في قطرانه الذى يستخرجونه منه . والعرب يدقون خشب السيال مع الحنظل ويعملون به شراباً يضر بون عليه بزبادهم فيورى ناراً ، وهم في غنى به عن الكريت .

وفي يوم ٢ يناير ركب الجناب العالى بعد صلاة الفجر وسار بموكبه الى مكان يقال له مسيل النجد ، وفيه ماء اسمه البداء ، ومنه تبتدى الارض في الارتفاع نحو الشرق ، فنزل فيه حفظه الله وفتح اليه المسافة مع ركبته في مثل الايام السابقة . وقد وجدنا هناك أورطة من سوارى الجيش العثمانى كانت قد أتت لحراسة جنابه الرفيع من قبل الدولة العلية ، وكانت تريد السفر الى الوجه لانتظار سموه وودها والسير في ركبته العالى فلم تتمكن ، لانها كانت تظن أن سموه يشرفها بعد هذا التاريخ .

وفي يوم ٣ يناير سار ركب الجناب العالى في وادى النجد ، ومعه فرقة من خيالة الدولة حتى وصل الى خَشْمِ سَلْع ، فنزل به وبات فيه مع باقي ركبته ، والمسافة اليه كالمسافات السابقة . ويكثر في هذا الوادى شجر العِشَار والطلح ( نوع من السنط ) والماء فيه قليل .

وفي صباح اليوم الرابع من يناير ركب حفظه الله بعد صلاة الصبح وسار صاعداً من عقبه سَلْع ( وسمونها البوق لانها على شكلها ) الى شرفة العجد في أرض صخرية يكثر مدرها ، ويضخم حجرها ، ويصعب السير فيها على الخيل والبغال ، والأحمر والجمال ، بل وعلى النساء والرجال ، حتى ان أحد سوارى الترك كان يسرع فيها بجواده فاهلب به وارطم رأسه بحجر فاكسر وأخذ الدم يتدفق من أم ناصيته ومن وجهه وأذنه ، بما قدمه شعوره وكاد يموت حتف أنفه ، لولا أن الدكتور الحسنى طيب الحرس الخديوى كان قريباً منه ، فحذف بنفسه عن راحلته ، وتبعته باجزخاتى الخصوصية فضممنا

جراحه ، واشممناه بعض المنعشات التي أفقتسه لوقته ، فركب جواده بين اخوانه الذين  
بلاحقوا اليه ، وهم شاكرون لرجال الجناب العالي عنايتهم به واستعدادهم لمثل هذه  
الطوارئ ، ذاكرون لهم حسن خيرتهم وعالي همهم .

ولم دشاهدت في الحبل الذي كان على يسارنا بعد مدخل البوق أثر كتابه بالخط الكوفي  
محموره حفر ابسيط في صحرة مشرفة على الطريق ، فرأيت منها هذه الكلمات : « اسم  
الله ما شاء الله باسم الله . . . المستنصر بالله » واني لأدري اذا كان ذلك كتب في مدة  
المستنصر بالله الفاطمي في مبدا العصر الثاني من القرن الخامس للهجرة ، وقما وقع عصر  
ذلك الغلاء الفاحش الذي بلغ فيه ثمن الاردم النصح مائة وعشرين ديناراً والذي أكل  
الناس فيه اعصمهم بعضاً . ادلا يبعد أن يكون هجرها في ذلك الوقت جماعة الى المدينة المورة  
وساروا من هذا الطريق ويبدوا ناريج مرورهم والاشارة لعلة هجرتهم ، تدكر اسم الخليفة  
لذلك العهد . كما يصحح ان يكون ذلك حصل في مدة المستنصر بالله العباسي الخليفة بغداد في  
سنة ستائة وثلاثين هجرية . على مدة الملك الكامل صاحب مصر . والذي حلف  
صلاح الدين الايوبي في محاربتة للصليبيين : ان لا سعد أنه سب في هذا الطريق فرقه من  
عساكره ليرود الطريق من الشام الى بيت الله الحرام . وبيت نبيه عليه الصلوة والسلام ،  
خصوصاً بعدما كان الافرنج قد ملكوا أقالمة (العتبة) ، واجلاهم عنها صلاح الدين في  
سنة ٥٦٦ هـ وربما كانت هذه المعونات هي التي سهلت طريق البر لحج شجره الدر .

و بعد ذلك أخذ الوادي في الارتفاع ورسم أمامنا فوسا حتى نحملنا انه أفضل امامنا . ولم  
زل سائرنا في بهد الى الشرق حتى وصلنا الى مدخل بين جبلين شاهدين أحمرين (لون كرونات  
الحديد) ، تتخللها اطناب قائمة سوداء أو صفراء عتقائل بعضها مع بعض في موزاة واحدة في  
الجبلين مما يحكم معه الرائي لأول وهلة انها جبل واحد قد تفرق عن بعضه بحادث طبيعي ،  
ويسمون سلسلة هدهد الجبال حرّ العوير قال الشاعر :

واشرق أنجال العوير فاعل \* اذا خبت النيران بالليل أوقدا

﴿ وقال أيضا ﴾

حتى وردن رَكِيَّات العوير وقد \* كاد الملاء من السكتان تشتعل

والعوير احدى لاتي المدينة اللتين حرم عليه الصلاة والسلام ما بينهما فقال « حرام ما بين لاتيها » . وفي الصحاح « انها حرتان كتنتفاها » . ويظهر أن يران هذا الحبل البركاني كانت تظهر أحبا نامن قبل وبعد الاسلام . والعرب تعرف ذلك كما قال الفطامي في شعره السابق من قصيدة مدحها يزيد بن معاوية . ويسمون بارها سار الحجار وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف .

وفي الظهر وصلنا الى رأس الخرد . وهي قمة عالية سوداء نشرف على واد صيفي فرشت أرضه بحجاره صوانية حمراء وصفراء ، وفي حبه الشمالية ثمر للسول فيه بعض شجر الطرفاء وسات الارطى « تأكل الابل » . ويكثر في هذا الوادي المعتزان الذي يعطره بروائح الركيه . وبارها سائر في هذا الوادي الصيق ونحن في شدة . كور من الخرح حتى رلنا منه الى واد متسع يسمى وادي الذهب ، وليس فيه ماء . واكل يكثر فيه شجر العصا ، وهو نوع من الطرفاء ناره شديده يصربها المثل . وصعدنا منه الى وادي بولي ( أنى بلى ) وهو واد حصباؤه كثيرة ، ومدراة كبيرة ، ورطبه كالمطيخ في حجمه ، وفيه يكثر شجر الشراه والسنط . ومن هنا بأحد الطريق في العلو ، والحال في الدنو . وقد صرب لونها الاحمر الى السواد ، وأخذت تنجزأ الى اشلاء هرمية كرسا بمصر التي تحلت صورتها الى أفئدتنا ونحن في سياتنا الى الله تعالى ورسوله نا حمل صورده ، وأختم مثال ' وهل هي الا وطننا العزيز الذي بحننه يكمل الايمان ، ويرضى الدين ، نعمد كرا هذا الوطن العزيز ونحن في ركاب ملبكه ، وفي خدمة هذا الروح الامين الذي منه حياته وفيه خبراته ، وبركاته . نعم ذكرناه في هذه القفار ، التي ترسل علم الشمس شواطأ من نار يشوى وجوه السفار . نعمد كرا ، وذكرنا رياضه وغياضه ، ونحن نسير في أرض منها المدر ، وعرسها الحجر ، وثمرها الصخر ، وزهرها الوعر ، ومساكنها الفقر ، وساكنها الفقر ، ونسجها

لهيب الحجر ! نعم دكرنا مصر وذكرا نيلها ، وظلالها ، وليس هناك ماء الا ما يتصيب  
عرقا من جسمونا ، حتى ~~احسب~~ كأنها شماع باستور ، أو مرشح شوقي ، وليس من ظل  
الاطل عوسجة أو طلحة يكاد يذهب من شدة ما يحيط به من الحرارة في شهر يناير !! نعم  
ذكرنا مصر هنا وذكرا أهلها وما فيهم من أخلاق قويمة ، وعواطف كريمة ، وسجايا سلمية ،  
وآداب لا يصل إليها الا عراب !!!

ومازلنا سائرين في هذا الوادي حتى وصلنا الى مضيق دخلناه فوجدناه كثير التماريح ،  
يلتوى بعضه على بعض كطريق الثعبان ، وأرضه غير معتدلة ، وفيها ثنيات كثيرة ، صادفت  
العربات فيها مشقات كبيرة . وينتهي هذا الطريق بعقبة كثود صخرية في أرضها تنوعات  
جمعة يصعب السير فيها على كل من مر بها !! لذلك انتظر فيها الحجاب العالي حفظه الله لمساعدة  
قافلة الركاب الحديوي في المرور منها ، وبحسن نظره التاقب وهمته العليا ، مر الركاب جميعه  
منها على أحسن حال ، وسار الى مخيمه الذي نصب في مكان اسمه النجوة وراء هذا العمبة  
التي تدعى قبيلة بلي أن جدها مدفون فيها .

وفي صباح يوم ٦ يناير ركب الحجاب العالي وتمتعه عربات دوله والوالدة وناقي حملة الركاب  
الحديوي ، وسار حفظه الله في هذا الوادي الذي يسمونه وادي حلاوة . ومن هنا أخذت  
الجبال تتقطع أشلاء على جانبه حتى انتهينا الى مفرق بين جبلين ، فصعدنا اليه بمنحدر رملي ميله  
يبلغ ٣٠ في المائة ، ونزلنا من الحجاب الآخري في واد واسع أرضه رملية خشنة ذات لون أحمر .  
وما زال سائراً بهذا الوادي حتى نزل منه الى وادي العلا الذي يسير من الشمال الى  
الجنوب ، ويكثر فيه شجر الطرفاء ونبات الحمض ( تأكله الابل ) وان كانت أرضه  
مسيخة ، وفي وسطه محطة البدايع التي وصلها حفظه الله في الساعة العاشرة صباحاً .  
وكان في انتظار ركابه العالي ، سمادة محاسبجي المدينة المنورة وحضرات مدير وخازن دار  
الحرم الشريف ، والباكباشي فؤاد بك الذي تعين مهمندار ألقنا به الفخيم ، وأصحاب السيادة  
الشريف شحات وكيل اماره مكة المنورة ، والشريف محسن والشيخ عبدالله شيخ ناحية  
العوالي ، والشيخ ابراهيم أسعد شيخ خطباء الحرم المدني ، والسيد حسن أسعد ، والشيخ

يجي الدفتردار امام الحرم الشريف ، وعزتو وحضرة صالح بك وكيل ادارة السكة الحديد  
المجازية ، وحضرات قائم مقام محطة الملا وشيخ عر بانها وقاضيها وشيخ مشايخ عر بان عنزة  
وشييوخها وشيخ قبيلة بنى سليم (من حرب) .

و بمجرد ما شرف الركاب العالى تقدموا جميعا نحو سموه بواجب التحية والتعظيم ، وهنئوا  
جنابه الفخيم ، بتدومه بسلامة الله . فشكرهم حفظه الله ، وسار معهم الى صيوانه الخصوصى .  
وكانت قد اصطفت على طريقه فرقة من الجند البيادة العثمانى وأمامها حضرات ضباطها  
لاداء واجب السلام . و بعد أن استراح جنابه العالى قليلا استقبل وفود المهنيين بما جبل  
عليه من اللطف والايناس ، فخرج الكل شاكرين ذاكرين ما لقوه من آداب سموه .  
وأمضى حفظه الله ذلك النهار بالبدايع بين توارداى التهانى من كل جهة ، واصدار  
الوامر بالاחסانات على فقراء هذه القبائل ، وخصوصاً من كان فى ركابه العالى منها ، كما  
أصدر أمره الكريم بتوزيع الكساوى على من كان فى خدمة الركاب الخديوى من  
الضاوية والسقائين والعكامة والفراشين والخميمة : وبالجملة فقد كان يوماً كله حسنات  
ودعوات وابتهالات بحفظ جنابه الفخيم . و بعد ظهر ذلك اليوم أمر حفظه الله بسفر الحرس  
السوارى الخديوى وبعض بلوكات البيادة الى محطة الملا لانتظار عودة جنابه الرفيع بها ،  
كما أمر تجهيز قطار مخصوص يقوم مساء ذلك اليوم الى المدينة المنورة بحاسب من الحرس  
والخدمة وبعض رجال المعية السنية ومعهم الخيام والبصاوين اللازمة لنصبها فيها .

أما قطار الجناب العالى ودولة الوالدة فقد تحرك من البدايع صباح يوم ٧ يناير .

وما زال القطار الاول سائراً فى وادى الحمض حتى وصل صباحاً الى محطة الجداعة  
وهناك استوقفه باظرها ، لان السيول كانت قطعت جسر السكة على بعد ٢ كيلومتر  
منها . وقد أخطر الجناب العالى تلغرافياً بهذا الحادث ، ولكنه حفظه الله بمجرد  
وصوله الى محطة هديّة ( قبيل الغروب ) ، أوقف قطاره هناك ، وسار بالمطرة الى  
محطة الجداعة التى تبعد عنها بنحو عشرين كيلومتراً ، و بعد أن تقدم الى القطع وراه بنفسه  
عاد قائلاً ( ليس من الممكن اتمامه قبل يومين ) ، ولذا أمر سموه تأخير القطار الاول الى

محطة هديه ليكون الكل في حماه ، حفظه الله .

وهـ د ية مكان به محطة مبنية بالحجر الاصم الازرق على شكل فلعسة صغيرة في محيطها  
مزاغل لتكون مكان دفاع للعمال ، وسط هذه الجبال ، اذ الزم الحال . وبجانبا بناء كبير عليه  
أحواض من الحديد لتستقي منها المطارات ، ويصعد الماء اليها بواسطة آلة رافعة تدار  
بالترول (موبور) كما هو الشأن في جميع المحطات الرئيسة في هذا الخط . ومن خلف هذا البناء  
عشتس بعضها بالحجر وبعضها بالطوب التي يسكنها عمال المحطة وبعض العساكر المحافظين على  
السكة الحديد . وعلى حابي الطريق الحديدى ، فوق دروه الجبل الشرقى والغربى ، فلعمان  
يصعد الى كل منهما فرد هول من عسكر الدولة لحماية المحطة و يقيم بها طول النهار ، وينزل في المساء  
الى سكاه من هذا العشتس . وهناك يصنعون الخبز لا يفسهم ودرأياهم يعملون بحال نظيفة .  
وهو أشبه شىء مما كانوا يصنعونه بالصامولى عند العساكر المصريين .

وانتدأ مصيدا جميعا لملتنا عبر باب السكة الحديدية مشمولين برعاية الحباب العالى الحديدوى  
حفظه الله . وما أسفرت نسمة يوم ٨ يبا يرحق أخذنا كل يستعد لهذا العيد السعيد ، الذى  
هو عند مصر الخمبى . ولكنه حفظه الله رأى عدم تكليف عبيده المخلصين بما لا يسعه  
حال هذه البادية ، وعندها أجمع الرأى تكليف هذا العاجر كتابه كلمة اخلاص رفعها  
الى أعتابه السنية وهاهى نصها .  
ولى العمه ومليك الامه ،

انا البرجواى يسمع لنا سيدنا ومولانا بانان رددى هذا اليوم السعيد ، الذى هو عند مصر  
والمصريين أكر عيد ، صدق رب عينك حينما كانوا وأبنا وجدوا ، فى اسألهم الى الله  
بعالى يحفظ شحصك المحبوب ، الذى استولى بفصله وكرمه على الارواح والقلوب . نعم  
رفع لا عتاكم السنية ونحن ها فى هذه البعثة الطاهرة ، بين يدي الله تعالى ورسوله ، ما سكته  
ضمانرنا لذاتكم العلية ، من صادق الاخلاص والعمودية . نعم رفع لسموكم ما بين جنوبا من  
أفئدة كما صدق . ولا عتاكم العالى ، حتى اذا شرفت بتقبيل الاعتاب الكريمة ، تضرعت  
الى الله تعالى بان يحفظ هذه الطلبة العباسية تا جاعلى مفرق الزمان ، وأن يجعل من فضلها

ونوالها نعمة في عتق كل انسان .

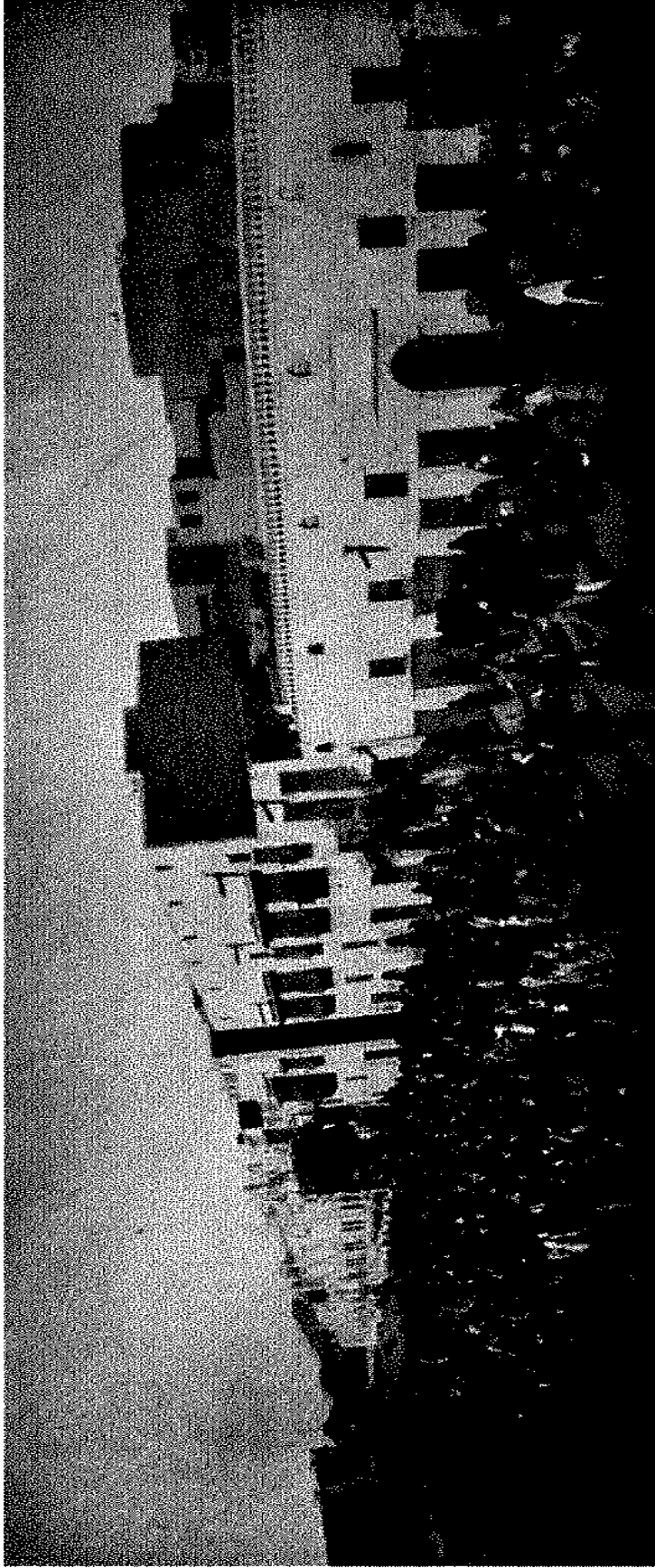
مولاي ،

انقد بارحت دار ملكك ، وخرجت الى الله تعالى ورسوله ، فابي الا أن يظلك السحاب في هذه الغفار ، وأن تغسل طرفك الامطار ، وتبت مع خطاك حياة هذه الديار ، بعد أن فضت سبع سنين لا صرع فيها ولا باب : وهل هذا أياها العزيز الا برهان الله الا كرت قبوله لك بورده لعباده ؟

و بعد ان أتممت حجك المرور ، وسعيت سعيتك المشكور ، يعمت شطر رسول الله المصطفى . فعلون من البحار ، وامتطيت صعب الغفار ، ثم ركبت سنام المحار ، حتى اذا كنت على مرحله منته صلى الله عليه وسلم ، أراد من فصله وكرمه ، ان يقع بك في حرم حبيبه كما يقع بك في حرمه : فانزل الغيث مدرارا ، وسير المحار أمطارا ، وأسأل من سيولها أمهارة ، أوقفتك في طرفك لحظة شهت فيها يسيل اللادك يسعي بين يديك ، ليروي فيضه مواطئ أقدامك ، في هذه البراري التي يشهد أهلها بانهم لم يروا مثل سنتهم هذه في خبرها ورتها . وهل تريد يا مولاي دليلا غير هذا يعبر لك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بانك قدمت عليه وعلى قومه خير مقدم ، وزلت منه في المكان الاول المحترم ؟

وانا أسأل الله تعالى بعد تمتعك بزيارة السيد المصطفى أن يردك الى بلادك ومن معك من آل بيتك الا كرمين في أكمل صحبة وأتم عافية ، تكافؤكم عن الله تعالى وترعاهم عن رسول الله ، كما رجوه جل شأنه أن يشركك معا على نعمتك التي تسير في محوحتها ، وأن يحمذك على نوالك الذي سقيا في ظلاله ، وأن يحجزيك عما خيرا الجراء .

وفضينا هذا اليوم المبارك في وسط هذه الغلاة ، التي لم تر في أرضها أثرا لدى حياة ، اللهم الاعمال الطريف الحديدي . فبانته من هذه البلاد التي لا يرى بها من جنوبها الى شمالها ، ومن غربها الى شرقها ، غير حجارة حجرية ، وجبال صخرية ، وهودر مليه ، واحفاف من بحار الرمال ، تسوخ فيها الاقدام كما تسوخ في الماء ، لولا أنها تتخلص من هذا بسهولة ولا يدين لها على الحركة في تلك 'ياشكر انك ربي وحمدك على نعمتك التي أعمت بها على عبادك في جميع



BOENNE & ANDERER CAIRO

الكرنك المدفنى وبنو ابراهيم المدفنى في نخوة من مصر الشيخ



الاقطار والامصار ! فقد جعلت في طبيعة أرضهم ما يكفل لهم حياتهم : فليس من أرض حتى في منازل الثلوج ومر اقد الجليد الا وفيها فصل يثبت فيه النبات ، ويقدم لاهلها شيئا من لوازم الحياة ، الالهذه الارض التي أسكنت في جوفها من ذرية خليلك ، فاقام بها بيتك وقام بنوه بشرف خدمته ، فهوت اليهم قلوب زائريه من العرب الى أن أصبح يأتيه الناس من كل فج . حتى اذا أرسلت من ذريتهم الطاهرة ، وسلا لتهم العاطرة ، نبيك الامين ، ورسولك الامي الذي هجر الى هذه الديار أهله ووطنه ، ليتمكن من القيام برسالتك ، والدعوة الى طريقتك ، ضرب الكفر ضربة لم تقم له بعدها قائمة . ونشر في الناس هذا الدين القويم الذي أتتدهم من همجيتهم الاولى ، وفك ما كان في رقابهم من سلاسل المظالم وما كان في أرجلهم من قيود الذلة والهوان . وسار على أثره الشريف سخائه والقائمون بعدهم بخلافته : فنام شأن الاسلام واستولى المسلمون في أقل من ربع قرن على ملك الرومان ، واليونان ، والفرس ، وبلغوا سويداء الهند ، ومحاهل افرىما ، وسحارى بلاد المغرب . وما زالوا كذلك حتى امتد ملكهم في القرن الثاني من بلاد الصين شرقا ، الى مدينة پواتيه ( Poitier ) قرب باريس غربا . وبالجملة فقد جمعت حكومتهم بين دفتيها ملك الرومان ، واليونان ، والفرس ، والمصريين ، والاشوريين ، والبابليين ، والفينيقيين ، والقرطاجيين ، والبربر والفرنجة ، وغيرهم ، واستمرت دولتهم الطويلة العريضة نحو سبعمائة سنة وهي كالمشكاة تنير دياجير العمورة نبراس المدينة الصحيحة التي من أجل آثارها وهو ما لا ينكره عليه اعداؤها . رقى الاخلاق والاخذ بناصر الفضيلة التي انما هي عمار الكون ، ونظام الوجود .

فيالله من كان يظن أن هذه العميافي والقفار يخرج من جوفها هذا النور الذي أضاء الكائنات ، وتلك اليد القوية التي ضربت على أيدي المظالم التي كانت تسقطها الملوك على رؤوس رعاياهم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في القرون الوسطى ؟ من كان يظن أن أحقاف هذه الرمال ، وأجلاف تلك الجبال ، تنشى هذه المدينة التي يرفل في بحبوحتها العالم أجمع ؟ هذه المدينة التي خدمت العلم خدمة تذكرك فتشكر : نعم خدمت العلوم الطبية ، والكيمياء والبيولوجية والطبيعية والفلكية والنباتية والرياضية ، حتى أن فرنسا كانت تستمد من مدرسيهم ، كما هو الحال في

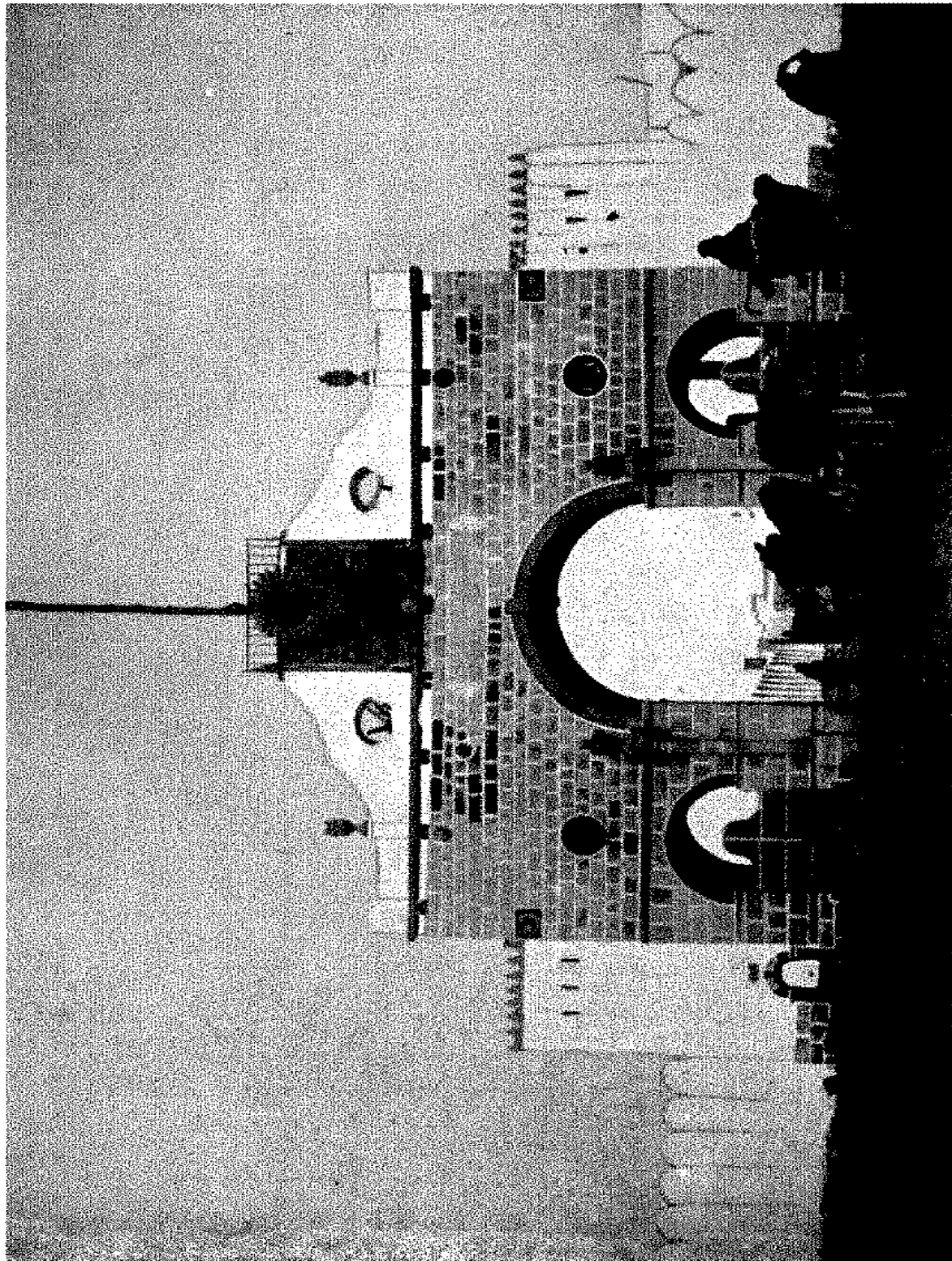


الممالك الشرقية الآن مع أوروبا !! ولقد بلغ من عمران الدولة العربية في الشرق والغرب ما لا يبلغه عمران أى دولة قبلها : انظر الى الامويين في دمشق والاندلس ، والعباسيين في بغداد ، ترمن رقيهم في الصناعات ومعارض العرفان ملايموى الافرنج على انكاره ، ودونك كتاب مدنية العرب (Civilisation des Arabes) تأليف « جوستاف لوبون » فانك ترى فيه المعجب والمطرب !! فهل تريد بعد ذلك كله برهاناً على صحة دين الاسلام وحجة على حقيقة من اهتدينا بهديه واتهجنا سبيله ؟

لذلك كان من اللياقة ، ان لم نفل من الواجب ، التوجه لزيارة هذا المصطفى ، الذى قضى حياته جميعها فى سبيل خدمة الانسانية العامة ، واناة سبلها المدلهمة ، بمشكاة هذا الدين المتين ، دين الحرية ، دين الاحياء ، دين المساواة ، دين العدالة ، دين الفضيلة ، دين الحياة الصحيحة .

وفى ظهر اليوم التاسع من يناير وصل الخبر باستعداد الخط . فأمر حفظه الله بتسيير القطار الاول فقام من محطة هدية فى الساعة الثامنة عربى نهاراً ولما وصل محطة الجداة ( وهى فى الكيلو ١١٥٦ ) سارا هو يتأخر حتى غادر مكان القطع الذى كان طوله نحو الفى متر ، والذى أملت فى اصلاحه عساكر الدولة التى استدعيت اليه من المدينة بلائذ كرفيشكر . ومياه هذا السيل كانت آتية من جبال الطائف ، مما يدل على كثرة الامطار التى نزلت فى تلك الجهة ، ونزل منها بحجار كثيرة الى مكة والمدينة والى الطرق التى بينهما .

واستقر القطار سائراً فى وادى النعام الذى يتدى من محرى السيل ، ويكثر فيه شجر السنط ، ومر على محطة النعام ، ثم محطة عنتر وفيها قلعة قديمة على قمة الجبل الغربى ، ولعلها كانت على طريق الحاج أيام سيره على البر . وهذا الجبل يسمونه أيضاً جبل عنتر ، ولا أدرى لهذه التسمية من سبب ، غير أن ديار عبس كانت شمال المدينة مع شرق ، وربما كان هذا الوادى من منازلها وكان لها فيه واقعة باسم بطلها المشهور الذى مات قبيل الاسلام . وكان عليه الصلاة والسلام يسر بحديث الناس فى سيرته . وما زال القطار سائراً حتى وصل الى محطة الحفيرة والى عصا التسيار للمبيت بها .



باب العمرة (الباب الرثاوى) بالمدينة المنورة

أما الجناب العالى فقد بات في المحطة التي قبلها وتسمى محطة البوير .  
والمحطات من هدية الى المدينة المنورة لم تسكل عملية البناء بها ، وكان العمل فيها جاريا  
على قدم وساق ، وكان يعمل فيها كثير من المصريين وأغلبهم من مديرية قنا وجرجا ، وهم  
في شدة الفرح بمقدم ما ليكم المحبوب . وكانت العساكر على طول السكة الحديدية يقفون  
في كل محطة لاداء واجب التعظيم للجناب العالى الحديوى من البدايع الى المدينة . وقد كان  
عدد العساكر بهذا الخط قبل تشرىف الركاب العالى ثلاث أورش عثمانيسة للمحافظة عليه ،  
فزادوا عليها أربع أورش قبل تشرىفه أيضاً للمحافظة على ركابه الفخيم ، فكنت تراهم  
منتشرين هنا وهناك وفوق الجبال على طول السكة .

ومازلنا حتى مررنا على القطع الثانى الذى كانت أحدثته السيول في الحسرقيل المدينة  
المنورة بنحو خمسة كيلومترات . وهناك شاهدنا قبعة سيدنا حمزة رضى الله عنه ، ثم أهله  
مآذن الحرم الشريف . وعندها أخذت الاعناق تتطاول ، والابصار تتجاول ، في هاتيك  
الارجاء ، مستطاعة أنوار القبعة الخضراء . حتى اذا تجلت لنا فخامتها امتلات القلوب  
افراحاً ، والصدور اشراحتاً ، والعيون فورة ، والافئدة مسرة ، وراوات الارواح أن تخرج  
عن نظامها ، وتطير من جسامها ، الى نور الانوار ، وسيد البرار ، ومصدر سعادة العالمين في  
جميع الامصار ، لولا أن الجسوم كانت تتعاقبها ، ناهضة بركابها ، ضاربه آباط وابورها ،  
مهللة ، مكرة ، داعية ، ملبية .

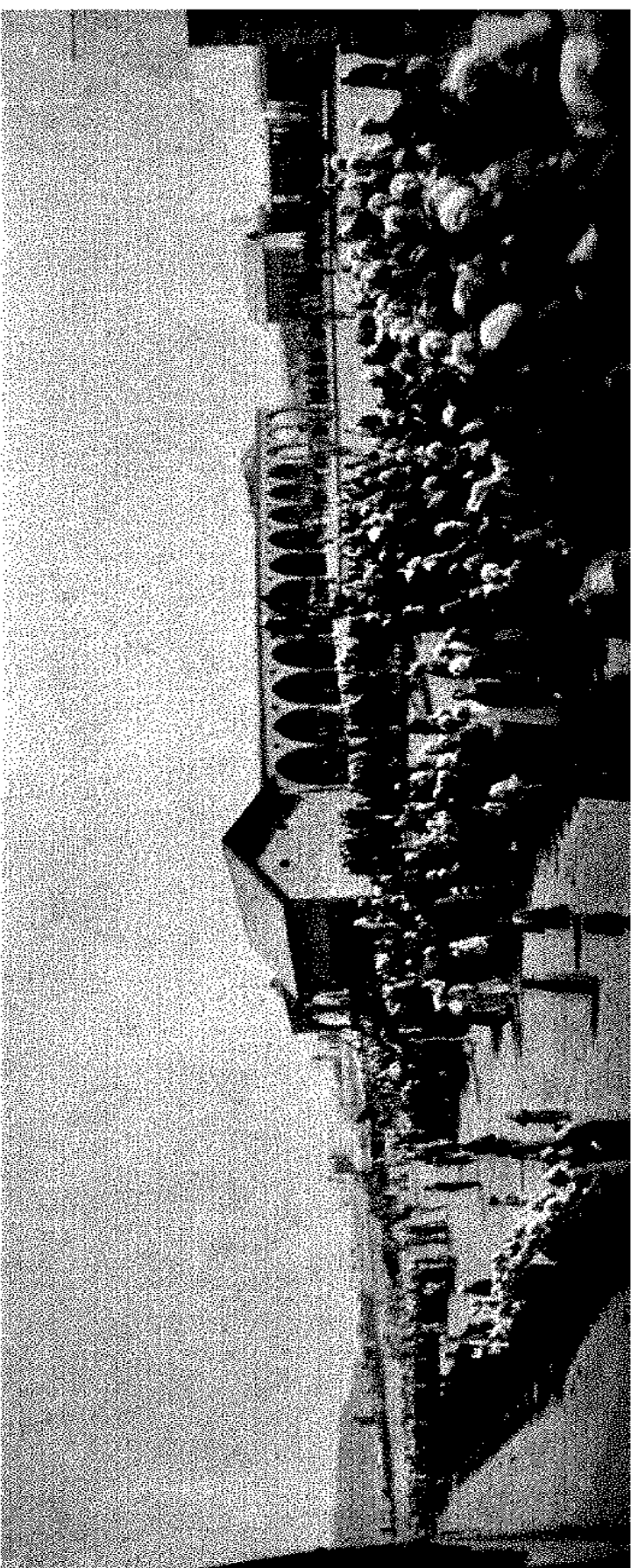
هم نعم كنت ترى الارواح ترفرف بظروفها ، والقلوب تزحف في تجاويها ، لتسبق  
الركاب ، الى ذلك الجناب . وهناك كنت ترى نفس الجنان ، وحقيقة الوجدان ،  
يتطيران ، من أطراف اللسان ، في صورة تحيات خالصات ، وتسليمات سنيات ، الى سيد  
الكائنات . وجميع الجواس متهيئة الى التمتع بهذه المنسة الكرى ، والنعمة العظمى ، والعين  
تفتخر عليها بشرف سبقها الى هذه السعادة التي لانهاية لها ، ممتنة عليها بانها هي التي زفت اليها  
شرى الوصول ، الى غاية المأمول .

ومازال القطار حتى دخل بين بساتين المدينة ونخيلها الغربية . وأخذ يسير بنا الهوينى حتى  
وصلنا الى محطة المدينة المنورة في الساعة الخامسة عشرين نهاراً . وكان العدد الجم من الاهالى



ساء ورجالا على جانبي الطريق الحديدي الى المحطة التي اكتظت ساحتها بوفود الناس على اختلاف طبقاتهم، وفي مقدمتهم سعادة علي رضا باشا محافظ المدينة وقومندان عموم القوة العسكرية الموجودة بها، ومعه كثير من المأمورين والعسكر بين والملكيين الذين كانوا يقومون بامر النظام العام استعداداً لمقدم الجناب العالي الخديوي. وكانت عالية التوم على رصيف المحطة يتقدمهم حضرات شيخ الحرم ونائبه ورتيب الاشراف وصاحب الفضيلة قاضي ومفتي المدينة.

وفي الساعة السادسة تماماً صرحت المدافع ايذاً بوصول الركاب العالي فتشارفت الاعناق، وتمادت القامات، لمشاهدة النظار من بعد، وما زالت الابصار تلمحه حتى وقف في رحبة المحطة (لان رصيفها ما كان كمل بناؤه). وهناك صعد سعادة المحافظ الى صالون الواوور لتأدية واجب الاعظام، وتبليغ جنازه العالي سلام الدولة العلية، وتهاى الحكومة المحلية. ثم صعد شيخ الحرم ورتيب الاشراف، وبعد واجب السلام نزل حفظة الله من المطار، وسلم على اعيان المدينة الذين قدمهم حضرة المحافظ الى جنازه العالي واحداً بعد الآخر، وسار ومن خلفه سعادة المحافظ ودوله الرئيس كمال الدين ورجال معيته السنية يتلوهم شيخ الحرم وأعيان المدينة المنورة بين صفوف العساكر التي كانت تؤدى التعظيم، وموسيقاها تضرب السلام الخديوي، فدخلوا من باب العميرية: وهو باب عال مشيد يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً منعوش بالليقة الذهبية ويسمونه الآن بالباب الرشادي فيما باسم صاحب الخلافة العظمى. وما زال الكل سائراً حتى وصلوا الى الصيوان الخصوصي الخديوي الذي كان قد نصب في مقدمة خيام حاشيته الكرمة داخل سور المدينة الكبير. فاستقبلهم جنابه العالي بكرمه وايناسه، كما استقبلوه بصوف بحياتهم وتهايمهم. ولقد كان الصيوان الخديوي حافلاً بكراء القوم، وكانت رؤساء المعية السنية يقدمون اليهم كل ما فيه راحتهم. وهناك قام الشعراء والخطباء، هؤلاء يرتلون آى الثناء والدعاء، وأولئك يصوعون التهاى، فى اسلاك الثالث والثانى، حتى كان يحيل الينا ننايين وفود العرب على الرشيد، فى يوم عيد. ومما يذكر من آداب القوم أنهم لما فرقت عليهم السيكرات أكرروا المقام على التدخين، وبعد ساعة انصرفوا شاكرين، وبكرم الجناب الخديوي متحدثين.



BOENNE & ANDERER (CAIRO)

استقبال الجنرال العلي النجدي في محطة القطار الجديدة بمصر



## الجناب العالی الخدیوی بالمدینة المنورة

لما استراح الجناب العالی من عناء السفر ، امتطى صهوة جواده بعد صلاة العصر ، وقصد الحرم الشريف لاداء واجب الزيارة ، ومعه دولة البرنس وفضيلة الاستاذ المفتی وسعادة محرم باشا وبعض رجال المعية السنية . فدخل حفظه الله من باب السلام ، وبعد تأدية الزيارة وصلاة المغرب بالحرم الشريف ، أدى واجب الخدمة بالمقصورة الشريفة ، ثم قصد زيارة دولة الوالدة وكانت اقامتها مدة وجودها بالمدينة في بيت شيخ الحرم ، الذي هو دار عثمان ابن عفان رضی الله عنه ، ثم عاد حفظه الله الى مقامه في معسكره .

وقد كنت توجهت الى الحرم مع بعض اخواني من المعية السنية ، وكان يبعد عن مخيمنا الذي كان بجوار باب العنبرية بنحو ثلث ساعة سيراً على القدم . فدخلنا كالعادة من باب السلام ، واصلينا ركعتين في الروضة الشريفة تحية للمسجد ، ثم خرجنا الى الرواق القبلي واتجهنا الى المقصورة الشريفة ، وتمثلنا بمنتهى ما يمكن من الخضوع والاستكانة امام أول باب منها ، تجاه مسبار من الفضة جعل في مقابلة الكوكب الدرى الذى وضع فيها بحاذى الوجه الشريف . هنالك وقفت النفس بالمركز الذى ينبغى لهاتلقاء هذا الجلال وهذه العظمة : فكنت ترى الروح بمجموعه ، والقلب بنخشوعه ، والطرف بدموعه ، واللسان بنخضوعه ، ترفع عبارات السلام ، الى سدة سيد الانام . وبعد أن دعونا الله بما شاء الله ، انتقلنا الى مقام سيدنا أبى بكر بالشباك الذى يليه ، فسلمنا ودعونا . ثم انتقلنا الى مقام عمر بجواره ، فسلمنا ودعونا . ثم اتجهنا الى حائط المقصورة الشرقى ووقفنا بباب فاطمة ، فسلمنا ودعونا . ولست في حاجة لان أردد القول بان جلالة المكين ، ونفخامة المكان ، لهما على الانسان ، مهما كان تأثير يقف به في موقف الخاضع الخاشع !! وعلى كل حال فالكل يرى نفسه في موقعه هذا قد وصل الى غايته ، وبلغ منتهى سعادته .

وكان الجناب العالی مدة وجوده بالمدينة المنورة يكثر من الصلاة في الحرم ، ولا اذكر أنه



انقطع عنه في صلاة الفجر والعصر والمغرب والعشاء . وكان حفظه الله يؤدي شرف (١) خدمة اسراج القناديل في الحجرة الشريفة مساء ، واطفاؤها صباحا ، طول مدة الاقامة بها . ولقد سعدنا بالدخول في معيته السنوية الى هذه المأمورية الشريفة غير مرة : فكان قبل صلاة المغرب نلبس فروجيات بيضاء ، ونشد عليها أحزمة ، ونلف على رؤوسنا عمامة على نظام خدمة الحجرة ، ثم نتشرف بالدخول ، من باب البتول ، وبعد مرورنا على حرم السيدة الزهراء ندخل من باب في غربه الى الحجرة الشريفة تقدم متلهمس ، وطرف منخفض ، وقلب خافق ، وفؤاد مضطرب ، ومثال متأدب . ووجدان متغلب ، وروح ينكشف خضوعا ، ونفس تذوب خشوعا ، وحشاشة تتصبب دموعا ، وألباب ترفع لا عتاب ذلك الجناب ، آيات السلام ، بكل اجلال واعظام . وبعد تأدية ما يسره الله تعالى من شرف الخدمة ، نخرج من باب في الجهة الشرقية ، الى حجرة السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وبعد أن نقرأ ما تيسر من القرآن بارح المسكان ، والجنان واللسان ، لا يستطيعان تصويروا ما كان . وغاية ما كنا نشعر به عقب هذه الزيارة ، انما هو قوة تجددت في روحنا الذي امتلأ سرورا وجورا ، وراحة تمددت في وجودنا كما نرى فيها كل عين وسعادة .

وفي يوم الثلاثاء بعد صلاة الفجر في الحرم الشريف ، أدى الجناب العالى خدمته بالحجرة الشريفة ، ثم قصد زيارة البقيع وهو مقبرة المدينة ، فابتدأ بزيارة قببة سيدنا عثمان بن عفان وهي في الشرق ، ثم قببة سيدنا الامام مالك وهي في وسطها ، ثم قببة سيدنا ابراهيم ابن النبي صلى الله عليهما وسلم ، ثم قببة زوجات الرسول عليهن رضوان الله ، ثم قببة (٢) سيدنا العباس وسيدنا الحسن بن علي في الزاوية القبليّة الغربية بالبقيع ، وهي أنخم القباب الموجودة

(١) هذه الخدمة يقوم بها الامراء والعطاء وغيرهم من أعيان المسلمين في زيارتهم للرسول عليه الصلاة والسلام . ولاتكون الا بصريح من شيخ العراشة النبوية الذي يصدر فرمانا لمن يتشرف بالاتظام في سلك هذه الخدمة . ومن عادة هؤلاء الامراء ان يبيوا عنهم ، في أثناء المدة التي يكونون بيدين فيها عن المدينة أناسا من أهلها يقومون نادائها عنهم في مقابل مرتب يرسلون به اليهم سنويا .

(٢) بجوار هذه القببة قبر نطل القوقاز الشيخ شامل الذي توفي سنة ١٢٨٨هـ .



باب السلام باجرام المذني

به، ومقصورة سيدنا الحسن فيها فخمة جداً : وهى من النحاس المنقوش بالكتابة الفارسية، وأظن أهمان عمل الشيعة الاعجام . ثم زار حفظه الله كثيراً من قبور الصحابة والتابعين والصالحين . و بعد الظهر زار التكية المصرية وأثنى على مأمورها لما رآه من حسن نظامها، ثم ركب حفظه الله وقصد دار الحكومة العثمانية ليرد الزياراة الى سعادة محافظها، فاستقبل بما يليق بمقامه العالى من مظاهر الاجلال والاعظام .

وفى يوم الاربعاء بعد صلاة العجر واداء الخدمة فى الحجر الشريف، قصد الجناب العالى زيارة مسجد قضاء مع بعض رجال معيته السنية ، ثم عاد حفظه الله قبيل الظهر الى المسجد الشريف ، فصلى الظهر فيه ، ثم رجع الى مخيمه وأمضى نية النهار فى استقبال زائريه من رؤساء المدينة وأعيانها .

وفى يوم الخميس أدى الخدمة على حسب عادته، ثم قصد يار سد باجره ، وكان السيل قد قطع طريقه على زائريه ، ولكن ذلك لم يوقف همه جمانه العالى عن سبده ريمته . وسدع بحواده فى الماء الذى كان على ارتفاع نحو متر، فاصداً عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحظى بزيارته ، ووصل الى معيته، ولا عرو وعزائم الملوك ملوك العراق .

وفى يوم الجمعة بعد اداء جملة السامى خدمته بالخره السرته صباحاً رجع الى المعسكر الخديوى، واستمر الى قبيل الظهر فى استقبال زائريه، ثم قصد الحرم الشريف لصلاة الجمعة . وبعد هارار دولة الوالد . ثم قصد منزله الشريف وأمضى يومه فى توزيع الصدقات ، واسداء الاحسانات ، والغار فى ترتيب المرتبات ، لدوى الحاجات ، من أهل المدينة والمحاورين ، مصريين وغير مصريين . وكان فى اناء ذلك يصدر أوامر الكريمة تتجه بزملة ركانه العالى للسمر الى تنوك فى اليوم البالى . وبالجملة ومد كان حفظه الله مدداً قامته بالمسديفة محط الآمال، ومكان الاعظام والاجلال ، من جميع الطبقات، وكانت موسيقى المحافظه الحربية تحضر يومياً هاراً اوليلاً أمام الصيوان الخديوى وتشرف الاسماع بنغماتها الشجية .



## الحرم المكنى

الحرم المدني وهو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، واقع في وسط المدينة بميل الى الشرق، وهو لطيف الشكل، جميل المنظر، على هيئة مستطيل، متوسط طوله من الشمال الى الجنوب مائة وستة عشر متراً وربع، وعرضه من الشرق الى الغرب من جهة القبلة ستة وثمانون متراً وحمسة وثلاثون سنتيمتراً، ومن جهة الباب الشامي ستة وستون متراً. وينقسم في وضعه الى قسمين المسجد والصحن: والمسجد يتسدى من قبلة عثمان، أعني من الحائط المبلى الى الصحن من جهة، وفي طول ما بين باب الرحمة وباب الساء من جهة أخرى. وهذا القسم جميعه مغطى بقباب ترتكز على أقواس قامت على عمد من الصوان المكسو بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب. والقسم الثاني وهو الصحن، ويسمونه الحصوة، شكله مستطيل الى الباب الشامي ويحيط به من جهاته الثلاث، أروقة ثلاثة فيها أعمدة تحمل أقواسا رفعت عليها قباب تناطح السحاب!

وعدد جميع أعمدة الحرم الشريف بما فيها المتصلة بجوائطه يبلغ ثلثمائة وسبعة وعشرين عموداً، منها ٢٢ داخل المصورة الشريفه. وفي مدخل الباب الشامي للمدرسة المحيدية، وفيها كتابان لتعليم المرآن على الطريقة القديمة في ريف مصر، غير أن القرآن لا يحفظ فيها عن ظهر قلب بأجمعه<sup>(١)</sup>. ويوجد في الدور الثاني كتاب يقال انه يدرس فيه غير القرآن المحيد شئ من الحساب. ولهذا المدخل باب للحرم من الداخل يسمونه باب التوسل. والى جانبه في جهة الغرب محل للاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف، وفيه ميضاتهم وامكنة راحهم. والى جواره مخزن الزيت المخصص لتنوير الحرم، ثم باب للمدرسة (على

(١) لا يوجد في بلاد العالم الاسلامي من يحفظ القرآن بأجمعه عن ظهر قلب الا مسلمو مصر، ويلقبهم أهل المغرب، أما باقي الجهات الاخرى فيقرءونه علناً في المصاحف. وتتمار فقهاء مصر بحسن التريل: لذلك تراهم ملحوظين من الاحرام اذا شحصوا للادعير بلادهم، وخصوصاً في الاسنة.



الروضة الشريفة وما يليها غرباً من الحرم النبوي



ما أظن)، وهذه الابواب الثلاثة في الرواق الشمالى . وفي وسط الصحن يميل الى الشرق حظيرة صغيرة سُورَت بدر بزين من الحديد ، وفيها بعض نخل صغير تَبَّتْ حول نخلة عالية يقال انها أترنخلة كانت في هذا المكان للسيدة فاطمة رضى الله عنها . وقبل هذه الحظيرة بئر ماؤها الذي اُسْمِيها بئر النبي و بعضهم يسميها زمزم المدينة . ومن وراء هذه الحظيرة اقيمت شبكة من خشب الشيش على طول الرواق الشرقى عملت في عمارة السلطان عبد المجيد، اشارة الى أنه مخصص<sup>(١)</sup> للنساء، ففيه صلاتهن واقامتهن في الحرم . وفي جنوب هذا الرواق دكة للاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف : وهي مصطبة مسطحها نحو ١٢ مترًا طولًا في ٨ متر عرضاً وترتفع عن الارض مسافة نحو أربعين سنتيمترًا ، وكانت في عهده صلى الله عليه وسلم مكانا لاهل الصفة<sup>(٢)</sup> وهم قوم من العفاة والمتقاعدين كان يصرف اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما كان يقوم بحياتهم من غداء وكساء، وكان منهم أبوهريرة وأبوذر الغفاري رضى الله عنهما . وتحاذ هذه الدكة من الجنوب دكة أخرى أصغر منها متصلة بالمقصورة الشرقية من جهة الشمال، وكان يتعبد في مكانها النبي صلى الله عليه وسلم . ويفصل بين الدكتين طريق يقي الى باب جبريل شرقًا ، وعلى يمين الداخل منه دكة صغيرة يجلس عليها شيخ الحرم ، والى جوارها مخزن خاص بالمقصورة الشرقية التي توجد في الجهة القبليّة الشرقية من الحرم .

والروضة الشرقية في غرب المقصورة الشرقية : وهي مسافة ما بين القصر الشريف ودار الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقوله « ما بين قرى<sup>(٣)</sup> ومنرى روضة من رياض الجنة » وهي تبلغ ٢٢ مترًا طولًا في نحو ١٠ عرضاً . ويفصل الروضة عن زيادى عمر وعثمان اللتين في جنوبها ، در بزين من النحاس الاصح ارتفاعه نحو متر .

والروضة على الدوام عاصبة بالناس لشرف مكانها . وفيها مما يلي هذا الدر بزين

(١) ربما كانت هذه الجهة مخصصة لصلاة النساء من صدر الاسلام يؤيده تسمية الباب الموصل اليها باب

النساء من زمن بعيد .

(٢) وكان بالمدينة غير الصفة دار تسمى دار القرى أو دار المصيف كانت توجد في الحو

العربي للمسجد وكانت مخصصة أيامه صلى الله عليه وسلم لبرول صيوفه اليها .

(٣) وفي رواية أخرى : ما بين يتي ومنرى الخ

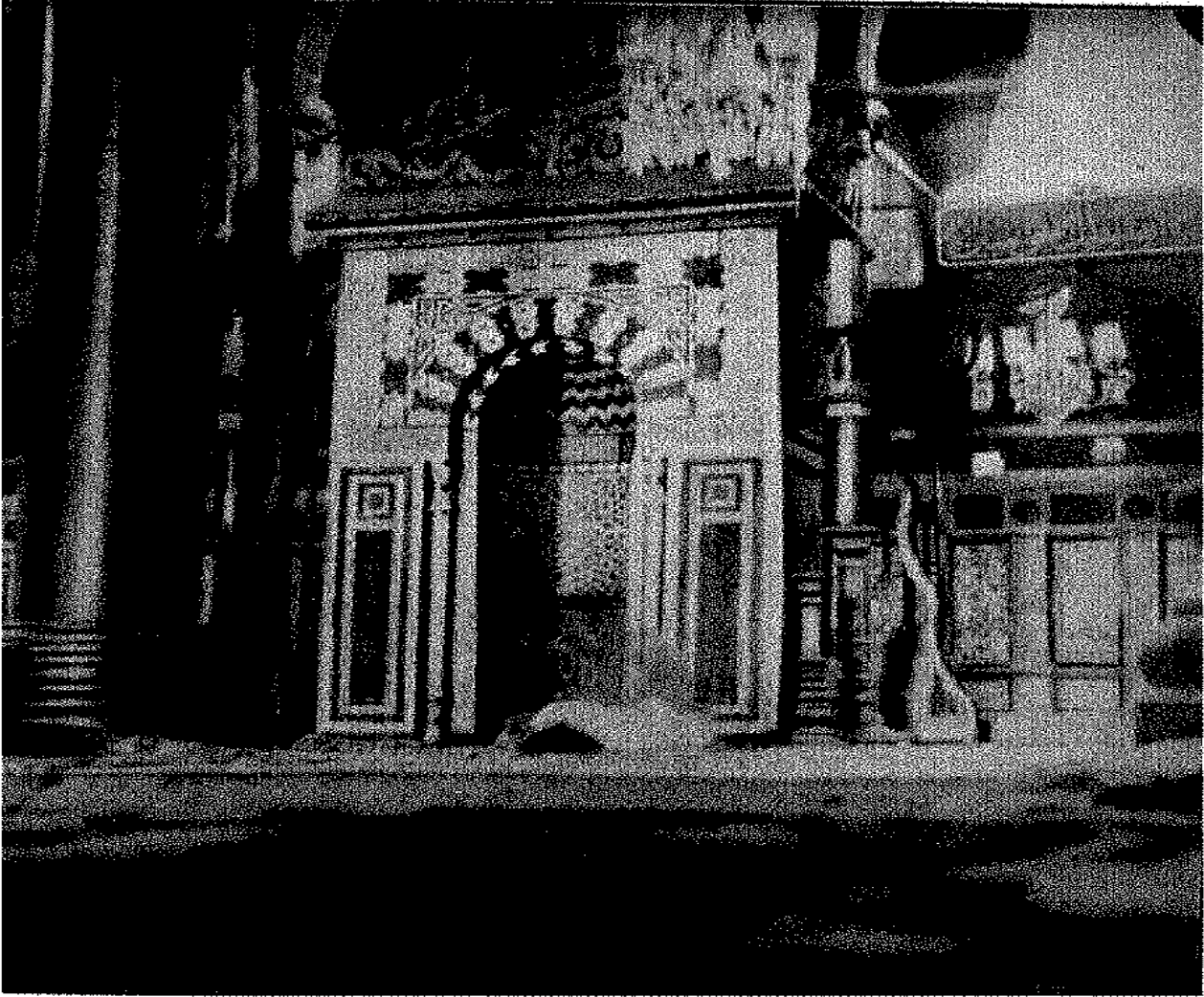


ربعات قرآنية كثيرة ، وعدد كبير من المصاحف المختلفة الحجم ، منها ما هو بحرف الطبع ، ومنها ما هو بخط اليد الجميل ، والى جانبها نسخ كثيرة من دلائل الخيرات ، وكل ذلك موقوف عليها للقارئ من الزوار . وفي غرب الروضة الشريفة قبلته صلى الله عليه وسلم ، وهي آية من آيات الله في كمال بهجتها ، وجمال صنعها ، وهي على استقامة المقصورة الشريفة من جهة القبلة ، وضعا عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عندما أمره الله تعالى بالصلاة الى الكعبة المكرمة . والى غرب القبلة المنبر الشريف (١) وهو من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة وعلى غاية في الجمال ودقة الصنعة ، ارسل هدية من السلطان مراد الثالث العثماني الى الحرم سنة ثمان وتسعين وتسعمائة للهجرة ، فوضع في مكان المنبر الذي كان به لقايتباي ، وهو نفس المكان الذي كان به منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما ينبغي الاشارة اليه أساسا صلينا الجمعة في المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتحية ، وكان الزحام شديداً ، وبعد أن زار الخطيب المتصورة الشريفة واستأذن للخطبة ، من الحضرة النبوية ، على حسب عادتهم حضرا لابساً قاووقا يسمونه كودابان (٢) ، تحف به الاغاوات من كل جاب ، ثم صعد المنبر ومال الى جهة اليمين أعنى الى المقام الاشرف الاقدس النبوي ، وبعد أن سلم بغاية الادب ، حمد الله وجعل خطبته كلها مبنية على سرد كثير من الاحاديث الشريفة في موضوع الحج والزيارة ، وضرورة

(١) وكان صلى الله عليه وسلم يخطب على حذع بحلة ، ثم عمل له منبر من خشب الابل مركب من ثلاث درحات أو أربع ووضع في مكان الحدع الذي دفن في شرق المكان الذي كان فيه حذاء عمود القبلة العربي . وكان معاوية أصاب درحتين على هذا المنبر فأحرق في حريق المسجد الاول الذي حصل في سنة ٦٥٦ هـ ، وما بقي منه وضع في صندوق ودفن في حوار الحدع ، ووضع مكانه منبر من عمل الملك المطهر صاحب اليمن ، ثم استبدله بغيره الظاهر بيرس ، ثم غيره الملك المؤيد بآخر أحرق في الحريق الثاني سنة ٨٨٦ هـ ، وعمل بدله الملك قايتباي المنبر الذي نقل الى مسجد قباء ( ولا يزال به الى الآن ) بعد ان استبدلوه بالمرحلي

(٢) وقد رأيت الخطيب في المسجد الاقصي يلبس مثل هذا القاووق والحطة وهو من لباس القرن العاشر الهجري في الدولة التركية .



BOENME & ANDERER, CAIRO

القبلة الجنوبية بالروضة الشرقية

توحيد القلوب ، وتقوية الوصلة والرابطة بين أفراد المسلمين . وكان يستند في نصائحه على أحاديث نبوية : فكان يقول مثلاً ورد عن فلان عن فلان عن نبيكم هذا ، ويشير بيده الى الحجر الشريفة ، ثم يسرد الحديث فكان لخطبته تأثير على القلوب لا يمكن تكييفه ولا توصيفه و يوجد بالحرم النبوي للخدمة فيه نحو ألف نفس منهم ٤٦ خطيباً ، يتولى الواحد منهم خطبة الجمعة مرة واحدة في السنة ، طبقاً لترتيب مخصوص لا يتعدونه ولهم وكلاء كثيرون يتناوبون الخطبة عند غياب الخطيب ، و ٣٨ اماماً ، و ٦٢ مساعداً يتناوبون الامامة في الصلاة ، و ٥٠ مؤذناً ، و ٢٦ مساعداً مؤذن ، و ٥١ كناساً ، و ١١ بواباً ، و ٢٦ ضائفاً وحاجباً وخياطاً و خلائفهم ، و ١٠ سقائين ، و ٤ ملائيين ، و ٥٧٠ لغسيل و تنظيف و تعبئة قناديل الحرم . أما الذين يقومون بحراسة الحجر الشريفة والخدمة فيها فهم الاعاوات ، وأول من رتبهم للخدمة نور الدين الشهيد ، وكانوا اثني عشر ، واشترط أن يكونوا من حمالة القرآن الكريم وحفظته ، وجعل عليهم شيخاً منهم ، وزادهم يوسف عملاح الدين الابو بنى اثني عشر آخرين . ومن ثم أخذت الملوك والسلاطين تزيد في عددهم الى الآن ، وقد وصل عددهم في بعض الازمان الى أكثر من مائة شخص ، ولهم أوقاف مخصوصة ومراتب تأتيهم سنويًا من الاستانة وغيرها . ولهم دور بالمدينة يسكنون بها . وأغلب خدمة الحرم الشريف من غير مرتبات و يعيشون من خيرات ذوي البر والاحسان . والقاعدة في خدمة الحرم الشريف : أن من يموت منهم تورع وظيفته ومرتبه على أولاده جميعاً : فاذا مات الخطيب مثلاً وكان مرتبه مائة قرش تعين بنود في مركزه ووزع مرتبه عليهم وتولى العمل مكانه أكبرهم وهكذا في الخدمة : لذلك ترى مراتب الكل غير كافية عما شههم .

والحرم مهروش بأنواع السجاد المعجمي الثمين ، وفيه شئ كثير من الاسطة المصنوعة بقور يقة هر كه الشهيرة ، وخصوصاً في الروضة الشريفة . وبالجملة فهو آية من آيات الله في نظافته ، ولطافته ، وحسن بهائه وروائه ، حتى أن الذي يدخله لا يود أن يبارحه مطلقاً . وله خمسة أبواب : باب السلام ، و باب الرحمة في الغرب ، و الباب الجيدى في الشمال ، و باب النساء ، و باب جبريل ( أو باب البقيع ) في الشرق . وتقبل هذه الابواب



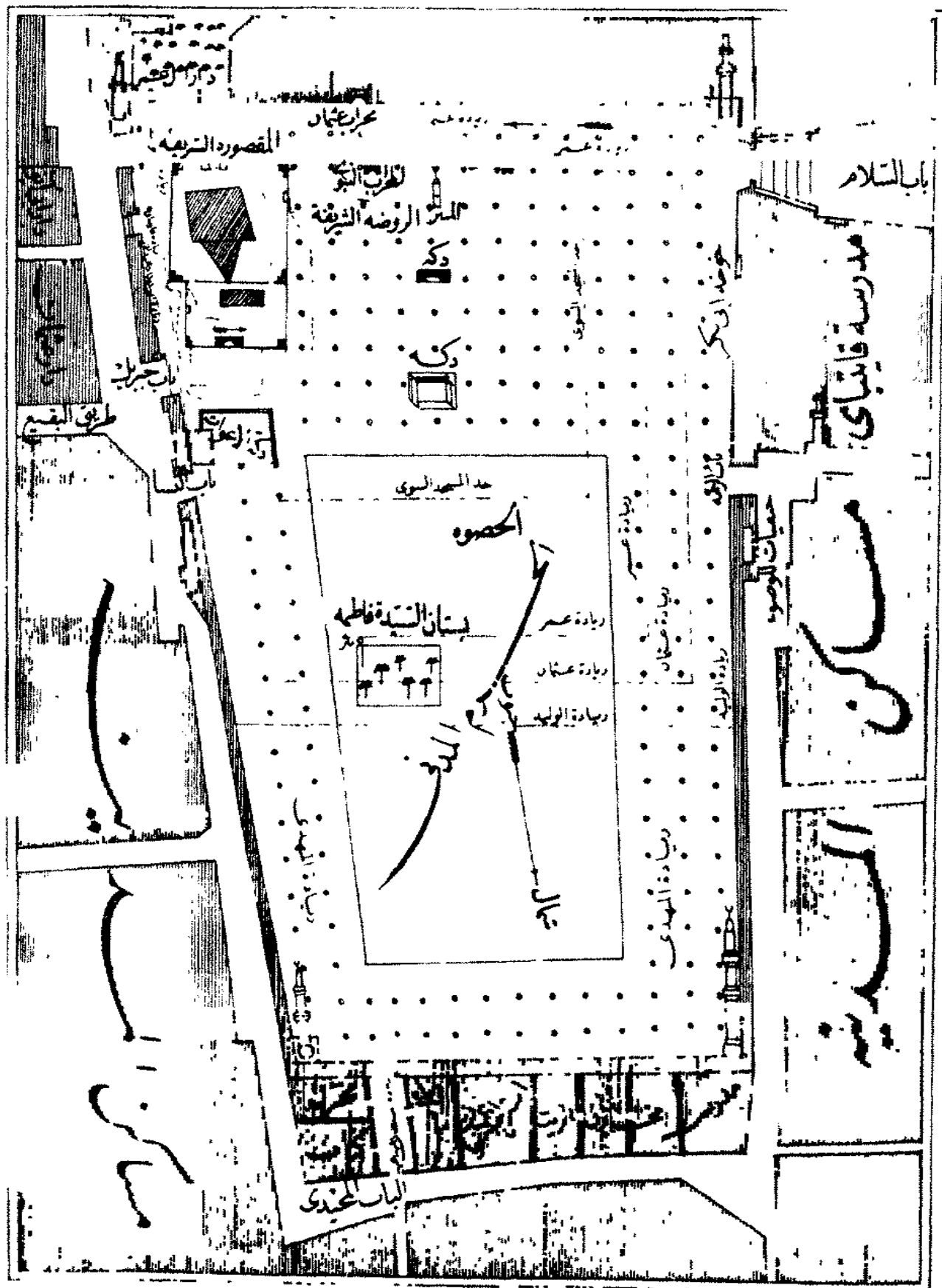
كلها بعد صلاة العشاء الى قبيل الفجر ، وهي سنة من عهد عمر رضى الله عنه . ويوجد بجوار باب الرحمة وباب السلام من الخارج حنفيات للوضوء من عمل السلطان عبد الحميد كما توجد أمكنة للحاجة على بعمدها .

### ﴿ أصل الحرم المدني وعمارتة والزيادة فيه ﴾

الحرم الشريف يحتوى الآن على مسجده صلى الله عليه وسلم ، وعلى بيت عائشة التي دخل عليها فيه في الشهر السابع للهجرة ، وعلى حجرات زوجاته رضى الله عنهن ، مع الزيادة التي زيدت فيه . وكان يحيط بمسجده الشريف في مدته صلى الله عليه وسلم مساكن زوجاته وأصحابه رضى الله عنهم ، فكانت مساكن أزواجه في الجهة الجنوبية وفي بعض الشرقية من الحرم ، وكان يفصل بينه وبينها طريق عرضه خمسة أذرع .

وكانت دار أبي أيوب الأنصاري ، ودار عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، جهة الشرق ، ولا تزالان موجودتان الى الآن ، وان كانت صورتهما قد اختلفت عما كانت عليه في صدر الاسلام . وفي زاوية دار عثمان المائلة للحرم الشريف حجرة فيها شباك عليه لوحة من الخارج مكتوب فيها (مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه) ويسكن شيخ الحرم عادة في هذه الدار .

وكانت منازل آل عمر رضى الله عنهم الى جنوب المسجد الشريف ويوجد الى الآن بستان ملاصق للحرم في اتجاه الحجرة الشريفة من جهة القبلة جعل حرمله ، وبه باب في خارجه مكتوب عليه (ديار آل عمر) . وكان محوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دار مروان بن الحكم وكانت على عين الداخل من باب السلام . وكان في غرب المسجد دار أبي بكر رضى الله عنه ، والى جوارها شمالا مما يلي باب الرحمة دار عبد الرحمن ابن عوف . وهذه الدور كانت لها فتحات على المسجد ، فرأى صلى الله عليه وسلم أن يسدها فقال (لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر) فسدت جميعها الا خوخته رضى الله عنه : ولا يزال في جدار المسجد شمال باب السلام باب صغير (لخزن تجاه المفصورة





الشريفة) يمثل هذه الخوخة، وموضوع عليه لوحة كبيرة مكتوب فيها الحديث المذكور بخط غاية في الجمال .

وأول من جدد في عمارة المسجد النبوي عمر رضى الله عنه ، فبنى حوائطه وغير بعض أساطينه ووسع فيه قليلا . أما عثمان فتمد زاد فيه الى قبلته الجنوبية وبناه بالجص والحجارة ، وفي سنة ثمان وثمانين أرسل الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة عمر بن عبد العزيز فزاد في المسجد شرقاً وغرباً وجنوباً ، وأدخل فيه حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وبنى له أربع مآذن ، وفرش أرضه بالرحام ، ووشى حوائطه بالفسيفساء ( الموزاييك ) وكساسة ققه بالذهب ، وجعل أساطينه من المرمر ، ثم زاد فيه المهدي العباسي سنة مائة وستين ، وقام بعمارته أحسن قيام . ثم عمره الخليفة المستعصم ، ثم الظاهر بيبرس . وفي سنة ثمان وسبعين وستمائة أقام الناصر قلاوون فبة الحجر الشريفة ، ولم يكن لها قبلة قبل ذلك . ثم عمره الاشرف برسباي سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة . ثم الظاهر برقوق سنة ثلاث وحمسين وثمانمائة . وفي سنة ست وثمانين وثمانمائة انفصت صاعمة على المسجد فأحرقته جميعه بحال مريعة لم ير الرءون مثلها ، ولم يكن أهل المدينة أن يقوموا في وجه النار التي لم تكن تبقى على شئ في طريقها ، إلا أنهم لم تمس الحجر الشريفة بشئ بالمرة !! و بمجرد ما بلغ هذا الخبر السلطان قايتباي ملك مصر ، أمر في الحال أن ينقل الى المدينة جميع عماله الذين كانوا يشتغلون في الحرم المكي ، وما زالوا يشتغلون بهمة فائقة في الحرم المدني حتى أتوه على أحسن هدام ، على هذا القوام الحالي ، وبنوا الحجر الشريفة على المخامة والحمال اللذين تراهما عليها الى الان ، وأقاموا على القبلة الشريفة قبلة أخرى أعلى منها ، وبنوا في الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة وأوقف عليها قايتباي الاوقاف الكثيرة وتسمى بمدرسة قايتباي الى الآن . وقد رأيت له باباً كان أرسل من مصر أثناء هذه العمارة ووضع على باب السلام ، ولما وسع هذا المدخل في عمارة السلطان عبد الحميد ، نقلوه الى الباب الحميدي : وهو من الخشب الثمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة أو المكتوبة ، بل هو من أنحر ما يرى الناظرون من الصناعة المصرية القديمة التي قبرت من

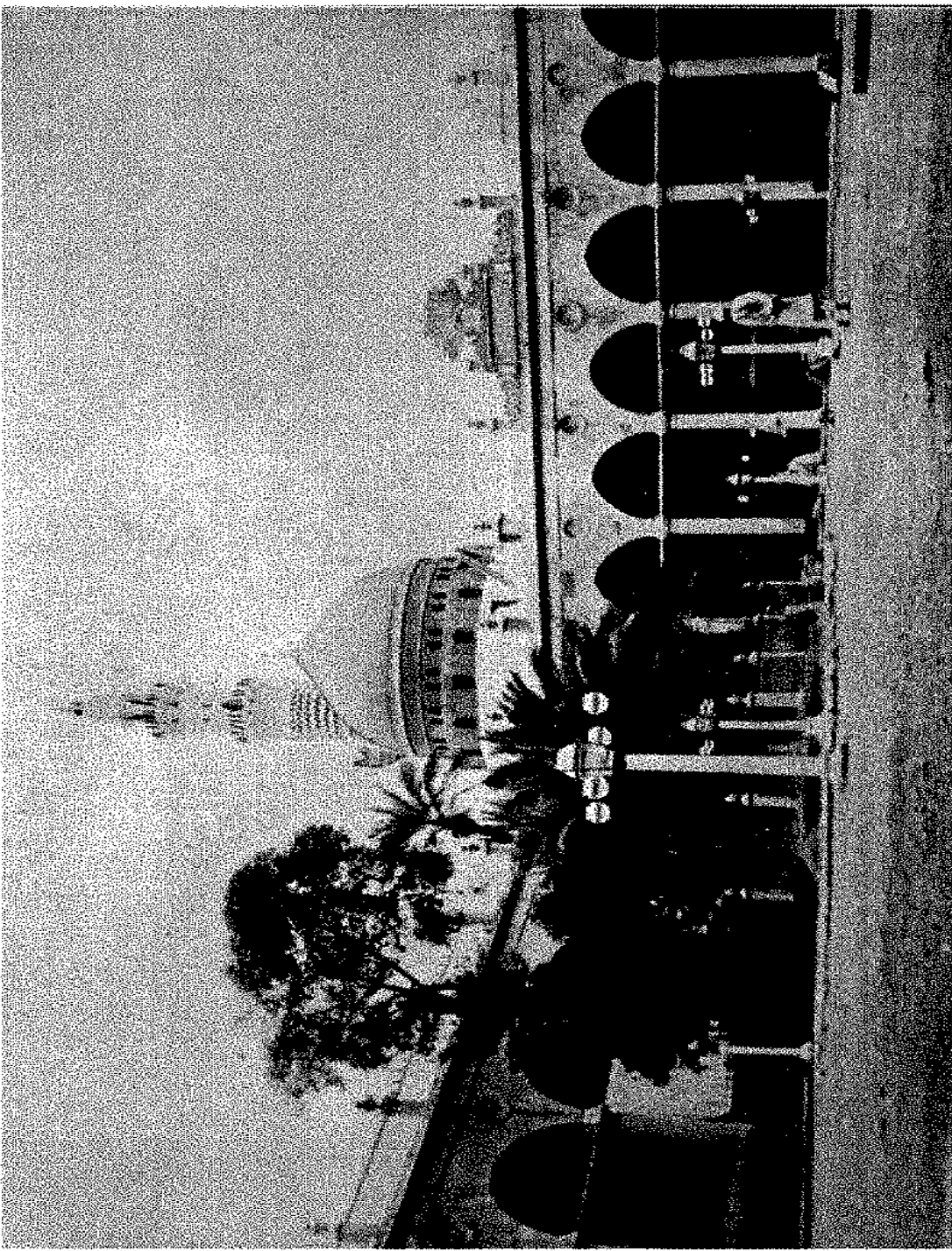


عهد بعيد !! وفي سنة ٩٨٠ عمده السلطان سليم الثاني ، وبنى فيه بين المنبر الشريف ومدرسة قايتباي قبلة جميلة وشاهها بالسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بالخط الثلث الجميل ، يشاهده السالك من باب السلام الى الحجرة الشريفة . وفي سنة ١٢٣٣ بنى السلطان محمود القبة الشريفة ، ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الاخضر في سنة ١٢٥٥ ، ومن ثم سميت بالقبة الخضراء . وفي سنة ١٢٧٠ أمر السلطان عبد المجيد خان رحمه الله بعمارته والزيادة فيه الى الشمال ، فكان ذلك وتمت عمارته على ما هي عليه الان ، وشاهه بالنقوش والزخارف التي تفوق حد الوصف ، وكتب على جداره مبتدئاً من باب السلام الى الشرق ، سورة الفتح بالخط الثلث المحوِّف ، وفي السطر الذي تحتها سورة أخرى بخط أرفع منه ولكنه أكثر تعليقاً ، ومن تحته سطر آخر أصغر من الذي فوقه ، فيه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصيدة البردة مكتوبة في محيط قباب المسجد ، وفي الزوايا التي ترتكز عليها هذه القباب أسماء الله ورسوله وآله وبعض صحابته . وكل ذلك مكتوب بخط غاية في جماله وحسن تنسيقه ، وكما وضعه : وحسبك أنه أثر ذلك الخطاط الشهير المرحوم عبد الله بك زهدى الذي أوفده السلطان عبد المجيد الى المدينة لهذه الغاية ومكث فيها بضعاً وعشرين سنين يعمل في بيت رسول الله بما آتاه الله من إحكام في صناعته ونبوغ في مهنته . وقد ورد في مرآة الحرمين أن هذه العمارة صرف عليها نحو مليون ليرة عثمانية . وليس هناك أثر (١) يذكر لمن بعدهم من الملوك سوى ما أدخل اليه من أسلاك النور (٢) الكهر باني في زمن

(١) رأيت عند صديقي الفاضل الشيخ مصطفى الحريري الخطاط الشهير بمصر لوحة مأخوذة بالقوطوعراف من خط المرحوم عبد الله بك زهدى على باب الحرم المدني فيها هذه الايات :

مصباح باب الله طه المرجحي \* بحر المكارم ملجأ الطلاب  
سلطاننا عبيد العزيز لحابه \* ليفوز بالآمال والآراب  
وعدا لسان مقاله متمثلا \* اد كان خادم هذه الاعتياب  
ان الوسائل للملوك بابهم \* ووسيلتي العظمي بهذا الباب

(٢) ومدة ريارتنا للمدينة كان الحرم الشريف مناراً بالربوت والشموع على عادته لان المهندس الكهر باني المخصص للمباشرة الالة التي تنير الحرم كان أصيب منها بما أفقده الحياة فأوقف عملها الى أن يسحصر لها مهندس آخر من الاستاه !!



منظر الحرم النبوي من داخل الحُجْرين والحجوة الشريفة  
وبستان الرشيقة فأهمته زينة الدعسفا

السلطان عبد الحميد ، وابتدأت الأارة به في الحرم الشريف رسمياً في يوم الاحتفال بافتتاح السكة الحديدية بالحجازية بالمدينة المنورة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦ .

والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر غاية في حسن الصناعة ، عملت في مدة العماراة التي قام بها قايتباي في سنة ٨٨٨ ، ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة أو باب الوفود ، وإلى جانبه من جهة الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج شباك التوبة ، وهو الذي يذكرونه في قسمهم فيقولون « وحياة النبي الذي وضعت يدي على شياً كه » ، ولها أيضاً منفذ إلى جهة القبلة في المواجهة الشريفة و يفتح عند الامور الهامة للدعاء والاستغاثة . ويتصل هذه المقصورة من جهة الشمال مقصورة السيدة فاطمة ، وهي على استقامتها من الغرب ، وتدخل عنها بمسافة متر ونصف من الشرق .

وطول المقصورة النوية الشريفة من ضلعها الجنوبي والشمالى ١٦ متراً ، ومن الشرق والغربي ١٥ متراً . وفي زواياها الاربع أعمدة مزوية عظيمة ، بنيت من الحجر الصلد على ارتفاع السقف ، وعليها ترتكز قواعد القبة الشريفة . أمام مقصورة السيدة فاطمة الزهراء فطولها من الجنوب ١٤ متراً ونصف ، ومن الشمال ١٤ متراً فقط ، ومن الشرق والغرب نحو سبعة أمتار ونصف . وهي تنصل بالمقصورة الكبرى من الداخل بابين : أحدهما إلى الشرق والآخر إلى الغرب ، قد أقيم فيما بينهما ضريح على المكان الذي دفنت (١) فيه السيدة فاطمة على قول الكثيرين . وفي داخل المقصورة الكبرى الحجر الشريفة وهي المكان الذي توفي به رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ للهجرة ودفن فيه عليه الصلاة والسلام في اليوم التالي : لقوله صلى الله عليه وسلم « ما قبض بي إلا دفن حيث قبض » ، ورأسه عليه الصلاة والسلام إلى الغرب . ولما توفي أبو بكر في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة دفن إلى جانبه من جهة الشمال ورأسه إلى قدمي الرسول عليه الصلاة والسلام . ولما طعن عمر رضي الله عنه استأذن من

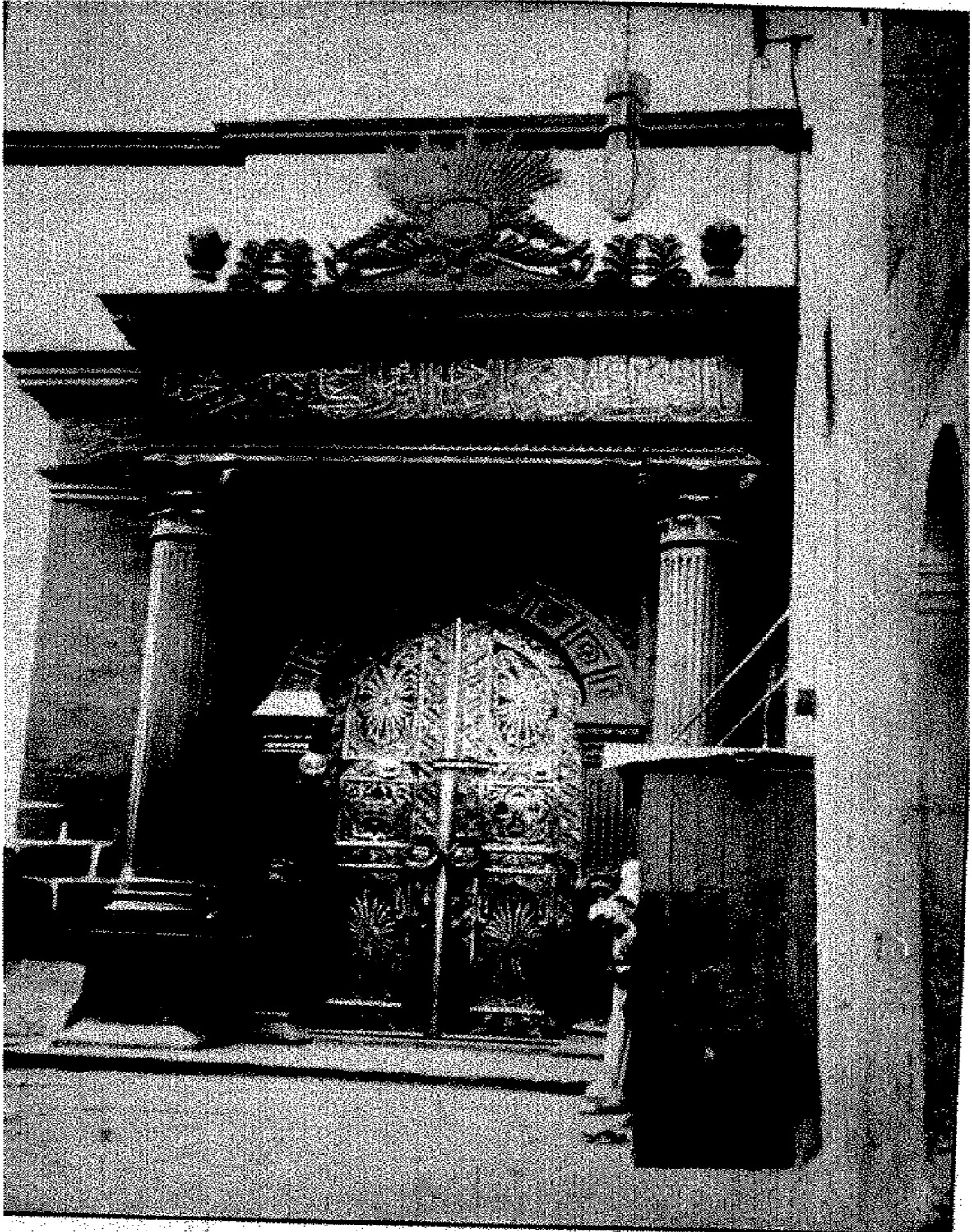
(١) وكانت وفاتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين ، وقول بعضهم أنها دفنت

بمسما المعروفة إلى الآن باسمها في الراوية العربية القلية من البقيع .



عائشة أن يدفن مع صاحبيه ، فأذنت له ، فلما مات يوم الاربعاء ٢٧ ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن الى جوارهما ، ورأسه محاذية لمنكبي أبي بكر رضي الله عنهما . وقد أقيمت على هذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء على شكل ذى خمسة أضلاع ارتفاعه أكثر من ستة أمتار . وأوّل من بنى هذه المقصورة عمر بن عبد العزيز في عمارته للمسجد ونزل أساسها الى غور بعيد ، وجعلها على الشكل المزوّر المتقدم حتى لا تكون مثل الكعبة في تريعها خوفاً من أن يتخذها الناس قبلة لهم . وكانت الحجرة الشريفة تسع قبراً اربعاً ويزعمون أنه مكان قبر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء في آخر الزمان ؟؟؟ وقد قيل فيه لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة لو أتيت المدينة وأقيمت بها فان مت دفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما . فقال والله لأن يعذبني الله عز وجل بكل عذاب الا النار أحب إليّ من أن أعلم أني أرى نفسي لذلك أهلاً ! فانظر الى درجة أدب الرجل وتنسكه مع ما كان فيه من سعة الملك الذي خلق على أطراف المعمورة بأجمعها رضي الله عنه .

وفي سنة ٥٥٧ بلغ نور الدين زنكي أن الصليبيين الذين كان مشتغلاً بمحاربتهم كانوا يعملون لسرقة الجثة الشريفة ، فأمر بإحاطة الحجرة الشريفة ببناء آخر ، نزل بأساسه الى مناسع الماء ، ثم صب الرصاص على دائره حتى صار بحيث لا يمكن أن تتناول يد الزمان وقد وضع على هذا البناء ستر من الحرير الاخضر مكتوب فيه « لا اله الا الله محمد رسول الله » يحيط بها أحجبة مكتوب فيها قوله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وفيما بين ذلك دوائر مكتوب فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحيط بهذا الستر (على ارتفاع مترين ونصف تقريباً ) حزام من الحرير الاحمر عرضه نحو ثلاثين سنتيمتراً مكتوب فيه تقصّب الذهب اسم السلطان الذي أمر بعمل الستر الشريف . وهذه الكسوة ترسل من الدولة العلية عند تولية كل ملك من ملوكها ، والكسوة الحالية وصلت الى الحجرة الشريفة بعد اعلان الدستور . وأوّل من كسا الحجرة الشريفة الخيزران أم هرون الرشيد ، عندما قدمت في حجة الزيارة النبي عليه الصلاة والسلام .



باب الرحمة بالحرم المديني



وصارت من بعد هاسنة الملوك والسلاطين . و بين بناء المقصورة والشبكة النحاسية الخارجة طرقة متوسطة سمعتها نحو ثلاثه أمتار من جهاتها الشرقية والغربية والقبلية ، وفي زاوية هذه الطرقة من الجنوب كرسى موضوع عليه مصحف شريف كبير ، أهداه الى الحجر الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفي ، ويقولون انه من المصاحف الستة التي كتبها عثمان بن عفان .

وسماء هذه الطرقة مملوءة بثريات من الذهب والفضة ، وخصوصاً في الجهة الجنوبية فيما يقابل الوجه الشريف : فان فيها كثيراً من المشاكي الذهبية ، منها إحدى وثلاثون مشكاة مرصعة بالماس والزمرد والياقوت ، ومعلقة بسلاسل النضار . ومجموع مصابيح الحجر الشريفة مائة مصباح وستة .

وفي مقابلة الوجه الشريف على جدار المقصورة حجر من الماس البرلاتي في حجم بيضة الحمام الصغيرة ، يحيط به اطار من الذهب المرصع . ويقدر وزن ثمنه في ذاته بثمانمائة ألف جنيه ، أما في شرف سبته الى الحجر الشريفة فقيمته أكبر من أن تقدر بثمن ، ويسمونه بالكوكب الدرى لشدة تألقه وعظيم سنائه وبهائه . وهو مثبت في لوحة من الذهب و رصع محيطه بمائتين وسبع وعشرين قطعة كبيرة من الجواهر الثمينة . وهذا الكوكب أهداه للحجر الشريفة السلطان أحمد خان الاول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان في مبادئ القرن الحادى عشر الهجرى . وقد علق تحته كف من الذهب المرصع بالجواهر ، وفي وسطه حجر من الماس أصغر من الكوكب الدرى ، أهداه اليها السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الاول في سنة سبع وأربعين وألف للهجرة . وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جميل جداً بحجارة الماس البرلاتي « لا إله الا الله محمد رسول الله » أهدته اليها صاحبة السموّ والمعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة ألف ومائتين واحدى وتسعين هجرية .

وفي هذه الحجر الشريفة غير هذا ، كثير من الجواهر الفاخرة التي لا تقدر بثمن : منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس اسم السيدة فاطمة الزهراء



وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي ، والى جوارها عقدهم من اللؤلؤ الكبير الحجم ، لا يماثله شئ في عظمه وجوهره ، وعقود أخرى من المرجان النادر المثل .  
ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة ، منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين ، أهداهما اليها السلطان عبدالمجيد خان في سنة أربع وسبعين ومائتين وألف ، وشمعدانان آخران أهداهما السلطان محمود . والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ ، ومرآوح مرصعة بالأحجار الكريمة ، وعصاق ومباخر مرصعة ، وهذا عدا ما يوجد في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف الجوهرة والتحف الفاخرة ، وكثير من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة التي لم تكن مشغولة ، وغير ذلك من الاساور والاقراط وخلافها . وبالجملة فقد قدر ثمن مال الحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات .

ولقد كانت الملوك والكبراء والعظماء يهدون لها في كل الازمان كثيراً من الجواهر الفاخرة والذخائر الثمينة . وكثيراً ما كانت تتناول اليها يد الاشرار من ولاية المدينة مثل جماز ابن هبة الذي نهب في سنة احدى عشرة وثمانمائة من ذخائر الحرم المدني ما قدره السهمودي بعشرين قنطاراً من الذهب . وتبعه في ذلك الشريف حسن بن زبير المنصوري سنة ٩٠١ هجرية فأخذ منه شيئاً كثيراً . وفي مبدا القرن الثالث عشر الهجري كانت الحجرة الشريفة عامرة بما لا يحصى من الذخائر الثمينة ، فنهبا الوهابي سنة احدى وعشرين ومائتين وألف ، و ناع بعضها الى الشريف غالب بمبلغ خمسين ألف ريال ، و بعد تميم الصلح بين ابن سعود وطوسون باشا اشترى منه هذا الاخير بعض ما نهبه أبوه من آثارها الذهبية بمبلغ ألفي جنيه مصري ، وردها للحجرة الشريفة . وكذلك رد اليها محمد علي ما أعطاه اليه الوهابي من ذخائرها وأهداها هو بشمعدان كبير من الذهب الخالص وشمعدانين من الفضة مكتوب عليها « العبد المذنب محمد علي والى مصر سنة ١٢٢٨ » . وأهداها عباس باشا الاول شمعدانات من الفضة وثريرتين ( نجفتين ) من الفضة : واحدة ذات ٣٦ شمعة معلقة في الحراب العثماني ، والاخرى ذات ثلاثين شمعة معلقة تجاه الوجه الشريف ، وثريرات

وشمعدانات أخرى من البلور. ولسعيد باشا وبعض كريمات العائلة الخديوية بالحرم الشريف هدايا أخرى. وآخر ما قدم للحجرة الشريفة لهذا العهد واليب ثمينة جداً أقدمتها اليها دولة والدة الجناب العالي الخديوي لتحفظ فيها هذه الآثار الكريمة جزاها الله خيراً .  
وتخدمه الحجرة الشريفة يغسلونها في السنة ثلاث مرات: واحدة في يوم ربيع الأول، والثانية في أول رجب، والثالثة في الثامن عشر من ذي القعدة. ويكون لذلك احتفال كبير، وماء غسلها يفرقونه في قوارير على أكابر المسلمين للتبرك به .

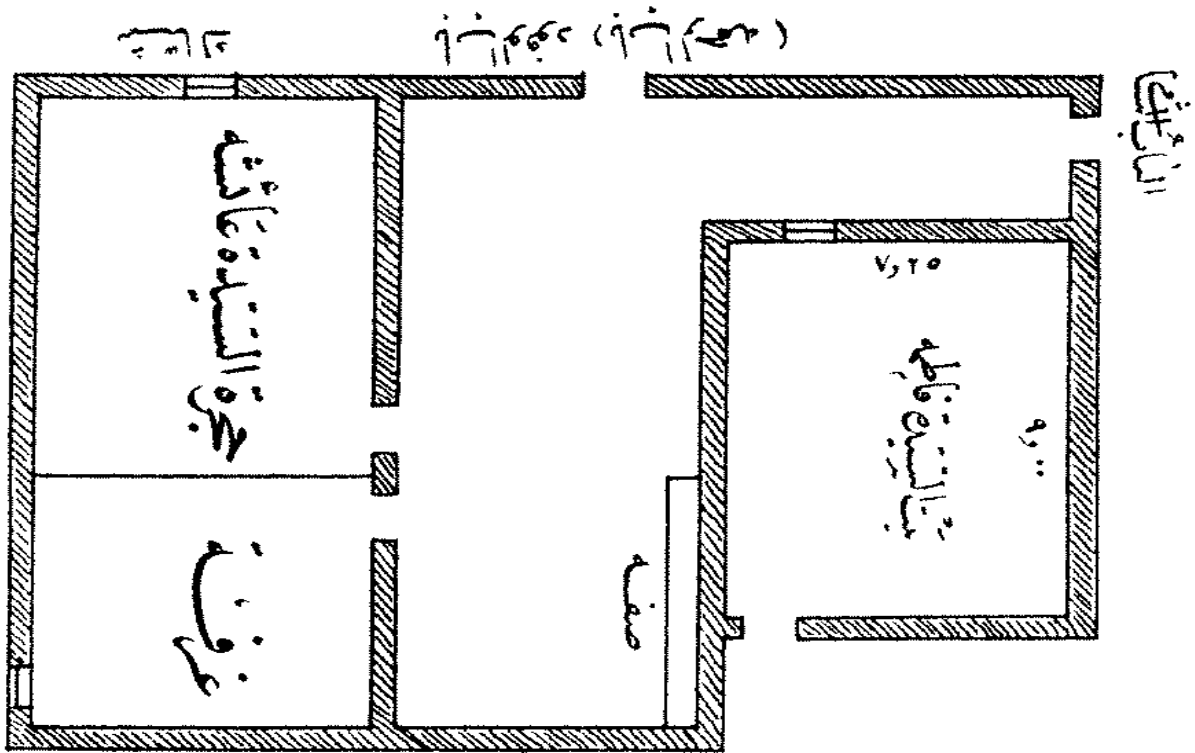
### ﴿ بحث فيما كان عليه بيته صلى الله عليه وسلم بالمدينة ﴾

من ينظر الى المقصورة الشريفة الحالية، ويعلم أنها أقيمت على مكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم ( المشهور ببيت عائشة ) ، ويفكر في أبوابها ، وتسمية كل باب باسم مخصوص ، ويضيف الى ذلك أن بيت السيدة فاطمة كان بجانب بيته صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان فيه شباك يطل على بيت أبيها ، وكان صلى الله عليه وسلم يستطلع أمرها منه حتى سده محبة في استقلال كل بيت عن الآخر ، يحكم معي بأن وضع بيته مدة وجوده صلى الله عليه وسلم كان على نحو الشكل الآتي :

والذي ساعدني على هذا الوضع ماورد عن مالك رضى الله عنه « قسم بيت عائشة باثنين ، قسم كان فيه القبر ، وقسم كانت تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط ، وكانت عائشة رعا دخلت حيث القبر فضلاً (يعنى سافرا) ، فلما دفن عمر رضى الله عنه لم تدخله الا وهي جامعة<sup>(١)</sup> عليها ثيابها » .

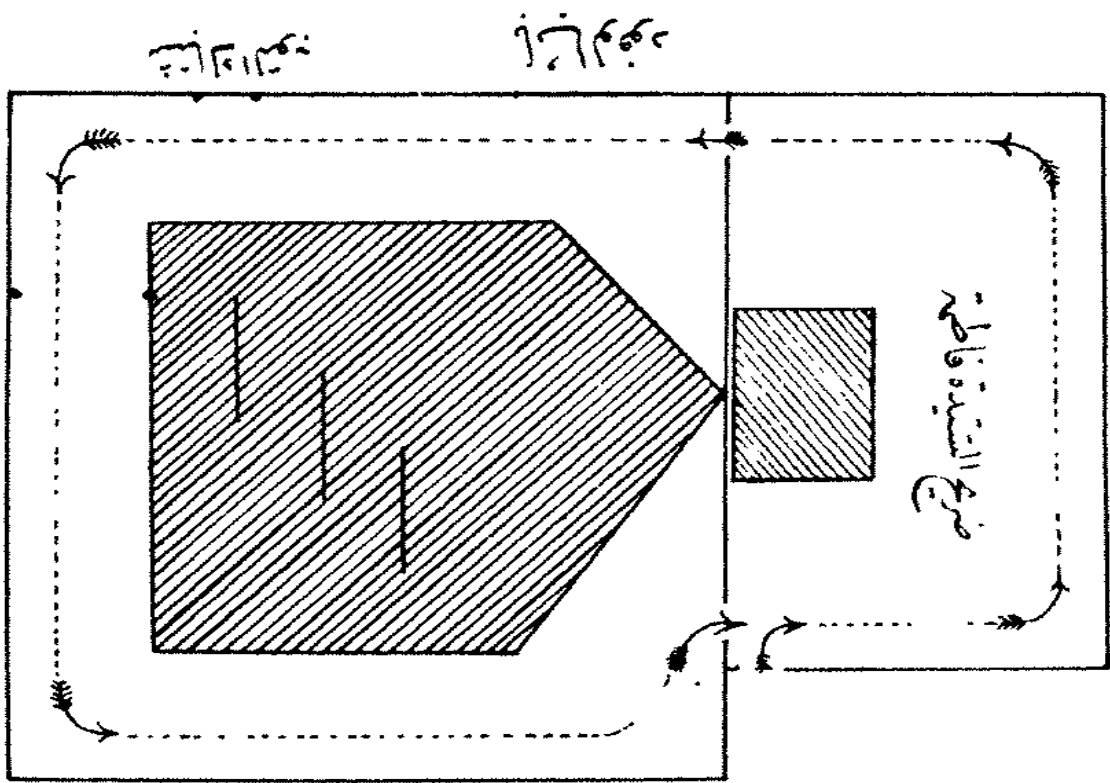
ومن ذلك تعلم أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان به حجرتان . أما به فقد قال بعضهم انه للشام ، وقال آخرون انه للغرب ، ولكن يستنتج من رواية ابن سعد أن له بابين حيث قال : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ( الصحابة ) كيف نصلى عليه ؟ قالوا ادخلوا من ذا الباب ارسلوا ارسالا ففصلوا عليه واخرجوا من الباب الآخر » ،

(١) أنظر حفظك الله ورحاك الى هذا الادب العالي والحياء العالي الذي بلغ بكمال القوم رسوان الله عليهم والحفاطة على الحجاب حي على الاموات وحتى مع عمر وهو ميت .



رسم وضعي تقريبي لمزل النبي (ص) بالمدينة

شمال



رسم للمقصون الشريفه الحاليه التي بها قبره عليه الصلاة والسلام والى جواره قبر الجديكس وتم قبر عمر رضي الله عنهما .



ومما ورد أيضاً أن بيت السيدة عائشة كان به صُفَّة إلى منزل فاطمة ، وكان به فتحة إلى القبلة يؤيد ذلك قول ابن ذُبالة : « كان بين بيت حفصة ومنزل عائشة الذي فيه القبر الشريف طريق ، وكانت اتها ديان الكلام وهما في منزلهما من قرب ما بينهما » . وحفصة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم و بنت عمر بن الخطاب وكان بيتها كما لا يخفى على عيني خوخة آل عمر ، أي في جنوب بيت عائشة إلى الشرق .

وإني لم أجسر على هذا الوضع إلا بعد تدقيق شديد في أقوال الصحابة والتابعين الذين كانوا يتحرون كل مواضع عليه الصلاة والسلام ، وخصوصاً في بيته الذي أجمع المسلمون على أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم فيه أشرف بقعة على سطح الأرض . وعلى كل حال فهذا استنتاج لي أو رده لك وأنت حر في تحسينه أو توهينه ، ولو بدون دليل تقميه عليه .  
وعليه فيكون بيت السيد الرسول مدة حياته في المدينة على الرسم ( الموضوع في جنوب المفصورة الشريفة ) وهو أكثر بساطة من مسكنه في مكة . وكان من دونه كما سبق منازل أزواجه رضي الله عنهن : وكان محيطها مع منزل عائشة مبيهاً باللبن ، وفواطعها الداخلة من الحر يد المكسو بالطين والمُسوح الصوفية : ومن ذلك يمكنك أن تحكم على مقدار بساطته صلى الله عليه وسلم في مسكنه . بحيث أنه ما كان يتعدى في أي حال من الأحوال الضروري لحياته ، وحياته أزواجه . وقد ورد عن عطاء الخراساني أنه قال : « أدركت حُجْر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فحضرت كتاب الوليد يُقرأ أياً مر نادخالها في المسجد فمأربت يوماً كان أكثر با كيأ من ذلك اليوم ، فسمعت سعيد بن المسيب يقول « والله لو دذت أنهم تركوها على حالها ، ينشأ ناس من المدينة ويفدم قادم من الآفاق فترى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، ويكون ذلك مما يزهده الناس في التكاثر والتفاخر فيها » .  
ومع هذا فإني إذا أبعمت النظر في هيئة المكان على بساطته ، وفكرت في وضعه الصحي ، وكيف كانت منافذه منقية للهواء ، وأبوابه داعية إلى السهولة في الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفرة الزمن والسرعة إلى المقصد ، مما شرع فيه الآن في العمارات الكجالية ، عرفت ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القناعة ، والزهد ، وحسن





الذوق . ومن يتأمل في ذلك يرّ فيه خير درس للناس يتعلمون منه كمال وضع الامور في مواضعها ، من غير زيادة عن الحاجة ولا ينقص عن الضروري ، وهناك يرى الغنى في ماله فضلة يساعدها الفقراء من عيال الله : فتبادل عاطفة الحنو والشفقة فيما بينهم ، وثبتت قدم المحبة في أفئدتهم ، فيصبح الكل بين محب ومحبوب ، وشاكر ومشكور ، وحامد ومحمود ، وهناك تزول عوامل الحسد وتموت شياطين التنافر والبغضاء ، ويتحد الكل على العمل ، بل ويعمل الكل للكل ، ويكون الناس على اختلاف طبائعهم وعوائدهم كأعضاء جسم واحد تعمل كلها حياته ووجوده ، وإذا يكونون قد قاموا بالأمور التي وجدوا من أجلها وهي خدمة الانسانية .

\*

## المدينة المنورة

المدينة المنورة، أو مدينة الرسول ، واسمها طيبة ، وكانت تسمى قبل الهجرة يثرب ، ترتفع عن سطح البحر بنحو ٦١٩ متر ، وهي واقعة على طول ٣٩ درجة و ٥٥ دقيقة شرقاً ، وعلى عرض ٢٤ درجة و ١٥ دقيقة من شمال خط الاستواء ، (أعني على عرض خط دراهم التي توجد فيما بين اسباواسوان) ، ودرجة حرارتها في الصيف تصعد الى ٢٨ درجة سنتجراد ، وتنزل في الشتاء الى عشر درجات فوق الصفر نهاراً ، والى خمسة تحت الصفر ليلاً ، وكثيراً ما يرى فيها الماء متجمداً في آريته عند الصباح في زمن الشتاء ،

وإد اصح ما ذهب اليه بعضهم من أن كلمة يثرب محرفة عن الكلمة المصرية (إثريبس) ، كان لنا أن نذكر في أن الذين بنوها انما هم العمالقة بعد خروجهم من مصر ، ولنا في يهوديتهم ما يؤيد قول من ذهب الى أن موسى في طريقه الى فلسطين ، أرسل فرقة من قومه لتكتشف له تلك الجهة ، فساروا اليها ، وبلغهم موته فبنوا مدينة اثريبس وأقاموا فيها . وعليه فعمران المدينة يبتدىء من سنة ألف وستمائة قبل المسيح أو الفين ومائتين وأنتين وعشرين قبل

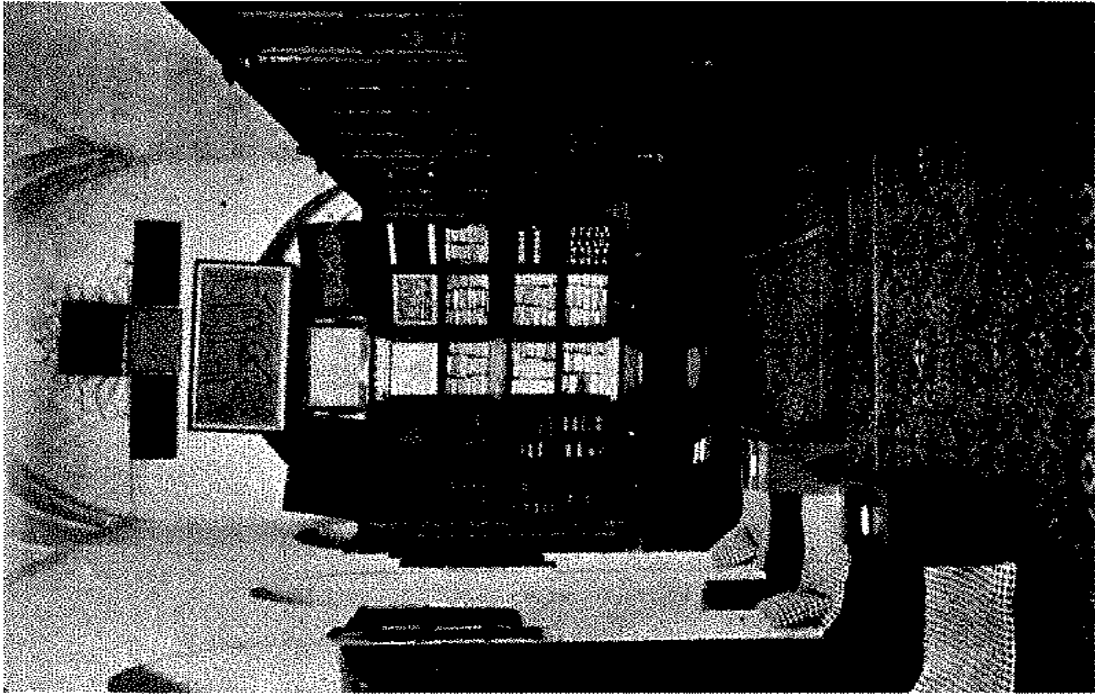


الهجرة : وعلى ذلك يمكننى أن أقول أن لفظ طيبة ان كان مستعملا اسما لها من قبل الاسلام فلا بد أن يكون مصريا أيضاً .

والمدينة مركز لواء وكانت الى عهد قريب ملحقة بولاية الحجاز وجعلت الان متصرفية قائمة بنفسها ( كما بلغنى ) وفيها عاملان كبيران يقومان بادارة شؤونها وهما : شيخ الحرم ، والمحافظ ، وهذا الاخير فى يده السلطة العسكرية التى هى الان أهم السلطات فى بلاد الدولة العلية . ويتبع المدينة قضاء الوجه ، وقضاء ينبع ، والكور ، وتبا ، ودومة الجندل ، والقرع ، ودو الرمة ، و وادى القرى ، وقرى عرينه ، والسياله ، والرهنط ، وكحل ، ومدين ، وفدك ، وخير . وفى المدينة وكيل لشرىف مكة ينظر فى قضايا العربان اسمه الشرىف شحات .

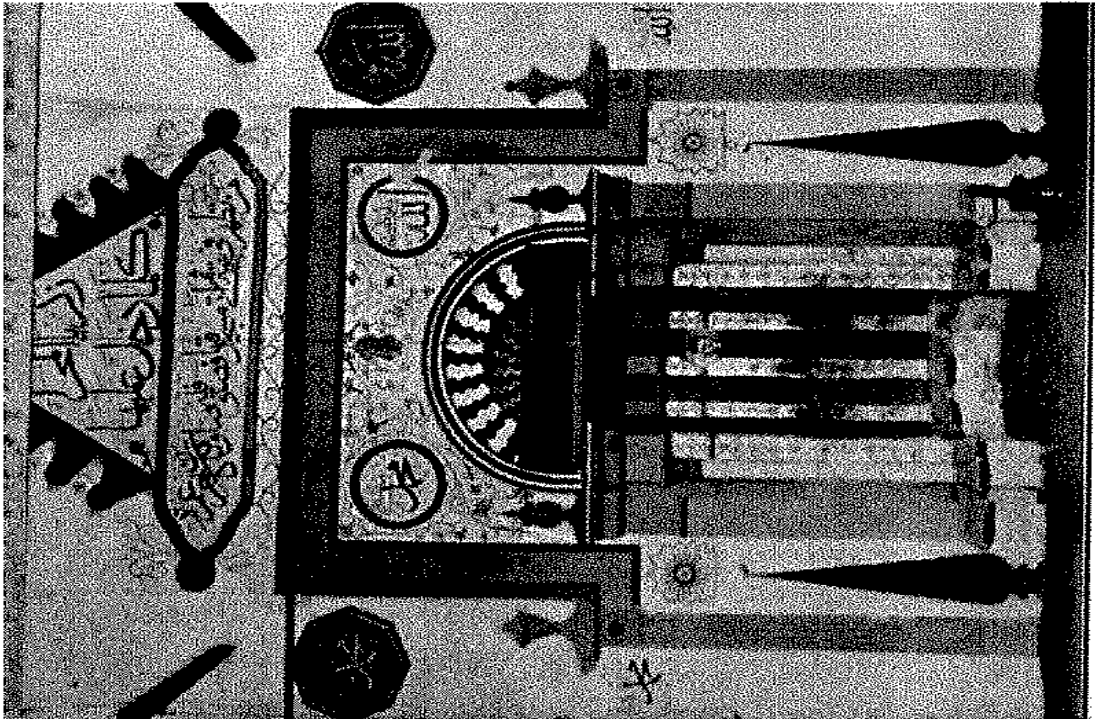
والمدينة مبنية فى وسط وادى شاسع يمتد الى الجنوب ، واغلب مبانيها من الحجر المحلوب اليها من المحاجر القريبة منها . وفيها نحو ١٢ ألف بيت ، وشكل الابنية فيها هو بعينه ما رأياه بمكة وجدة ، لولا أن منازلها أصغر ، وشوارعها أضيق ، وخصوصاً ما كان منها حول الحرم الشرىف ، وكان يجب أن يكون حوله ميدان متسع يساعده على تنقية جو المدينة من جهة ، وعلى سهوله الوصول الى الحرم من جهة أخرى . وأحسن شارع فى المدينة غرب الحرم ، ويسمونه بحارة الساحة وهى أطول حاراتها ، وفيها أحسن مبانيها ، وبها مكان المحافظة فى قلعة على السور الداخلى . ومما ينبغى ذكره أنى رأيت بهذه الحارة منزلاً ( للسيد هاشم ) مشغولاً بأعمال الاويمة بما استوقفنى أمامه باهتاً للجمال صنعته ودقتها ، وهى من صناعة جاوه ، و بكل أسف أقول ان هذه الصناعة البديعة قد انقطعت عن المدينة بالمره . وفى هذه الحارة زقاق يدخل منه الى مقام سيدنا عبد الله والدا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أتى الى المدينة قبل الاسلام لعميل له فمات بها ، ودفن عند أخواله من نبي النجار فى بيت رجل منهم يقال له التابغة . وهذه الحارة تسمى الابواء ، أو زقاق الطوال ، وفيها ما زل آل أسعد .

وأغلب حارات المدينة يسمونها الضيقها أزقة : منها فى شمال الحرم ، زقاق البقر ، وزقاق الخياطين ، وزقاق الحبس ، وزقاق عنقبنى ، وزقاق الساهيدى ، وزقاق البدور : وزقاق الاغاوات ، وفى جنوبه زقاق ياهو ، وزقاق الكبريت ، وزقاق القماشين ، وزقاق



BOEHME & ANDERER, CAIRO

# كتبة بيت سلطان محمود بالمدينة المنورة



BOEHME & ANDERER, CAIRO

# مخازن مخبرتها

حيدر ، وزقاق الحجامين ، وزقاق مالك بن أس الخ .

وعلى كل حال فخارات المدينة نظيفة وضيقتها يساعد كثيرا على تلطيف الحرارة فيها زمن الصيف ، كما هو الشأن في أغلب بلاد الشرق . وسوق المدينة يتدى من الباب المصرى الى الحرم الشريف في شارع ضيق طوله ٥٠٠ متر تقر بيا يقطعه على المارة تقابل جملين فيه مع بعضهما ، والحركة فيه تكاد تنحصر في مدة الحج ، والموسم الرجبي : وهو موسم الزيارة الرسمية في بلاد العرب . وتجارة المدينة مدارها على وارداتها الخارجية ، لاسيما واردات جاوه والهند والشام ، وعلى الخصوص في الاقمشة القطنية والصوفية والحريرية والسبع والليف الابيض والحناء والسط والسجاجيد والحنابل (الالكمة) المعجمية والهندية والمغربية والاباضولية ، وانماها أعلى منها في مكة بل وفي مصر ، وانما ابتاع الحجاج لها على سبيل البركة وسهولة الصرف في هذه الجهات . وتجارة البلح فيها هي أكر التجارات وأوسعها لان ضواحيها فيها كثير من البساتين وفيها نخيل كثيرة تنتج نحو سبعمين صنفا من الثمر وأحسنها البلح العنبري ، ثم الجلبى ، ثم السكرى وهو أكثرها حلاوة ، ثم بلح السبع ، ويكثر نخله في جهة الحيف بين المدينة والحراء وكيفية تجهيزه : هي أن ينظم في خيط ثم يلتقى به في الماء المغلى زمانا ثم يجفف في الشمس . ولقد اشترينا منه شيئا من دكاكين أقيمت خارج الباب المصرى بالمناخة ، وكان البائع يروج تجارته باحاديث يسردها ، ويسبها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، في مدح بعض أنواع البلح المتهدمة . فعجبت من أن القوم لا يستحون من الكذب على الرسول حتى وهم بين يديه الشريفتين ، وفلت له يا هذا ، انا اشترى منك بلحا لأحاديث وأوريتها أن مصيبة المسلمين أساسها الجرأة في التهول على الله ورسوله !! فاعتذر الرجل بجهالته قائلا انه أخذ هذا عن غير من الباعة السابقين أو بعض المتشبهين . ويبيعون البلح بالكيلو ووزنها ٦٠٠ درهم ، أما كيلو الارز فزنتها ٣٠٠ درهم . والسمن يبيعونه بالرطل وهو ١١ أو ١٢ أوقية ، والرطل ٢٠٠ درهم ، والاردب ١٢٠ أقه .

وفي المدينة كتبحانات كثيرة أحسنها كتبخانة شيخ الاسلام عارف حكمت ، وهي قريبة من باب جريل الى جهة القبلة ، وهذه الكتبخانة آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها



وترتيب كتبها، وأرضها مفروشة بالسجاد العجمي الفاخر، وفي وسط حوشها نافورة من الرخام، فيها حنفيات للوضوء، وفيها كتب ثمينة جداً لا يقل عددها عن ٤٠٤٠٤ كتاب. ولقد رأيناها شيئاً من غرائب الصناعة النادرة في بابها: وهو كتاب أشعار فارسية مكتوب بالخط الأبيض الجميل لملأشاهي، وبيننا نحن معجب من جودة الخط واتقان الصناعة وظافتها وحسن تنسيق حروفها على صفرها ودقتها، لفت نظرنا حضرة مدير الكتبخانة إلى أن حروف الكتابة انما هي ملصوقة على الورق. فتأملناها فوجدنا شيئاً يبهر الطرف لرؤيته ويعجز اللسان عن نعته، خصوصاً عندما أخبرنا أنهم كانوا يكتبون هذه الكتابة ثم يفصلونها عن ورقتها بظفرهم، ثم يلصقونها على ورقة أخرى!!!

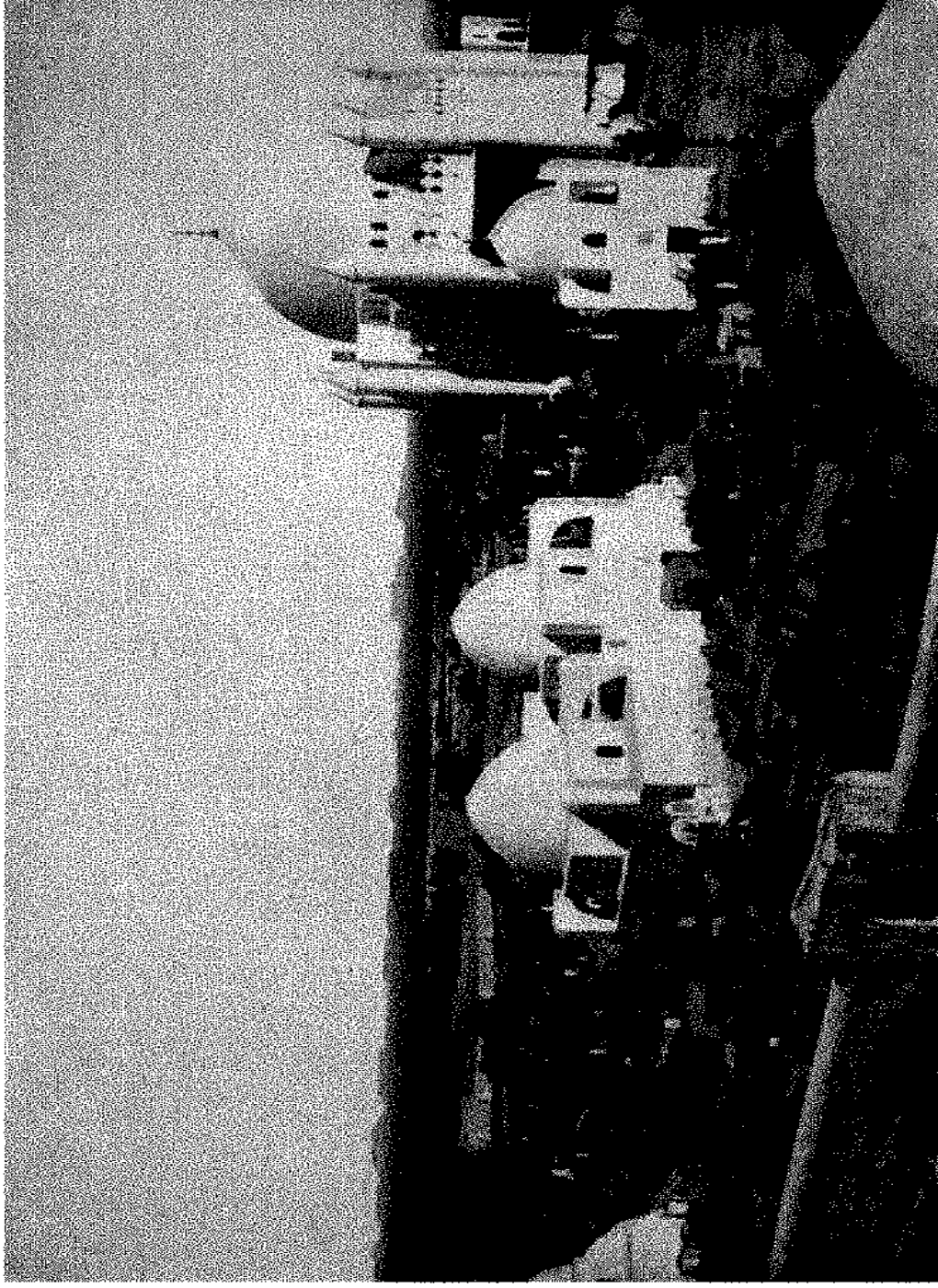
وفي باب السلام كتبخانة للسلطان محمود ومقدار الكتب التي فيها ٤٥٦٩ كتاب وهي وإن كانت أصغر من كتبخانة عارف وأقل منها نظاماً إلا أنها جميلة ومرتبعة. وفيها كتبخانة للسلطان عبد الحميد الأول بها ١٦٥٩ كتاب، وفيها أيضاً كتبخانة بشيرآغا، في زقاق الحياطين بها ٢٠٦٣ كتاب وقد بلغني أن هناك كتبخانات أخرى منها واحدة في رباط عثمان حافلة بنفائس كتب مذهب مالك، ويفرد مجموع هذه الكتب بثلاثين ألف كتاب من الكتب النادرة المثال. ولو جمعت كل هذه الكتب في دار واحدة وعمل لها نظام مخصوص لكان ذلك أضعف والفائدة منه أكر.

وفي المدينة جريدة اسمها (المدينة المنورة) تصدر باللغة التركية والعربية على مطبعة بالوزد كما كان هناك داع لصدورها، ومديرها حضرة الفاضل الشيخ محمد مأمون، وكانت تصدر مدة وجود الجنب العالي بها، شارحة حركاته اليومية، وباشرة كل ما كان يقدم لذاته السنوية من المدائح نظمياً وشرها، ومن ضمن ما رأيت فيها قصيدة لحضرة مديرها تهنئة للجناب العالي تقدمه قال في مطلعها

البدر في أفق العلياء قد طلعا \* وكوكب السعد في أسعاده سطعا

وليس في المدينة من المدارس ما يستحق الذكر، إلا أن فيها ١٦ مكتبة لتعليم مبادئ

العلوم البسيطة، والذي يدرس في الحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير.



BOEHME & ANGERER, CARO

أهتبع هو حيا به المدينة المنورة وفيه قبة سيدنا عثمان على أبيه وعلى عيسى ما قضا الامم مالك  
ثم قبة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قبر سيدنا ابراهيم بن النبي ثم القبة الكبرى وفيها قبر  
سيدنا العباس وسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما جميعا



وفي المدينة حمامان تركيان أحدهما داخل المدينة: وهو من عمل السلطان سليمان القانوني والثاني بالمناخه . وفيها تسكيا أهمها التكية المصرية، والباقي يسمونها رباطات، لها مرتبات قليلة لا تفي بحاجة من يسكن فيها من الفقراء والمعوزين  
وللمدينة المنورة حرم مثل حرم مكة يبلغ قطره دائرة نحو اثنين كيلومتر، ولا يجوز لأحد الصيد فيه اجلالا له وتعظيما .

وفي المدينة وضواحيها مزارات كثيرة أشهرها مسجد قباء، ومسجد سيدنا حمزة، والبييع: أمام مسجد قباء فيبعد عن المدينة بمسافة خمسة كيلومترات، وهو أول مسجد بنى في الاسلام، ساءه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنوب الغربي للمدينة عند دخوله إليها في هجرته، وقد جدد بناءه السلطان عبد الحميد الاول، وبوسط صحنه قبة أقيمت على مركز ناقته صلى الله عليه وسلم حين قدومه إليها في هجرته من مكة . وأمام مسجد سيدنا حمزة فإنه يوجد في شمال المدينة في وادي أحد: وهذا الوادي مشهور بالواقعة التي حصلت بين المسلمين والمشركين في ١٥ شوال سنة ٣ للهجرة، وأبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً، واستشهد فيها سيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت فيها رابية النبي النبي وشيخ وجهه وكلمت شفته السفلى، ودخلت حلقتان من مغفره في وجنته: وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أن أبا عميدة بن الحراح زرع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت تتيته، ثم زرع الأخرى فسقطت تتيته الثانية، فكان ساقط التيتين . وهناك قمة يقال لها رابية السن فيها حجر به حفرة صغيرة يزعمون أنها الدكان الذي سقط فيه السن الشريف وقد كان أهل المدينة يملوا بعد انتهاء هذه الواقعة بهض قتلاهم لدفنهم فيها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم قائلا: « ادفنهم حيث صرعوا » . وعليه فندفن حمزة في مصرعه الذي عاينه إلى الآن قبة يقال لها قبة المصراع، شرق مسجده الحالي الذي نقلت جنته اليه فيما بعد لما عثب السيل بقبره الاول . ومن حوله قبور الشهداء الذين قتلوا في هذه الواقعة وعادهم نيف وسبعون . وفي نهاية الوادي إلى الشمال جبل أحد وهو جبل صخري من الجرانيت، وهو وان كان من السلسلة الجبلية التي تخترق بلاد العرب إلا أنه يكاد يكون



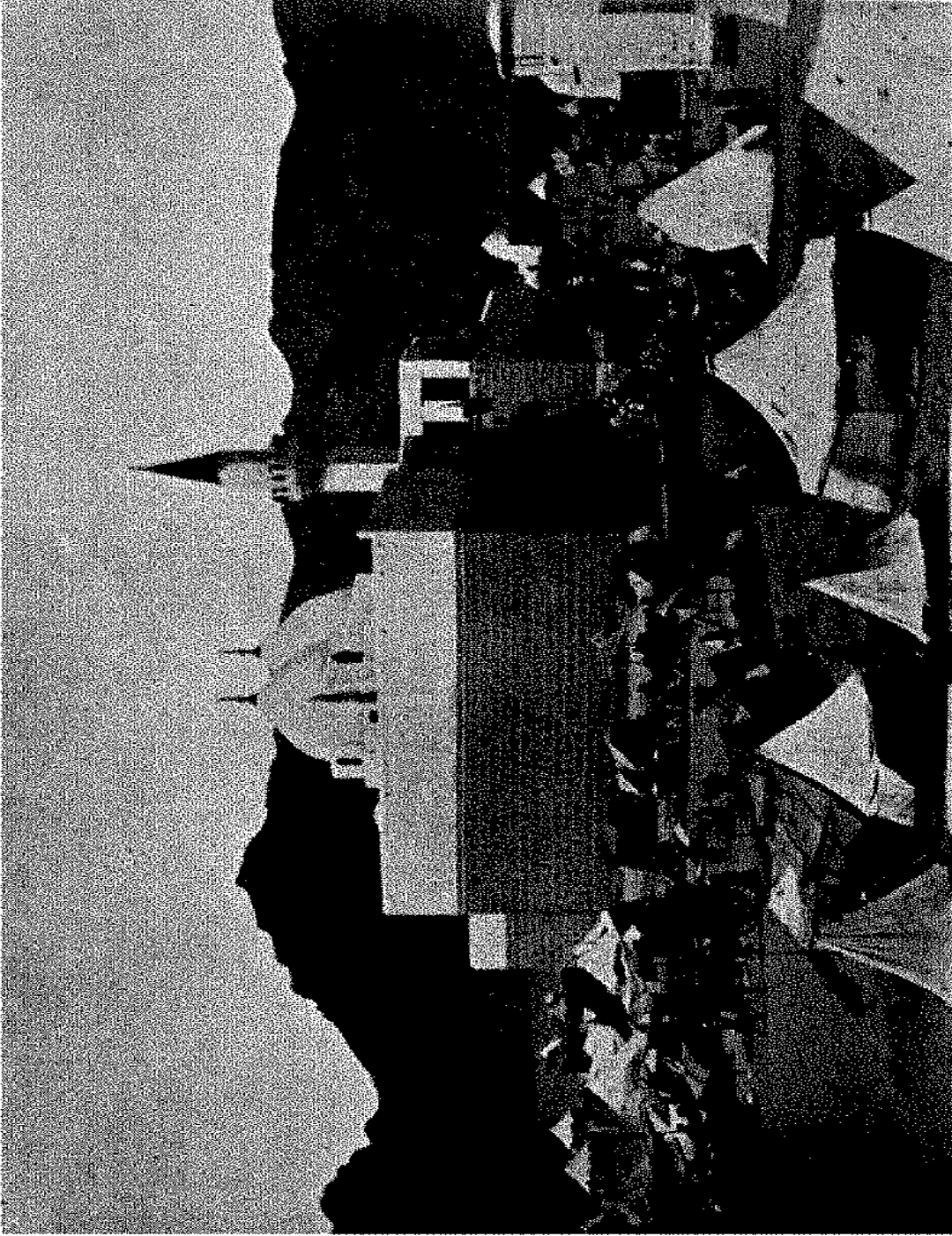
منفصلاً عنها وطوله من الشرق إلى الغرب نحو ستة كيلومترات .

والبقيع له عند المسلمين مكانة عظيمة ويقال له بقيع الفرقد ، لأنه كان يكثر فيه هذا النوع من الشجر ، و بهدفن نحو عشرة آلاف من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، وكثير من آل بيت النبوة صلوات الله عليهم : منهم سيدنا علي زين العابدين بن سيدنا الحسين وولده محمد الباقر وولده جعفر الصادق ، والاخيران في قبة سيدنا العباس . وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون .

ومن مزارات المدينة المباركة مسجد الراية ، ومسجد الفتح ، ومسجد الهمبلتين ، ومسجد الشقياء ، ومسجد الغمامة (بالمخاضة) ، ومسجد علي (في طريق قباء) ، ومسجد المائدة (أمام البقيع من جهة الشرق) ، ومسجد الاحزاب ( وراء جبل سلع الذي هو على يسار الخارج من الباب الشامي ) ، ثم مسجد عروة .

وأهل المدينة يشربون من آبار كثيرة منها : بئر الاعواف ، و بئر أس بن مالك ، و بئر رومة التي اشترها عثمان بن عفان لشرب المسلمين منها في صدر الاسلام . وفيها بئر القويم ، و بئر العباسية ، و بئر صفيية ، و بئر البويرة ، و بئر فاطمة ، و بئر عروة . وكان أهل المدينة في السابق يهدون من ماء البئر بن الاخيرين للملوك وكبار المسلمين . وفي قباء بئر يسمونها بئر الحاتم ، وهي بئر اريس التي وقع فيها حاتم النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان بن عفان وهو خليفة ، وكانوا ذلك الوقت يختمون به على مكاتباتهم ، وكان يمشه (محمد رسول الله) .

وماء المدينة الذي عليه مدارسقيها من العين الزرقاء التي توجد غرب مسجد قباء ، وماؤها عذب لذيد : وسميت بالزرقاء ، نسبة إلى مروان بن الحكم الذي أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه وقت أن كان عاملاً له على المدينة ، ( وكان يسمى الاررق لزرقه عينيه ) ، وهي موضع عناية كل الملوك والسلاطين إلى هذا الزمان . ويمد ماء هذه العين مجرى مأخوذ من عين في قباء أيضاً يسمونها عين النبي ، وماؤها يسير إلى المدينة في قناة مبنية بناء متينا . وقد تفرع من هذا المجرى فروع كثيرة في جهات المدينة ، وبنى لها خزانات تنزل عن سطح الارض نحو عشرة أمتار عملاً منها



سید سیدنا حمزہ و جولہ زوار المدینہ

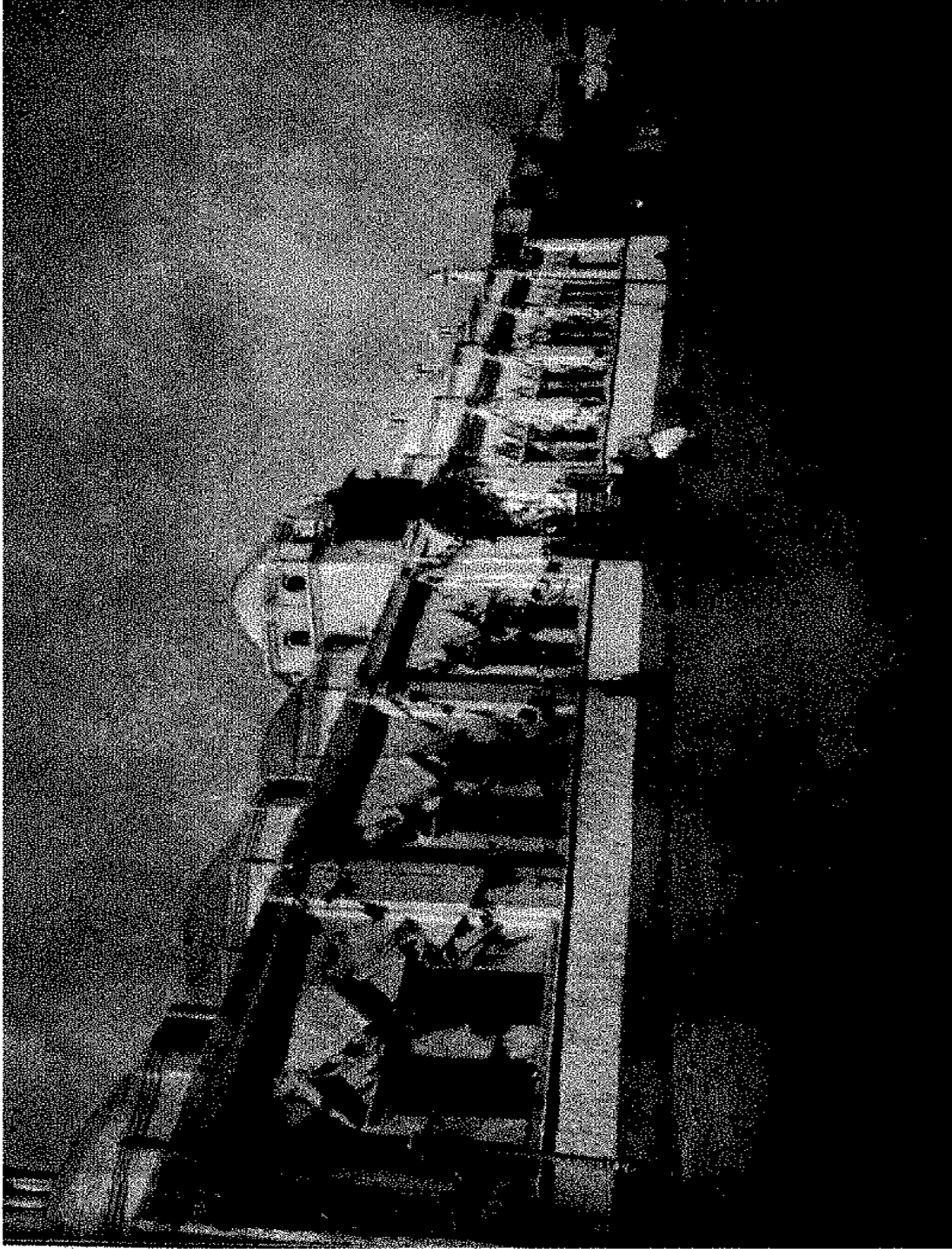
السقاة ون الماء ويوزعونه على مساكن المدينة . وقد ينزل الناس بواسطة سلام من حجر الى هذا المجرى فيملئون جرارهم من حنفيات مثبتة فيه، وبهذا ترى أن مياه هذه العين نظيفة وبعيدة عن التلوث وهو السبب الوحيد في عدم تعرض المدينة غالباً الى الاوبئة التي تحصل في الجهات الاخرى من بلاد العرب التي لم يعتن بالماء فيها: مثل مكة ومنى وجدة وينبع . وهذه العين كان يقوم بتعميرها امرء المسلمين . وقد تخربت في أوائل الحكم العثماني ، ومكث أهل المدينة زمناً طويلاً وهم في ضيق شديد حتى عمرها السلطان سليمان سنة ٩٣٢ هـ . ثم جرفها السيل سنة ٩٩٠ هـ فأمر بتعميرها السلطان مراد خان ، واشترى نزل الغر بالي وألحقها بها . وفي سنة ١١١١ هـ أمر السلطان مصطفى العثماني فاشترت نزل العقد والحققت بها أيضاً . وما زالت حتى بناها السلطان سليم سنة ١٢١٢ هـ . ولما حاصر الوهابيون المدينة خربوها ، فاصلاحها محمد علي باشا ثم جددوها السلطان عبد الحميد بما صارت معه عظمة الفائدة كبيرة المنفعة جزاهم الله خيراً .

وفي ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عين كهف ، غربي جبل سلع ، وعين الخيف وتجرى من عوالي المدينة ، وعين الوادي بجوار قرحمزة ، ثم عين السلطان وهي مالحة وتجرى من قباء الى المدينة ، فتطهر بالوعاتها ومحاربيها ثم تسير الى بساتين المدينة من خارجها . و يوجد في المدينة بالحفة الشمالية حدائق كثيرة بالقرب من السور : منها حديقة الداودية ، وحديقة الزكي ، والسيل ، وبضاعة ، وبضيعة ، والطرباويه ، والفيروزية ، والزينية ، والدر وبشية ، و نرحاء ، والتواية ، والجودية ، والكاتبية ، والسمانية . وفي داخل السور الحدائق الرومية . وفي الجهة الشرقية بساتين وكرم كثيرة من النخيل . وفي جهة قباء وذى الحليفة والعوالي شجر كثير من المزارع والبساتين ، والاخيرة مشهورة بثمرها . ويزرع فيها كثير من الخضراوات مثل الكرنب والقمبيط (القربيط) والكرات أبوشوشة والخرشوف واليامية والملوخية والباذنجان والنمطة والقرع واللوبيا والقاصوليا والرجلة والسبانخ والخبيزة والكرفص والبقدونس ، ومن الفاكهة البطيخ والقارون والخوخ والرمان والعنب والموز والتمر والليمون والبرتقال والليم (وهو نوع من الاترج كبير الحجم) .



وحول المدينة وديان كثيرة . و ينزل فيها كثير من مجارى السيول التي تسير بها الى بساينها وخصوصاً في الجهات المنخفضة منها . وقد ترتفع مناسب هذه السيول في بعض السنين فتضر بالمدينة وضواحيها ضرراً بليغاً . وفي خلافة سيدنا عثمان فاض وادى مهر وز فيضانا كاديقو ض أركان المدينة فأمر ببناء سددين عند بئر مدرى ، وحوّل بذلك مجرى السيل الى وادى بطحان . وفي سنة ١٥٠ نزلت السيول بكثرة على المدينة فأزعجت أهلها وأغرقت صدقاتها ، وكان ذلك في خلافة أبي جعفر المنصور فأمر ، فبیت السدود في أعلى المدينة فتحوّلت السيول الى جهات أخرى . وفي سنة ٧٣٤ فاض وادى القناة فأغرق الجهة الشمالية من المدينة الى جبل أحد ، وانقطع الناس بسببه عن زيارة سيدنا حمزة ستة شهور . وفي سنة ١٣٢٨ نزل السيل الى المدينة وتكونت مياهه عند جبل أحد وبلغ عمقها نحو نصف متر . وأهل المدينة يبلغ عددهم ستين ألفاً منهم كثير من المحاورين الاجاب ، وأكثرهم من الهنود والأتراك والشوام والمغاربة والمصريين . ومن أشهر عائلات المدينة عائلة أسعد وهم سادات ، وعائلة برى وهم مغاربة ، وعائلة السمهودى وهم مصريون . ولكبار أهل المدينة مرتبات من الدولة ، وكثير منهم مرتبات من الحضرة الخديوية . وأغلبهم يعيش من وراء خدمة الحرم وخصوصاً في الموسم ، ومنهم كثير من المرشدين الى محال الزيارة ويسمونهم مزورين ، وهؤلاء يؤدون في المدينة وظيفة المطوفين في مكة . ومنهم من يعيش من التجارة البسيطة ، والمصريون يتجرون في الحبوب كالقمح والعدس وياتون بها من طريق القصير . وأهل المدينة يعبرون عن الجهات بالشام للشمال ، والبحرى للغرب (لانه الى جهة البحر) والشرقى للشرق ، والفبلى للجنوب (لانه جهة القبلة) . ومنهم أخذ المصريون هذه التسمية واستعملوها في غير محلها في اطلاق الفبلى على الجنوب ، لان القبلى عندهم انما هو الشرقى الجنوبى كما لا يخفى .

ومن عادات أهل المدينة الرياضة والتنزه في البساتين خارج المدينة ، فيخرجون اليها في يوم الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر جماعات جماعات و يعودون في المساء ، وقد يخرجون الى هذه الرياضة من أول اليوم ومعهم غداؤهم فيمضون نهارهم في أحد البساتين التي بضواحي المدينة



HUEHNE & ANDERER CARNO

التجارة المصرية بالمدينة المنورة



في سرور ورحبور: ويسمون هذه الفسحة مقيالا .  
 ومن عاداتهم القديمة أن كل واحد منهم يُقدّم كل سنة في ليلة السابع والعشرين من ذي  
 القعدة مقداراً من الخنطة على سبيل الهدية الى الحجرة الشريفة ، و بعد أن يغسلها و ينظفها  
 جيداً يضعها في كيس جديد من القماش اللطيف الابيض ، حتى اذا وصل الى الباب الذي في  
 المقابلة الشريفة ، استغاث برسول الله ، ثم وضع الكيس بكل ادب داخل الحجرة الشريفة .  
 وهذه الاكياس يأخذها خدماة الحجرة المطهرة ، ويهدون منها الى عظماء المسلمين على  
 سبيل البركة .

ومن عاداتهم استقبال الزوار من خارج المدينة من غير سابق معرفة بهم . وكل واحد  
 منهم يدعو الى ضيافته ما استطاع من ضيوف رسول الله ، فيأتيهم الى منزله و يهدو الفراش  
 و يجهر الطعام اللازم لهم ، و يقضى مدة اقامتهم في المدينة وهو في خدمتهم بصدق و اخلاص ،  
 غير ملتفت الى أي أجر يصيبه منهم : وان فعلوا فليس على كل حال الا أقل مما يجب بالنسبة  
 لهم . ومن اكمل عاداتهم أن ربة المنزل مهما بلغ من شأنها هي التي تشتعل بداخليتها ، وتفوم  
 بطهي الطعام بنفسها ولا تباشر ذلك الا وهي على وضوء تام .

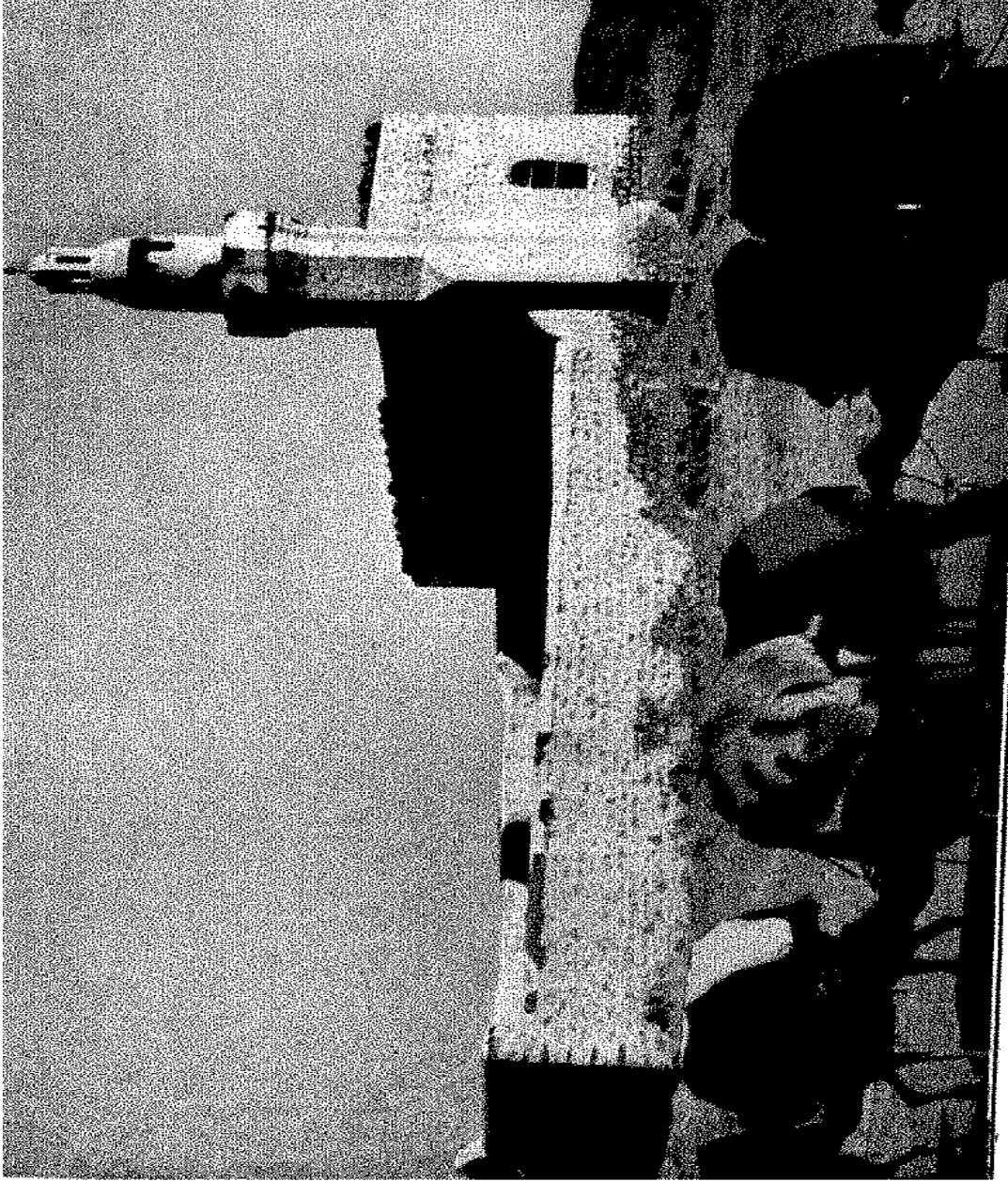
ومن عاداتهم في مواليدهم ان الطفل اذا مضى عليه أربعون يوماً يغسلوه و نظفوه و ألبسوه  
 ملابس جميلة بيضاء ، و بعد أن يعطروه يأخذوا أهله وهم في أحسن زينة لهم الى الحجرة  
 الشريفة ، فيأخذوا الخدماة و يضعونه فيها و يغطونه بستارها ثم يدعون له بخير ، و بعدها يسلم  
 الولد الى أمه فتأخذه و تحبها حبا شديداً .

ومن عاداتهم أنهم لا ينوحون اذا مات لهم ميت ولا يبكون ، بل يأخذونه و يدخلون من  
 باب الرحمة حتى يصلوا به الى الحجرة الشريفة ، فيصّلون عليه و يخرجون به من باب جبريل الى  
 البقيع ، فيدفنونه مكبرين مصليين على الرسول ، وهناك يقف صاحب الميت على باب الجبانة  
 فيعزيه الناس : وهي عادة قديمة من يوم وفاة سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه ، فانه بعد دفنه  
 وقف أخوه سيدنا الحسين رضي الله عنه على باب البقيع و استقبل تعازي المعزين .  
 ومن عاداتهم أنهم يخرجون يوم الخميس نساء و رجالاً بعد صلاة العصر الى البقيع ، و يلقون



على القبور شيئاً من الرياحين وهي سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
 ومن عاداتهم في شهر رمضان أنهم يتوجهون الى الحرم قبل المغرب بنحو ساعة ويجلسون  
 حول الحجرة الشريفة، ويمضون بقية نهارهم في قراءة القرآن الشريف والذكر والصلاة على  
 الرسول . فاذا ضرب مدفع الافطار يكون حضر لكل واحد منهم صينية فيها افطار خفيف  
 كالقطير والخبز والزيتون والبلح والحلوى وما أشبه ذلك فيفطر كل منهم مع من يدعو الى  
 طعامه من الغرباء، ثم يعطى بقية أكله الى من هنالك من الفقراء . ويقضون في هذه الفترة نحو  
 ربع ساعة، وبعدها تقام الصلاة فيصلون المغرب ثم يعودون الى منازلهم مع من يصادفهم من  
 الضيوف، فيتعشون ثم يعودون الى المسجد لصلاة العشاء، وبعدها تبتدى صلاة التراويح:  
 فينقسم المصلون الى خمسين أو ستين جماعة، لكل منهم امام مخصوص، يضعون في مقابلته  
 شمعدانين بهيئات مختلفة يدل كل واحد على ما اذا كان الامام يطول في صلاته أو يتوسط  
 أو يقصر، فيصلي كل انسان وراء من يريده، وبعدها تخرج بحجى احتفال الشمع:  
 ذلك انهم في رمضان يخرجون ما في خزائن الحجرة الشريفة من الشمعدانات الذهبية  
 والفضية، فيسعملونها امام هذه الأعمدة كما بينا، وبعدها الصلاة يعيدونها الى الحجرة الشريفة  
 باحتفال كبير . ويتشرف بحمل هذه الشمعدانات من يحضر من الامراء والاعيان بدعوة  
 خصوصية ترسل اليهم من شيخ القراشة النبوية . وصلاة الصبح فيها شىء من ذلك .  
 أما صلاة العيد فيصليها في المسجد النبوي امامان بجماعتين واحد شافعي والثاني حنفي،  
 وبعدها الصلاة يتشرف الجمع بزيارة السيد الرسول ثم يعودون الى منازلهم ويقضون أيام العيد  
 في تزاور وسرور ورجور .

وكانت المدينة في القرون الثلاثة الاولى للهجرة في غاية الرقي الادبي والمادى . وكانت  
 بساكنها عملاً الفضاء المحيط بها وعلى الخصوص من الشمال والشرق والجنوب . وكان للقوم  
 بهار رياض زاهرة، وقصور فاخرة، وفي وادي العقيق الذي كان يغزر ماءؤه، ويهر رواؤه،  
 وتزهو أريجائه، ويكثر زهره، ويفوح عطره، وبحنى ثمره . وكان أغلبها لازواج رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم . ومن أماكنه المشهورة الزُّغابة، وأضم، والغابة، وحصير، والخليقة



BOENHE & ANDEREN, CAIRO

مسجد عزوة بالمدينة المنورة

والجنيحة، وكلها كانت لعبد الله بن الزبير وبنيه . ثم حمراء الاسد وكان بها قصور لغير واحد من القرشيين ، وحاخ وكانت للعلويين وفيها يقول الاحوص :

لها منزل بروضة خاخ \* ومصيف بالقصر قصر قباء

ومن أشهر أماكنها تسمية الشريد، والغراء، والمعرّس، والبيداء . وكان في جميعها منازل الاشراف من فر يش، وخصوصاً على سفح جبل عير على عين المنبل من مكة . وكان في الجهة الاخرى مكان اسمه الجماء، وتجاهها في ضيق حرّة الوبرة على أربع أميال من المدينة الى ضفة نيرة ، أرض عروة بن الزبير وبها قصره المشهور بقصر العقيق، وبئر المشهورة باسمه والتي فيها يقول الشاعر:

كفنونى ان مت فى درع أروى \* واستقوا لى من بئر عروة ماء

وكان يوجد أسفل هذا القصر، تحاه الجماء ، مكان يقال له العرّاصة وبه كان قصر سعيد

ابن العاص الذى يقول فيه أبو قطفيفة :

القصر دو النحل فالجاء بهما \* أشهى الى العلب من أبواب جيرون

ويقال ان آثار هذا القصر موجوده الى الآن . وكان سعيد عاملاً للمعاوية على المدينة

وكان هذا القصر فى أيامه آية فى جماله ونخامته ، بل كان آية من آيات القرن الاول الهجرى ،

وأعجوبة من أعاجيبه ، حتى فضله الشاعر عن أبواب جيرون (دمشق) التى كانت فى ذلك

العهد عاصمة الخلافة ، ومكان تخامتها وأبهتها . وهى الى اليوم آية من آيات الله فى جمالها

وبهاتها : لان القادم عليها من الجنوب يخترق الغوطة وما أدراك ماهيه ، جنة زاهيه . وادا

قدمها من الغرب يخترق المرج وهو نزهة الزائرين ، وبهجة الناظرين .

ومن القصور التى كانت مشهورة بوادى العقيق قصر عاصم ، وقصر محمد بن عيسى ، وقصر

يزيد بن عبد الملك بن المغيرة ، وقصر جعفر بن سليمان ، وقصر أبى هاشم ، وقصر عنبسة بن عمرو

بن عثمان بن عفان ، وقصر عنبسة بن سعيد بن العاص ، وقصر عبد الله بن أبى بكر بن عثمان بن

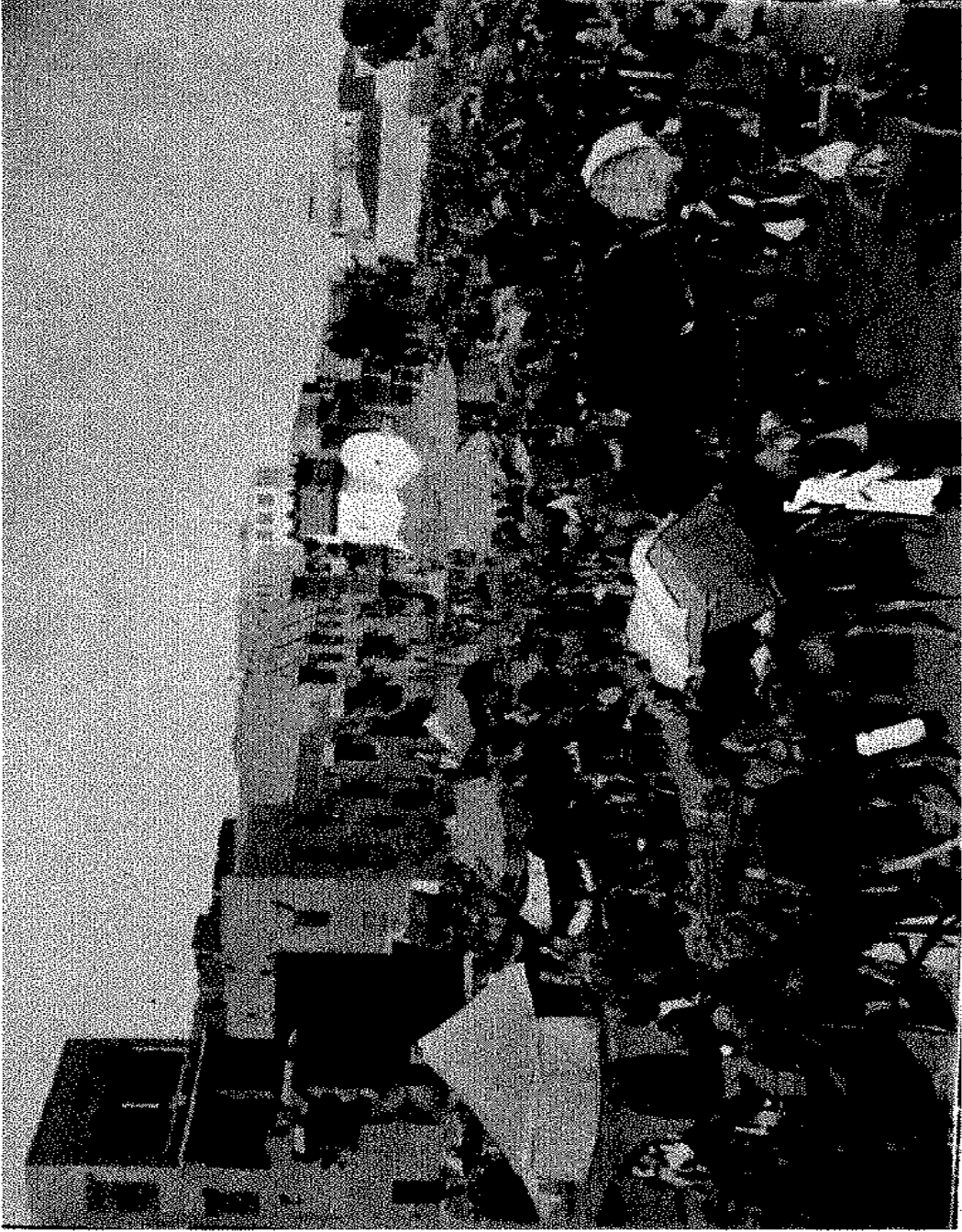
عفان ، وقصر خارجة ، وقصر عبد الله بن عامر ، وقصر مروان بن الحكم . وآثار هذه القصور

يوجد منها الى الآن شئ كثير يدل على عظمة وادى العقيق ونخامته . وفى ذلك يقول الشاعر:



ألا أيها الركب المحثون هل لكم \* بأهل عقيق والمنازل من علم  
 فقالوا نعم تلك الطلول كمهدا \* تلوح وما يغنى سؤالك عن علم  
 ويظهر أن أول من شيد البناء في المدينة هو عثمان بن عفان : فقد شيد داره فيها بالحجارة  
 واليكنس وجعل أبوابها من الساج والعرعر ، وكان له بوادي القرى وحنين من الضياع  
 ما قدره بعموته بمائة ألف دينار . وفي أيامه اقتنى أصحابه بالمدينة الضياع الواسعة والدور  
 الفسيحة ، وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق فرفع بناءها ووسع فناءها وجعل في أعلاها  
 شرفات ، وابتنى المقداد داره بالجرف على أميال من المدينة وجعلها مخصصة للظاهر والباطن .  
 ونخامة العمارة بالمدينة لم تبدى بها إلا بعد الخلفاء الراشدين : لان الخلافة لما آل أمرها  
 الى الامويين أخذوا يهلون العطايا على قر يش وعلى سادات الا بصار والمهاجرين بالمدينة  
 حتى يستميلوهم اليهم أو على الاقل يشغلونهم بأنفسهم عنهم : فكثرت ثروتهم وغزرت مادتهم  
 وأخذوا يقدون نبي أمية في سعة العيش ورفه الحياة في المأكل والملبس والمسكن : فشيدوا  
 العمارات الفخمية وحفروا الآبار في تلك الصحراء وغرسوا فيها البساتين والرياض وسيروا  
 اليها الجماعات ( جمع جماء وهي محرمي الماء العزير ) ، وصيروا المدينة روضة زاهرة وجنة  
 باهرة ، وما زالوا في رفاهة هذا العيش حتى اذا ضعفت الخلافة في مبدأ القرن الرابع الهجري  
 انقطعت أعطيائهم فتغير حالهم ، وانقضت سحابة رفههم ، وسبحان من له الدوام .

وضعفت المدينة بضعف الخلافة العربية فصارت عرضة لهجمات الاعراب  
 وغزوات البدو ، فقام عضد الدولة أبو شجاع وزير الطائع لله و نبي سوراً حول المدينة  
 سنة ٣٦٠ . وبقى هذا السور حتى تداعت أركانه في منتصف القرن الخامس فبناه الامير  
 جمال الدين وزير صاحب الموصل وصاحب رباط الاعجام بالمدينة . وزاد فيه نور الدين بن  
 زنكي سنة خمس مائة وثمان وخمسين أثناء عمارته للحجرة الشريفة . ثم بناه الملك الصالح بن  
 قلاوون سنة ٧٥٥ ، ثم السلطان قايتباي سنة ٨٨١ ، ثم السلطان سليم العثماني سنة ٩٣٩ .  
 وعمره محمد علي باشا والى مصر بعد حرب الوهاية ، وهو الذي فتح فيه الباب المصري .  
 وجدده السلطان عبدالعزير سنة ١٢٨٥ وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ متراً ، وبنى فيه ٤٠ برجاً



# قافلة الحج بالمنامة بالمدينة المنورة

BOHME & ANDERER, CAIRO



تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها ، وهذا السور باق للآن ، وهو في طريق باب العنبرية ، وعلى محيطه المزاغل والابراج المشحونه بالمدافع والذخائر الحربية لصد هجمات الاعراب الذين كثيرأما كانوا لا يزالون يعتدون على حرم رسول الله .

وأما سورها الخارجى فليس بذى أهمية تذكر ، وهو مهديم فى كثير من جهاته . وفيما بين السورين يعنى فيما بين الباب المصرى و باب العنبرية ، واد كبير متوسط عرضه ٤٠٠ متر يقال له المناخة ، وسميت بذلك لان أغلب الحجاج ينيخون جماهم فيها ، و يقيمون بها مدة الزيارة ، وفيها مقام ركب المحمل المصرى مدة وجوده بالمدينة . وحول المناخة ، من جهتها الخارجية ، أبنية كثيرة أحسنها ما كان على الشارع العمومى : وهو شارع محطة السكة الحديدية ، و يسمى الآن بالشارع الرشادى ، وفيه التكية المصرية ، ولها مرتبات من مصر ، وتعمل بها الشورية يومياً للفقراء على النظام الذى تقدم فى تكية مكة ، وفيه قشلاق العساكر الشاهانية ، وكلاهما من بناء المرحوم ابراهيم باشا جد العائلة الخديوية .

وللمدينة ثمانية أبواب وهى : الباب المحيدى ، والباب الشامى ، و باب الكوفة ، و باب العنبرية ، و باب قوبه ، و باب العوالى ، و باب الجمعة . وتقل أبواب المدينة فى وجه الزائر من الحجاج اذا تحقق أنهم ملوثون بالوباء ، ولكنهم يفتحون لهم طريقاً من الباب المحيدى الى باب الحرم ، فيزورن و يسافرون بعد يوم أو يومين على الأكثر ، ووافقهم التى يجب أن تكون محمية خارج البلد . و بذلك ترى أهل المدينة على الدوام بعيدين عن الاوبئة بالمرة ، ولكنهم فى هذه الحالة لا يفتحون للحجاج الا باباً واحداً من الحرم : فيتراكم بعضهم على بعض ويزدحمون فى الطريق الموصل الى هذا الباب حتى اذا وصلوا اليه ، أخذوا يتدافعون للدخول الى المسجد ، وهناك يجدون مثيراً من فى داخله متدافعين للخروج منه ، فتلتحم القواتان ، ولا يزالون حتى يظهر فرقى منهم على الاخر ، فيهجمون عليهم و يطئونهم بأقدامهم ويموت من جراء ذلك خلق كثير كما حصل فى سنة ١٣٢٦ هـ . وعليه فيجدر بمشيخة الحرم فى مثل هذه الاحوال أن تجعل باباً من الحرم للداخلين وآخر للخارجين ، و بذلك يتوفر عليها وعلى الناس مثل هذه المشقة .



ومناخ المدينة صحى جدا و ربما كان ذلك من الاسباب التى ساعدت على رقة أهلها ولطافة أمر جنتهم التى اذا أضفت اليها ما هم عليه غالباً من الصلاح والورع والادب وحسن المعاشرة، حكمت لهم بانهم أحسن أهل بلاد العرب على الاطلاق فى مكارم الاخلاق: وليس ذلك بعجيب فمجاورتهم للسيد الرسول ا كسبتهم كثيراً من أخلاقه الكاملة . على أن من يفكر فى أن الرسول عليه الصلاة والسلام انما اختص أهل المدينة بالهجرة الى بلدهم، يحكم حكماً قطعياً بان مكارم الاخلاق فيهم من زمن بعيد ، وقد زاداها الاسلام جمالاً على جمالها وكمالاً على كمالها . وحسبك ان السيد الرسول بعد ان أدى مأموريته من اظهار الدعوة ونشر راية الدين الاسلامى وتقوية دعائه، بحال لا يدخل معها الوهن الى أى جانب من جوانبه، أظهر فى حجة الوداع أنه لا يريد الموت الا بين ظهرانى الانصار الذين نرى اليوم من خلفهم على سندهم رضى الله عنهم أجمعين .



## محمد رسول الله

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . ولد صلى الله عليه وسلم بمكة ، فى دار أبى يوسف المشهورة الآن بمولد النبى ، بعد قدوم أصحاب القيل بنخمسين يوماً على الاصح ، وبوافق ذلك ثمانياً خلون من شهر ربيع الاول سنة ٤ هـ قبل الهجرة . وكان أبوه عبد الله غائباً بمحبة يثرب ومات ودفن فيها ولم ير ولده . أما أمه فهى آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم بن مرة بن كعب .

وفى السنة الاولى من مولده تسلمته حليلة السعدية لترضعه ، فذهبت به الى قومها فى البادية وكانت تغنيه بقولها :

الحمد لله الذى أعطانى \* هذا الغلام الطيب الاردان  
قد ساد فى المهدي على العلمان \* أعينه بالبيت ذى الاركان

ومكث صلى الله عليه وسلم عند حلجة الى السنة الرابعة من عمره . فردته الى أمه وفيها ذهبت به الى أخواله بنى النجار بالمدينة . فماتت بالطريق بمكان يقال له الابواء . وقدمت به أم أيمن الى مكة . فكفله جده عبد المطلب وكان يحبه حبا جما الشدة ذكائه، وفرط نباهته، وقويم سيرته، وعظيم أدبه ، ولما كان يتوسمه فيه من رفيع المنزلة وكبير المستقبل . ولما كان عمره صلى الله عليه وسلم ثماني سنين مات عبد المطلب ، فكفله عمه أبو طالب وضمه اليه، وخرج به الى الشام وهو في الثالثة عشرة من عمره، ومن ذلك الحين أخذت تظهر للناس مواهبه ووجلاله صفاته، مما كان داعية الى احترامهم اياه واجلالهم لقدره . ولما بلغ الخامسة والعشرين خرج الى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد مع غلامها ميسرة . وعاد اليها بربح عظيم كان برها ناجداً على صدقه وأمانته . فلما رأت ذلك خديجة خطبته الى نفسها ، وكانت أعظم نساء قريش فضلاً وأكثرهن مالا وأوسطهن نسباً: لانها بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن حكيم . فتزوج بها في هذه السنة ولم يتزوج عليها في حياتها . وماتت رضى الله عنها بعد خمس وعشرين سنة من زواجها منه، وقد ولدت له القاسم والطيب والظاهر ورقية<sup>(١)</sup> وأم كلثوم<sup>(٢)</sup> وزينب<sup>(٣)</sup> وفاطمة<sup>(٤)</sup> . ولم يكن له أولاد من غيرها الا ابراهيم<sup>(٥)</sup> فانه من مارية القبطية، التي دخل بها سنة سبع للهجرة .

أما صفة صلى الله عليه وسلم فقد قال علي<sup>رضي</sup> فيها ما نصه :

لم يكن رسول الله بالطويل الممّط<sup>(٦)</sup>، ولا بالفصير المتردد<sup>(٧)</sup>، وكان ربة من القوم، ولم يكن بالجعّد ولا بالسبط، ولم يكن بالمطهّم<sup>(٨)</sup>، ولا بالمكثّم<sup>(٩)</sup>، أبيض مشرب (بحمرة)، أدهج العينين<sup>(١٠)</sup>، أهدب الأشفار<sup>(١١)</sup>، جليل المشاش<sup>(١٢)</sup>، والكتد<sup>(١٣)</sup>، أجرد<sup>(١٤)</sup>

(١) و٢) أم كلثوم ورقية كانتا روحاً عتبة وعتبة ابني أبي لهب فطلقاها . فتزوجها عثمان بن عفان واحدة بعد الأخرى . أما ريب فكات تحت أبي العاص بن الربيع . وتوفيت ورقية سنة ٢ زينب سنة ٨ وأم كلثوم سنة ٩ للهجرة . (٤) ولدت فاطمة سنة ٨ قبل الهجرة ، ودخل على بها في السنة الأولى ، وولدت الحسن سنة ٦ ، والحسين سنة ٤ ، وتوفيت سنة ١٢ هـ .

(٥) ولد ابراهيم سنة ٥٥ . (٦) كثير الطول . (٧) المتأهلي في القصر . (٨) الكثير السم . (٩) دور الوجه تدويراً تاماً . (١٠) واسع العينين . مع شدة سوادها . (١١) طويل شعر الخفون . (١٢) عظيم رؤوس العظام . (١٣) مجمع الكعبين . (١٤) قليل الثمر .

ذو مَسْرَبَةٍ (١)، شثن الكفين والقدمين (٢)، اذا مشى تَقَلَّعَ (٣)، كأنما ينحط عن صَبَبٍ (٤)، أجد الناس صدراً (٥)، وأصدقهم لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهته هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله .

وعاش صلى الله عليه وسلم بين قر يش عاقلاً حكيماً، شجاعاً كريماً، برأرحياً، كثير التقوى والزهد والورع، بعيداً عن كل ما يؤخذ على الناس في سيرتهم، صادقاً في قوله وفعله، عظيم الهمة، كبير المروءة: لذلك كان له في قومه منزلة كلها إكبار وإعظام . وكانت قر يش ترجع إليه في مشورتهم، ويرضون بحكمه فيهم، حتى أطلقوا عليه اسم الصادق الأمين .

ومع أنه كان أمياً ( لا يقرأ ولا يكتب )، فقد كان ذكياً بليغاً فصيحاً جرت كلماته مجرى الأمثال، وأخذت عباراته بمقاليد الحكمة، وخصوصاً بعد الإسلام . وبالذند كذلك شيئاً منها، حتى ترى ما فيها من كبير معناها، وعظيم مغزاها، مع قلة ألفاظها، مما هو مذكور بكتب الحديث والتسير والادب :

اليد العليا خير من اليد السفلى . ترك الشر صدقة . ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . الدال على الخير كفاؤه . كل معروف صدقة . حبك الشيء يعنى ويصم . البلاء مؤكل بالمنطق . الحرب خدعة . رأس الحكمة مخافة الله . ابدأ بمن تعمل . فضل العلم خير من فضل العبادة . المرء كثير بأخيه . انما الاعمال بالنيات . الغنى غنى النفس . الحياء خير كله . الناس معادن كعادن الذهب والفضة . لا خير لك في صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . ما أملك ناجر صدق . خير الامور أوسطها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . اقبلوا عثرات الكرام . كادت الفاقة تكون كفراً، اعمل لدياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، اطلع اطلع بجلائل هذه الصفات كان عليه الصلاة والسلام مستعداً بطبعه الى ما أكرمه الله به من النبوة وهو في سن الاربعين: فأخذ ينزل عليه الوحي شيئاً فشيئاً بما تدرج معه الى احتمال هذا التاموس الاعظم .

(١) شمريين الصدر والسرة (٢) سمين الكمين من غير قصر (٣) رفع رجليه (٤) منحدر

(٥) لا يصن بهلمه وفصله .

وكان الناس قبل الاسلام مختلفين فيما بينهم متفرقين في عصبياتهم ودياناتهم متغايرين في شرائعهم : كثرت فيهم فروع الصابئة ، والمجوسية ، والوثنية ، والبراهمة ، والبوذية ، وتعددت الفرق في الديانات السماوية فاقسمت اليهودية الى ربايين وقرائين وسامريين وغيرهم . وافترقت النصارى الى مالا يحصى من الفرق التي منها اليعقوبية والنسطورية والاربوسية والارنوذكسية : فكان من ذلك الانقسام العام في المسائل الاجتماعية والامور الحيوية . فادى ذلك الى انحلال أجزاء الامبراطورية الرومانية ، واختلال أعضاء المملكة الفرسية ، لكثرة ما كان يقوم في داخلتها من المجادلات التي كانت تؤدي الى شديد المخاصمات . وبذلك استعدت النفوس الى شريعة جديدة توحد بين جميع هذه العناصر في معتقداتها ومعاملاتها : فأرسل الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة ، بدينه المتين ، وقرآنه المبين . وما زال يجاهد في سبيل بناء هيكل الاسلام بثبات جأش وصبر لا يعرف الملل ، محتملا في ذلك تلكم الاهانات التي كان يلقاها من قومه ، حسداً منهم له ، أو ألفة من دخولهم في دائرة قيود هذا الدين الجديد : وقد كانوا يعيشون طول اوار حياتهم لا تجمعهم الا كلمة الفوضى ، ولا يحوطهم غير سياج الحرية المطلقة .

وما زال فيهم صلى الله عليه وسلم بثباته ، وحسن بصيرته ، وكبير حلمه ، مع ما كان له فيهم من حرمتهم لشخصه واجلالهم لصفاته التي لم ير وافيا من نعومة ظفره صغيرة يأخذونه بها أو يحاسبونه عليها . فامن به شرهاجروا<sup>(١)</sup> معه الى المدينة ووضعوا ايدهم في يدا انصاره ، وما برحوا ينصرونه في جميع مواقفه على أعدائه ، حتى انتهى أمرهم بتصديقه والايمان بما أتى به من عند الله وأهم هذه المواقف كانت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ، وأحد في الثالثة ، والخذق في الخامسة ، وخيبر في السابعة ، وفتح مكة وغزوة حنين في الثامنة ، وغزوة تبوك في التاسعة . ومن هذه المواقف تعلم المسلمون منه صلى الله عليه وسلم تعبئة الجيوش ، وسياسة الحروب ، والثبات في ساحات النزال ، والشجاعة النفسانية في جميع المواقف ، والصبر على الشدائد حتى هابهم الناس وأكبروا منزلتهم .

(١) كان عمره صلى الله عليه وسلم وقت الهجرة ٤٥ سنة وهاجروا ، صاحبه أبو بكر وحده الى المدينة ثم استرسل الناس في هجرتهم اليها .

وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يناهض أهل جزيرة العرب في سيرهم، ويكافهم في تقويم أخلاقهم وتربية نفوسهم، حتى نشأت فيهم أخلاق جديدة، وآراء سديدة، وآمال بعيدة، وصلوا بها في أيام قليلة إلى ضم عروش الأكاسرة والقيصرة إلى عرشهم، الذي إنما كان حجراً بسيطاً في هيكل ملكهم وبنيان سلطنتهم .

واستمر رسول الله بين المهاجرين والانصار يسلك بهم سبيل الفضائل، ويبعد بهم عن طرق الرذائل، وينفرهم مما كان فيهم من العوائد الشنيعة التي تخالف نظام الانسانية : كوأد البنات، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير حق والاستقسام بالألزام، وعبادة الاصنام، ولعب الميسر، والكذب، والنفاق، والرياء، وغصب مال الغير، وسوء معاملة المرأة، وعدم الرفق بالرفيق، حتى فشا فيهم محبة البنات، ونبذوا المسكرات، وعرفوا معنى الحياة، ودانوا بالتوحيد، ووقرت في نفوسهم فضيلة الصدق والصراحة والرحمة . ما زال فيهم صلى الله عليه وسلم يعلمهم الشجاعة النفسانية والادبية، ويسمو نفوسهم إلى منازل الحياة الحقيقية، حتى عظمت فيهم الآمال، ومالوا إلى جلائل الاعمال، في خدمة الانسانية، التي جاء دينهم لنصرتها والنهوض بها من وهديتها، واعلاء كلمتها، والوصول بها إلى الغاية التي خلقت من أجلها : فكثرت بينهم المعلومات التي أدت إلى وضع نظام تشريعي سماوي، كان ينزل عليه في ظروف مخصوصة كما اقتضت الحال، مما هو في القرآن المحيد . وكان عليه الصلاة والسلام يشرع للناس فيما يصل اليه به وحى، مما هو مجموع في كتب الحديث : فكان من ذلك شريعة قوية متمينة تناسب كل زمان ومكان، لا يعترها الباطل من أي جهة من جهاتها . وحسبنا دليلاً على ذلك أن نابليون بونابرت استقدمها القانون الفرنسي الذي هو روح التشريع الحديث في أوروبابا جمعها، وإلى كتب الشريعة الاسلامية الآن ترجع قضاة أوروبابا ومشروعهم في كثير من الامور التي لم ينص عليها في قوانينهم . فكان بذلك صاحب هذه الشريعة الفراء أكبر رجل في الخليقة خدم الانسانية خدمة لا ينكرها الا كل لئيم أو كاذب . عرف صلى الله عليه وسلم انه ليس للوصول إلى هذه الخدمة سبيل الا بمحاربة أعدائها، فكتب إلى رؤوس الامم التي تحيط ببلادهم ملوك الروم، والفرس، ومصر، واليمن ،

والحبشة ، يدعوهم الى الاسلام ، ويطلب منهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تسجلت على الناس دعوته . ثم اتى بدأ يأخذ أهبته ضدهم لم يقبل رسالته . فدانت له بلاد العرب من أدناها الى أفصاها، وصالحه على الجزية كثير من الامم التي في شمالها شرقا وغربا . وفي السنة العاشرة من الهجرة كانت الامة العربية استعدت الى المهوض بدين الله ونشره في جميع الآفاق ، وتمت بذلك مأموريته صلى الله عليه وسلم ، فخرج حجة الوداع ، وسجل دعوته على المؤمنين في خطبته بها (١) في عرفة . ثم رجع الى المدينة ، وفي أواخر صفر اعتل جسمه صلى الله عليه وسلم ، وقبضه الله اليه في يوم ١٢ شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة للهجرة ، ودفن في بيته حيث هو الا ان بمسجده الشريف صلوات الله عليه وسلامه .

## أبو بكر

هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب . وفي مرة يجتمع نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بعد عام الفيل بثلاث سنين . أما صفته فهي كما وصفته ابنته عائشة : « كان أبيض ، نحيفاً ، خفيف العارضين ، أنجناً (٢) ، لا يستمسك ازاره يسترخي عن حنونه ، معروق (٣) الوجه ، عائر العينين ، ناتي (٤) الجهة ، عارى الاشاجع (٥) »

وكان تاجراً ، وعرف قبل الاسلام بزهده ، وورعه ، وتواضعه ، وسعة خلفه ، وصدقه ، وابتعاده عن المنكر ، حتى أنه لم يشرب الخمر مطلقاً في حياته . فلما جاء الاسلام ورأى أنه دين الحق لم يكن لنفسه سلطان عليه ، فكان أول مصدق من الرجال برسالة صديقه محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) كانت خطبة الوداع في يوم الجمعة ، وفي هذا اليوم نزل قوله مالي اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . وهذا هو سبب اهتمام الناس بالحج في السنين التي يصادف الوقوف فيها يوم الجمعة . وقد ورد في فضل الحج بالجمعة أحاديث كثيرة . (٢) منحنيا (٣) قليل اللحم (٤) بارر (٥) الاشاجع أصول الاصابع التي تتصل بظهر الكف .



ولما أسلم أخذ ينصر رسول الله ويساعده ويدعو الناس الى دينه، فنقمت عليه قريش وأخرجته من مكة . فأراد الهجرة الى الحبشة، فلقية ابن الدغنة، وهو سيد القارة، وعاد به الى قريش، وقال لهم: كيف تخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فآثر كوه يعبد الله في داره . فقبلوا منه ذلك على أنه لا يجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم . وأتى ابن الدغنة أبا بكر فاخبره بذلك وقال له: اما أن تقتصر في دارك واما أن تردمتي، فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت في عقد رجل عقدت له . فقال أبو بكر: «اني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى ورسوله» . ومكث رضى الله عنه بمكة، وما زال ينصر رسول الله بنفسه وماله حتى هاجر معه الى المدينة، مع ما كان يحقق بهما من خطر أولئك الذين كانوا يناوئون الرسول، وينذون طاعته، ويتكرون رسالته ويظهرون عداوته . وما زال ابن أبي قحافة بالمدينة قائماً نصرته صاحبه مختصاً بصداقته، حتى مرض رسول الله مرض الموت، فامر به بالصلاة بالمؤمنين . ولما توفي صلى الله عليه وسلم هلع المسلمون وهالهم الامر، فقام فيهم خطيباً وقال في كلام له «من كان يعبد محمداً فمحمد قد مات ومن كان يعبد الله فإني مات أوقتل اقلبت على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً» . قبله الرسل أفان مات أو قتل اقلبت على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً» . فسكن روح الناس وثابوا الى رشدهم واحتملوا مصيبتهم في نبيهم . ثم بايعه الناس في ستميفة نبي ساعدة فخطب فيهم قائلاً : «قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنتم فاعينوني، وان أسأت فقوّموني» .

وقام أبو بكر في حكمه بامر المسلمين خير قيام . وكان رضى الله عنه في خلافته أزهد الناس وأورعهم وأتقاهم . وكان يلبس الشملة والعباءة حتى انه لما وفد عليه زعماء العرب وملوك اليمن ومنهم ذوالكلاع الحميري، وعليهم الحلل المقصبة والبرود المذهبة أكبروه وهاجوه وذهبوا مذهبه . وارتدت العرب في أول خلافته عن الاسلام فراراً من قيوده التي ساوت بين الكبير والصغير، والسوقة والامير . فجرد لهم عزيمة واستنفر الناس عليهم وحاربهم بثبات متين وجأش رابط، حتى أرجعهم الى دين الله ورسوله . وبعد ما فرغ من حرب أهل الردة سير

خالد بن الوليد الى العراق من أدناه، وعياض بن غنم من أعلاه، وأمرهما أن لا يضرا بسواده ولا بفلاحيه : فسار خالد ووقعت له واقعة الحفيرة المشهورة قرب البصرة، وانتصر فيها على جيوش الفرس بعد ان قتل رئيسهم هر مز، ثم قصد الحيرة فصالحه أهلها على الجزية، ثم سار الى الانبار وصالح أهلها على ما صالح به أهل الحيرة، واستخلف عليها الزبير بن بدر. وسار الى عين التمر فالتفت به جيوش المعجم فهزمهم وسبي من كان به، وفي جملتهم نصير أبو موسى فاتح الابداس . ثم سار الى دومة الجندل وأخذها عنوة . وما زال ينتقل فاتحاً منصوراً من بلد الى بلد حتى وصل الى تخوم الشام، فاجتعت عليه الروم وعرب باديتهما، فنصره الله عليهم ثم رجع الى الحيرة ومنها الى مكة لا داء فرضة الحج .

أما عياض فانه اخترق نفطوحاته بلاد كردستان وارمينية ثم انضم بأمر عمر الى جيوش أبي عبيدة في حصاره لدمشق لاهميتها وحصانة موقعها .

ولما كثرت الفتن على المسلمين انشأ أبو بكر بيت المال وجعل عليه أبا عبيدة، وجعل على القضاء عمر بن الخطاب ، وعلى الحرب خالد بن الوليد ، وكان يكتب له علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت .

وفي سنة ١٣ هـ جريه بعث أبو بكر البعوث الى الشام فمقدلوا الى يزيد بن أبي سفيان وكان يحمله له أخوه معاوية، ثم عقدلوا آخر الى أبي عبيدة بن الجراح، ولواء لشريحيل بن تحسنة، ولواء لعمر بن العاص . فاجتمعوا في اليرموك ووقعت لهم فيها واقعة كبيرة مع جنود الروم الذين أحاطوا بهم من كل جانب . وكان أبو بكر أمدهم بحالد بن الوليد ونصرهم الله في هذه الواقعة نصرامييناً . ثم سار كل لواء الى جهة من جهات الشام ، وسار خالد وأبو عبيدة الى دمشق وحاصروها . وفي أثناء حصارها وصلهم كتاب عمر بعوت أبي بكر ، وفيه عزل خالد عن الجيش وتأمير أبي عبيدة عليه .

وكان أبو بكر رضى الله عنه جليل الصفات، قدوة في مكارم الاخلاق، كثير الزهد، وكان يعيش بالكفاف : وحسبك ما ورد من ان امرأته اقتصدت من قوت عائلتها ما كان منه في عدة أيام قدر يسير من الدقيق ، وأرادت أن تشتري به شيئاً من الحلوى .

فلما علم به أبو بكر أمر فاعيد الى بيت المال لانه فضل عن قوت عائلته، وأسقط من تقفته بمقدار ما نقصت كل يوم . وكانت هذه النفقة تصرف اليه من بيت مال المسلمين ، لانه ترك تجارته لتفرغه للاشغال بامرهم . وكان مرتبه ٢٥٠ ديناراً في السنة وشاة غير كاملة كل يوم . فلما وجد المسلمون أن ذلك لا يكفي عائلته أكملوه الى ٣٠٠ دينار في السنة مع شاة أكملها كل يوم . أما سيرته مع المسلمين ورفعهم وحسن سياسته فيهم وتعهده لأصحابهم، فما لا يفضل فيه راع مع رعيتيه . وكان رضى الله عنه كثير الصبح لعماله بالانابة في أعمالهم، والا تتعاد بالناس عن مواقف الفتن، والتعفف عما في أيديهم . وأفضل ما يذكر في تاريخه اهتمامه بجمع القرآن من صدور الخطاط، ومن بعض الصحف قبل أن يدخل عليه تغيير أو تبديل : والسبب في ذلك أن عمر ذهب اليه وقال له « ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، واني لا خشى أن يستحر الميل بالفراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن الا أن يجمعوه، واني لا رى أن يجمع القرآن » . ورأى أبو بكر رأى عمر فقال لريد بن ثابت : قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه . فجمع زيد من الرقاع وصدور الرجال، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قابل ربه ، ثم حفظت عند حفصة بنت عمر .

وما زال أبو بكر رضى الله عنه قائماً بامر المسلمين حتى مرض في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ . فامر علياً يصلى بالناس، ومات رضى الله عنه في يوم ٢٨ من الشهر المذكور، بعد أن عهد الى عمر بالخلافة من بعده ، ودفن الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام . وكان له من البنين عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، ومات عبد الله في خلافته خلف سبعة دنانير فاستكثرها عليه . وكان له من البنات أم كلثوم وعائشة<sup>(١)</sup> أم المؤمنين رضى الله عنها .

————— . —————

(١) دخل بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الاولى للهجرة ومات رضى الله عنها سنة ٥٨ هـ منها .

## عمر

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رباح بن عبد الله بن رباح بن عدى ابن كعب، وفيه يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكنيته أبو جهص، ويلقب بالفاروق وهو أول من سمي بأمر المؤمنين. وكان أعسر يسر (يعمل بكفى يديه)، طويلًا، أصلع، ولونه شديد السمرة. ولد رضى الله عنه سنة أربعين قبل الهجرة. وكان في صغره يرعى الغنم لأبيه ثم اشتغل بالتجارة وسافر حمله مرات في الجاهلية إلى الشام وغيرها في تجارته أو سفارته لقومه. وقد ذكر ابن عساکر أنه أسرف في بعض أسفاره بدمشق، ففتخلص من أسرته وفر إلى مكة. وكان شجاعاً مهيئاً بعيد النظر في الأشياء مشهوراً بالصدق والامانة والشهامة الأدبية شديد أذى قوله وعمله. وكان في أول الإسلام من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأسلم قبل الهجرة بأربع سنين. وكان أسلم قبله تسعة وثلاثون شهراً كانوا في أشد ما يماسونه من فريش، وقد هاجر كثير منهم إلى الحاشية وغيرها. ومن كان منهم بمكة كان يستخفي عن الناس، وكان المسلمون يجتمعون سرّاً في دار الأرقم الحزومي تحت الصفا، فقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله على ما نحفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل»؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن قليل وقد رأيت ما لقيت». فقال عمر: «والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالسكر إلا جلست فيه بالإيمان». ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحبين من المسلمين، حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد. فنظرت قرينش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة، ومن يومئذ ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاروق؛ لأنه باظهاره للإسلام فرق بين الحق والباطل.

ومن ثم أخذ المسلمون وفي مقدمتهم عمر يبتون في الناس دينهم، وينشرون فضله علانية ويكافون قرينشاً غير مبالين بما كانوا يصادفونه منهم من الإهانات وسوء المعاملات، حتى أدن الله رسوله بالهجرة. فهاجر الناس مختلفين إلا عمر فإنه لما هم بالهجرة وكان خامس من

هاجر الى المدينة، تقلد سيفه وتنكب قوسه وأخذ في يده اسهما ومضى الى الكعبة، ورجال قريش في فنائها، فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ثم وقف على الناس وقال «شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس . من أراد أن تشكله أمه و يؤتم ولده ويرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي : فاتبه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه» .

ومكث عمر مع رسول الله في المدينة صادقا في محبته، أميناً في خدمته، متفانياً في نصرته، متشدداً في تأييد دعوته، حتى اذا بلغت وفاة رسول الله صلوات الله عليه، وضع الناس لهول هذه المصيبة، جزع من صدمة هذه النائية جزعاً شديداً . ولكنه لم يلبث أن ثبته الله تعالى وذهب بأبي بكر الى سقيفة بني ساعدة ، وكان قد اجتمع فيها الا بصار يريدون خليفة منهم . فدعمر يده الى أبي بكر و بايعه وتبعه المسلمون حتى تمت له البيعة . وما زال عمر لابى بكر صاحباً متيناً ومشيراً أميناً وناصراً أميناً حتى مات أبو بكر بعد أن عهد بالخلافة اليه . فلما بايعه المسلمون صعد المنبر وجلس حيث كان يضع أبو بكر قدمه تواضعاً، وخطب الناس وقال في خطابه : أيها الناس من رأى فيّ منكم اعوجاجاً فليقومه . فقام رجل وقال والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لمؤمناه بنسبونا . فقال عمر الحمد لله على أن في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه .

ابتدأ عمر عمله في الخلافة باهتمامه باجلاء المشركين عن جزيرة العرب بعد أن عوضهم عن أملاكهم بما يزيد عن قيمتها، لانه كان يخشى وقوع الفتنة منهم بين المسلمين . وكان قد أرسل بعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش في الشام لانه كان يوجس منه خيفة . وأقام بدله أبا عبيدة في امارته، وأشار عليه بالاهتمام بفتح دمشق لانها حصن الشام وبيت مملكتهم . فسار اليها مع خالد وحاصرها بعد أن أقفل طرقها في وجهه من يأتي لمددها . وكان معها عياض بن غنم وعمر وبن العاص والتعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة . وكان كل واحد منهم على جهة وألوا جميعاً في حصارها بلاء حسناً . وانتهى أمرها بأن فتحت من الجهة التي فيها ابن الوليد : لانه استغفل الحرس وتسلق السور ليلاً مع بعض رجاله وفتح الباب لجنود المسلمين ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٣ للهجرة . ومن ثم أخذت جيوشهم تفتح ما حولها من البلاد : ففتحت بعلبك وحصن وما والاها شمالاً من بلاد السواد . ثم فتحوا بلادها غرباً الى بيروت . وسار عمرو بن

العاص جنوباً إلى بيت المقدس فاتحاً الجميع ما في طريقه من البلاد، وشدداً الحصار على أهلها فقالوا له اننا لنرضى بفتح غير ابن الخطاب . فكتب له فخر إلى الجابية وهي قرية من أعمال دمشق ، وقابله فيها أمراء الجند منهم : أبو عبيدة و خالد و يزيد بن أبي سفيان و ابن العاص . وهناك وفد عليه وفد إيلياء وقالوا له انهم نواب في الصلح عن قومهم ، فكتب لهم عهداً بذلك وجعل عليها علقمة بن محرز ، ثم سار إليها ودخلها ليلاً و بنى مسجد الصخرة وجعل قبلته إلى الكعبة بعد أن طهره مما تراكم به من القمامة التي كانت الروم تلقها عليه ، ثم عاد إلى المدينة . وكان ذلك في سنة ١٦ هـ .

واستمر أبو عبيدة في الفتح ففتح حماة واللاذقية وقسرين وحلب وأطاقية . وفي سنة ١٧ هـ دانت للمسلمين بلاد سوريا والشام وجنوب الأناضول من أقصاها إلى أدناها . فأخذوا يرتبون أمور البلاد في داخلتها ، و يضعون لها نظاماً في حكومتها . ولكن قيصر الروم لم يسمعته وجمع جنوده و جدد قوته وهاجمهم من جهة قسرين في جيش هائل ، إلا أنه لم يلبث أن انهزم مدحوراً وغنم المسلمون سلب جيشه ، و بهذه الواقعة قضى على حكم الروم في هذه البلاد . وسار ابن العاص إلى مصر فتم له فتحها في سنة ٢٠ هـ وأقام فيها يرتب أمورها وينظم أحوالها وسير منها نفر آمن قومه إلى برقة و بلاد النوبة فافتتحوها .

هذا ما كان من فتح الشام ومصر . أما ما كان من فتح العراق ، فان عمر رضي الله عنه كان سير إليها بأبي عبيد الثقفي . فسار حتى عبر الفرات بمن معه من المسلمين ، وهناك حصلت بينه وبين الفرس واقعة عظيمة استشهد فيها أبو عبيد في عدد كبير من قومه . فأرسل عمر سعد بن أبي وقاص في جند من المسلمين ، فسار حتى وصل إلى الفادسية : وهي مدينة في جنوب النجف بميل إلى الغرب . وكان موقعها فيما بين البادية وسواد العراق ، وكان معه عدد عظيم ممن لحق به من المسلمين من الشام وغيرها ، منهم النعمان بن مقرن وحنظلة بن الربيع التميمي والمغيرة بن زُرارة والاشعث بن قيس وعاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب والمغيرة بن شعبه .

وهناك قابلهم رستم قائد جيوش الفرس بما لا يحصى من الجنود . فحصلت بينه وبينهم جملة وقائع أبلت فيها الطرفان بلائاً عظيماً ، وكانت نتيجةها قتل رستم وانهزام الفرس ودخول سعد

القادسية سنة ٥١٥ هـ . ثم سار منها الى المدائن وهي عاصمة الاكاسرة وموقعها على دجلة على  
مرحلة من الجنوب الغربي لبغداد، ويسمى بالافرنج اكتبزيفون (Ktésiphon) ويسمى  
الفرس (بهرسير) ، فحاصرها وافتتحها بعد شهرين ، وهرب كسرى الى حلوان ثم الى  
أصفهان . وغنم المسلمون من خزائنه مالا يحصى ، وجعلوا ابوانه مسجداً وكان ذلك في  
سنة ١٦ هـ . وأقام سعد بالمدائن الى سنة ١٧ هـ ، وفي غضون ذلك فتحت جنوده تكريت  
والموصل ، ثم تحول الى الكوفة بعد أن اختطها بأمر عمر .

وجمع كسرى فل الفرس وشتاتهم الى نهاوند ، فلما بلغ عمر ذلك سير النعمان بن مقرن في  
جيش من المسلمين ، فأتى اليها وحصر الفرس فيها وقطع عليهم خط رجعتهم ، وحصلت بينه  
و بينهم معركة تشيب لهولها الولدان ، كانت دماء الناس فيها تجري في ساحة الوغى كأنها  
الاهار : فزلق جواد النعمان فصرعه ، فكتم أمره من عرف ذلك من المسلمين وثبتوا في  
قتالهم الى الليل ، فانهزمت جيوش الفرس واشتت شملهم . وسار المسلمون في أثرهم حتى  
وصلوا همذان ، فصالحهم أهلها على أن يكفوهم شر الفرس من جهتهم ، وهرب يزيد جرد ملك  
الفرس الى بلاد التتار ولا زال فيها حتى مات في خلافة عثمان . وفي واقعة نهاوند قتل كثير من  
عظماء المسلمين : منهم طليحة الاسدي وعمر بن معد يكرب الزبيدي .

بعد ما استقر أمر المسلمين في بلاد الفرس أرسل سعد بعياض بن غم الى الجزيرة ،  
وكانت جنود الروم قد اجتمعت في أعلاها ، فافتتح بلادها الى حدود كردستان وأرمينية  
شرقا ، و بلاد الشام غربا ، وكسر جنود الروم ومزقهم كل ممزق ، ثم عاد الى حمص مات بها  
رضي الله عنه .

وكان عمر قد سير عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي سنة ١٨ الى فتح أرمينية وعززه بسلمان  
أخيه من جهة ، و بحبيب بن مسلمة القهري من جهة أخرى . فساروا حتى وصلوا بالفتح الى  
شمال جبال القوقاز : و بعد أن ضربوا الجزية على أهل هذه البلاد انجلوا عنها الى الجنوب ، خوفا  
مما كانت تستلزمه سعة أطرافها ونغورها من كثرة الجند والمرابطة وما كانوا يخشونه من  
تجمع جيوش الروم عليهم في هذه النواحي القاصية .

ولمادانت للمسلمين بلاد الفرس والعراق والجزيرة والشام وسوريا ومصر وبرقة والنوبة، أخذ عمر في تقوية ثغورها، وتنظيم داخليتها، وترتيب ماليتها، وربط خراجها، ووضع جزيتها: فدوّن الدواوين، ووضع السجلات لضبط حسابات كل مصر وأعطياتها، وقيد محركاتها. وجعل للحسبة ديوانا يفتش على أعمال التجار حتى تكون الناس في أمن من غشهم، وضرب النقود من الدراهم<sup>(١)</sup> الفرسية وعلى نقشها (سنة ٥١٨ هـ) وزاد على بعضها الحمد لله وعلى الآخر محمد رسول الله. وكان رضى الله عنه ينتخب للولايات العمال من أحسن الرجال، ورتب البريد بينهم وبينه يوافقونه بأموالهم ويوافقهم برأيه فيها. وكان قبل قيام البريد من الجهات ينادى المنادون فيها « من كانت له إلى أمير المؤمنين شكوى فليرفعها إليه فان البريد قائم من غده » وكان رضى الله عنه لا يعين في القضاء إلا أكثر الناس ورعا وزهداً، وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وكان على قضائه أبو موسى الأشعري، ولما ولاه القضاء كتب له الكتاب الآتى:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فان القضاء فرضة محكمة، وسنة متبعة، فاقم اذا أدلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نادله . آس بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئس ضعيف من عدلك . البيئنة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين : الا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً . ولا يمنعك قضاء قضيت به بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف الامثال والاشباه ، وفس الامور عند ذلك : ثم اعمد الى أجلها الى الله وأشبهها بالحق . واجعل للمدعى حقا عابئاً أو بينة : حداً ينتهى اليه ، فان أحضر بينته أخذت له بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ للعذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض : الا مخلوداً أى حداً ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيماً في ولاء أو قرابة : فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والايمان .

(١) لان الدماير لم تصرف في الاسلام الا في عهد عبد الملك بن مروان .



ايك والقلق والضجر، والتأذى بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر، ويحسن بها الذخر، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه، هنك الله ستره وأبدى فعله والسلام» .

وكتب الى معاوية وهو عامله على الشام :

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فاني لم آلك في كتابي اليك ونفسي خيراً . ايك والاحتجاب، وائذن للضعيف وأدنه حتى تبسط لسانه وتجري قلبه، وهدم الغريب فانه اذا طال حبسه وضاق ادنه ترك حقه وضعف قلبه : وانما ترك حقه من حبسه . واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء . واذ احضرك الحصان بالبينة العادلة والايان القاطنة فامض الحكم . وكتب الى أحد العمال :

« اجعلوا عندكم الناس في الحق سواء، قري بهم كبعيدهم، وبعيدهم كقري بهم . اياكم والرشاء والحكم بالهوى، وان تأخذوا الناس عند الغضب . فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار » . وكتب الى سعد وهو يشراف يريد العراق وحرب الفرس ما نصه :

« أما بعد فسر من شراف نحو فارس عن معك من المسلمين، وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله . واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير، وعدتهم فاضلة، وبأسهم شديد . وعلى بلد منيع وان كان سهلاً كؤوده، لبحوره وفيوضه ودآئه : الا ان توافقوا غيضاً من فيض . واذ الفيتم القوم أو واحد منهم فابدءوهم الشد والضرب . واياكم والمناظرة لجموعهم . ولا يخذل عنكم فانهم خدعة مكررة أمرهم غير أمركم، الا أن تجادوهم . واذ انتهيت الى القادسية : والقادسية في باب فارس، وهي أجمع تلك الابواب لماداتهم ولما يريدونه من تلك الأصل (النواحي)، وهو منزل رغب خصيب حصين، ودونه قناطر وأهبار ممتعة فتكون مسالحك على أقبابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر، على حافات الحجر وحافات المدر، والجراع (الارض الرملية) بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه : فانهم اذا أحسوا انقضت بهم، رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدتهم وجدتهم . فان أتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونوئتم الامانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجمع لكم مثلهم أبداً، الا أن يجمعوا وليست معهم

قلوبهم . وان تكن الاخرى كان الحجج في ادباركم ، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها اجراء و بها أعلم ، وكانواعها أجبن و بها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح ويريد لكم الكرة عليهم .

من الكتاب الاول ترى أن عمر رضی الله عنه كان من أكبر المشرعين ، و كتابه هذا نظام تشريعي جمع بين كلماته الفليقة و روح التشريع القضاة ، مما تراه مبسوطاً في محلات ضخمة . و من كتابه الثاني و الثالث ترى انه من أبعده الناس نظراً في النظام الاداري . و من الرابع ترى انه أكثر الناس معرفة بأساليب الحرب . و قلما تجتمع هذه المزايا كلها في شخص واحد . نعم كان عمر نادرة في بابه بل نابغة من نوابغ الخليفة . و من من الناس يجلس مكان عمر بجزيرة العرب ، ينهاه و يحرك عماله في الفرس و العراق و الحزيرة و الشام و مصر و اليمن و غيرها : في حروبهم ، و ادارتهم ، و جباية أموالهم ، و فصائهم ، حتى لا يكلمهم على مرأى منه و مسمع .

من من الملوك يمكنه أن يصل ليله سهاره في يصبح رعيته ، و سهره على كل ما فيه مصلحتها كما كان يعمل عمر : و هو مع ذلك يرى نفسه مقصر في واجبه غير قائم بعمله فلا يبعك مفكر اعلى الدوام في حساب ربه له على كل صغيرة يوهم أنه ارتكبها في سبيل المصلحة العامة !!! اللهم ان هذا هو تمام الراعي من رعيته : فنعم الراعي عمر و نعمت الرعية رعية عمر !!!

كان رضی الله عنه كثير التصحاح لعماله ، شديد المراقبة عليهم ، كثير التجسس عن أحوالهم ، حتى أقام عليهم العيون يوافونه باخبارهم كيلا يأخذوا الناس بمظالمهم . و جعل له عمالاً من أهل الورع و الصدق يفتشون على أعمال الولاة و القضاة . و من ذلك أن فدشكا الناس بالكوفة أميرهم سعد بن أبي وقاص في سنة احدى و عشرين ، فبعث عمر محمد بن مسلمة الا بصارى ، و نحرق عليه باب قصر الكوفة و جمع الناس في مساجدها ، فسألهم عنه . فحمده بعضهم و ساءه بعضهم ، فعزله عمر و بعث عليها عمار بن ياسر . و كان عمر تابع أو امره لولائه بعدم ظلم الرعية ، و من ذلك كتابه الى عتبة بن غزوان أمير البصرة : « أعزب الناس عن الظلم ، و اتقوا و احذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي ، فانكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، و قد تقدم اليكم فيما أخذ عليكم ، فافوا بعهد الله و قوموا على أمره يكن لكم عوناً و نصراً » .

وخطب عمر في الناس يوماً فقال : « أيها الناس اني والله لم أرسل عمالا اليكم ليضربوا  
أبشاركم ولا يأتوا أخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويفضوا بينكم  
بالحق ويحكوا بينكم بالعدل ، من فعل به شئ عسوى ذلك فليرفعه اليّ » : فوالدي نفس عمر  
بده لا قصته منه » .

وكان عمر رحباً بالناس رفيماً لهم ولم يمتصر رحمة على الانسان بل كان يرفق بالحيوان ،  
قال المسيب بن درام : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب حملاً ويقول حملت جمالك  
بمالاتي » .

هذه كانت حياة عمر مع عماله ورعيه لم يفرق فيهم بين كبير وصغير ، غني أو فقير ، وحسبك  
ما كان له مع جبلة بن الازهم ملك غسان ، فانه أسلم في جمع من قومه وأتى الى مكة ، ففرح به  
عمر وأكرمه كثيراً ، وبما هو يطوف حول الكعبة ادوطني اعرابي رداء ، فأنحسر عنه ، فلطمه  
جبلة فتأذاه الاعرابي عند عمر . فعصى بالمصاص الا اذا حاور صاحب الحق عن حقه . فقال  
جبلة : أتعامل الملوك عندكم معاملة السوقة يأمر المؤمنين ؟ قال نعم لم يفرق الاسلام بين ملك  
وسوقة . فاستمهله جبلة حتى يرى رأه ، وفر ليلاً الى بلاده . وكان عمر شديد افي دينه  
لا تأخذ في الله لومة لائم . أقام حدوده في الداس لافرق بين كبيرهم وصغيرهم قريبهم وبعيدهم ،  
وماهيك بجدده لولده عبد الرحمن في الخمر حتى مات وهو يحده . وقد كان رحمه الله شديد العناية  
بالفراء : ولما أخذ لهم دار الدقيق يعين بها المتقطع منهم .

أما حياته في شخصه فقد كان رضى الله عنه كثير الورع والرهـد شديد الخوف  
من الله يقتص من نفسه لغيره . وكان يعيش من عمله وتجارته الى أن صارت اليه الخلافة .  
ولما ولى أمر المسلمين واشتغل بشؤونهم أرادوا أن يرتبوا له من بيت المال ما يقوم بأمره  
وسألوه بمدار ما يريد ، فسأل علياً رأيه فقال له : « ما يصلحك و يصلح عيالك بالمعروف ، ليس  
لك من هذا الامر غيره » . فقال عمر : الفول ما قال ابن أبي طالب .

وروى الطبري ان هذا العطاء الذي رضى به عمر لنفسه وفرضه له المسلمون لم يكفه  
واشتدت به الحاجة : فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وطلحة والزبير وتشاوروا في

زيادة يزيدونها لعمر في رزقه من بيت المال، فها بوا مقابلة بذلك . فاتوا البنته حفصة التي كانت زوجا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمروها أن تحرد بالحبر وترى رأيه فيه ولا تذكر له أسماءهم . فلما أخبرته بذلك عرفت الغضب في وجهه، وقال لها من هؤلاء؟ قالت لا سبيل الى علمهم حتى أعلم رأيك ، فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم، أنت بيني وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملابس / قالت ثوبين ممشعين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع . قال فأي الطعام ناله عندك ارفع / قالت خبزنا خبزة شعير وصبنا عليها وهي حارة أسهل عكة ( فر به السمن ) جعلناها هشة دسمة، فاكل منها وتطعم استطابة لها . قال فأي مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ ( ألين ) قالت كساء لما نحن كنا نر بعه في الصيف فيجعله تحتاء، فاذا كان الشتاء بسطنا بصفه وتدنرنا بنصفه، قال يا حفصة فالغنيهم عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روضع العضول مواضعها وتبلغ بالترجية ( الرجاء ) . وانى قدرت فوالله لا ضمير العضول مواضعها ولا تلغى بالترجية . وانما تمثلى وتثل صاحبي كثلاثه سلكوا طر بنا فضى الاول وقد تزود زاد اقلغ . ثم اتبعه الا آخر فسلك طر يقه فافضى اليه . ثم اتبعه الثالث فان لزم طر ففهما ورضى بزادهما لحق ففهما وكان معهما، وان سلك غير طر ففهما لم يجتمع بهما .

ما زال عمر رضى الله عنه على هذه الحال بين رعيته: مهتما بأمورهم غير معسكرا الا فيما يكون من رقيهم وسعادتهم . يهضى ببنهم عما أنى من عبد الله ورسوله، واذا وقع له ما لم يمكنه أن يستخرج حكمة من القرآن والسنة، جمع اليه خاصة المسلمين أعقلهم وأعرفهم بكتاب الله وسنة رسوله وسألهم رأيهم وفضى عما يرويه . و بذلك تحفى الحكم الشورى بين المسلمين: فعلا به سلطانهم وعظم ملكهم وانبسطت افياء اعمتهم . وما زال رضى الله عنه مشتغلا بنصرة الاسلام وتعزيز أركانه وتوطيد بنيانه الى سنة ٢٣ من الهجرة، فانا ه فيروز أنولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان فارسيا، يشكو اليه كثرة ما ضربه سيده عليه من الخراج . فسأله عمر كم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم . قال وايش صناعتك؟ قال محاس نقاش حداد . قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال . فتوعدده الغلام وانصرف . فقال عمر توعدنى العبد !!!

وتحسّن أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراءه، فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه وخاصرته فسقط عمر ونادى بعبد الرحمن بن عوف وأمره أن يصلي بالناس . وكان ذلك يوم الاربعاء لاربع ليال تقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين . وفي غد ذلك اليوم أخرج عبد الرحمن بن أبي بكر عبيد الله بن عمر أنه رأى أبو لؤلؤة مع الهرمزان ومعهم رجل اسمه جفينة، وكانوا يتناجون فلما رأوه تفرقوا وسقط منهم ذلك الخنجر . فعاد عبيد الله على ثلاثتهم فقتلهم فامسكه سعد بن أبي وقاص حتى جاء به الى عثمان بعد البيعة .

ولمات عمر صلى عليه صهيب . ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين بن وعمره ثلاث وستون سنة، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يوماً . وقيل بل كانت وفاته في يوم الاربع المذكور من غير أن يعهد بالخلافة الى أحد: ولما سئل في ذلك قبل وفاته، قال انه لا يريد أن يحمل تبعها حياً وميتاً، وجعلها شورى الى ستة وهم على عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . وكان له من الولد: عبد الله وحفص وعبيد الله وعاصم وفاطمة وزيد وعبد الرحمن . أما عماله في السنة التي مات فيها فكان على مكة: نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى دمشق معاوية ابن أبي سفيان، وعلى حمص عمير بن سعد، وعلى البحر بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان كاتبه زيد بن ثابت، وعلى بيت المال عبد الله بن أرقم .

## عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى بابي عبد الله . ولد رضي الله عنه سنة ٢٨ قبل الهجرة . وكان ربعة ليس بالفصير ولا بالطويل، حسن الوجه، بوجنتيه نكتات جذري، ألقى مشرف الأنف، من أجمل الناس، رقيق

البشرة، عظيم اللحية طويلها، اسمر اللون، كثير الشعر، له جمة أسفل أذنيه، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، أصلع الرأس، وكان يصفر لحيته . وكان بزازا وتاجرا وله ثروة واسعة في قومه وكان شديد الكرم فيهم كثير البذل هياألينا كثير الحياء حسن الخلق، لين العريكة: وكان له بذلك منزلة من قلوب الناس يحبونه ويهشون اليه ويحترمونه . وهو رضى الله عنه من السابقين الاولين في الاسلام : أسلم بدعوة من أبي بكر فاضطهدته فر يش ونالت منه، فهاجر الى الحبشة . وكان العرب يتعاهدونها قبل الاسلام بالتجارة . وهاجرت معه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان تزوجها قبل الاسلام أو بعده على خلاف بين المؤرخين: وهو رضى الله عنه أول من هاجر في الاسلام ، وهاجر معه أحد عشر رجلا من المسلمين منهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، ثم لحق بهم جمعهم بن أبي طالب وآخرون . وأرسلت قريش بعمر بن العاص الى النجاشي يطلبون منه رد هم اليهم فلم يعمل . ومارا الواسلاد الحبشة حتى بلغهم كدناأ فر يشا قد أسلمت كلها ، فعاد عثمان ومعه ثمرتهم الى مكة ، وكان ذلك عام ثلاث أو أربع قبل الهجرة، فوجدوا المسلمين على حالهم من الهوان وسوء معاملة قريش لهم فاقاموا معهم على أذى قريش حتى أمر الله بنبيه بالهجرة الى المدينة فهاجر عثمان اليها ومكث في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات رقية زوجته، فوجه صلى الله عليه وسلم نام كلثوم أختها، فكانوا لذلك يسمونه بالأمورين . وأقام عثمان في تحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يساعده بنفسه وماله ، ولما أراد رسول الله صلوات الله عليه تجهيز جيش العسرة ، أتى اليه عثمان بالف دينار وألماها في حجره اعانه للمسلمين ، فعمل رسول الله يقليبها ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » . ؟

ما زال عثمان رضى الله عنه في تحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم و تحبة صاحبيه يعمل معهم في توطيد أركان الاسلام وتشديد بنيانها ، وكان آية من آيات الله في مكارم أخلاقه وحميل صفاته وسديد آرائه ، حتى مات عمر رضى الله عنه . ولما دفن عمر بن الخطاب جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة فبايعوا العثمان بن عفان يوم الاثنين ، لليلة بقيت من

ذى الحجة سنة ٢٣ ، أو ثلاث مضمين من المحرم سنة ٢٤ على رواية أخرى .  
 وأول عمل له في خلافته أنه جمع الناس الى ناحية في المسجد وشاورهم في أمر عبيد الله بن  
 عمر اقبله من قتل فاشار على يقتله . وقال عمرو بن العاص : لا يقتل عمر بالامس ويقتل ابنه  
 اليوم ، وقد حصل هذا الحدث وليس لك على المسلمين سلطان . فجعلها عثمان دية واحتملها  
 وقال أنا وليه . ثم كتب عثمان الى الولاة وعمال الخراج وعامة الناس كتباً بلغت النصح  
 والارشاد ، وطلب الى عماله فيها السير في طريق العدل والابصاف والمساواة بين الناس  
 كبيرهم وصغيرهم ، مسلميهم وأهل ذمتهم ، وزاد في اعطيات جيشه . وفي سنة ٢٦ سير عثمان  
 حبيب بن مسلمة القهري ومعه سلمان بن ربيعة الى فتح أرمينية والقوقار ، وكانا قد تقضتا  
 الصلح بعد وفاه عمر فافتتحوهما ، وأقاموا على ثغورهما من يحفظهما من جند المسلمين .  
 وبينما كانا يتساجان بحيوشهما في هذه البلاد بينهما كان معاوية يغير من جهة أخرى  
 على بلاد الاناضول . وفي سنة ٢٧ استأذن معاوية بعثمان رضي الله عنه في عزو الروم  
 من جهة البحر فاذن له ، وأرسل الى عبدالله بن سرح عامله على مصر بان يسير الى الشام  
 اسطولا يساعدا اسطول معاوية . وسار الاسطولان فافتتحا فرص وصالحهم أهلها على  
 سبعة آلاف دينار يدفعونها سنويا . وفي سنة ٢٩ فتح معاوية جزيرة افر يطش ( كيريد ) ،  
 وقد كان عثمان أصدر أمره في سنة ٢٥ الى عبدالله بن سرح بغزو افر يمية (١) ، فامر  
 عقبة بن نافع على جند وأمر عبدالله بن نافع على جند آخر وسيرهما الى بلاد المغرب فصالحهم  
 أهلها على مال يؤدونه اليهم ولم يمكنهم التوغل فيها لكثرة أهلها .

وفي سنة ٢٦ جهز عثمان من المدينة جيشاً لفتح افر يمية وفيه ابن عباس وابن عمر وابن  
 العاص وابن جعفر والحسن والحسين وعبدالله بن الزبير ، فساروا مع عبدالله بن سعد بن  
 أبي سرح حتى وصلوا برقة فلفيهم بها عقبة بن نافع فحين كان معه من المسلمين ، وساروا الى  
 طرابلس فقابلهم جيوش الروم وعليهم جرجير بجوار ( جرجير ) فحصلت بينهم موقعة  
 هائلة انهزمت فيها جيوش الروم بعد أن قتل عبدالله بن الزبير قائدهم جرجير بجواره . وبذلك

(١) كانت العرب تطلق اسم افر يمية على بلاد تونس .

صارت البلاد الى المسلمين فولى عثمان على افر يقية عبد الله بن نافع، وعادا بن سعد الى مصر. فلما باغ قسطنطين بن هرقل امبراطور الروم خراس تيلاء العرب على بلاده في افر يقية جهز اسطولا كبيرا مؤلفا من ٦٠٠ مركب وسافر به من القسطنطينية الى تونس. فعلم به عبد الله بن سعد بن أبي سريح فخرج اليه من مصر في اسطوله، وخرج معاوية في اسطوله أيضا من سورية والتقوا بمراكب الروم وأنخنوهم، فانهزم قسطنطين مما بقي من مراكبه الى صقلية فقتله أهلها. والمسلمون يسمون هذه الواقعة بواقعة ذات الصواري.

وكانت بلاد فارس قد انتفضت أطرافها فعزل عثمان في سنة ٢٦ أبا موسى الأشعري عن البصرة بناء على طلب أهلها لشدة رفاهته، وولى بدله عبد الله بن عامر القرشي وهو ابن خال عثمان وعمره اذذاك ٢٥ سنة، فبلغت جنوده الى أقاصى بلاد الاكاسرة. ثم انتفضت فارس فبلغ ابن عامر الخبر وهو بالبصرة فاستنفر الناس اليهم وسار وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاصي وعلى خيله عمران بن حصين فلفيه اثنا ورون على اصطخر وحصل بينهم مواقع هائلة وافتتح اصطخر عنوة وفنى في تلك المواقع أغلب بيوتات الاساورة لانهم كانوا جعلوا هذه المدينة مركزا لهم ثم وطئ ابن عامر بلاد فارس وطأه قضى فيها على ما كان تقي فيهم من عرة الملك وخيلاء السلطان. ثم سار الى خراسان وكانت قد انتفضت وسير على مقدمته الاحنف بن قيس وتقدم الى بيسانور فافتتحها الى هرات ثم سير الاحنف الى طخارستان فافتتحها الى مرو وسار منها الى بلخ فافتتحها أيضا. وسير عامر بن الربيع بن زياد الحارثي الى سجستان فافتتحها ثم انقض أهلها فأرسل اليها عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس فافتتح بلادها الى حدود الهند.

وفي سنة ٣٠ سار سعيد بن العاصي أمير الكوفة الى طرسستان وكان في جيشه الحسن والحسين وحذيفة اليماني وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص فأوغلوا فيها بالفتح لكنها بعد ذلك كانت تنتفض فيغروها المسلمون حتى استخضعها يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان.

ولما عاد بعض الناس من غزواتهم سألهم عثمان عن حال المسلمين فأخبروه بتعدد



قراءات القرآن فيهم، وقالوا له ان هؤلاء يقولون قرآنا خيرا من قرآن الآخرين وأولئك يقولون بل قرآنا خيرا من قرآنهم فطلب عثمان الصحف التي كان جمعها أبو بكر من حفصة بنت عمر واستكتب عشرة مصاحف منها وأرسلها الى الجهات ، وأمرهم أن يحرقوا كل ما عداها وبذلك كان حفظ القرآن الكريم على ما هو عليه اليوم من غير اختلاف ولا تغيير ولا تبديل بين أهل جميع الاقطار والامصار، وهو ما لم يتيسر لكتاب غيره بالمرّة .

ويقال ان أحده هذه المصاحف موجود بكتبخانة موسقوبالروسيا، وله صورة أخذت بالهوطوغراف موجودة بكتبخانة المصرية التي بها مصحف آخر يزعمون أنه من مصاحف عثمان، ويوجد في الاستانة بحزينة الآ نارا النبوية مصحف يقولون انه منها . ويقولون ان المصحف الشريف الموجود بالحجرة الشريفة الآن منها أيضا

وفي مدة عثمان رضي الله عنه اتسع ملك المسلمين كثيرا وثبت قدمه بتلك الفتوحات التي ساحت فيها جيوشهم في أملاك الروم والعجم .

الا أن عثمان كان يكثر من ولايه فراتيه على الامصار ، وكان يقرب اليه نبي أمية ويستشيرهم في أموره حتى ظهر وافي خلافته على قر يش كلها، وصارت لهم بالمدينة أملاك واسعة وثروة طائلة وكان مشيره ووزيره وكاتب سره مروان بن الحكم وكان كثيرا ما يعمل فكريه ويغضب له رأيه حتى بالغ الناس في أن ختم عثمان كان مع مروان يمضي به ما يريد . ونظم لذلك جماعة من قر يش وكثير من صحابه رسول الله، وتدمرت الولايات مما كانوا ياخذونه على ولايتهم من سوء عملهم فحاطبوا في ذلك عثمان وأودوا اليه وهو دا يطلبون منه عزل بعضهم فلم يقبل : فرادت الفتنة وثار الناس من مصر والبصرة، وقصدوا المدينة في جموع كثيرة وما زال على كرم الله وجهه بينه وبينهم حتى قبيل عثمان بعض مطالبهم وسافروا من المدينة، ثم أعادوا الكرة اليها وفي يدهم كتاب بنختم عثمان قالوا لهم وجدوه مع رسول من عثمان الى ولايته بحبسهم وتعذيبهم، وكان منهم محمد بن أبي بكر . خلف عثمان بانه لم يكتب ذلك ولم يأمر به ولا علم له به فنسبوه للضعف فطلب منه على أن يبعد عنه مروان فلم يقبل فتركة واشتدت الفتنة وطلب الثائرون أن يعزل عثمان العمل فلم يحبسهم وكتب الى ولايته على الامصار بان

يوافوه بالمدد، وكان ذلك بإشارة من مروان : وخاف الثائرون شر ذلك فجموا على داره وحاصروها ومنعوا الماء عنها . وأرادوا الدخول عليه فوجدوا على بابها عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ابني علي وأبهريرة ومحمد بن حاطب وزيد بن ثابت ومروان بن الحكم والمغيرة بن الاخنس يمنعونها بسيوفهم . فتسلقوها من خلفها ودخلوا على عثمان والمصحف في يده يقرأ فيه فمتلوه: وقيل ان الذي فنله رجل من مصر اسمه جبلة وكان ذلك في ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ . ودفن عثمان رحمه الله في البقيع وعمره ٨٦ سنة تفريرا وكان له من الولد عبد الله الاكبر وعبد الله الاصغر وهو من رقية بنت رسول الله تولى صغيرا، وعمرو وأبان وحالد وعمر وسعيد والوليد وأم سعيد والمغيرة وعبد الملك وأم عمرو وعائشة .

أما عماله في السنة التي توفى فيها، وهم عبد الله بن الحضرمي على مكة، والعماسم بن ربيعة الثقفي على الطائف ، و يعلى بن منبه على صنعاء، وعبد الله بن عامر على البصرة، ومعاوية بن أبي سفيان على الشام، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص (من طرف معاوية)، وحبيب بن مسلمة الفهري على قيسرين، وأبو الاعداء السلمي على الاردن ، وعالممة بن حكيم الكنانى على فلسطين، وأبو موسى الأشعري على الكوفة، وعلى خراجها جابر المزني ، وعلى حربها الفعافع بن عمرو، وجريير بن عبد الله المجلي على فرفسيا، والاشعث بن قيس الكندي على اذربيجان وعتبة بن النهاس على حلوان ، ومالك بن حبيب على الماء، والنيسر على همدان، وسعيد بن قيس على الري، والسائب بن الافرع على اصبهان، وكان على مصر عبد الله بن سعد ثم تغلب عليها محمد بن أنى حذيفة، وكان له على بيت المال عتبة بن عامر . وعلى الفضلاء زيد بن ثابت

## عليؑ

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب . ولد كرم الله وجهه سنة ٢٥ قبل الهجرة ، وحصل بمكة قحط في نحو السادسة من عمره فكفله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذه الى بيته وكان يحبه حباً جماً . ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان علي أول من آمن به بعد خديجة وأول من صلى معه من المسلمين : وكان يخرج مع رسول الله الى الصحراء فيصلي معه خمية ثم يعودان الى مكة . وكان ألصق الناس برسول الله : فتعلم من علمه وتأدب بأدبه . وكان أشبه الناس به في صورته : فكان رضى الله عنه : ربعة أدعج العينين عظيمهما ، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، له مشاش كمشاش السبع الضاري ، لا يبين عضده من ساعده ، قد أدلج دلاجاً ، شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، أغيد كأن عتقه ابريق فضة ، أصلع ليس في رأسه شعراً الا من خلفه ، أبيض اللحية ، قريب الى السمن ، ثبت الجنان ، اذا مشى الى الحرب هروول ، واذا أمسك بذراع رجل أمسك نفسه فلم يستطع أن يتنفس . وكان رضى الله عنه كثير الصبر ، شجاعاً ، مهيباً ، ورعاً ، زاهداً ، أعلم الناس بدين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وكان كرم الله وجهه شديد أفي دينه ، لا يرأى فيه ولا تأخذه في الله لومة لائم . وسئل مرة : لم نرمعاوية أسوس منك يا أمير المؤمنين فقال والله مامعاوية بأسوس منى ولكن السياسة تميل الى الغدر ولست أميل اليه .

وكان رضى الله عنه ، فصيح اللسان ، قوى الجنان ، أكر العرب بلاغة ، وأكثرهم حكمة . ودونك بعض خطبه وحكمه بكتاب نهج البلاغة . مازال علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أراد الهجرة فعلم بأن قر يشأ أجمعوا أمرهم علي قتله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بأن يلبس رداءه وينام في فراشه من ليلته وقال له انى مهاجر الى يثرب ، وأمره أن يلحق به بعد أن يؤدي عنه دينه ، ويرد ما كان عنده من الامانات الى أربابها . وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر علي بعد هجرته بثلاثة أيام بعد

أن أدى عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس : وهو ثالث من هاجر . وبعد الهجرة زوجته النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ، وكانت أحب الناس إليه فكان ألصق الناس رسول الله قبل الهجرة وبعدها . وجعل الله ذرية نبيه عليه الصلاة والسلام في نبيه .

ومكث على يكتب لرسول الله وينصره على أعدائه ويقوم بخدمته خير قيام ، حتى اذا مات عليه الصلاة والسلام كان لصاحبيه أميناً معيناً مرشداً مبيّناً للناس ما غمض عنهم من كلام الله وسنة رسوله . حتى اذا كانت خلافة عثمان كان في عونه ونصحه ، ثم اعزله في آخر أيامه لما كان يحيط ببن عفان من بطائه التي كانت لا تنظر الى المصلحة العامة ، بجوار مصلحتهم الخاصة . فكان ما كان وقتل عثمان ، فاجتمع الناس على عليّ وأرادوا بيعته فأبى وقال : لأن أكون وزيراً لكم أحب الىّ من أن أكون أميراً . وكان الناس قد افرقوا فرقا وأحزابا : فقال أهل الكوفة الى الزبير وأهل البصرة الى طلحة ، وغيرهم الى سعد وابن عمر ، وذهب الناس الى عليّ وألحوا عليه فخرج الى المسجد فبايعه الناس ثم بايعه طلحة والزبير . وكان ذلك في ٢٥ ذى الحجة سنة ٣٥ هـ . وجاءه طلحة والزبير وطلبوا اقامة الحدود على قاتلي عثمان : فقال لا قدرة لي على شئ مما تريدون حتى يهدأ الناس ، وننظر في الامور ، فتؤخذ الحقوق . فافرقتوا عنه وأكثرت الناس المال في قتل عثمان ، وفر شوامية الى الشام مع مروان . وفي اليوم الثالث نادى عليّ برجوع الاعداء الى بلادهم ، فتذمروا وأبوا . وأخذ عليّ يفرق عماله الى الامصار فولى ابن عباس على الشام فلم يقبل ، وأشار عليه بأن يقر عمال عثمان حتى يهدأ الحال كيلا يحملوه شيئا من دمه فلم يسمع له عليّ لشدته في الحق . وبعث عليّ البصرة عثمان بن حنيف ، وعلى الكوفة عمار بن شهاب من المهاجرين ، وعلى اليمن عبد الله بن عباس ، وعلى مصر قيس بن سعد ، وعلى الشام سهل بن حنيف . ومضى عثمان الى البصرة فاختلفوا عليه وأطاعته فرقة منهم . ومضى عمار الى الكوفة فلما بلغ زباله لقيه طلحة وقال له ارجع فان القوم لا يستبدلون بأبي موسى . ومضى ابن عباس الى اليمن . ومضى قيس الى مصر فافرقتوا عليه ، فرقة كانت معه وأخرى امتنعت عنه حتى ترى فعل عليّ في قاتلي عثمان . ومضى سهل الى الشام

فلقيه خيل عند تبوك فقال لهم انه أمير على الشام، فقالوا له ان كان بعثك خير عثمان فارجع فرجع وجاءت أخبار الآخرين بمثل ذلك ، فجمع على طلحة والزبير وقال لهما قد وقع ما كنت أحذركم منه فسألاه الاذن في الخروج الى مكة للاعتقار فأذن لهما . وكتب الى أبي موسى فكتب اليه بطاعة أهل الكوفة وبيعهم . وكتب الى معاوية فلم يجبه الى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان ، ثم أرسل اليه كتابا محتوما عنوانه من معاوية الى علي ففضه علي فلم يجد فيه شيئا ، فقال للرسول ما وراءك ، فقال تركت قوما لا يرضون الا بالنود : قال ممن ، قال منك : وتركت ستين ألف شيخ يكون تحت قيص عثمان منصوبا على منبر دمشق ، فقال علي اللهم انى أبرأ اليك من دم عثمان ، قد نجا والله قتلة عثمان الا أن يشاء الله . ودعا أهل المدينة الى قتال أهل الشام وكتب الى ولاته على الامصار أن يندبوا الناس اليه . وكانت عائشة خرجت الى الحج وثمان محصور ، فلما قصدت الرجوع الى المدينة بعد الحج بلغها في الطريق قتل عثمان ومبايعة الناس لعلي فعدت الى مكة . ولما وصل الزبير وطلحة الى مكة اتفقا مع عائشة على المطالبة بدم عثمان وساروا بألف رجل ممن كان على رأيهم من أهل مكة الى البصرة ومعهم كثير من نبي أمية منهم أبان بن عثمان وسعيد بن العاص والوليد بن عتبة وعبد الله بن عامر الحضرمي وكان والياً على مكة لعثمان وساعدتهم بمال كثير ، وساعدتهم كذلك يعلى بن منبه الذي اشترى جملاً بمائة دينار لم ير مثله في العرب ، وأركب عليه عائشة . فلما وصلوا البصرة دعوا أهلها لتصرتهم فلم يقبل منهم عثمان بن حنيف عامل علي عليها ، فنتفوا لحيته وهشموا وجهه وقتلوا من كان معه وحصلت لهم موقعة مع من قام في وجههم من البصريين ، وكانت الغلبة لعرب البصرة . وبلغ ذلك علياً فندب الناس اليهم وسار من المدينة بعد أن أقام عليها سهل بن حنيف وعلى مكة فم بن العباس . وأرسل محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر الى الكوفة لاستنفار أبي موسى الأشعري أهلها فلم يقبل منهما أبو موسى كلاما ورد أهل الكوفة عن الخروج معهم فرجما الى علي بالخبر وهو بذى قار ، فأرسل الاشتر وابن العباس الى أبي موسى فلم يجب لهما فأرسل ولده الحسن وعمار بن ياسر الى الكوفة فنفر معهما منها تسعة آلاف نفس منهم القعقاع ، وسعد بن مالك ،

وهند بن عمرو ، والهيثم ، وزيد بن صوصان ، وعدى بن حاتم ، وغيرهم . وقد مواعلى على  
بذى قار ففرح بهم وأكرمهم وأرسل الفعقاع الى البصرة ليدعو عائشة وطلحة والزبير الى الالفة  
والجماعة فقدم الى البصرة واجتمع بهم .

وما زال يقيم عليهم الحجّة في خروجهم حتى مالوا الى الصلح . فعاد الى على وأخبره بذلك  
ففرح بحقن دماء المسلمين وسار في الناس حتى قدم البصرة ، وتردد عقلاء الناس  
بين الطرفين ، وتعامل على مع طلحة والزبير وكادت عرى الصلح تتوطد فيما بينهم ،  
ولكن الذين أثاروا هذه الفتنة من الامويين أحزنهم هذا الامر وما تواتر تشاورون وصمموا  
على اشعال نار الحرب ، وهجموا على جهة من جيش على وهم لا يشعرون ، وكثر صياح الناس  
وتساءل على عن الخبر ، فقالوا له ان جيش طلحة والزبير هاجم جيشه ، فركب فبين معه  
واستحر القتال . وكانت عائشة راكبة حملا ومتنحية عن ساحة الحرب لتشرف على  
قومها وهي تشجعهم وأمرهم بالصبر ومخرضهم على الكفاح واجتلد الناس أمام الحمل وقتل  
تحتة خلق كثير فأمر على بعقر الحمل قبل أن تصاب عائشة فضرب ساق البعير فوقع الى  
الارض وقطع المعقاع مع زفر بطان البعير وحملوا الهودج من بين القتلى وأمر محمد بن أبي بكر أن  
يضرب عليها قبة ، وفر أصحاب الحمل فأمر على بعدم اتباع الفارين وعدم الاجهاز على الجرحى  
وسرح عائشة مع نفر من قومها رجال وساء الى مكة من بعد أن ودعها أميالا فسافرت  
اليها وحجت ثم عادت الى المدينة . أما بنو أمية فانهم انهزموا الى الشام وقتل في واقعة الجمل عبد  
الرحمن أخو طلحة والحريز بن حارثه ومحاشع ومحمد بن مسعود وطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن  
ابن عتاب وغيرهم وجرح عبد الله بن الزبير .

وبعد الواقعة دخل على البصرة فبايعه أهلها وولى عليها ابن عباس . ثم رجع الى  
الكوفة ، وبعث الى جرير بن عبيد الله البجلي بهمدان والى الاشعث بن قيس باذر بيجان  
وكانا من ولاية عثمان عليهما فحضرا اليه بعد أن أخذ البيعة من أهل البلدين فإرسل  
جريرا الى معاوية يعلمه بمبايعة الناس له ويدعوه الى رأى الجماعة فاستبقاه معاوية عنده  
زما ، ثم اعتذر له بان أهل الشام يطالبون بدم عثمان ، ورجع جرير بالخبر الى على

فاستنفر الناس لحرب الشام، وقدم عليه ابن عباس برجال من البصرة وساروا الى المدائن ومنها الى الرقة والتقوا برجال معاوية على الفرات وقد ملكوا عليهم شريعة الماء وبادر وهم القتال، فشكا الناس الى علي العطش فبعث الى معاوية يقول له اناسرنا ونحن عازمون على الكف عنكم حتى نعدذرا اليكم فسا بقنا جندكم بالقتال ونحن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وقد منعتم الماء، والناس غير متهيئين فابعث الى أصحابك يخلون عن الماء للناس حتى ننظر بيننا وبينكم، وان ازدت القتال حتى يشرب الغالب فعلنا، فلم يقبل معاوية، وكان ذلك أول ذى الحجة سنة ٣٦ وأرسل علي الى معاوية رسالا ينصحونه ويطلبونه الى الصلح: فقال لهم ليس بيني وبينكم الا السيف فرجعوا الى علي بالخبر، واقتتل العسكران أيام ذى الحجة كلها، واستأنف علي ارسال رساله الى معاوية في حقن دم المسلمين فلم يقبل: وابتدأ القتال بين العسكرين، وكان قواد معاوية حبيب بن مسلمة، ودو الكلاع، وأبو الاعداء، وعمرو بن العاص، ومسلم بن عتبة، والضحاك بن قيس. أما قواد علي فكانوا: الاشتر النخعي، وعبد الله بن عباس، وسهبل ابن حنيف، وفيس بن سعد، وعمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة، وعدي بن حاتم، ومسعر بن فديك. واستمر القتال فاستماتت الناس من الطرفين جملة أيام، وأبلى الاشتر وعمار بلاء عظيما، وكانا كلما هجما فراجح معاوية وشتار جاله وهجم عمار نفوم كانوا معه فدخل في صفوف جيش الشام وما زال يهرق كتبهم حتى تكاثروا عليه وقتلوه، فلما بلغ ذلك عليا حمل بالأسلحة وهجم على جيش الشام فازالهم عن مواقعهم، ورأى عمرو بن العاص الغلبة في جيش العراق فقال لمعاوية مر الناس يرفعون المصاحف على الرماح ففعلوا ذلك، فقال جيش العراق نحيب الى كتاب الله، فقال علي لهم امضوا في حركم والله ما دفعوها الا مكيدة، فلم يقبلوا وطلبوا اليه أن يمنع الاشتر ويزيد بن هاني من استمرارهما في قتال معاوية، وحضر اليهم الاشتر وعنفهم وقال امهلوني ففدأ حسست بالفتح فابوا وكثرت الملاحة فيما بينهم فخاف علي وقوع الفتنة وأرسل الاشعث بن قيس الى معاوية يسأله سبب رفع المصاحف على الرماح، فقال له لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به من كتابه، تبعثون رجلا ترضونه ونحن نبعث رجلا ما وبأخذ عليهما العهد بان يعملوا في كتاب الله ثم تتبع ما اتفقا عليه، فقبل الطرفان ذلك وقالت القراء من أهل العراق رضينا بان يكون أبو موسى الأشعري فلم يرض به علي لعدم ثقته به واختار الاشتر، فاني

قوم من العراق إلا أن يكون أباموسى، واختار معاوية عمرو بن العاص فحضر عند على ليكتب العهد بيده و بين معاوية بالحكيم وأخذ عليه المواثيق من رؤساء العسكرين وكان ذلك في ١٣ صفر وأجلا الحكم الى رمضان فانصرف الناس الى بلادهم من صيفين ورجع على الى الكوفة و بعض رجاله ينكرون عليه التحكيم . ولما جاء ميعة التحكيم حضر الحكمان في رجال من قومهما الى دومة الجندل ، فجدع عمرو وأباموسى وقال له الا حسن بنا أن يخلع كل منا صاحبه حقنا لدماء المسلمين وهنالك يبايع الناس من أرادوا ، فقبل أبوموسى رأيه وصعد المنبر و خلع صاحبه ، ثم صعد عمرو وقال ألا ان أباموسى خلع صاحبه وأنا أثبت صاحبي معاوية فهو ولي ابن عفان . وتفرق الناس بعد أن كادوا يقتتلون ولحق أبوموسى بمكة .

ولما أرسل على أباموسى الى التحكيم عارضه بعض الناس من أهل البصرة والكوفة ، وطلبوا اليه أن يرسل غيره ، فلم يقبل لسابقة عهده مع معاوية بذلك ، فتركوا البصرة وخرجوا عليه وأمروا عليهم عبدالله بن وهب في ١٠ شوال وقصدوا النهران ، ولما بلغ عليا خبر الحكيمين أنكر عليهما ، وقال ان هذين الحكيمين بسذا حكم القرآن واتبع كل واحد هواه واختلعا في الحكم فاستعدوا للسير الى الشام وأخذ يجرض الناس على حرب معاوية فاجتمع لديه ثمانية وستون مقاتلا ، وكانت الخوارج التفتت بعبدالله بن خباب الصحابي قريبا من النهران فلما عرفوه سألوه عن الشيخين (أبي بكر وعمر) فاثني عليهما وعلى عثمان ، فسألوه عن حال على قبل التحكيم وبعده : فقال انه أعلم الناس بكتاب الله فماتوه وقتلوا امرأته ، فلما بلغ عليا ذلك ندب الناس اليهم وسار الى النهران وأرسل الى الخوارج وكانوا أربعة آلاف يقول لهم ان من رجع الى الكوفة أو الى البصرة فهو آمن فرجع قوم منهم الى بلادهم وآخرون انضموا الى جيش على ولم يبق منهم إلا ألف وثمانمائة فحمل عليهم على بن معمر وقتلوه عن آخرهم في ساعة واحدة ، وقد قتل منهم عبدالله بن وهب ، وحر قوص بن زهير ، و اراد النهوض الى الشام فشكا اليه الناس التعب وعدم وفرة الدخيرة وطلبوا اليه أن يرجعوا الى الكوفة ليستعدوا للقتال وبعده و صولهم الى الكوفة بايام أخذ على يستحثهم على الخروج معه الى الشام وهم يتناقلون ولم ينشط معه أحد ، وكان عبدالله بن ملجم لحق بالحجاز مع البرك بن عبدالله التميمي ، وعمرو بن بكر التميمي



وثلاثتهم من الخوارج، وتذاكروا فيما فيه الناس من الحروب، وانفتحو على قتل عليٍّ ومعاوية وعمر بن العاص في ليلة واحدة، وأخذ ابن ملجم على نفسه قتل عليٍّ وسافر إلى الكوفة، وسار البرك إلى الشام لقتل معاوية، ومضى عمرو بن بكر إلى مصر لقتل ابن العاص وكان ولاء معاوية عليها بعد التحكيم. وأتى ابن ملجم إلى الكوفة، ولما كانت الليلة التي عاهد صاحبها عليها أتى المسجد. وجاء عليٌّ ونادى بالصلاة، فضربه ابن ملجم بسيفه على رأسه فوقع واستخلف على الصلاة جمعة بن هبيرة، وقبض الناس على ابن ملجم فاوثقوه وأتوا به عليا، فنادى بالحسن ابنه، وقال إن هلك فاقتلوه كما قتلتني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي. وكان ذلك فجر يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ. ومات عليٌّ بعد يومين قضاهما في صبح المسلمين ووصية أولاده. وبعد دفنه أحضر الحسنُ ابنَ ملجم وقتله بسيفه الذي قتل به أباه.

وقد اختلف الناس في المكان الذي دفن فيه عليٌّ: فمنهم من يقول انه دفن في قصر الكوفة، وبعضهم ذهب إلى انه وراء سورها، وبعضهم يقول انه دفن بمقامه الحالي في النجف. وكان عمره حمسا وستين سنة.

وكان له من الولد ١٤ ذكراً و١٨ بنتاً. والذكور هم: الحسن. والحسين. ومحسن: من فاطمة. ومحمد الأكبر المشهور بابن الحنفية. وأبو بكر. والعباس الأكبر. وعثمان. وعبد الله. ومحمد الأصغر. ويحيى. وعون: وقد قتلوا مع الحسين. وعمّر الأكبر. ومحمد الأوسط. وجعفر. وعقبه من الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس.

وبناته هن: أم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى من فاطمة. ورقية. وأم الحسن. ورملة الكبرى. وأم هاني. وميمونة. ورملة الصغرى. وزينب الصغرى. وأم كلثوم الصغرى وفاطمة. وإمامة. وخديجة. وأم الكرم. وأم سلمة. وأم جعفر. وجمانة. وتقية. وبعد موت علي كرم الله وجهه بايع أهل الكوفة ابنه الحسن، وعاهده أربعمائة ألفاً منهم على الموت دونه. وجدد أهل الشام البيعة لمعاوية وكانوا قد بايعوه بعد الحكمين فسار الحسن بحيشه قاصداً معاوية وعلى مقدمته قيس بن سعد، فأرسل معاوية من دس في جيش الحسن خسر قتل قيس، فاهتاج الناس لهذا الأمر وهاجموا على سراق الحسن ونهبوا ما فيه. ورأى الحسن

ان أهل الكوفة لا ينصرونه فقال الى حقن دماء المسلمين، وكتب الى معاوية يذكر له النزول عن الامر بشرط أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف، وخارج دارا مجرد من فارس . وأخبر بذلك أحاه الحسين وعبد الله بن جعفر فعذلاه فتركهما . وكان معاوية أرسل اليه عبد الله بن عامر يفاوضه في النزول عن الامر ومعه ورقة بيضاء مختومة بختم معاوية ليشترط فيها ما يشاء . فكتب فيها أضعاف ما في الصحيفة الاولى . فلما سلم له وطالبه بالشرط أعطاه ما في الصحيفة الاولى وقال هو الذي طلبت . وبهذا تم الأمر الى معاوية . وكان ذلك في منتصف عام ٤١ ، وسمونه عام الجماعة لان الناس رجعت فيه الى الاجماع على خليفة واحد .

### ﴿ الانصار ﴾

الانصار وهم الاوس والخزرج بطان من الازد، وكانت ديارهم مأرب باليمن، فهاجروا مع من رحل عنها بعد سيل العرم في القرن الثاني عشر قبل الاسلام، ومروا على يثرب وكانت قرية فيها أسواق ينصدها أهل الجهات المحاورة، وأهلها كانوا يهودا، وكانوا من بني النضير، وقرية يثرب، وبنو قينقاع وغيرهم . وكان لهم بها حصون يلجئون اليها عند الشدة . فنزل عليهم الاوس والخزرج على أن يكونوا تحت حكمهم، وما زالوا كذلك حتى كان ما كان من سوء سيرة العيطون أحد ملوك اليهود يثرب وظلمه وغشمه . فاستغاث الاوس والخزرج بملوك غسان، فساروا لصرتهم، وأوقعوا يهود يثرب . ومن ثم صار الحكم فيها للاوس والخزرج وشاركوا اليهود في أملاكهم، وأصبحت لهم عصبية عظيمة . ولهم حروب مشهورة لها أيام معدودة من أيام الجاهلية : منها يوم سمير، ويوم كعب، ويوم الربيع، ويوم البقيع . وكانت الاوس والخزرج أصحاب مجدة وهمة وشجاعة وأمانة . وقد كان أتى مكة بعض منهم للحج في مبدأ ظهور الدعوة الاسلامية، فعالمهم النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة على يسار الصاعد الى منى قبيل المدرج الذي في أسفلها ودعاهم للاسلام، وفرأ عليهم شيئاً من القرآن، فاجابوه وقالوا له ان بين قومنا شرأوعسى الله أن يجمعهم بك، فان اجتمعوا عليك فلا رجل أعز منك . فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم . وفي العام التالي وافي الموسم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلاً،

فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالمقبة الاولى ، فبايعوه البيعة الاولى ، وكان من ضمنهم رافع بن عجلان وعبادة بن الصامت ، ثم انصرفوا الى المدينة . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم قواعد الاسلام . فوصل المدينة واجتمع عليه رجال ممن أسلموا ، وسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا نبي الاشهل ، فذهب أسيد للايقاع به ، فقال له مصعب أوتحاس فتسمع ؟ فان رضيت أمرا قبلته ، وان كرهته كف عنك ما تكرهه . فقال أنصفت ثم جلس ، وكلمه مصعب في الاسلام وقرأ له شيئا من القرآن . فقال ما أحسن هذا ! وأسلم ، وانصرف واحتال على سعد حتى خذه الى مصعب . فقال له مقاتله الى أسيد ، وقرأ عليه قرآنا فأسلم سعد ، وباسلامهما أسلم القوم ، الا عددا قليلا أسلم بعد الهجرة . وعندها اتفق جماعة منهم على المسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فساروا الى مكة واجتمعوا عليه ليلا دون أن يعلم بهم أحد بعقبة الحديبية تحت شجرة كانت هناك وبمكها الآن مسجد يسمى بمسجد الشجرة ، وعاهدوه على أن ينصروه : فسامهم الانصار . وهالك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة ، وكان أول من قدمها مهاجرا أبو سلمة بن عبد الاسد . وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة هاجر الرسول الى المدينة ، وقدمها الاثني عشرة ليلة خلت منه ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وقدمهما دليلهما على قباء ، فنزل صلى الله عليه وسلم على كثوم بن الهدم ، وأقام بينهم أياما ، نبي فيها مسجدها ، ودعا الناس فيه لصلاة يوم الجمعة ، وهي أول جمعة في الاسلام ، خطب فيها عليه الصلاة والسلام . ثم سار الى المدينة فلما وصل الى مكان مسجده وكان مر بدأبي النجار وكانت منهم أم أيه عبدالله ، قال تامنوني به . قالوا لا نبغى به الا ما عند الله . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينبي مسجدها ، وأقام هو في دار أنى<sup>(١)</sup> أيوب الانصاري حتى نبي مسجده وبيته ( بيت عائشة ) . وكان بنى فيه بيد الشريفة هو والمهاجرون والانصار .

(١) ابوأيوب الانصاري مات في حصار القسطنطينية سنة ٦٨٨ ميسحية ، أي في نحو السنة السابعة والاربعين للهجرة ، وكان سار اليها مع الجيش الذي سيره معاوية لفتحها ، وله فيها مسجد شهر في نهاية خليج قرن الذهب ، وهو محترم جدا لدى المسلمين والنصارى واليهود على السواء في عموم الاساسة . وأهلها يسمونه السلطان أيوب .

وللمهاجرين كلية كمالية علمية وعملية : تعلموا فيها الاخلاق الفاضلة ، والمزايا العالية ،  
والسيرة الحميدة ، والتربية القويمة ، والبلاغة في الاقوال ، والمبالغة في محاسن الاعمال ،  
فبعد صيبتهم في جلائل الصفات ، ومكارم الاخلاق ، والشجاعة ، والقوة ، والمنعة ،  
وشدة البأس ، التي ظهر وابهها في جميع المواقف التي أمرهم رسول الله بها ، أو شهدها هو معهم  
رضى الله عنهم . فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وصار الامر بعده للمهاجرين واشتغل  
الناس بالفتح أخذ الانصار ينساحون في أطراف البلاد الاسلامية بعد اتساع دائرتهم ابتك  
الفتوحات المباركة حتى أصبح يسلمهم في المدينة الآن يكاد لا يكون له أثر . وسبحان من يرث  
الارض ومن عليها .

وكان أمر المدينة المنورة في صدر الاسلام موكولا الى الخلفاء الراشدين أنفسهم حتى  
اذا خرج علي رضي الله عنه الى الكوفة بعد سير أهل مكة اليها للخروج عليه باهلها ، ولحق علي  
المدينة سهل بن حنيف الانصاري وهو أول ولاية المدينة في الاسلام .  
ومن هذا الوقت صار مركز الخلافة بعيداً عن المدينة وصارت ولايتهم منفصلة عن ولاية  
مكة وكلتا همتا تابعة لمركز الخلافة مباشرة . وكان الخلفاء يعينون في العناية بهما وينتخبون  
لهما ولاية من رجال الفضل والاصلاح ، حتى اذا داخل الضعف الخلافة العباسية وأخذت  
عمال النواحي تتغلب على أطرافها وتغلب على مكة بنو الاخضر في نحو منتصف القرن الثالث ،  
أخذت يدهم تتطاول الى المدينة المنورة . وما زال الحكم في المدينة مرتبكا حتى استتوات  
القرامطة على مكة فزاد ارتباكا . ولما استتوات الاشراف الحسنيون<sup>(١)</sup> على أم القرى في  
منتصف القرن الرابع جعلت ولاية المدينة للاشراف الحسينيون ومارالت في أيديهم الى  
سنة ١٠٩٩ ، وفيها صدر أمر الدولة العلية بتبعيتها لولاية الحجاز الى الان .

وهالك جدولا بولاية المدينة أخذنا أغلب أسماءهم من كتاب مرآة الحرمين واستخرجنا من  
ابن الاثير وغيره تواريحهم الى آخر زمنه ولم نوفق لوضع تواريح كثير ممن بقي بعده .

(١) كان ابو الحسن وبنو الحسن يلقون بالاشراف حتى جاء الشريف أبو عمى فحصر الحسينيون  
بلقب اشراف وخس الحسينيون بلقب سادة : فيقولون الاشراف الحسينيون ، والسادة الحسينيون .

## ﴿ جدول أمراء المدينة المنورة (عن كتاب مرآة الحرمين) ﴾

سنة هـ	الأمير	سنة هـ	الأمير
١٢٥	يوسف بن محمد	٢٦	سهل بن حنيف الأنصاري
١٢٧	عبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز	٤٠	خالد بن زيد أبي أيوب الأنصاري
١٣٠	محمد بن عبد الملك بن مروان	٤١	مروان بن الحكم
١٣٢	داود بن علي	٤٩	سعيد بن العاص
١٣٣	يزيد بن عبيد الله بن عبد الممدان الحارثي	٥٤	مروان بن العاص
١٣٤	زياد بن عبيد الله	٥٧	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان
١٤١	محمد بن خالد بن عبد الله القسري	٦٠	عمرو بن سعيد بن العاص
١٤٤	رباح بن عثمان المري	٦١	الوليد بن عتبة (ثانيا)
١٤٥	عبد الله بن الربيع الحارثي	٦٢	عثمان بن محمد بن أبي سفيان
١٤٦	جعفر بن سليمان بن علي	٦٣	عبد الله بن الزبير بن العوام
١٥٠	الحسن بن زيد بن الحسن بن علي	٦٥	مصعب بن الزبير
١٥٥	عبد الصمد بن علي بن عبد الله	٦٧	جابر بن الأسود
١٦٠	محمد بن عبد الله الكثيري		عمر بن عبد العزيز
	زفر بن عبد الله		عثمان بن حبان
١٦٦	ابراهيم بن يحيى		أبو بكر بن محمد بن عمرو
	اسحاق بن عيسى	٧٠	طلحة بن عبد الله
١٦٩	عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر	٧٣	طارق بن عمرو
١٧٠	اسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله	٧٤	الحجاج بن يوسف الثقفي
	عبد الملك بن صالح	٧٦	أبان بن عثمان
	محمد بن عبد الله	٨٢	هشام بن اسماعيل
١٧٨	محمد بن ابراهيم	١٠١	عبد الرحمن بن الضحاك
١٨٠	موسى بن عيسى بن موسى بن محمد	١٠٤	عبد الواحد النضري
	ابراهيم بن محمد	١٠٦	ابراهيم بن هشام المخزومي
	علي بن عيسى	١١٤	خالد بن عبد الملك
	عبيد الله بن مصعب	١١٥	محمد بن هشام

رقم التولية	الاسم	رقم التولية
٥٤٥	نكار بن عبد الله	٥٤٥
	محمد بن علي	
	أبو البجترى	
	وهب بن منبه	
	داود بن يحيى	
٢٠٤	عبدالله بن الحسين بن عبدالله	
٢٠٩	صالح بن العباس بن محمد بن علي	
٢٢١	محمد بن داود بن عيسى بن موسى	
٢٣٧	علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور	
٢٣٩	عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى	
٢٤٣	عبدالصمد بن موسى	
٢٤٥	محمد بن سليمان الزبيدي بن عبدالله	
٢٤٩	عبدالصمد بن موسى (ثانيا)	
٢٥٠	جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى	
٣٣٣	مسلم بن عتبة بن محمد الميلي	
	أبو القاسم مسلم بن أحمد	
	اسحاق بن محمد بن يوسف بن جعفر	
	حسن بن طاهر الحسيني	
	أبو علي طاهر الحسيني	
	مهنا بن أبي هاشم وداود بن قاسم	
	أبو عمارة الحسيني	
	حسين بن محييط بن أحمد بن حسين	
	شهاب الدين بن أبي عمارة بن مهنا	
	مهنا الاعرج الحسيني بن حسين	
	حسين بن مهنا الاعرج الحسيني	
	أبو عبدالله بن مهنا الاعرج الحسيني	
٥١٨	أبو فليته قاسم بن مهنا	١٠٩٩
	هاشم بن أبي عبدالله الاعرج	
	جماز بن قاسم	
٦٣٥	شيخة بن هاشم	
٦٦٨	أبو سندن جماز	
	منيف بن شيخة	
	مهيل بن شيخة	
	كش بن المنصور الحسيني	
	فضيل بن المنصور الحسيني	
	عطية » » »	
٧٨٣	محمد بن عطية » »	
٣٨٨	عمير بن قاسم الحمارى	
	ثابت بن نصير الجمازى	
	عجلان بن نصير الجمازى	
	عزيز بن منار ع	
٨٢٥	حسن الجمازى الحسيني	
	إيسان » »	
	ماع بن علي بن عطية بن منصور	
	ويتان بن ماع	
٨٣٩	قايتهاي بن ماع الجمازى	
	سليمان بن عزيز بن منار ع الجمازى	
	إيسان الجمازى (ثانيا)	
	سليمان »	
	زهير بن ايسان	
	فسيطل بن زهير بن ايسان	
	زهير بن ايسان (ثانيا)	
	حسين بن زهير .	

## سفر الحجيج من المدينة الى مصر

الطريق من المدينة ينقسم بالنسبة للحجاج الى أربعة طرق ، طريق نجد ولا يسلكه الآن الا عرب تلك الجهات غالباً ، وطريق الوجه : وهو الذي سلكه المرحوم سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٧ هجرية حياً فصد زياره قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . ومحطات هذا الطريق هي : المدينة المنورة ، ثم آبار عثمان . ( وفيها ماء ومزارع وساتين ) ، ثم محطة الضعيني ( وماؤها قليل ) ، ثم محطة المليح ( وماؤها حلو ) ، ثم محطة الشجوى ( وماؤها كثير ) وكانت محقق ومفترق المحملين الشامي والمصري في سفرهما معاً ، ثم محطة أبي الحلو ( لخلوة مائها ) ، ثم محطة الفهارات ( ولا ماء فيها ) ، ثم محطة الفير ( وماؤها عذب ) ثم محطة مطر ( ولا ماء فيها ) ، ثم محطة الخوثة ( وماؤها عذب ) ، ثم محطة أم حرز ( ولا ماء فيها ) ، ثم قرية الوجه . ومنها كانوا يسرون الى السويس براً أو بحراً .

وطريق ينبع : وهو الطريق الاكثر استعمالاً ، ومنه يرجع سواد الحجيج المصري والروسي والمغربي ، والسوداني ، والمني والجاوي ، والهندي ، وغيرهم . وهذا الطريق ينقسم الى شعبتين : شعبة قبيل الحمراء تمر على ينبع النخل ومنها الى ينبع البحر ، وعربان هذا الطريق من جهينة ، وأرضه رملية ناعمة . والشعبة الاخرى بعد الحمراء تمر على نهب القار ( نهب على ) وهو مرصع بين جبلين شاهمين في طريقه كثير من الاحجار الضخمة على طول نحو ٢ كيلومتر ولا تمر منه الجمال الا جملاً ، وفي الغالب ينزل عنها ركابها لتعسر السير عليها فيه ، ويسمون هذا النقب قلعة حرب لمنعة الجبال التي تشرف عليه ، ومنه يخرج المسافر الى الصحراء التي توصله الى ينبع البحر .

وهذا الطريق من الحمراء يصفه الشرقي للحوازم ، ونصفه الغربي للاحامدة . ومتوسط المسافة بين المدينة المنورة وينبع ٢٣٠ كيلومتراً ، فاذا أضفنا اليها ٤٥٠ كيلومتراً ما بين المدينة ومكة ، و ٤٠ من مكة الى عرفة ذهاباً وإياباً ، و ٨٠ من جدة الى مكة ، يكون مجموعها ثمانمائة كيلومتر ، وهي كل ما يركبه الآن الحاج المصري براً .

فاذا وصل الحجاج الى ينبع انتظروا بها المراكب التي تنقلهم الى بلادهم، وغالباً ينتظرون فيها أياماً كثيرة لعدم انتظام حركة نقلهم الناشئ\* عن قلة المراكب . وهناك يكثر عناؤهم ويسوء حالهم وتشتد فاقتهم ، وتفتك فيهم الامراض لكثرة الاقذار التي تحيطهم من فضلاتهم ، وخصوصاً من عدم صلاحية مياه الشرب .

وقد رتبت الحكومة المصرية لهم كونداسه في زمن الموسم ترشح لهم ماء البحر ولكن عمالها غير منتظم وماؤها لا يصرف الا باذن خصوصي لا يصل اليه فراء الحجيج . ولا أظن الا أن هذا من تعنت العمال الذين يجدر بحكومةتنا السنية أن تشدد عليهم كل التشديد في القيام بواجبهم .

وياحبذا لو انتهت الى ذلك الحكومة العثمانية الجديدة ، وأسعفتها شركات السفن وخصوصاً الشركة الخديوية ، فانهم يخففون عن الحجاج المساكين كثيراً من عنائهم مما يشكرهم عليه الانسانية .

ومن ينبع يصل حجاج مصر الى الطور لتمضية أيام الكورنتينا ان كان هناك حجر صخبي : وهو مكان فسيح على طول ٣٣ درجة و ٣٧ دقيقة وعرض ٢٨ درجة و ١٤ دقيقة و بينه وبين السويس ١٢٥ ميل ، ومن هناك تأتي بشارت الجحاح بوصولهم الى مصر بالسلامة على لسان الرق أو البريد ، وكانت قبلهما تصل عن يد بعض الافراد الذين كانوا يحضرون من مصر لهذا الخصوص و يعودون من الطور أو الوجه بما يبشروا أهل الجحاح بسلامتهم نظير الباشيش التي كانوا يأخذونها .

والطور قرية صغيرة على شاطئ خليج السويس الشرقي ، وأغلب سكانها من الاقباط والاروام ، وفي ضواحيها كثير من البدو ، ويقرب منها عين ماء ساخن عليها بناء لعباس باشا الاول يسمونه حمام موسى ، ويقولون انه نافع للامراض الروماتزميه . وعلى مسافة يومين بالجمال من هذه القرية دير الطور المشهور ، وفيه بساين تنتج كثيراً من العاكة ، وفي شماله بشرق جبل المناجاة الذي كلم الله عليه موسى وذكره في القرآن الكريم في غير موضع ، ويقصد هذا الدير حجاج الروس بعد نزولهم من بيت المقدس فيزورونه ثم يرجعون الى بلادهم . وفي شرق هذه القرية محجر الطور ، وهو في نقطة صحية جداً وفيه مباحر وافيسة بالغرض ، وأخذية



مرتبة، و بناؤها نظيف، وفيه اسبتياليات على غاية من النظام، ولكل مرض قسم مخصوص منها. ولقد أصبح هذا الحجر بعناية الحكومة المصرية أحسن حجر صحي في العالم . ولا شك أن بعض الصعوبات التي يلاقها فيه الحجاج لا بد وأن تزول قريباً بحسن عناية الحكومة واستمرارها على الاهتمام براحة الحجاج .

أما الطريق الرابع فهو طريق السكة الحديدية الى الشام وهو الذي افتتحتته الدولة العلية رسمياً بأول قطار للمدعوين الى هذا الاحتفال وصل الى المدينة المنورة في ثالث شعبان سنة ١٣٢٦ الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٠٨ . وتسافر عليه الآن حجاج الشام والترك والروسيا وكثير من المصريين وخصوصاً برسم الزيارة .

وإبانتمها للفائدة نقول لك ان المسافة بين المدينة المنورة ودمشق الشام تبلغ ١٣٠٢ كيلو متر، والى حيفا ١٣٣٣ كيلو تقطعها الواورات في أربعة أيام تقريباً، ومتوسط سيرها في ٨٠ ساعة . وسير القطارات من الشام الى معان على متوسط ٣٠ كيلو في الساعة، ومن معان الى المدينة على متوسط ١٥ كيلو في الساعة . وأجرتها في الدرجة الاولى من حيفا الى المدينة دهايا وإياناً أربعة عشر جنياً ، وفي الدرجة الثالثة نصف هذا القدر ، وليس فيها درجة ثانية إلا أن عربات الدرجة الاولى ضيقة وفي كل عين منها ستة مقاعد منفصلة بحواجز (مساند) ثابتة ، والمسافر فيها الى المدينة يعاني مشمات كبيرة، وخصوصاً في الليل الذي يقضيه كما يمضى النهار جالساً . وكان الاولى بها أن تكون ذات أربع مقاعد يمكن تجهيزها ليلا الى أربعة أسرة لنوم المسافرين فيها . لذلك ترى كثير أمن الركاب يفضلون ركوب الدرجة الثالثة وخصوصاً عربات البضاعة حيث يمكنهم أن يفرشوا بها فرشهم ويامون ويجلسون على راحتهم . وأملنا في رجال الدولة حرسها الله أن يفكروا في ذلك حتى تكون عربات الدرجة الاولى وافية براحة المسافرين في هذه المسافة الطويلة .

﴿وهالك جدولا بمحطات الطريق الحديدي من دمشق الى المدينة﴾

جدول أسماء المحطات

٣٠٤

المحطات التي فيها ماء	المحطات التي فيها ماء	المسافة بالكيلو	أسماء المحطات	المحطات التي فيها ماء	المسافة بالكيلو	أسماء المحطات
	٧٦١	٥٩٥	حالات عمار	☆	٦٨٦	قدم شريف
☆	٦٩١	٦٠٨	دات الحج	☆	٧٣٥	كسوة
☆	٧٤٧	٦٣٢	بزمهر ماس		٧٠٠	دير على
	٧٥٤	٦٥٤	الهضم	☆	٦٢٠	مسجد
	٧٥٠	٦٧٧	المحط		٦٤٣	جباب
☆	٧٧٥	٦٩٢	تنوك		٦٢٤	خب
	٨٤٤	٧٢٠	وادي الاتيل		٦٠١	محجة
	٩٠٤	٧٤٤	دار الحج		٥٩٩	شعرة
	٩٥٠	٧٥٥	مستنقة		٥٨٧	أدرع
☆	٨٨٢	٧٦٠	الاخير		٥٧٥	خرابة العرالة
	٩٠٨	٧٨٢	جنس	☆	٥٢٩	الدرعان
	٩٦٤	٨٠٥	دي يسعد		٥٨٦	نصيب
☆	٩٨١	٨٢٢	المعظم	☆	٧١١	المفرق
	١٠٣٣	٨٥٣	خشم صماء		٥٥٨	خرابة السمراء
	١١٠٣	٨٨٠	الدار الحمراء	☆	٦١٧	الرفاء
	١١٥١	٩٠٤	المطلع	☆	٧٣٧	عمان
	٩٦٦	٩١٨	أبو طاقه		٩٤١	القصر
	٩١٤	٩٣٠	المرحم		٧٧٢	لوي
☆	٧٨١	٩٥٥	مداين صالح	☆	٧٢١	الخيرة
☆	٦٨٤	٩٨٠	الملا		٧٥٢	الصنعة
☆	٦٠٣	٩٩٩	الندايح		٧٨٢	حار ريب
	٦٧٠	١٠١٢	مشهد		٧٥٨	سواق
	٦٠٠	١٠٣٤	سهل المطران	☆	٧٨٣	قطرانة
	٧١٤	١٠٤٩	رمرد		٨٤٠	ميرل
	٧٣٩	١٠٧٢	البرالحديد		٨٩٣	قرية
	٦٧٠	١٠٩٠	الطوبيرة	☆	٨٢٢	الحسا
	٤٦٠	١١١٦	المدرح	☆	٩٥٨	حروقة الدراويش
	٣٨٥	١١٣٣	هدية		١٠٥١	عرة
☆	٤٥٧	١١٥٥	حداعة		١٠٨٠	وادي الخردون
	٤١٨	١١٤٣	ابوالنعم		١٠٨٤	ممان
☆	٥٣٠	١١٨٩	اصطبل عنتر		١٠٠٠	عدير الحج
	٤٧٢	١٢٠٨	بور		٩٩٦	بر الشيدية
	٤٨٩	١٢٢٨	ديار ناصف		١١٥٢	عقة
☆	٥٣١	١٢٤٧	بواط		١١٢٥	بطن العول
	٥٤٠	١٢٦٨	الخمية		٩٩٤	وادي الرم
☆	٧٥٠	١٢٨٧	الحيط		٨٥٠	تل الشحم
	٦١٩	١٣٠٢	المدينة المتورة		٨٠٦	الرملة
				☆	٧٣٤	المدورة

ومن محطة الدرعا يخرج فرع جديد الى حيسا ومحطاته هي : المريرب و تل شهاب و ارزون و وادي كليب و القارون و شعرة و صراح و الجمه و حيسر الحامم و بيسان و العنوله و الشمال و حيفا

## المحاجر والكورنتينات

لفظ كورنتينه أو كارانتينه أصله فرنساوى ( Quarantaine ) ومعناه الشئ الذى يبلغ عدده تقريبا إلى أربعين . والفرنج يقولون ان جمهورية فينسيا ( البندقية ) لما رأت أن الاوبئة كانت تأتي إلى أوروبا من طريق الشرق ومن بلاد المغرب بشمال افريقية، اهتمت لهذا الامر، لان مرابها هي التي كانت تصل الشرق بالمغرب، وعيدت لأول مرة سنة ١٣٤٨ مسيحية ضباطا صحيين كانوا يقومون بتفتيش السفن التي كانت تأتي من الخارج إلى ثغورها البحرية . وفي سنة ١٤٠٣ أقامت أول محجر صحى سمته لازاريت ( Lazarette ) وجعلته في جزيرة صغيرة قريبة منها بالبحر الادرياتيقي اسمها سانت ماري دونازاريه ( Sainte Marie de Nazareth ) وكانت تحجر فيها على البضائع والاشخاص القادمين على بلادها من الشرق . ومشى على أثرها في القرن الرابع عشر والخامس عشر ثغور البحر الابيض المتوسط العظمى ، فاقامت جنوه محجرا صحيا سنة ١٤٦٧، وأقامت مرسلية محجرا في سنة ١٥٢٦ . وأول من اتخذ الاحتياطات الصحية ضد الطاعون في بلاده هو الملك رينيه ( René ) ملك نابل ( نابولي ) في سنة ١٤٧٦ م وزادت العناية بها في سنة ١٦٥٦ م التي فشا الطاعون فيها ببلاد ايطاليا كلها حتى أنهم كانوا يحرقون الموتى لعدم استطاعتهم دفنهم .

ولما ظهر الوباء الاصفر في كاتالونيا (مقاطعة اسبانيا عاصمتها برشلونه) اهتمت أوروبا لهذا الامر وعملت فرنسا قانونا للكورنتينات في ٣ مارس سنة ١٨٢٢ وهو أساس النظم الصحية للمحاجر . وقد أدخل على هذا القانون تعديلات مهمة في ١٧ اغسطس سنة ١٨٤٧ ثم في ١٠ اغسطس سنة ١٨٤٩ ثم في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٥٠

هذا ما كان في أوروبا بخصوص الكورنتينات، أما بمصر فان (محمد علي) ذلك المصلح الكبير فكر في ضرورة اشاء مجلس صحى بها وشكل في سنة ١٨٢٠ ميلادية مجلسا كانت أعضاؤه من حكماء الجيش وصيدليته . وفي سنة ١٨٢٥ أدخل كلوت بك على هذا المجلس

نظامات جمعة وسماه مجلس الصحة العمومي . ولما دخلت الكوليرا في مصر سنة ١٨٣١ زادت  
عناية محمد علي بهذا المجلس وادخل اليه نظامات الكورثينات باورو باخدمة للاموور الصحية  
والتجارية في جميع البلاد الواقعة على البحر الابيض المتوسط، فجمع قناصل الدول وشكل  
منهم لجنة للنظر في الامور الخاصة بالكورثينات وأصدر بذلك ذكر يتو في ١٨ أكتوبر سنة  
١٨٣١، وفي سنة ١٨٣٢ بنى بالاسكندرية أول محجر صحي ( Lazarette ) في الشاطبي،  
ولا يزال الاسكندريةون يسمونها مظر يطه أو الاظار يطه الى الآن .

وكان من ضمن هذا المجلس عضو مصري اسمه طاهر بك، وكانت له الكلمة العليا في أعمال  
المجلس لتأقب فكره وكبير همته والعناية التي كان يبذلها في مصادمة ذلك الوباء الذي ذهب  
بأغلب السكان في الوجه البحري . وفي أواخر سنة ١٨٣٩ التي محمد علي هذا المجلس  
القنصلية ولم يحفل باحتجاجات الدول عليه في هذا الصدد وشكل ادارة الصحة العمومية  
بمصر وجعل رئيسها ناظر الاشغال العمومية والتجارة وجعل لها سبعة أعضاء : منهم طاهر  
بك السابق ذكره، وستة انتخبهم الحكومة المصرية من أعيان التجار . وفي مدة عباس باشا  
الاول أهمت هذه النظامات الصحية، فطلبت منه الدول الرجوع الى النظامات الاولى  
القنصلية فلم يجب طلبها بل ولم يعرها أية التفاتة . فاخذت فرنسا تسمى جهدها في تشكيل  
مؤتمر دولي صحي من الدول ذوات المصلحة في البحر الابيض المتوسط فتم لها ذلك واجتمع  
هذا المؤتمر في باريس وكان فيه أعضاء من فرنسا ومرسليا والنمسا واسبانيا وايطاليا واليونان  
والبورغونغال وسردينيه والروسيا وتسكانيا وتركيا، وعملوا قانونا في ٤ يونيو سنة ١٨٥٣ راعوا  
فيه السهولة في الحجر خصوصا على البضائع : لان العلم كان وصل باكتشافاته المقيدة الى ان  
أغلب الاوثنة ليست معدية . ولم توافق اسكترا على قرارات المؤتمر واتخذت احتياطات  
خصوصية لموانئها .

وكان من نتيجة هذا القانون أن تشكل مجلس صحي دولي في الاستانة ومجلس في  
الاسكندرية ووظيفتهم اعلان أمر الاوثنة عند ظهورها وعمل الاحتياطات اللازمة  
للقوف في وجهها حتى لاتصل الى أوروبا، ولقد تقر رأياً تعيين بعض اطباء يركبون

البحر على الدوام الى الشرق الاقصى ليرسلوا الى المجلسين بملاحظاتهم الصحية على البلاد التي يمرون عليها .

وعليه فقد اهتم سعيد باشا وشكل في سنة ١٨٥٤ مجلساً صحياً والحقه بنظارة الداخلية في ٢١ ابريل سنة ١٨٥٧، وجعل من حقه النظر في الامور الصحية من داخل البلاد، كما شكل لجنة للنظر في الامور البحرية الصحية (الكورنتينية)، وكانت يد هذه المصلحة الاخيرة مغفولة عن التصرف بدون ارادة الحكومة المصرية الى سنة ١٨٨١ التي صدر في ٣ يناير منها ذكر يتو بفصل ادارة المصلحتين عن بعضهما ، وذلك بناء عن اتفاق من الدول مباشرة ، وسميت الاولى مصلحة الصحة العمومية وجعل مقرها مصر، وسميت الثانية مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية وجعل مقره بالاسكندرية، ثم تغير هذا الذكر يتو بذكر يتو آخر صدر بتاريخ ١٩ يونيو سنة ١٨٩٣ بناء على قرارات مؤتمر باريس المنعقد في السنة المذكورة . وهذه الكورنتينات كلها لم يكن الغرض منها الحجر على الحجاج لان سفرهم من وإلى مكة كان على طريق البر، وكانوا يفتكرون أن طول مسافة هذا السفر مطهرة لهم من الاوثة، الا أن شدة كولي اسنة ١٨٥٨ في بلاد الحجاز جعلت أغلب الناس يفر منها الى مصر من طريق البحر على القصير . فاحتاطت الحكومة المصرية لهذا الامر وضربت الحجر على الحجاج لأول مرة في بئر عنبر في وسط المسافة بين القصير وقنا . أما الحجاج الذين سافروا مع القافلة عن طريق العقبة فامنعهم من الدخول الى السويس وضربت عليهم الحجر في عجرود .

ومن هذا العهد اواضرورة اقامة معجرجحى في الطور الا أن مؤتمر القسطنطينية رأى الاستعاضة عن الطور بالوجه لان سواد الحجاج كان يسافر عليه براً، واستمر الحجر فيه أو في رأس ملعب على ركاب القوافل ، وفي الطور أو عيون موسى على ركاب البحر كلما كانت تقضى بذلك الضرورة الى سنة ١٨٧٧ التي من ابتدائها كثر سفر الحجاج من طريق البحر . وهناك أخذت الحكومة المصرية في اكمال الاستعدادات في الطور حتى طارت في سنة ١٨٩٣ واقية بالعرض منها . ومن ثم أصبحت هي المكان الوحيد الذي تعمل فيه الكورنتينات على الحجاج المصريين أو الذين يمرون على مصر ولا تزال الاصلاحات تدخل اليه من وقت الى آخر

ومن المعجب أنه قد ورد في مادة ( Lazarette ) بقاموس لاروس الكبير، ان بعض الافرنج قال ان أصل هذا اللفظ أتى من الكلمة العربية ( الازهرية ) وذلك لان الازهر بصرا عما هو ملجأ للعميان والشيوخ المتقاعدين ، وهو كلام أساسه الجهل المطبق أو التحامل على الازهر والازهريين ولو أنصف القوم لعرفوا هذه الجامعة الاسلامية حقها في خدمة العلوم على اختلاف أنواعها . فكم لها آيات من العرفان على نبي الانسان تذكر فتشكر . ولا غرو فاهتمام الجناب العالي الخديوي وحكومته السنية بالازهر الا ان لا بد وأن يجعله يوماً من الايام في مقدمة الجامعات الكبرى نظاماً واحكاماً .

أما كلمة لاراريت ( Lazarette ) فهي لاطينيه معناها ( Ladre ) يعني الابرص أو المجدوم . وكانت الدولة الرومانية تبالغ في الحجر على المجدومين بل كانوا يضعونهم تحت الحجر طول حياتهم وكان عقاب من يخرج عن نطاقه منهم أن يضرب بالرصاص ، وهو قانون حق لولا أنه مبالغ في شدته ، وقد ورد في الحديث الشريف « فر من المجدوم فرارك من الاسد » . وقد أقام الوليد بن عبد الملك الملاجي في انحاء دولته وجمع اليها المجدومين وأجرى عليهم الارزاق وهو أول من أقام الملاجي من هذا القبيل .

هذا هو تاريخ الحجر الصحي عند الافرنج . ولكن يرى المطالعون على التاريخ أن المسلمين رأوا ضرورة هذا الحجر قبلهم . فقد ورد في تاريخ ابن الاثير في اخبار السنة الثامنة عشرة من الهجرة ما نصه :

وكان عمر بن الخطاب قدم الى الشام في مدة ذلك الطاعون ( وهو طاعون عمواس الذي فتك باهل الشام فتكاذر يماً ) ، فلما كان يسرع وهو موضع قرب الشام بين المغيثة وتبولك لقيه أمراء الاجناد منهم أبو عبيدة بن الجراح ، فاخبروه بالوباء وشدته ، وكان معه كثير من المهاجرين والانصار لانه خرج بهم غازياً . فجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلّفوا عليه : فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ، ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا تری ان تقدم عليه ، فقال لهم قوموا ، ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود ، فنادى عمر في الناس اني مصابح على ظهر ، فقال أبو عبيدة أفرار من قدر

الله ؟ فقال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ( يعني لانتقمتم منه ) نعم نفر من قدر الله الى قدر الله .  
 رأيت لو كان لك ابل فهبطت وادياه عدوتان : احدهما منخصة ، والاخرى مجدبة ، أليس  
 ان رعيت المنخصة رعيتها بقدر منه ، وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر منه ؟ وكان عبد الرحمن بن  
 عوف غائباً فحضر فاخبر أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً في ذلك وهو قوله صلى الله  
 عليه وسلم « اذا سمعتم بهذا الوباء ببدا فلا تقدموا عليه واذا وقع ببدا وأتم به فلا تخرجوا فراراً  
 منه » فكان ذلك الحديث موافقاً لما رآه عمر رضي الله عنه فاصرف بالناس الى المدينة .  
 وقد ورد هذا الحديث بالبخارى في الجزء الرابع نكتاب الطب بهذا النص : حدثنا حمص  
 ابن عمر حدثنا شعبة قال اخبرني حبيب بن أبي ثابت قال سمعت ابراهيم بن سعد قال سمعت  
 أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بارض  
 فلا تدخلوها واذا وقع بارض وأتمها فلا تخرجوا منها » ، وقال شراح الحديث ان المنع من  
 الدخول لا يتناول من كانت للمرضى مصاحبة في دخوله كالاطباء وغيرهم . وهل هذا الحديث  
 الشريف الا قانون صحى وضع للناس قبل اول قانون وضعته فينسيا ( البندقية ) ثمانية فرون

~\*~\*~\*~

## الطريق الى الحرمين في غابرة وحاضرة

﴿ ولقب الحاج عند عامة المسلمين ﴾

كانت طريق الحجيج الى بيت الله الحرام كلها مشمات وأخطاراً في الزمن السابق بما  
 كانت تلقيه يد الطبيعة في سبيلهم من الشدائد الطبيعية التي كانت تقتك بسوادهم في الطريق  
 من حر الصيف وقرّ الشتاء ، أو جفاف ماء الابار في هذه الصحراء المحرقة ، وما كان  
 يدهمهم فيها من السيول التي أشد ما حصلت في سنة ١١٩٦ حيث اجتاحت نصف الحجيج  
 المصرى بين مكة والمدينة . وعدا هذه الشدائد الطبيعية فكثيراً ما كانت توقع بهم يد أشرار  
 الاعراب ، وأقسى ما وقع لهم في سنة ١٢٠٠ ، وكان أمير الحاج المصرى أمسك بعض لصوص  
 حرب في طريق المدينة ووسمهم بالنار على خدودهم . فصرخت صرختهم وتلاحقت به

قبائل حرب وحملوا عليه فهرب مع عسكره ووقعت الحجاج بين أيديهم فأفنوهم عن آخرهم وأخذوا ما كان معهم من سلب وذخيرة . وكثيراً ما كان تجاذب السلطة بين أشرف مكة وبعضهم ، أو حربهم مع قبائل الأعراب ، أو اختلاف أهل مذهب مع أهل مذهب آخر : يقفل في وجوه الحجاج أبواب مكة أو المدينة بعد وصولهم إلى هذه أو تلك فيرتدون عن الأولى من غير تأدية المناسك وعن الثانية بدون زيارة السيد الرسول ، ويعودون إلى بلادهم وقد أضفوا على متاعهم الأولى مشقات جديدة تزيد في شدتها عليهم إلا مهم المعنوية من حرمانهم من أمنيته فتضعف قواهم وتخور عزائمهم ، وغالباً ما كانت نشتهم بد الفوضى وتعرض بهم حال الضعف إلى النهب والسلب !! كل ذلك كان يحصل لحجاج بيت الله الحرام والناس لا يمنعهم عنه مانع ولم يسمع أنهم انقطعوا عنه من أنفسهم في سنة من السنين ، اللهم إلا ما قعد ببعضهم من غير جزيرة العرب أيام القرمطي والوهابي لأن الطريق كانت مقطوعة عليهم ، ولم يسمع بان جميع المسلمين أهملوا هذا الواجب مطلقاً ولم يقف أحد منهم بعرفة من مبدأ الإسلام إلى الآن ، إلا في سنة ٦٥٤ التي لم ينج فيها أحد للفتنة التي كانت بين الأشراف على إمارة مكة : لذلك كانت الحجاج إذا طلعوا إلى أداء هذه القرية كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم كأنهم سائرون إلى دار حرب لا إلى دار قد آمن الله فيها حياة الألسان والحيوان بل وحياة الأشجار ، فإذا عادوا إلى بلادهم استقبلهم أهلهم وذوهم بالطبول والزمر فيقيمون لهم الأفراح والليالي الملاح بعدان يعدوا لهم كل ما فيه راحتهم ورفعهم من نقش الدور وتجديد ما قدم عهدده فيها من فرش وغيره لا فرق في ذلك بين أمير أو فقير . وكانت الطبقة الصغرى ، وهي سواد الحجاج وأكثرهم مشقة طبعاً ، تزوق لهم وجهات منازلهم : فيرسمون عليها صورة الحمل وقافلته وحرسه ويرسمون إلى جانبها نخلة قدر بط إلى جذعها سبع وضيع في سلسلتين من حديد ويقرب منهما رجل قد أشهر سيفه في يده إشارة إلى أن صاحبنا حفظه الله تغلب بقوته وشجاعته على ما صادفه في طريقه هذا من المخاطر والمهلك .

لذلك كان ولا يزال لقب الحاج عند سواد المسلمين أشرف الألقاب التي يتحلى بها صدر أسماء الطبقة الصغرى ، وهو يدل على ما يمتاز به الشخص من صفات الشهامة في الشبان ، فإذا



قيل لو اُحد منهم يا حاج فلان يعنى يا أيها الشهم الشجاع ، أما اذا القبت به الشيوخ والكهول فأنما يكون ذلك اشارة لكمال يقينهم ومثانة دينهم الذى تحملوا فى طريقه الالهوال التى تشيب منها الاطفال .

على أن طريق الحاج أصبح اليوم أقل صعوبة منه فى أمسه ، لذلك ترى الحاج فى عودته يستقبل ببساطة مما كان يستقبل به فى الزمن السابق . و قليلا ما تراهم بمصر يرسمون شيئاً على دور الطبقة الفقيرة ، اللهم الا محملاً يسير فى جنده والى جانبه مركب بخارية أو قطار سكة حديد مما لا شئ فيه من معنى المشقة التى كان يصادفها الحاج فى طريقه فى الزمن السابق . وفى الحقيقة فان طريق الحاج اليوم أقل صعوبة وأكثراً أمناً منه بالأمس ، بل لانسبة بين الحالتين بالمرّة . وما دام طريق الحرمين أصبح محل اهتمام دولتنا العملية فلا بد أن يأتى يوم قريب يتدلل ما بقى فيه من الصعوبات ، خصوصاً اذا تحقق خسر تسيير الطريق الحديدى بين المدينة ومكة وبين هذه وجدة ، والله الهادى الى سواء السبيل .

## سفر الجناب العالى

### من المدينة الى مصر

فى فجر يوم السبت ١٥ يناير سنة ١٩١٠ الذى قرر الجناب العالى سفره فيه من المدينة المنورة الى تبوك ، قصد حفظه الله الحرم الشريف ، و بعد صلاة الصبح ، أدى خدمته فى الحجرة الشريفة ، وزار زيارة الوداع ، ثم قصد المحطة التى اكتظت رحباتها بمجموع الاعيان والاشراف والمأمورين والملكيين والعسكريين ، وفى مقدمة السكل حضرات العلماء ونقيب الاشراف والمفتى والقاضى وخازن دار الحرم الشريف ومديره وسعادة رضا باشا محافظ المدينة المنورة . فصاحفهم حفظه الله واحداً واحداً ، وركب صالونه الخاص ،

شاكر لهم ما فيه من آدابهم ولطف أخلاقهم أثناء إقامته بالمدينة ، وركب في خدمة جنابه  
العالى سعادة قد فتر دار المحاذرة وحضرة المهتمندار الخصوصي الذي تعين لسموه من قبل  
حكومة الحجاز ، ثم تحرك القطار في شروق الشمس تماماً قاصداً تبوك ، بين طلقات  
المدافع وعزف الموسيقى وهتاف الأهالي .

وكان قطار المعية السنوية قام إليها قبل القطار الخصوصي ساعتين ، وقد ركب فيه نحو  
خمسين عائلة من مصر بين وشوام وأتراك ومعاربة كان قطعهم في المدينة ضيق ذات يدهم ،  
وأمر حفظه الله بتسفيرهم الى بلادهم مساء على التماسهم .

ومر القطار في منتصف الليل على محطة العلا ، ثم على مدائن صالح (١) التي تبعد عنها

(١) ومدائن صالح ( وتسمى الحجر تكبر الحياء وسكون الحميم ) نسبة الى نبي الله صالح الذي  
أرسل الى قوم ثمود ، وكانوا يسكنون في هذه الجهات الى يثرب . وهم قوم من العرب ذهب بعض  
المؤرخين الى أنهم من اليمن ، فمروا الى شمال شبه جزيرة العرب مع من هجرها بعد سيل العرم ،  
وكان مساكنهم فيها محصومة قرب مساكن عاد ، ودليلهم على ذلك ما وجدوه على بعض  
آثارهم في العلا من الخط المستند ( الجدي ) ، وقد ذكر المقرئ في الكلام على آية ما ملخصه :  
ان حمير الاكبر اسماً الاكبر أمر بطرد قوم ثمود من اليمن لظلمهم لمن حاورهم ، فمروا من  
آية الى ذات الآصال ( أطراف نجد ) فقطعوا الصخور ونحووا من الجبال بيوتاً وتسكروا وطمأوا  
فبعث الله فيهم صالحاً نبياً ورسولاً فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقاً من صخرة هناك ، فأخرجها  
لهم فمقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جثثاً ( مصعوقين ) .

ودهب بعضهم الى أن التموديين من عماليق الشمال الذين أتوا من العراق وسكنوا مدينة بظرة ،  
وكان لهم مهادولة واسعة في القرن الرابع قبل المسيح ، ويستدلون على ذلك بما وجدوه على  
كهوف الحجر من الخط الآرامي الذي هو كتابة الآباط .

ومن ذهب الى الرأي الاول يقول ان التموديين لم يكتبوا هذا الخط الا بعد ما ذهب دولتهم  
وضعف أمرهم وصاروا تابعين لحكومة السطيين في القرن الثاني أو الاول قبل الميلاد بحكم تملك  
لغة المتسوع على التابع . وعندى أنه لا يبعد أن يكون أصلهم من عرب الرعاة الذين طردهم الملك  
نحوتمس في سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد ، ومن المصريين تعلموا كيف ينحتون الجبال والصخور : قال  
تعالى « وتمود الذين حانوا ( نحتوا ) الصخر بالواد » . فتوا وأقاموا في المنطقة التي بين الحجر  
والمدينة وصارت لهم بها دولة قوية . ثم كان لهم مع نبينهم صالح ما حسبك منه ما ذكره الله تعالى في  
سورة الاعراف « والى ثمود ( أرسل ) أحاهم صالحاً قال يا قوم اعدوا الله مالكم من اله غيره ،  
قد جاءكم بيثة من ربكم هذه ناقه الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء  
فيأخذكم عذاباً أليم . واذكروا ادخلكم خلاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من

بنحو خمسة وعشرين كيلومترا ، ووصل حفظه الله الى حذاءات كورنتينة تبوك في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي ( الاحد ) ، فدخل الفطارا لخصوصى الى الكورنتينة ، و بقيت فيه دولة الوالدة مع حاشيتها ، أما الحناب العالى فانه نزل معيته الى الحذاء الذى ضربت فيه صواو ينه لخصوصيه وخيام حاشيته من ملكيين وعسكريين . ومكث حفظه الله فى الكورنتينة خمسة أيام كان يتردد فى أثناءها من الصبيوان لخصوصى الى صالون قطار السكة

سهولها قصورا وتجدون الجمال بيوتا ، ودكروا آلاء الله ولا تشوا فى الارض مفسدين . ول الملا الذين اسكروا من قومه للدين استصعبوا لمن آمن . منهم أنعمون أن صالحاً مرسل من ربه ، قالوا انما أرسل به مؤمنون . قال الذين اسكروا انما بالذى آمنتم به كافرين . فمقر والناقة وعتوا عن أمر ربه . وقالوا يا صالح انما بما مدنا ان كتب من المرسلين وخذتهم الرحمة فأصبحوا في دارهم جثيم » وفى تفسير روح المعاني ان تمود كانت ديارهم من الحجر الى وادى القرى جنوبا ، وقدها فيه فى تفسير قوله تعالى أخذتهم الرحمة : قال الراء والراح أى الرزلة الشديدة ، وقال مجاهد والسدى هى الصيحة ، وجمع بين القولين بأن أخذتهم الرزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم .

ولا يمدأن هذه الحركة كات ناشئة عن ثورة ركابية حصلت فى حرة العوير ( حبل ركابي تقدم ذكره فى الطريق من الوجه الى المدينة ) ، فكاتب مها تانك الهرة العنيفة الى خسف بالقوم فى ديارهم من غير ما يشعرون : يؤيد ذلك ما حصل أخيراً فى كالا ريبا ( بحضوب ايطاليا ) من الخسف الذى كات حركته ناشئة عن ثوران ركان قبروف . وعلى كل حال فمدكات خادنة تمود قبل زمن موسى عليه السلام فقد ذكرهم شبيب لقومه على سبيل العبرة : ول تعالى حكاية عنه فى سورة هود « ويا قومى لا يجر منكم شقاق أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح » وقد كان شبيب معاصراً لموسى كما لا يخفى .

واقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فى عروته لتبوك فى السنة التاسعة للهجرة ومع قومه من الدخول الى ديار تمود والشرب من مياههم . وأرى أن ذلك لسبب مهمين : الاول أدنى وهو مبالغة عليه الصلاة والسلام فى السخط على هؤلاء الاقوام المعصياتهم ربه ومخالفتهم لديهم حتى كان من أمرهم ما كان ، والثانى صحى وذلك لان كهوفهم المتروكة من زمن بيدها ، وهى بمثابة مقبرة لهم ، لاشك يكون هواؤها فساداً وماؤها مراً عن يشربه .

أما القروش الى شاهدوها على ما وصل اليها من هذه الديار وعالها ناخط الارامى وهى لا تخرج عن عبارات دينيه مما ينقش عادة على قبور كثير من الامم الى الان . يذكر لك مما ترجمه عهد كسره على قبره رجل اسمه عائد بن كهيل .

« هذا القبر الذى بناه عائد بن كهيل بن العيس لنفسه وأولاده وأعتقاه ولمن يكون فى يده كتاب من يد عائد يبيع له ولاى واحد يحوله عائد فى حياته أن يدفن فيه . فى شهر رمان السنة التاسعة للحارث ملك الاساط مح شمسه ( وذلك حوالى سنة ١٨ بعد الميلاد ) ولمن دوا الثرى ومائة وقيس كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهه أو يهبه أو يؤجره أو ينقش عليه شيئاً آخر أو يدفن فيه أحداً الا الذين كتب أسماؤهم أعلاه . ان القبر وما كتب عليه فهو حرم مقدس ، حسب القاعدة

الحديد ، وكان الهواء في تلك الاثناء بارداً جداً يتراوح بين ١٥ درجة سنتجراد نهراً و ٥ تحت الصفر ليلاً : أما الرياح فقد كانت شديدة جداً لانستقر معها الخيم ثابتة في أمكنتها ، بل كنت تراها متزعزعة على الدوام وخصوصاً في اليوم الاول والثاني ، وكثيراً ما كنا نشاهد خيام الكورتيينة التي في الحذاءات الاخرى تطير من أما كنا فيسرع أربابها بالجري وراءها ويتعلقون بأطنابها فيوقفونها عن سيرها بعناء شديد ويرجعون بها ثم يزاولون نصحها وهم في عراك مع الرياح يزهدق الارواح .

وفي هذه الكورتيينة اثنا عشر حذاء جوياً تحيطها وتفصلها عن بعضها شبكة من السلاك ، وهي ستة في مقابلة ستة أخرى ، يسير فيها بينها شريط الطربق الحديدي ، وطول كل حذاء مائة متر في عرض ٧٥ متراً ، وليس فيها أنبوبة أصلاً ، اللهم الا مبخرة واحدة في جوار الحذاء الاول ، أخذ اليها عسكر الحرس والحدم فتبخرت ملاسهم وظلوا في أثناء التبخير عرابي في حوش المبخرة وهم يرتعدون من شدة البرودة ، ولا شك في أن دولتنا العملية ستزداد عنايتها بهذا الحجر (١) حتى يكون كافلاً لراحة حجاج بيت الله الحرام .

.....

التي يقدها الاساط والسلاميون الى أبد الآبدين » . ( انظر صفحة ٨١ من الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام لصديقنا المؤرخ الناضل حورحى أفندي ريدان ) :  
ومن هنا ترى أن القوم عبروا ديانتهم بوثنية النسطيين الذين كان من آلهتهم دو الثرى ومناة وقيس وهمل واللات وغيرها ، وهم أخذ العرب وثنتهم .  
ولقد اهتم الخناز العالي الحديوي بخدمة العالم التاريخي نقش ماقي من آثار الحجر فأوفد الى هذه الجهة البروفسور هيس أحد المستشرقين السويسريين ونزيل مصر الآن ، فعاد منها ببعض صور غير مهمة مما أبقه فيها يد السراق . ويوجد كثير من آثار القوم في متاحف لندن وباريس وبرلين والاستانة . وقد بلمني أنه يوجد منها شيء كثير في صاديق محبوطة في مدينة حيفا بمد ستمت على دمة محف القسطنطينية ولأدري ماهي الحكمة في عدم ارسالها اليه الى الآن . وعلى كل حال فإن المشغلين بالآثار النسطية والتمودية لا بد أن يزيدوا يوماً من الايام معرفة هؤلاء الاقوام (١) هذا الحجر لا يزال حاصراً بأهل تركيا والشام ، أما أهل مصر فهنا لا بد لهم من تمصية الحجر الصحي في الطور قبل دخولهم الى الثعور المصرية ، وقد حصلت محاطبات رسمية في اعتبار كورتيينة تبوك كورتيينة عامة بحيث تكفي الحجر فيها على المصريين وغيرهم ولكن لم يتقرر شيء بهذا الخصوص الى الآن

الحجازى، وسعادة وقابك قائمقام معان ، وعلى بك فؤاد باشكاتب المتصرفية، للسلام على الحضرة الفخيمة الخديوية ، فلم يقابلهم جنابه العالى قياما بواجب قانون الكورنتينات، فبقوا في ضيافته بادارة المحجر، حتى انقضت مدة الحجر في صباح يوم الجمعة ٢١ يناير، فحضروا الى المخيم الخديوى ونالوا شرف المثول بين يدى حضرته العلية . وهنالك ابتدئ في شحن القطارات ، وتحرك الركاب الخديوى في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم ، فر على محطة تبوك : وهى محطة صغيرة تبعد عن الحذاءات شمالا بنحو ألف متر وفي الكيلو ٦٩٣ من الشام ، وبينها وبين البلدة نحو ثلثمائة متر . ومساكن هذه القرية على مرتفع من الارض وسط الصحراء يحيط بها النخل وبعض غيطان منزرعة ذرة ، وبعضها مبنى بالطوب التى وبعضها بالدبش ، وقد رأيت فيها بيتين موشيين بالجير من خارجهما ، ومن أبنيتها ما هو بالطوب المدهوك من الداخل والخارج بالشهبه (طين به مادة جيرية) . وفيها مسجد أقيم على المكان الذى صلى فيه عليه الصلاة والسلام حين خروجه الى هذه الجهة ، وعلى باب هذا المسجد على يمين الداخل اليه بئر من أثر السيد الرسول نبع ماءؤها بين يديه صلى الله عليه وسلم فى وقت كان هو ومن معه فى شدة الحاجة الى الماء ، وهى التى بشيرون اليها ضمن معجزاته صلى الله عليه وسلم بأن « الماء نبع من بين أصابعه » وماء هذه البئر عذب جدا ، وقد وضع عليها أخيراً كاظم باشا الذى كان مديراً أعمال السكة الحديد الحجازية ، طلعية تحفظ ماءها نظيفاً بعيداً عن عبث العابثين ، فجزاه الله خيراً .

وما زال القطار سائراً حتى مر على محطة ذات الحج ، وفيها قلعة قديمة كانت تخزن فيها مؤن الحمل الشامى حين سفره فى البر ، ثم وصل الى محطة معان فى نحو نصف الليل : وهى أكبر محطة بين المدينة المنورة والشام ، وعلى كيلو ٤٥٩ من دمشق : وفيها ورشة كبيرة لتصليح الواورات ، وبيوت لمستخدمى هذا الخط الحديدى ، منها منزل جميل لمنير باشا . وقرية معان تبعد عن المحطة بنحو ٢٠٠٠ متر الى الغرب بانحراف الى الشمال ، ولا تظهر للمسافر من المحطة لانها فى جوف الجبل ، وسكانها نحو ألف شخص يشتغل معظمهم فى اعمال الطريق الحديدى ، وقد كانوا قبلها يجرون للتجارة البسيطة ، ولا يشتغل بالزراعة

منهم الا القليل فيما لا يبعد عن قرينهم لخوفهم من عرب الحو بطات الذين يوجدون بكثرة في تلك المنطقة ، وكثيرا ما كانوا يفضون عليهم ويهبون مزارعهم . وفي شمال هذه القرية على مسافة ثلاث ساعات خرائب كثيرة اسم أكبرها بسطة ( وأظن أنها ثمصرى ) ثم اذرح ( اصرح ) وفيها تلال قديمة تتخللها آثار عتيقة . وفي تلك الجهة مياه كثيرة عذبة وأراض زراعية مما يدل على عمراتها في قديم الزمان . وجل هذه الخرائب من آثار (١) مدينة النبطيين .

(١) والمنطقة التي في غرب السكة الحديدية فيما بين معان وعمان إلى نهر الاردن والبحر الميت وما يليه جنوبا غنية جداً بالآثار القديمة التي بعضها للنبطيين وانبساطيين والعرب والرومان والمصريين (البطالسة) . وأخف هذه الآثار مدينة بطره (Petra) (كلمة يونانية معناها حجر) ومنه قولهم (Arabi Petra) يعني بلاد العرب البحرية وهي تبعد عن معان غربا بمسافة ٣٥ كيلومتراً تقريباً وعن العقبة جنوبا بمسافة ١٣٠ كيلومتراً ، وتربى بها إلى الآن كثيراً من المآثر الحجرية الأثرية ، وهي في وادي ترشح الصحور إلى ٥٠ متراً على مدخله الذي تختلف سعته من ٣ إلى ٩ أمتار ، وقد نمر فيها هيكل نحيم جداً على ارتفاع عشرين متراً ، وفيه كثير من النقوش الجميلة . ويسمونه بحزبة فرعون ، ويظن بعضهم انه للرومان ، أقاموه بعد تملكهم المدينة لعبودهم ايزيس .

ويوصل طريق هذا المدخل إلى واد واسع يقطعه مجرى ماء من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي كانت فيه المدينة . ولا تزال اطلالها به إلى الآن ويسمونه وادي موسى . وعلى جانبه قبور نقرت في الصخر ، والتي على يمين الوادي منها يعني إلى جهة الشرق كانت لأشراف القوم : لما شاهدده عليها من النقوش والرسوم التي تزيد في ثامتها ، أما التي على يساره ( في الجهة الغربية ) فهي لعامة الناس . وعدد هذه القبور لا ينسل عن ٧٥٠ قبراً ، وكلها منتقورة في الصخر . ويقرب منها تياتر وقد تفرق في الجبل بمساحة ومقاعده ، وفيه ٣٣٣ مدرجا على هيئة أوصاف دوائر تسع ٣٠٠٠ شخص .

ويتصد الطردي سنويا في فصل الربيع فواصل السياح من الأفرنج وعلى الخصوص من الامريكان . ولا بد لزيارتها من اذن خصوصي من ولاية الشام وهو ما ( كان ) لا يسهل على كل انسان الحصول عليه .

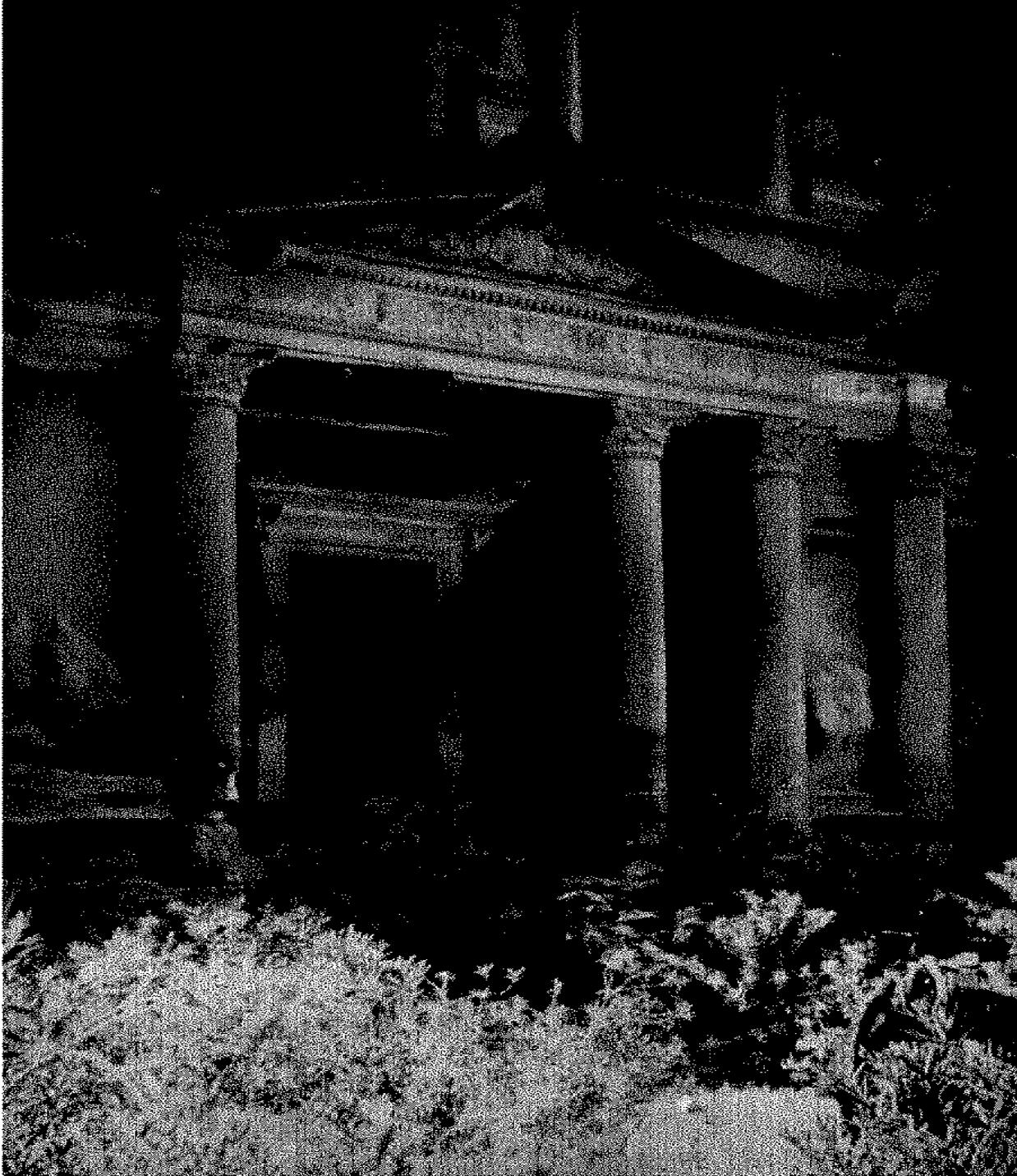
وفي صباح يوم السبت ٢٢ يناير أمر الجناب العالي حفظه الله فسارت حملة الجمال والهجن التي كانت في ركابه السامى ومعها بعض الحرس الخديوى تحت قومندانية حضرة البكباشى ابراهيم افندى أدهم من معان الى العقبة، ومسافة ما بينهما ١٣٠ كيلومترا، واستمرت في سيرها الى السويس من طريق البر .

وكانت هذه المدينة عاصمة لحكومة الانباط : وهي حكومة عربية كبيرة كانت توجد مدة القرن الرابع قبل المسيح . وكانت لها مدنية عالية ، وجيوش قوية ، ساعدت الاسكندر الاكبر في استيلائه على بلاد الفرس وعلى مصر . ولقد حاربها انطيفونوس (Antegon) خليفة الاسكندر في سنة ٣١٢ قبل الميلاد ، فانهزم أمام جندها بالبسل ، وقال انه لم يمارس في حروبه في الشرق والغرب رجالا مثل رجالهم . ثم حاصرها ديمتريوس وانقلب عنها خائبا .

وكانت مملكة النبطيين في القرن الثانى قبل المسيح قوية جداً وصرت ملوكهم السكة باسمهم ، ومن اكرم ملوكهم الحارث الذى ملك في سنة ١٦٩ م ، وامتد ملكه الى وادى القرى جنوبا ، ودخل في حكمة العلال والحجروما والاهما شرقا الى حدود العراق ، وغرباً الى بحيث جزيرة سيناء . وكانت مدينة بطره المركز التجارى بين الشرق والغرب والشمال والجنوب الى مبدأ القرن الثانى بعد المسيح ، حيث ساق عليهم الامبراطور تراجان الرومانى جيوشه فهدم مدينتهم ، واكتسح ملكهم ، ومزقهم كل ممزق ولم تبق لهم بعدها قائمة . حتى أن مؤرخى العرب لم يذكروا عنها كلمة واحدة في فتوح العرب للشام .

والى النبطيين ينسب الرقى الذى حصل في الكتابة التدمرية حتى كانت الحروف النبطية امهات للحروف العربية ، وحسبهم بذلك فخارا .

والعرب تسمى هذه المدينة من زمن بعيد بالرقيم . واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس « ان الرقيم واددون فاسطين قسرب من ايله ، والكهف في ذلك الوادى ، فهو من رقمة الوادى اى جانبه » . واظن ان الرقيم بمعنى مرقوم ، لما هو مكتوب ومنقوش على كهوفهاور بما كانت هذه الكهوف هى المعنية بقوله تعالى في سورة الكهف « وترى الشمس اذا طلعت تزاور (تميل) عن كفهم ذات اليمين وإدا غربت تقرضهم (تبعدهنهم) ذات الشمال » وإلى شمال هذه المدينة على الجبل قبر هارون



BOEHME & ANDERER, CAIRO

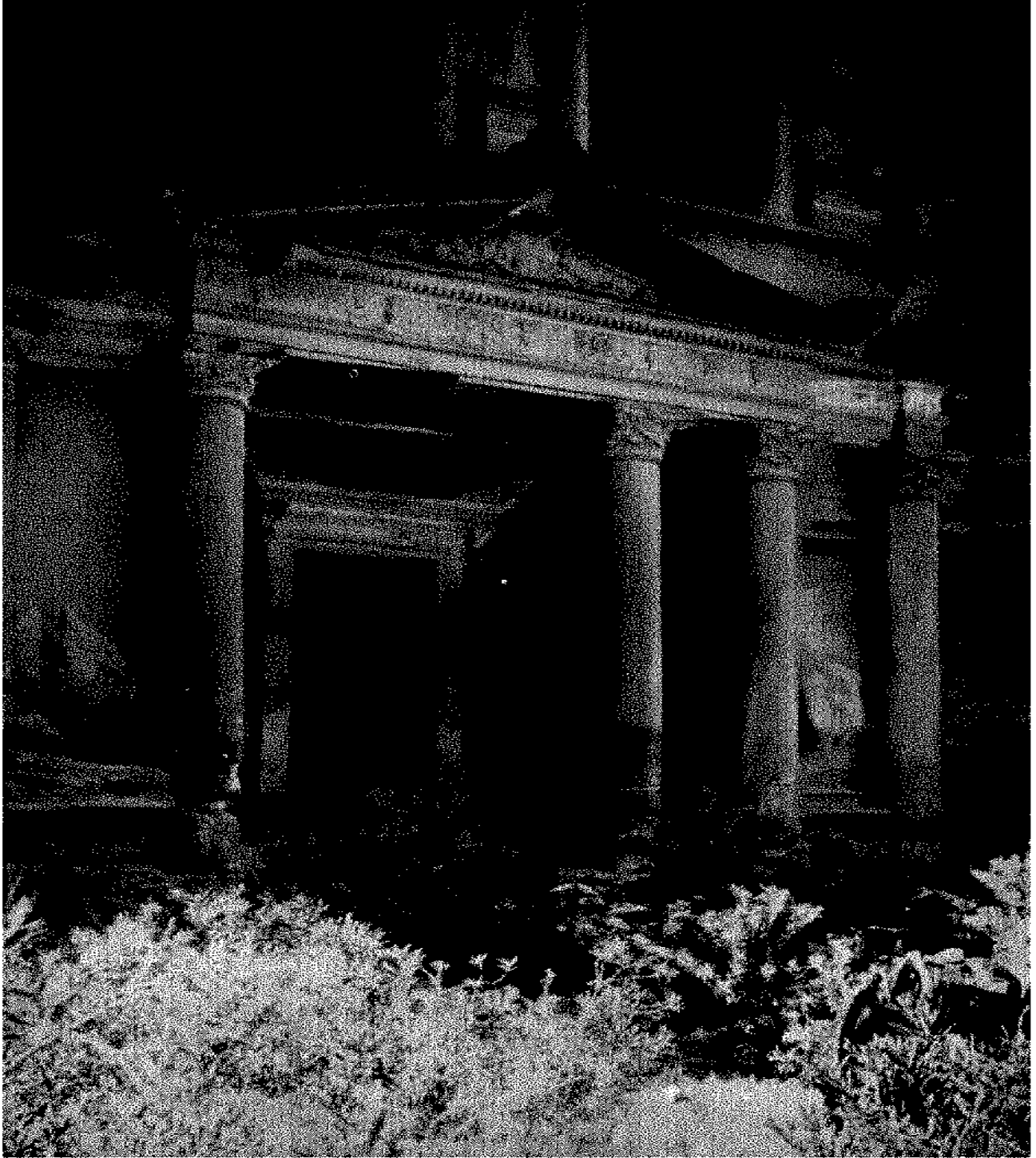
خزنة فرعون في لطيرة



وفي الظهر تناول سموه الغداء في دار منيسر باشا . وفي مبدأ الساعة الثالثة تحرك قطاره قاصدا حيفا ، فسار في صحراء واسعة ترمى فيها الجبال على أفق البصر من الجانبين الشرق والغربي ، والارض في هذه المنطقة رملية تكثر فيها الحجارة الصوانية السوداء ، وكانت رؤوس الجبال الغربية التي يسمونها جبال الشيخ (وهي حلقة من حلقات السلسلة الجبلية التي تصل جبال لبنان بجبال السراة التي تقطع بلاد العرب من جنوبها الى شمالها ) تلوح لنا بيضاء من الثلوج كأنها قد شابت ناصبتها من وحشة الوحدة في هذه البيداء الجافة .

أما الجهة الشرقية فكان يلوح لنا فيها من آن الى آخر ، بعدميل الشمس عن خط الزوال ، بحيرات كبيرة من الماء ، على دائرة أفق هذه الصحراء . وكنا كلما اقتربنا منها زاد صفاؤها وتحرك ماؤها على بعضه بتموجاته البلورية ، وكانت تظهر في وسط هذه البحيرات أخى موسى ، ويقصده العرب من قديم الزمان لزيارته ، وقد ابنتى الصليبيون قلعة إلى جواره .

وتحت جبال الشيخ أثر يقال له قلعة ناياس ، ويظنون أنه من أعمال الغسانية . وفي الكرك هيكل الشمس . وفي عرك الأمير هيكل من هياكل الامونيين ، مال له هيكل العبد ، وفي عمان آثار رومانية تدهش العنل ، وفي ميدبة التي تبعد عن عمان بنحو عشرة كيلو متر ، آثار جميلة يسمونها خربة المال . وفي حصبان (حسبان) التي تبعد عنها إلى الشمال الغربي بنحو خمسة عشر كيلو متراً آثار من آثار مملكة يهوذا ، ولم نحفظ منها إلا صهاريج جميلة منتورة في جوف الجبل ، ولها فتحات من أعلاها يدخل منها الماء ، وفي جرش التي تبعد عن عمان بنحو خمس ساعات آثار نفيسة جداً ، ويقرب منها قبر يزعمون أنه لهود عليه السلام ويوجد في محطة القصر قلعة ظيظا . وكان بمحطة مشانا آثار جميلة ، ومن ضمنها قصر من القرن السابع قبل المسيح وكانت له وجهة من الفخامة بمكان أخذها الالمان هدية من السلطان عبد الحميد ونقلوها الى برلين سنة ١٩٠٤ . وفي عمان آثار جميلة جداً . وأهم ما فيها القلعة التي هي من هياكل الامونيين ، وفيها كثير من المغائر والقبور المنحوتة في الصخور ، وعلى كل حال فهذه البلاد ملاءمى بآثار الاقدمين التي يهتم بها الاجانب ولا يكاد يعرفها أهل البلاد انفسهم واكبرها فخامة قلعة بعلبك الشهيرة ، اما آثار تدمر (بالمير) في الشمال الشرقي لدمشق فحدث عنها ولا حرج والطريق اليها من حمص .



BOEHME & ANDERER, CAIRO

خزنة فرعون في طبره





أحيانا جزر قامت عليها غابات من الاشجار تزيد في جمالها ، حتى اذا تاقت لها النفس ، وصارت منك على متناول اللمس ، وجدتها احدى القيعان ، سكن فيها الشيطان ، فاذا وصلت الى جنباه للحظوة بشرا به ، وجدته كان لم يكن !!

ومع أنى بمجرد ما وقع بصرى على هذه البحيرات كشفت مستورها ، وعرفت ضميرها ، ولكن كان يلفتني اليها على الدوام حسن منظرها ، والتفكر في مخبرها : فكنت أنا أفكر ان هناك منخفضاً من الارض مليء بالهواء ، وقد انعكست في مرآته قطعة من السماء الصافية وانكسرت على سطحه ظلال ما في دائرة من الاعشاب ، وأخذت تتحرك بحركة تماوجاته فتعددت صورها بما تكونت معه هذه الغابات الناضرة ، وسط تلكم البحيرات الباهرة !! وزد على ذلك ان العين التي لم تعثر في الصحراء الا على مناظر جافة ، تعظم ما تراد فيها من الصور اللطيفة ، وتنقله الى الوهم حقيقة مجسمة .

وكننت أحيانا أنخيل انها شئ من البحر تسرب ، ومنا اقترب ، حتى اذا خلب اللب بسنائه ، وجذب القلب بلا لائه ، واشتفت أن تنال من مائه ، فتح فاه ، وابتلع مياهه ، ضاحكاً من سذاجتك وبساطتك ، وكننت أتوهم آونة ان الصحراء ، أرادت أن تخفف عن أنصارنا منظر ذلك الجناء ، فلبست لباس البحار ، ووسط هذه القفار ، وأخذت تتلون تلون الحرباء ، وهل يبعد على شيطان الطبيعة أن يتشكل بما شاء ، حتى اذا اقتربت منه ضرب في الهواء ، وطار طير العنقاء .

لابل هو السراب الذى « يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » ، أخبرنا به القرآن قبل ثلاثة عشر قرناً ، ولم تعرفه أوروبا الا فى القرن السابع عشر ، بل لم تتحقق من أمره الا تلك الحملة العلمية التى دخلت مصر مع نابليون بونابارت فى رأس القرن التاسع عشر . ولا غرابة فى ذلك فان السراب لا يوجد الا فى صحارى البلاد الحارة : ذلك أن الشمس اذا ارتفعت حرارتها سخنت الرمال التى على سطح الارض فتسخن به طبقة الهواء التى تلامسها ، وهذه الطبقة تسخن التى فوقها ، وهذه تسخن التى تتلوها ، وبذلك يتمدد الهواء فى جميع هذه الطبقات بنسبة حرارة كل واحدة منها ، ويحدث من انتقال الطبقة الساخنة منه

الى أعلى ، ومن نزول الكتلة الباردة لتشغل محلها ، توجات تنعكس في صفاتها صور الاشباح القريبة منها ، وهذه الصور تنعكس بمجموعها في منخفض من هذه الرمال المتبلورة فتراها من بعد كأنها حقيقة مجسمة .

أمامونج<sup>(١)</sup> ( Nongge ) وهو أول من شرح نظرية السراب ، وكان من أعضاء الحملة العلمية الفرنسية السابقة الذكر ، فقد ذهب الى أن السراب انما هو صورة أشباح حقيقية يشاهدها الرائي من بعد ، فيخترق شعاعه البصرى الذى يقبل صورتها اليه طبقات الجو التى تختلف في حرارتها وكثافتها كلما اقتربت من أرض الصحراء التى سخنتها حرارة الشمس ، يأخذ فيها سيرا طبيعياً على خط منحن تتصل دائرته بالأرض في نقطة تنطبع في رمالها اللامعة صورة الشبح المرئى ، وهناك يتخيل للرأى انه يشاهد الشبح من هذه النقطة وليس كذلك .

والطريق الحديدى في هذه الجهة كثير المنحنيات ، بل تراه في حالات كثيرة مثل حرف ( S ) ، أى على شبه قوسين متضادين أخذاً بطرفى بعضهما ، وذلك يكون في حال صعوده على الجبال ، أو قطعه لها من جهة الى جهة أخرى . وما زال السير على هذا المثال حتى وصلنا الى محطة قطرانة ، وهى الثغر الحديدى لتصرفية الكرك التى تبعد عنها غرباً بنحو ٣٠ كيلومتراً ، وكان حضرة متصرفها قد حضر مع بعض رجاله لاستقبال الجناب الخديوى . وبعد تأديتهم الى معامه العظيم واجب التسليم والتعظيم استأنف القطار مسيره حتى وصل الى محطة الدرعا في منتصف الليل ، ومنها يتفرع الطريق الحديدى الى شعبتين : شعبة تسير نحو الشمال الى دمشق الشام ، والاخرى تسير نحو الغرب الى حيفا . وكانت في هذه المحطة زينة لطيفة لفقدم سمو الخديو المعظم وكان كثير من أهل الدرعا ( التى تبعد عن المحطة بنحو ألفى متر ) قد حضروا للتمتع بمشاهدة طلعة الجناب العالى . ولهدم كئنا في هذه

(١) يرى صدقاً كمال بك ان الجيم التى تحتها ثلاث نقط أصلها أعجمى ونطقها يقرب من الشين، المعطشة فلا يصح وضعها للدلالة على حرف (Q) الرساوية، وحيث ان حرف الزاى الفارسية التى تكس بثلاث نقط تؤدى بالنطق بها هذا الحرف تماماً فالاولى استعمالها بدله فتقول مؤزّرى (Monge) مثلا .

المحطة الى فجر اليوم التالي ، ثم سرنا في أرض زراعية من يميننا وشمالنا حتى وصلنا محطة تل شهاب ، ومنها يتبدى الطريق الحديدي يسير في جوف الجبل ، فكنت ترى القطار صاعداً ، نازلاً ، منجداً ، متهماً ، داخلاً في نفق ، مشرفاً على هاوية ، قاطعاً قنطرة الى الشرق ، ليمر على كوبرى الى الغرب ، ذاهباً ، آيماً ، مقبلاً ، مدبراً ، كأنه الغزال في لغتاته ، أو الثعلب في روغاته ، متخطياً محارى الماء ، متباعداً عن مساقط السيول ! ! وبالجملة فهذا الطريق صورة صغرى من طريق السميرنج فيما بين ترستاوفينا . ومازلنا سائرين بين هذه الهضاب ، وهاتيك الشعاب ، التي تحيرت في جمالها الالباب ، مندهشين من جلال طبيعة هذه الجبال ، ونخامة ما صنعتها يد الدولة من عظيم الاعمال ، متمتعين بما على سفوحها من الحضرة التي يكثُر فيها بصل النرجس فيحيطط الارحاء بعبيره ، والتي يرعى في كلها آلاف من قطعان الاقار والاعنام ، حتى نزل الوابور الى الوادى فشاهدنا بعض الفلاحين يشق الارض بمحراثه (وهو أصغر من المحراث المصرى كثيراً) . وبعد كيلو ١٣٥ كثرت الخيام في جوف الوادى الذي ابتدأ يعمر بالسكان . وفي الكيلو ١٠٠ غزت المراعى : فكنت ترى معالى الجبال ومواطنيها مفروشة بساط أخضر سندسى يتلون منظره في ارتفاعاته وانخفاضاته ، وشمسها وظله ، بألوان مختلفة ذكرتني بتغييرات مناظر البوسفور الجميلة . وهذا الوادى يسمى بوادى بيسان ، وبعضهم يسميه وادى الساسابان ، ويتبدى من محطة صماخ<sup>(١)</sup> التي يتبدى منها جفلك السلطان عبد الحميد ، وفيه خمسون قرية ، وأرضه غاية في الجودة يشقها الطريق الحديدي ومياهه غزيرة جداً . وكان القمح فيه على ارتفاع شبر من سطح الارض ، ويستمر هذا الجفلك الى محطة العقولة ، التي بمجرد ما تركناها شاهدنا بكل فرح وسرور مبانى حيفا . وقبل الوصول اليها ببضعة كيلومترات شاهدنا على

( ١ ) ويقرب منها قرية حطين المشهورة بوقعتها الكرى التي حصلت في سنة ٥٨٣ هجرية بين صلاح الدين الايوبي والصليبيين وانصر صلاح الدين عليهم نصرأ ميباً كان فاتحة لانتصاراته المتوالية عليهم . ويقرب من حطين قرية يقال لها خياره بها قر شيب السى . وصماخ تشرف على بحيرة طرية وتسمى في البوراة بحر الحليل ، وهو أعظم بحيرات سوريا . وطولها من الشمال الى الجنوب ١٤ ميلاً ، وأعظم عرض لها ثمانية أميال .

يسارنا طريقاً بالمكدام لمسححة القوم، وقد خرج اليه بعض الناس في عر باتهم لاستقبال أميرنا المعظم، وعلى حافته قهاوٍ قدا كتظت بالمتفرجين على مقدم هذا المليك الاكرم. وما زال القطار حتى وصل الى رصيف المحطة التي رفعت فيها أعلام الزينة، واحتشد الى رصيفها صنوف المستقبلين من علية القوم، وفي مقدمتهم مأمورو الدولة بين عسكرين، وملكيين، وقناصل الدول، والعلماء، يتقدمهم فضيلة القاضي والمفتي وأمين الاشراف. وكان جناب المتصرف ووكيله وقومندان عموم القوة العسكرية قائمين بحفظ النظام. ولما وقف القطار الخصوصي ضربت المدافع، وعزفت الموسيقى العسكرية بالسلام الخديوي، وصعد سعادة المتصرف الى الصالون مسلماً على الجناب العالي بالنيابة عن الدولة العلية، ودعا الى بهو المحطة الذي أعد لاستقبال سموه بصفة رسمية. فنزل حفظه الله وسار في وسط هذه الجموع التي لا يحصى عددها حتى دخل قاعة الاستقبال. وهناك ابتدأت التشريفات: فحضر الكبراء والعظماء للسلام على جنابه العالي، وكان يقدمهم الى سموه سعادة القائم مقام. وبعد ذلك قدمت المتصرفية الى جنابه الشاي ثم القهوة، وعندها قام باشكاتب المحكمة الشرعية وألقى خطابة طويلة مرحباً فيها بمقدمه السعيد، مهنئاً تلك الديار بشرف حلوله في ربوعها، ثم تلا قصيدة غراء في مدح فضائل الحضرة الفخيمة الخديوية، فشكره الجناب العالي. وقد كان حفظه الله مدة وجوده في هذه الحفلة يتكلم مع هذا بالتركية ومع ذلك بالعربية ثم مع كل قنصل بلغنه، منتقلاً من موضوع الى آخر بعبارات كلها بلاغة وحكمة حتى أدهش الحاضرين عمومهم كمال معارفه، وواسع مداركه، وعظيم آدابه. وبعد نحو نصف ساعة ركب القطار الى الاسكندرية، وركب معه رجال الدولة مهنيين، مودعين، شاكرين لجنابه، مثنيين على آدابه، فشكرهم حفظه الله ثم سلم عليهم ونزل في الزورق البخاري لوابور المحروسة، فبلغها بسلامة الله الساعة خمسة بعد الظهر من يوم الاحد ٢٣ يناير سنة ١٩١٠ ونزل في ركابه العالي من كان في خدمته من رجال المعية السنية. أما بؤساء الحجاج المصريين الذين سافروا على نفقة الجناب العالي فقد أمر حفظه الله بتسفيرهم الى بورسعيد مع بعض رجال الحرس الخديوي على أحد ابورات الشركة الخديوية الذي كان منتظراً بالميناء.



• وفي منتصف الساعة العاشرة مساءً تحركت سفينة المحروسة باسم الله مجراها الى ثغر الاسكندرية الذي ابتدأت تظهر معالمه في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاثنين ٢٤ يناير سنة ١٩١٠ ، وهناك ابتدأ يتأثر وجودنا بعامل السرور والخبور ، ومازلنا حتى تجلى لنا شاطئ الثغر ، يتعاقب مع ماء البحر ، وأخذت تأتينا منه نسائم تترى ، حاملة روائح ذكية ، أحيت النفس ، وأنعشت الحس ، فكان ريحها منا كريح يوسف من يعقوب : نعم كانت تحمل إلينا ريح الاوطان ، والبنين والاهل والخلان ، فضعمناه لانه أحاط بجسوم الاحباب ، ونقل الينامن عواطفهم ما حرك فينا الاشجان ، وأهاج عبرة الوهان .

وما زالت المحروسة سائرة بنا حتى ألتقت مرساها داخل الميناء في الساعة الخامسة مساء .

وعندها أطلقت المدافع من طوابى المدينة بين هتاف الآلاف من المصريين الذين كانوا قد ركبوا الزوارق وساروا بها الى ظهر البحر للتمتع برؤية مليكهم المحبوب . وهناك حضر دولة الامير محمد على باشامع حضرات النظارات ومحبتهم السير ألدن غورست على زورق بخارى واستأذنوا في الصعود الى الركاب الخديوى . ولما أشرفوا بالثول بين يديه الكرىميين أخذوا يرتلون آى حمد الله على وصول مليكهم العزيز بكال الصحة والعافية . فأبدى لهم حفظه الله شكره وامتنانه ، ثم نزل وهم فى ركابه العالى الى زورق المحروسة ويم سراى رأس التين العامرة ، وتبعته دولة والدة وحاشيتها ، ثم رجال المعية السنية فى زوارق أخرى .

وكانت السراى الخديوية غاصة بكبار الموظفين ، وعظماء الاجانب ، وأعيان البلاد من أدناها الى أقصاها . وهناك جرت التشرىفات على غير موعده ، وتشرف الكل بحضرة الجناب العالى ، واستلموا يدها هذا الاب البار الكرىم ، مهئين أنفسهم بسلامته ، وانصرفوا شاكرين مالا قوه من كرم سموه وعظيم إيناسه . وقد استقرت التشرىفات الى مبدأ الساعة التاسعة ، وبعدها تناول الجناب العالى طعام العشاء بالسراى العامرة .

وكانت المدينة كلها كأنها قطعة من نور : للزينات التى أقامها الاسكندريون فى أطرافها ، والتى أقامها المجلس البلدى من سراى رأس التين الى آخر شارع عرشيد ، محترقة المدينة من طرف الى آخر . وكانت تريات الكهرباء فى طول هذا الطريق على شكل أقواس نصر

تجمع أطرافها أوتار تتعاقق أشعتها ، وتتعاكس في مرآة تصفاه هذا الجو ، حتى كان يتخيل لك أن الدراري قد نزلت من أفلاكها لتساعد الاسكندر بين على معالم الزينة احتفالاً بمقدم أميرهم المحبوب . وعداد ذلك فكنت ترى الدكاكين والمنازل على طول الطريق وخصوصاً في ساحة المنشية ، وشارع شريف ورشيد ، قد قامت عليهما معالم الزينة بأشكال بديعة تختلف في مناظرها ، وتتفق في حسن تسييقها . وكنت ترى بين تلكم الانوار ، الاعلام على اختلاف جنسياتها ترفرف بين هذه الاضواء ، فتكسيها رواء على رواء .

وكان الناس على جانبي الطريق كالبيان المرصوص ، تتقدمهم رجال البوليس ، ويتخللهم عمال المجلس البلدى حاملين في أيديهم ثريات الشهوع وانتظاراً لتشريف الجناب العالى الذى تفضل فوعده بزياره دار البلديه بناءً على التماس المجلس البلدى .

وفي مهاية الساعة التاسعة ركب حفظة الله عربة خديوية والى يساره سعادة محمد سعيد باشا رئيس النظار ( وكان باظراً للداخلية ) ، ومر على زينة العروة الوثقى التى كانت في مبدأ شارع رأس السنين . وكان أعضاؤها مجتمعين في سراق عايه في البهجة والجمال انتظاراً للركاب العالى . فتنازل جنابه الفخيم ووقف لحظة شكر فيها أعضاء الجمعية ، ثم سار بين دعاء الاهلين وهتافهم الى ميدان المنشية ، فشارع شريف ، فشارع رشيد . وكان كلما مر هتف الناس له بأصوات السرور والخبور ، بما كان يتردد في جميع الارحاء ، ويرتفع الى عالم السماء . ولما وصل حفظة الله الى سراى المجلس البلدى استقبل بما يليق بمقامه الكريم ، من الاجلال والتعظيم . وبمجرد ما استقر بالصالون الذى أعد لجنابه الفخيم ، قام رئيس المجلس وتلا بين يديه الكريمين خطبة رحب فيها نيايه عن الاسكندر بين بمقدم سموه من حجه المبرور ، وسعيه المشكور ، وهو على ما يرجو الكل له من الصحة والعافية . فشكره الجناب العالى ، ثم قام حفظة الله الى البوفيه فأخذ شيئاً منه وبارح المكان بين مظاهر الاجلال والاعظام ، وعاد الى سراى رأس التين العامرة من الطريق الذى حضر منه وكان احتفال الاهالى به في إيايه لا يقل عن احتفائهم به في ذهابه .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٥ يناير قصد الجناب الخديوى محطة الباب الجديد في كوكبة من حرسه ، وكانت المحطة غاصة بأعيان الاسكندريين ، وكبار الموظفين ، وكثير من سراة البلاد ، فلموايده الشريفة ، وركب حفظه الله يحف به حضرات النظار ، وسار القطار على بركة الله الى مصر . وكانت زينات المحطات على طول الطريق الحديدي مما لم يسبق لها مثيل خصوصاً في دمهور ، وطنطا ، وبركة السبع ، ومنها ، التي احتشد على أرصفتها عمدة وأعيان البحيرة والغربية ، والدقهلية ، والمنوفية ، والشرقية ، والمليوية ، يتقدمهم حضرات المديرين ، وكبار المستخدمين . وشرف القطار الخديوى محطة مصر في مبدأ الساعة الثانية بعد الظهر : وكانت المحطة غاصة بأعيان القاهرة ، والعدد الجم من أعيان الوجه القبلي ، وفناصل الدول وكلائها ، وكبار مستخدمي الحكومة السنية ، وفي مقدمتهم العلماء والأعلام ، والامراء الكرام ، والذوات الفخام ، وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية يتقدمهم دولة البرنس حسين كامل باشا ( وكان رئيساً لهما ) . وبالجملة فقد كان هناك كل ذى حيثية كبرى ، وكان كل من صاحب السعادة محافظ مصر وحكمدارها يقوم بالنظام العام . ولما وقف القطار نزل الجناب العالي الى رصيف المحطة التي كانت كالعروس في زينتها ، وسلم على الحاضرين واحداً واحداً ، ثم سار تحف به رجال حكومته حتى ركب عربته والى جانبه سعادة رئيس النظار ، بين يدي طلعات المدافع وعزف موسيقات فرق الجيش المصري ، وجيش الاحتلال ، التي كانت في رحبة المحطة لاداء واجب التعظيم . وقصد حفظه الله سراى عابدين بين جموع الخلق الذين لا يحصى عددهم والذين وقفوا صفواً يتلو بعضهم بعضاً في عرض الطريق وطوله الى سراى العامرة ، ورجال البوليس أمامهم لحفظ النظام .

وكانت كلما مرت عربة الجناب الخديوى هتف الناس هتاف السرور لمشاهدة مليكهم المحبوب ، بما كانت ترتج له أطراف مدينة القاهرة ، بحال لم يسبق لها مثيل بالمرّة . وكانت الدكاكين والمسكن التي على جانبي الطريق رافعة أعلامها على اختلاف جنسياتها حتى اذا وصلت العربة الى ميدان الأوبره كان الناس فيها على بعضهم : هذا واقف على

الارض وذاك واقف في أوتوميله ، وآخر على عربته، والبلكونات والشبابيك قد ملئت بعلية المتفرجين من الاجانب والاهلين نساءً ورجالا، والكل يهتف بأصوات الفرح. ولم يصل الركاب العالى الى السراى العامرة الا في منتصف الساعة الثانية تماما .

وفي المساء لبست المدينة حلقة من الانوار ، وبدت زينة لجنة الاحتفال بعيد الجلوس المأنوس في أبهى مظاهرها ، كما تجلت الزينات الخصوصية التي أقامها الاهلون والاجانب من جميع أنحاء القاهرة . وبالجملة فقد كانت المدينة في زينة باهرة ، وكانت كلها من ثريات الكهرباء على شكل أقواس نصرمتتالية من السراى العامرة الى المحطة ، وكان اتصال هذه الاقواس بحيث كنت ترى الطريق قد تغطت بخيمة صيغت من قباب من نور .

وقد أقامت لجنة الاحتفال في ميدان عابدين سرادقا فخيا جدا كانت تتلأأ أنواره ، وتتألق أزهاره ، وتتصل أشعة أضوائه الى منافذ السراى العامرة حاملة عواطف الرعية الصادقة الى هذا المليك المحبوب . وتنازل حفظه الله بتشريفه صيوان اللجنة في منتصف الساعة العاشرة مساءً . فاستقبله حضرات أعضائها بكل ما يمكن من مظاهر الاجلال والاعظام ، وتلاحضرة رئيسها عثمان بك مرتضى المستشار بمحكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية خطا بابلغا بالنيابة عن اللجنة ، حمد الله فيه على وصول هذا المليك الكريم بسلامة الله من رحلته المباركة ، ثم رفع الى مقامه السامى عبارات الشكران والامتنان على تنازله بتشريف الاحتفال . فشكره الجناب العالى وأثنى على هممة اللجنة التي تمثل هذه الامة المخلصة بخطاب كله درر وغرر . وعندها قدمت المرطبات لجنابه السامى فتناول منها شيئا ، وأمر حفظه الله فأديرت على عموم الحاضرين ، وعند ذلك قام حضرة الشاعر المصرى النابغة حافظ افندى ابراهيم وتلا عن ظهر قلبه في هذا المكان الرهيب قصيدة آية في البلاغة يهني فيها مصر بوصول الجناب العالى بسلامة الله . فشكره سموه ، ثم كرر شكره لحضرة رئيس لجنة الاحتفال وأعضائها ، وركب حفظه الله عربته وسار مخترقا طريق هذه الزينات الباهرة ، وآلاف الناس على جانبيه مكررين آيات الهناء والدعاء ، حتى وصل بسلامة الله تعالى الى سراى القبة العامرة في مبدأ الساعة الثانية عشرة مساءً .

وفي يوم الخميس ٢٧ يناير كانت المقابلات الخديوية : فكنت ترى السراى  
العامة قد ضاقت رحبانها عن جموع المهنتين من الاجناس المختلفة، والآلاف من وفود  
الارياف من أصوان الى الاسكندرية يردون الى عابدين أفواجاً أفواجاً لتقديم واجبات  
التهانى الى الاعتاب الخديوية ، والسراى الخديوية تموج بهم بحال لم يسبق لها نظير، وكان  
الجناب العالى حفظه الله يقابل الكل بلطفه وإيناسه . وفي مبدأ الساعة الثانية بعد الظهر  
تمت التشرىفات وانصرف الناس وكلهم السنة ثناء ودعاء لحفظ هذه الذات العباسية المأنوسة  
المحروسة درة فى جبين الدهر ، وتاجاً على مفرق هذا العصر .



تقريظ صاحب الفضيلة شيخ المشايخ الاعلام مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نحمدك اللهم حمد الشاكرين، ونصلي وسلم على صفوة خلقك أجمعين، وآله الطيبين،  
 وحنانته الطاهر بن. و بعد فن أسمى ما حظه يراع، وسما به ابداع، وعمقه بنان، وأظهره بيان،  
 من ضروب النول وصنوف الكلام، ما كان متصلاً بحج بيت الله الحرام، وزيارة حضرة  
 المصطفى عليه الصلاة والسلام. وقد اطلمت في هذا الباب على السفر الجليل الموسوم بالرحلة  
 الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خدوم مصر، الذي وضعه حضرة الكاتب  
 الماهر، والمثني البليغ، سعادة محمد لبيب بك البتوني، فوجدته من أحسن ما كتب  
 الكبار في هذا الموضوع البديل، والمنصف الخليل، ومن حيرة ادون في وصف ملك الباع  
 الطاهرة والمعاهد المباركة. وادا كان قد سبق هذا المؤلف كثير من محول العلماء والمؤرخين  
 في الكلام عليها، والكتابة فيها، فكتبوا أو وسعوا، وأطالوا فاشبعوا، فان كتبهم لم يتناول  
 جميع الاعراض التي انفسح لها هذا الكتاب، وطرقها من أحسن الابواب: فتمد قصر بعضهم  
 كتابه على جغرافية البلاد. وغيره على تاريخها العمراني، والبعض لم يتجاوز كتابته مواضع  
 العبادة ومناسك الحج. وأنت بمرور بطرك على عنوانات هذا الكتاب ترى أن واضعه  
 برك الله فيه، قد بلغ الى انقاية من كل ما يريد العارى أن يتعرفه في جزيرة العرب، مما يتعلق  
 بامر دينه أو أمر دنياه، ببيان يسحر الالباب، واسلوب يعجز الكتاب، فهو وان جاء متأخراً  
 عن تقدمه في مثل هذا التصنيف، فندسبته في أن جمع الى حسن الاختيار سبك التأليف.  
 وجملة القول أن هذا السمر جاء برهانا وانحاً، وحجة ناطقة، بما لؤلؤه الفاضل من سعة الاطلاع  
 وغزارة المادة. هذا واذ صحبه التوفيق، واهل نعم الرفيق، فحري قلبه بما جرى تسطيراً  
 لرحلة الداوري الانعم، والاميرالمعظم، وولي النعم، محيي الهمم، عزيز مصر، فليواصل معنا  
 الدعاء الى الله تعالى أن يديم ذاته السنية، ملحوظة بعين العناية الربانية، وأن يحفظ ملكه،

وينخذ أيامه مادارت الافلاك، واستنارت الاملاك، آمين .

خادم العلم بالازهر  
 سليم البشرى

تقریظ صاحب الفضیلة وشيخ الادباء والكتاب الاستاذ الشيخ عبدالكريم سلمان

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لييك اللهم لييك ، نحمدك على ما أنعمت وأعطيت ، ونشكرك على ما تفضلت وأوليت ، ووصلى وسلم على المبعوث لتكميل مكارم الاخلاق ، وكانت نعمته عامة لكل الناس في كل الآفاق ، سيدنا محمد وآله وصحبه التابعين والعاملين على سنته ما طلع النيران ، وتعاقب الجديان ،

وبعد من المعلوم للعموم أن تفاضل العلوم في المرتبة والشرف اعما هو بشرف موضوعاتها ، وتفاوت غاياتها ، وكلما كان موضوع العلم أعلى وغايته أسمى كالتوحيد ، كان هو بالنسبة لغيره في المرتبة الاولى ، وعلى هذا أيضاً تفاضل الاعمال الصادرة من خبرة الرجال ، وكلما كان العمل أعم ، وغايته أعم ، وموضوعه أرفع ، ونمرته أجمع ، ونتيجته أرفع ، كان هو بالنسبة لغيره من الاعمال أرقى وأعظم ، وأعلى وأشرف ، كما هو مشاهد للعيان .

اسعدني الحد فتحت هذه الرحلة الحجازية التي كتبها الفاضل محمد بك ليبب البتنوني وقرأتها كلمة كلمة وتتبع غايتها خطوة خطوة ، فاذا مرضوعها حجج مولانا ومولانا عباس حلمي باشا الثاني ، خديومصر الحالي ، أدام الله أيامه ، وأعلى أعلامه ، ومن الواضح الجلي أن هذا المضاف وهو الحج هو في ذاته عمل ديني بدني منيف ، وركن من أركان الدين الحنيف ، فهو في حد ذاته عمل شريف . وأن هذا المضاف اليه وهو الجناب الحديوي الاعظم هو ذلك الذات الاكرم ، أشرف ذات في الاقطار والامصار ، وليس من يدانيه أو يضاهيه في شرف المحتد والعنصر والاصول ، ولا من يشبهه في حسبه ونسبه أو في مركزه وعلومه مقامه ، فالعمل الذي قام به الجناب العالي في هذه الرحلة المباركة من أشرف الاعمال ( خصوصاً أنه فضله على ما أوتيته وقتاً ما من أبهة الملك وجلال السلطان ) ، والعامل وهو جنابه الفخيم هو أشرف الرجال ، فموضوع هذه الرسالة من أشرف الموضوعات ، ولذلك نحكم بان تأليفها عمل من أنفجر الاعمال ، يبقى حجة على ان حج مولانا العباس ، خير كله للناس ، ببقاء الدهور والازمان .

ربما ساعد على قبول العمل وتعميم النفع به ما يكون لعامله من المنزلة بين أهل فنه ومعرفتهم بأنه كفؤ للعمل ومخلص فيه والحمد لله قد استجمع الكاتب لهذه الرسالة هذه المزايا فمزلتسه بين أفاضل الكتاب منزلة المجيد، وكفاءته كفاءة القادر المجتهد، وأخلاصه في عمله هذا لا يحتاج إلى برهان .

لا يعترى واحد ولا يختلف اثنان في ان الغاية من هذا السفر الواجب الذي انشأه مولانا العباس، هي من أشرف الغايات وأكمل المقاصد، لانه أدى به واجباً من واجبات الدين المفروضة على كل مستطيع من المؤمنين، وتجب فيه بالزيارة لسيد المرسلين، وفوق هذا القصد قد ضمن سفره المبارك فوائد اجتماعية عامة النفع، فجمعت رحلته الميمونة بين المفروض والمسنون ومصالح العباد، وأهمها ان تقتدى بعمله هذا عامة أمراء المسلمين، وكبار السراة والمثريين، في قصده هذه المنازل المقدسة، وأسداء المبرات، وارسال الحسنات والخيرات، فتعمر بها ها تيك البلدان .

ولان ذكر للاستدلال على ان للجناب العالى حفظه الله مقاصد عاليات غايات، أكثر مما جاء في ارادته السنية التي أصدرها قبيل سفره الى رئيس نظاره اذذاك فقد جاء فيها مانصه ( وانا لالرجو أن يكون توجهنا الى تلك الاقطار المباركة ووقوفنا بالذات على أحوال الحجاج المصريين وحاجاتهم باعنا في المستقبل لراحتهم واطمئنان بالهم ) ، وقد حقق الله رجاء جنابه الفخيم، واتخذت الاحتياطات الكافية لراحة الحجاج في هذا العام أكثر مما كانت في غيره من الاعوام . وما تغير خطة السفر وتبدل الطريق الا احدى هذه النتائج المباركة التي تعود على الحجاج بالخير والبركات ان شاء الله . وليست هذه وحدها بل قد علمنا أنه عقب عود سموه من السفر السعيد أرسل وفدا من خيرة الرجال لينظروا في حال الطريق من جهة الوجه، فذهبوا ورسوموا واشتغلوا وحكموا وعادوا الى مصر فمروضوا عملهم على أنظاره السامية وسيكون من وراء ذلك كله الخير الجزيل، فيكون الحجاج في أسفارهم على أحسن ما يكون من الامن والاطمئنان .

ربما عددنا تأليف هذه الرسالة من خير نتائج هذه الرحلة المباركة فانها جاءت في بابها



محكمة الوضع، متقنة الصنع، مفيدة لمن يقصدون الحج بمعرفة مسالكه ومناسكه على المذاهب الاربع، ولمن لم يسافر بمعرفة هذه المواطن وما فيها من عجائب القدرة وما كان لها من شرف في الجاهلية والاسلام، وهذا من أشرف ما يقصده القاصد، ويطلبه الرواد، ويعمله ذوو الفضل والعرفان .

اشتملت هذه الرسالة أولاً وبالذات على وصف تنقلات الركب الخديوي من مصر الى السويس فجدة فكة المكرمة فالوجه فالمدينة المنورة ومنها الى حيفا الى الاسكندرية في العود، وما بين هذه المواطن الكبرى من المنازل الصغرى، فقد وصف الكاتب في كل من هذه الامكنة وصفات تفصيلياً ما كان للجناب العالي من الحفاوة بمقدمه المبارك رسمياً وغير رسمي حتى لكانى بالقارى\* لهذه الاوصاف يعد نفسه حاضراً مشاهداً بنفسه هذه الاحتفالات في تلك الاستقبالات فيعظم من قدرها كما عظمها الحاضرون، ويتمنى أن لو كان له فيها خدمة شخصية حتى يشارك أهلها في أداء الواجب لهذه الذات الجليلة المستحقة لكل اعظام واحترام، ولكنه يعود فيكتفى بما شاهد في الرسالة ويلتزم التعظيم القلبي الوجداني والدعاء بظهر الغيب بان يحرس الله هذا الجناب للبر والمعونة والفضل والاحسان .

وصف هذا الكاتب البليغ هذه المشاهد ووصفاً حقيقياً ولم تقتفه دققة في تبيان الزينات والاستقبالات والاستعداد للملاقة على أكمل الهيئات، وما كان للخاصة من الحفاوة اللائقة بمقامه الكريم، وما كان للعامة من الاجتماعات حول ركبته المهيب، وضجيجهم بصالح الدعوات، وقد تنقل الكاتب في ذلك من أسلوب الى أسلوب ومن تعبير الى تعبير، ولا غرو فالجبال فسيح، والقائل فصيح، وما هي الا كتابة ما عليه الواقع وتصوره المشاهدة، فما على الكاتب الا نقل ما شاهدت العينان الى العيان . وتفاوت الكتاب في هذا الباب انما هو في القدرة على التصوير، وما أقدر كاتبنا على تصوير هذه المناظر حتى جلاها للقارى\* بحممة المعاني تكاد تلمسها اليدين .

وكما أبدع الكاتب في وصف هذه الهيئات الدنيوية، أغرب في وصف ما كان للجناب العالي حين تأديته للمناسك المفروضة من عظيم التواضع وكبير الخشوع، حتى ان جنابه لم يبال

بالمظاهر الدنيوية وأدى مناسكها من احرام وطواف واستلام وسمى ووقوف بعرفة ورمى للجمرات كما يؤديها من عاش عمره في شظف العيش وخشونة البدن، ولم يحفل بتعب الجسم فادى السمي ما شياً على انهمين مع حجة أدائه را كبا حتى لا تقوته مشوبة المشفة ولا أجر التعب، وكذلك أدى المسنوبات على وجهها الاكمل كما يؤديها مهمة الناس، ثم بعد هذا تقع الفقراء والمساكين من أهل هذين الحرمين الشريفين بما تفحهم به من الصدقات، وأعان الحجاج المهملين بتسفيرهم على نفقته الخصوصية، فجزاه الله عن دينه وفقراء عبيده أفضل ما يجزى به أسان .

ولقد اشتملت هذه الرسالة بعبارة على فوائد تاريخية لا شهر البلدان ولا شهر الرجال ولا شهر الاعمال، وفي كل بلد من البلاد الكبيرة كجدة ومكة والمدينة تكلم عن أوصافها أوصافاً جغرافية من جهة تجارتها وعمرانها وعلومها وسكانها ومعابرها ومزاراتها وآثارها، وبين على الخصوص تاريخ مكة القديم والحديث ومن له اليد الطولى في عمارتها ثم تاريخ الكعبة ومن بناها والازمان التي بنيت فيها وكسوها ومن كساها داخلها وخارجها وعين زبدة ومانعها، وما للاسرة الحديثية من منافع مادية وأدوية في تلك البلاد، وحروب الوهابيين وانقاد المدينة ومكة مهم . وأحسن شئ استلمت النظر ما تكلم به عن قبر امانا حواء في جدة فانه لا يبقى معه للشك مجال في أن هذا القبر هو على اسمها فقط كما يوجد كثير من الاضرحة في بلادنا باسم البعض من الصالحين وليسوا فيها على التحقيق . وألطف من هذا انه نبه على ما ينتدى في مكة من جهة الامور الصححية (خصوصاً في عين زبدة ونثر زمزم وجهة المسعى) وغبر الصححية بادق عبارة، وطالب الاصلاح باشارات مؤدبة للغاية وهذا هو اللائق برسالة الفت لغرض شريف هو بيان رحلة كبراً ميراً سلامي فانه لا يليق بها الا الكمال في التأديب والتلطف في البيان .

ثم انه وصف الطريقتين القديم والحديث بين الحرمين وبين مصر فاجاد وأفاد، وذاكر تاريخ الاسفار ومدار ما كانوا يفاسونه من وعورة الطريق وطول الزمان، ثم وصف الحرمين الشريفين وصفاً مدققاً من جهة الحدود والسعة والتاريخ وما تجدد في كل منهما من العمارات، كل ذلك بعبارة في نفسها واضحة ومؤيدة بالنقول والنصوص من الكتب المعتمدة

مما لم يسبق اليه هذا الكاتب المجيد، وما على من وصلت اليه هذه الرحلة الا تتبعها واستيعابها  
يتضح له صدق ما قلناه ويثني على كاتبها بكل لسان .

لقد حمدناه عندما بين سنة الطواف وأصلها، وعندما أوضح احترام بعض الاحجار لناس  
من قديم الزمان حين الكلام على استلام الحجر الاسود، وعندما تكلم عن احترام الحمام في  
كل صوب وناحية قديما وحدثنا حين الكلام على حمام الحمى وهو الحمام الذي يأوى الى  
بيت الله الحرام فيكون آمنا، وعندما تكلم عن لباس الاحرام وأصل استعماله قديما بين أمم  
كثيرة من البدو والحضر، الى غير ذلك من الفوائد التاريخية التي تناسب كتابا مثل هذا  
الكتاب ، ولقد أعجبنى كثيرا بآثار الحدود والمسافات وتعداد الحماط من مدينة الى أخرى  
كما بين مكة والمدينة أو بين المدينة وحيفا مما يحتاج اليه في مثل هذه الاسفار الطوال ، كل  
هذا أفوله بعبارة مجمل تنوّه عما تضمنته هذه الرسالة من نضرة العلم ونور العرفان .

ومن المباحث التي تعجب كل قارىء ما استظهره المؤلف في أصل وضع الروضة  
الشريفة والحجرة النبوية المنيفة من أنها هي بذاتها ما كان دار الله في حياته عليه الصلاة والسلام  
وان ما استدلل به على ذلك من الاحاديث الواردة فيه منتج لما استظهره فيما أعلم ، وكذلك  
كلامه على الكورنتينة وقوم صالح وما حققه المحققون في بثهم وتاريخهم وكيفية مجيئهم الى  
وادي مدائن صالح، فكله مقبول ومعقول، يؤيده ما أورده من النصوص والنقول، فلا نطيل  
فيه القول ولا نؤيده بغير ما أيده به من البرهان .

ولقد اطلعت على الخرائط الكروكية والرسوم القوتوغرافية التي وضعها للحرمين  
الشرين (خصوصا ما كان عليه الحرم المدني في عابره وحاضره) ليحلى بها جيد هذه الرسالة  
من مناظر المواقع ومناظر الحفلات الرسمية في كثير من الاستقبالات وكلها رسوم جلية  
واخمة تمثل تلك المشاهد للعيان .

ظهر من هذا المختصر الذي ذكرناه ان هذه الرسالة قد شرف موضوعها حج الجناب  
العالي الخديوي الشرف الذي لا يضاهيه شرف، وشرفت غايتها كما سلف، وارتفعت منزلة

كاتبها عند كل من ذاق وعرف ، فلم يبق إلا أن نصفها حقاً بأنها أشرف رسالة ألفت في هذا العهد لهذا القصد، فليدم الله سبب تأليفها ( الجناب العالى ) فينا نوراً ساطعاً، وليبق مؤلفها في ظله الظليل عاملاً نافعاً، ولتكن هي لقراءتها دواءً ناجماً، ولينتفع بها طلاب الفضل والفضيلة في كل زمان وفي كل مكان .

كاتبه

« عبد الكريم سلمان »



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)